

[الكتاب الثالث من ملصق الجرائد]

تخليص العباد

من وحشية أبي قتادة

الداعي إلى قتل النسوان وفلذات الأكباد

ردُّ على أبي قتادة الفلسطيني في استباحته دماء الأطفال
والنساء من المسلمين وغيرهم، وبيان أنَّ الإسلام بريء من ذلك

تأليف:

عبدالمالك بن أحمد رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ .
وقال رسول الله ﷺ: « مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا
يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ » رواه
مُسلم.

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: « دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ،
فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ
مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فِي سَفَرٍ، فَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خَبَاءَهُ^(١)، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُّ^(٢)،
وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشْرِهِ^(٣)، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلَاةُ
جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا
كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنذِرُهُمْ شَرًّا مَا
يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلِيَّهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا

(١) أَحَدُ بَيِّنَاتِ الْعَرَبِ، يَكُونُ مِنْ وَبَرٍ أَوْ صُوفٍ، وَقِيلَ مِنْ شَعْرِ أَيْضًا.

(٢) مِنَ الْمُنَاضِلَةِ: وَهِيَ الْمَرَامَةُ بِالنُّشَابِ.

(٣) هِيَ الدَّوَابُّ الَّتِي تَرَعَى وَتَبِيْتُ مَكَانَهَا.

بلاءٌ وأمورٌ تُنكرُ ونها، وتجيءُ فتنَةٌ فيرققُ بعضها بعضاً، وتجيءُ الفتنَةُ، فيقولُ المؤمنُ: هذه مهلكتي! ثم تنكشفُ، وتجيءُ الفتنَةُ، فيقولُ المؤمنُ: هذه هذه!! فمن أحبَّ أن يُزحزحَ عن النارِ ويدخلَ الجنةَ فلتأته مَنِيَّتُهُ وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، وليأتِ إلى الناسِ الذي يُحِبُّ أن يؤتى إليه، ومن بايعَ إماماً فأعطاه صفقةَ يدهِ وثمرةَ قلبه، فليطعمه إن استطاعَ، فإن جاءَ آخرٌ ينازعُه فاضربوا عنقَ الآخرِ.

فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ! أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنِيهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاةَ قَلْبِي...» رواه مسلم (١٨٤٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنها ستكونُ أمورٌ مشتهاتٌ، فعليكم بالثَّوْدَةِ؛ فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ تَابِعاً فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ رَأْساً فِي الشَّرِّ».

وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله: «واليومَ — والتاريخُ يُعيدُ نفسه كما يقولونَ — فقد نبتتُ نابتةً من الشَّبابِ المُسلمِ، لم يتفقوا في الدينِ إلا قليلاً، ورأوا أن الحُكَّامَ لا يحكمونَ بما أنزلَ اللهُ إلا قليلاً، فرأوا الخروجَ عليهم ذونَ أن يستشيرُوا أهلَ العلمِ والفقهِ والحكمةِ منهم، بل ركبوا رؤوسهم، وأثاروا فتناً عمياءَ، وسفكوا الدِّماءَ، في مصرَ، وسوريا، والجزائرَ».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهذا الضربُ من الناسِ من أغرب أشكالِ بني آدمَ، فسبحانَ مَنْ نوَّعَ خلقه كما أراد!!».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإني لا أكتب للجزائر وإن كنت لأكتب للجزائر، بعد هذه الجراحات التي طال أمدؤها، فعسر اندمائها، ولولا غور الجرح ما أجزيت فيه قلماً؛ لما فيه من تجديد ثياب العار والشنار، ولكن قوماً أرغمتهم محنة الجزائر على طأطأة الرؤوس عند معاينة الهزيمة بعد الجريمة، فمدوا أعناقهم إلى غيرها من البلاد الإسلامية؛ ظناً منهم أنهم قادرون على أن يتحاشوا أخطاء من سبقهم ليحققوا ما أخفق فيه أولئك!

والسعيد من وعظ بغيره ولم يتعظ به الناس، وأتى لهؤلاء ذلك وهم لا يزالون يحسبون السراب ماءً بقيعة، بعد كدر الصنعة، والله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس ٨١]!

ولقد كان يسعني أن أستروح إلى التحليلات السياسية لدى الأحزاب الإسلامية اليوم، فأرمي بثقل تلك الجرائم على عاتق المخابرات؛ لأبرئ ساحات من باشرها على مرأى منا ومسمع، فأحظي بعدها بتزكية الحركات الإسلامية، التي لا يعينها أن تصدق وتطهر بواطنها، بقدر ما يعينها أن تستر كل من عاند السلطان وتزين ظواهرها، ولكن:

كُتِبْتُ وَقَدْ أَيَقَنْتُ يَوْمَ كِتَابَتِي بَأَنَّ يَدِي تَفَنَى وَيَقَى كِتَابَهَا
 فَإِنْ عَمَلْتُ خَيْرًا سَتُجْزَى بِمِثْلِهِ وَإِنْ عَمَلْتُ شَرًّا عَلَيَّ حِسَابَهَا

ولا يزال الحق يمتحن بالباطل، ويبتلى الخير بالشر، كما قال الله تعالى:

﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ [الرعد ١٧]، وأبطل الباطل قسماً:

أحدهما: الكفر.

وثانيهما: البدعة.

وقد أخبرنا الله ﷻ أن الكفر كلما قوي أهله لم يرأعوا لأهل الحق قرابة ولا عهداً، فقال: ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة ٨].

وكذلك شأن أهل البدع؛ فكم امتحن الإسلام بهم، وشوّهت صورته الجميلة بما حرّفوا من نصوصه، وكم عانى المسلمون منهم، وذاقوا مرّ كيدهم للسنّة وأهلها!

ولو ترك أهل الحق أهل الباطل من الكفار يُعربِدُونَ لذهبت معالم الإسلام، ولما فرّق الناس بين توحيد وشرك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوْمِعُ وَيَبِحُ وَصَلَوَاتُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج ٤٠].

ولو ترك أهل الحق أهل الباطل من المبتدعة يُعربِدُونَ لذهبت معالم السنّة، ولما فرّق الناس بين عبادة الرسول ﷺ وعبادة معاند الرسول ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التور ٦٣].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: « كيف بك إذا بقيت إلى زمان شاهدت فيه ناساً لا يُفرّقون بين الحق والباطل، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين الأمين

والخائن، ولا بين الجاهل والعالم، ولا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً»
رواه ابن بطة في «الإبانة/ الإيمان» (٢٤).

أما شبهات الكفر وأهله فقد دحضها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ،
واقترى بذلك علماء الإسلام فلم يتركوا لهم حجة إلا فندوها، قال الله تعالى:
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ آلُؤْيُلٌ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء ١٨].

وأما شبهات البدعة وأهلها فقد دحضها عصبه الرسول ﷺ، وذنبوا عن
حياض السنة بما حمدهم عليه من طابت أفئدتهم بالسنة، قال رسول الله ﷺ:
« لَا تَرَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ
خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ » متفق عليه من حديث
معاوية رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي
ناسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَيَأْيَأُكُمْ وَإِيَاهُمْ! » رواه
مسلم.

ومن هؤلاء الذين تضرر بهم المسلمون اليوم وصاروا محنة على الإسلام:
الخوارج، وهم وإن كان تاريخهم قديماً، بل هم أقدم من ضل من فرق
المسلمين، « فما زال الفكرُ التكفيري يمضي بقوة في أوساط شباب الأمة، منذ
أن اختلقت الخوارجُ الحرورية، لا يرعوي إلا في فترات بزوغ منهج أهل السنة
وتألق عقيدة سلف الأمة، ولا أكون مبالغاً في القول: إنه سببٌ كثيرةٌ كاثرةٌ من
البلايا والرزايا التي منيت بها الأمة في ماضي الزمان وحاضره، وما هذه
التفجيرات المدمرة والسيارات المفخخة والاعتيالات الغاشمة والمذابح الماكرة

للمصلين، بل للشيوخ والأئمة، ما هذا كله وغيره من فواجع أضرمت القلب، وأمرت العيش إلا ثمرة بشعة من ثمرات الفكر التكفيري وعواقبه ولو احقه.

ومما يأخذ بالمرء في شعاب الهموم وأودية الأحزان، ما نراه من بعض المنتسبين لمعاقل أهل السنة من تسرب بعض مسائل هذا الفكر إليهم، بل صاروا يؤلفون فيه ويدعون إليه، ويقذفون بالإرجاء والتعطيل والعلمنة من لم يتبدل فكره بفعل العواطف والمتغيرات، ولم يثنه عن أصول أهل السنة الحماسة والسياسات « من قلم الدكتور خالد العنبري في كتابه: « هزيمة الفكر التكفيري » (ص ٦).

ولا ريب أن هذا الوصف هو الذي نعيشه اليوم، وبين الحين والآخر تخرج إلينا جماعة من جماعات التكفير، وتدخل في صراع مع حكوماتها، بل ومع شعوبها، ثم يتفرق عنها جماعات، وكلما خرجت أمة لعنت أختها، وبادلتها ثم التكفير، وربما أدى الأمر إلى إعمال الأيدي فيما بينها، وكلها من مشتقات الخوارج!

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في « السيل الجرار » (٤/٥٨٤ - ٥٨٥): « وما هنا تُسكبُ العبرات، ويُناحُ على الإسلام وأهله بما جناه التعصبُ في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر، لا لسنة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت به مراحل العصبية في الدين، وتمكن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين، لقنهم إزامات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء، والسراب ببيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين، والرزية التي ما رزى بمثلها سبيل المؤمنين...! والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجِه عن الملّة

الإسلامية إلى الملة الكفرية؟! فإن هذه جناية لا تعدلها جناية، وجُرأة لا تماثلها جُرأة، وأين هذا الجترى على تكفير أخيه من قول رسول الله ﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه)، وقوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)، وقوله ﷺ: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)؟! «.

وصدق رحمه الله؛ فهذه الجزائر منذ فشت فيها هذه المقالة، وهي في خراب واضطراب، بدؤوا بالحكام، ثم تدحرجوا إلى سائر الأنام، متقربين إلى الله بتكفيرهم سرًا وعلانية؛ يرجون تجارة لن تبور!

لقد بدأت هذه السلسلة من الفتن عن طريق الخطب السياسية المحرّضة، التي سب الحكام فيها كتسييح الطرائق الصوفية لا يحصيها العاد، فإذا نهاهم الناصحون من أهل العلم عن هذا الأسلوب، لم يكن لديهم من الأخلاق ما يمنعهم من اتهمهم بأنهم أذئاب سلطان، أو أنهم مجادلون عن الطواغيت! والذي مدّ في أجل هذا الفكر وبسط سلطانه في ديار أهل السنة هو قهاون الغافلين عن التصدي له، وقد توهموا - بمكر من متغافلين! - أن منطق هذا الخطاب لا يتجاوز منطق القواعد من النساء، فإذا بالأمر يمتد إلى تكتيل الناس على أفكار كانت من إفرازات التهييج السياسي، ومن لم يجمع قلبه على هذه الأفكار - التي غالباً ما تكون من نتاج بشري - أعملوا فيه معاول الولاء والبراء بفقّه حزبي أعمى، فإذا تصدّى لهم الناصحون بالنهي عن هذا التحزب رمّوهم بالعشوائية في العمل الإسلامي، واتهموهم بتحريم العمل الجماعي تدليسا، ونفقوا تحزبهم بتسميته (عملاً جماعياً) تليسا!

ثم امتد الأمر إلى تقديم بيعة، ولو كانت في بلد مسلم عليه أمير مسلم! فإذا ووجهوا بنهي الشريعة عن بيعة تحت بيعة، قالوا: لا يفقهون واقع الطواغيت!

ثم امتدَّ الأمرُ إلى المطالبة السَّيَّاسِيَّةِ في البرلمان أو المجالس النيابية، وهنا بابٌ من يلجحه لا يخرجُ منه إلاَّ ضارباً أو مضروباً؛ لأنَّ طبيعة المطالبة تدلُّ على المغالبة!

وعندها يرخصُ كلُّ شيء في سبيل الوصول إلى السلطان، يرخصُ الدَّمُ والعرضُ والمالُ، بل والدين؛ لأننا وجدنا أهله مستعدِّين لبذل ما يُطلب منهم من دين، عوضاً عما يُمنون به من الوصول إلى رتبة السلاطين!

وهنا تنعمُ الأمة الضعيفة في بحر من الفتن لا ساحل له، وتهيجُ النفوسُ، وتسكرُ أشدَّ من سكر الكؤوس، إنَّه سكرُ حبِّ السلطان، ويُنغي بعضهم على بعض حتى يقتل ذؤو الأرحام...

وتتقطعُ الأمة إلى شيع، عددها كما قيل: (إسرافٌ في أطراف)، وشرُّها للناسِ هم أهلُ التكفير باعتساف، ظاهرهم الغيرةُ على الدين، وباطنهم الكيِّدُ للمسلمين؛ بزعم ارتدادهم، ومن ثمَّ استحقاقهم السَّيْف!

ولعلَّ القاريءَ لا يدري أننا نعالجُ فتنة قوم بدأ مرضهم بحربِ كلام، وانتهى إلى استحلالِ المالِ الحرام؛ إذ قالوا بحلِّ اختلاسِ أموالِ الكفار، بل وبحلِّ دماءِ المسلمين الأبرارِ منهم والفجار!

وزادوا في الشطط، فدعوا إلى الخروجِ على السلاطين، حتى انتهى بهم الضلالُ إلى حملِ السَّلاح في وجوه جميع من لم يلحق بهم من المسلمين، بل غزوا قراهم غزواً جماعياً، لا يرحمون امرأة ولا صغيراً ولا كبيراً فانياً!!

والأغربُ منه هو بروزُ هذه الجرائم في صورة فتاوى شرعية، تلك هي فتاوى أبي قتادة الفلسطيني!

فمن ذا الذي يطيقُ السُّكوتَ على ذاك؟!!

ومن ذا الذي يرغب في هذا الإسلام!؟

فتاوى سخيفة، وعبث بالأرواح الضعيفة، فلأقولن له قريباً مما قيل:

أوسعتنا يا نحس سُخفاً وعبثُ
لأنفيناك كما يُنفى الخبثُ

وقد كنتُ من أوّل يومٍ - قبل هجري من الجزائر وقبل أن يحصل هذا -
أسمي هؤلاء بالتسمية الشرعية اللائقة بهم، فأقول: (إنهم خوارج)، فكان
المتظاهرون بالاعتدال ومعهم طائفة من الجهال يستعظمون علينا ذلك، ويرونه
غلوّاً، حتى إذا رأوا من يتقرب إلى الله بدم أبيه وأمه، ومن ذبح من عائلته أربعة
عشر نفساً - (وجه الله!!) فهم الخطاب القديم، ولقد أجاد من قال:

بذلتُ لهم نُصحي بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى العدى

وقال البخاري في «صحيحه» (٤٧/١٣ - الفتح): وقال ابن عيينة عن

خلف بن حوشب: كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الآيات عند الفتن، قال
امرؤ القيس:

الحربُ أوّل ما تكونُ فتيةً
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها
شمطاءً يُنكرُ لوئها وتغيّرت
تسعى بزيتها لكل جهول
ولت عجوزاً غير ذات حليل
مكروهة للشم والتقبيل

وآخرون لم يفهموا الخطاب إلى الآن، استفظعوا هذه الأمور أن يقوم بمثلها
مسلم، فيتكلمون بالظنون، ويتهمون من لا يعرفون، مع أنهم لو ألقوا نظرةً
خاطفةً على تاريخ الخوارج ما تحيروا ولا تخرصوا، لقد قاتل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه الخوارج الأوّل، وكان معه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وغيره من الصحابة،
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥٨٨/١٠): «قال أبو أيوب: وطعنتُ
رجلاً من الخوارج بالرّمح فأنفذته من ظهره، وقلتُ له: أبشِرْ - يا عدوّ

الله! — بالنار، فقال: ستعلم أننا أولى بها صلياً!!»، وانظر «تاريخ الطبري» (١٢٢/٣).

وأورد ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٩—٤٠) قصة عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الذي قتل علياً عليه السلام، وذكر «أن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسار محمى فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك بملمول مض^(١)، وجعل يقول: ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ خالق الإنسن من علق^(٢)، حتى أتى على آخر السورة كلها وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطعه فجزع، فقيل له: قطعنا يديك ورجليك وسملنا عينيك — يا عدو الله! — فلم تجزع، فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟!»

فقال: ما ذاك مني من جزع، إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فوقاً لا أذكر الله! «.

والفواق هنا هو على معنى الزمن الذي بين فتح يدك وقبضها على الضرع، كما في «القاموس المحيط» للفيروزآبادي مادة فوق، ومعناه أن هذا المجرم الذي قتل علياً عليه السلام جزع من أن تمر عليه هذه اللحظة القصيرة ولا يذكر فيها الله!

وقد كانوا لا يتورعون من عد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المبشرين بالجنة من أئمة الكفر؛ ففي «فتح الباري» لابن حجر (٤٢٦/٨) قال: «وقد روى ابن

(١) أسند الحربي بعض هذه القصة في «غريب الحديث» (٣٣١/١)، وقال في (٣٣٧/١): «هو الميل الذي يكتحل به»، وفي «لسان العرب» لابن منظور عند مادة مض: «وكحله بملمول مض، أي حار».

مردويه من طريق أبي عون عن مُصعب، قال: نظرَ رجلٌ من الخوارج إلى سعد (أي ابن أبي وقاص رضي الله عنه)، فقال: هذا من أئمة الكفر!! فقال له سعد: كذبت! أنا قائلتُ أئمة الكفر، فقال له آخرُ: هذا من الأخسرين أعمالاً!! فقال له سعد: كذبت! ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ﴾ [الكهف ١٠٥] الآية.»

وصدق الإمام ابن كثير إذ يقولُ في « البداية والنهاية » (١٠/٥٨٠):
 « وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه
 كما أراد، وسبق في قدره ذلك، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج:
 إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ
 ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 وَزَنًّا ﴿١٠٣-١٠٥﴾ [الكهف ١٠٣-١٠٥]!

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين...»

وقد ذكر هذا - رحمه الله - بعد أن ساق بعض الحكايات الغريبة عنهم، ولا بأس من سوق شيء منها لينظر القاريء التشابه بين المتقدمين والمتأخرين، ومنها ما رواه عبد الملك بن أبي حرثة « أن علياً لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة، اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة، زهدهم في هذه الحياة الدنيا، ورغبهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا - إخواننا! - من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن منكبين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوس بن زهير، فقال بعد

حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعوتكم زيتها وبهجتها إلى المقام بها، ولا تلفتتكم عن طلب الحق وإنكار الظلم؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فقال سنان بن حمزة الأَسدي: يا قوم! إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسناد، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي وكان من رؤوسهم، فعرضوا عليه الإمارة عليهم فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، ثم عرضوها على حمزة ابن سنان فأبى، ثم عرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى، ثم عرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أمّا — والله! — لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت.

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السبسي، فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿يَنْدَاوِرُدُّ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية ص ٢٦]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤]، والتي بعدها وبعدها: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ [٤٥]، ﴿الْفٰسِقُونَ﴾ [٤٧]، ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له عبد الله ابن شجرة السلمى، ثم حرّض أولئك على الخروج على الناس، وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن

أَنْتُمْ ظَفَرْتُمْ وَأَطِيعَ اللَّهِ كَمَا أَرَدْتُمْ آتَاكُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ لَهُ الْعَامِلِينَ بِأَمْرِهِ،
وَإِنْ قُتِلْتُمْ فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنَ الصَّبْرِ وَالْمَصِيرِ إِلَى اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ؟!!!» .
لَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ تَذَكَّرُ مَنْ عَرَفَ الْخَوَارِجَ الْيَوْمَ كَثِيرًا مِنْ نِقَاطِ
التَّشَابُهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلَيْكَ، مَعَ مُلَاحَظَةِ مَا أُوتُوا - مِنْ إِعَانَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ - مِنْ
أَسَالِيبِ خَطَائِبِ مُلْهَبَةٍ لِمَشَاعِرٍ مَنْ قَلَّ صَبْرُهُ عَلَى السُّنَّةِ، وَمِنْ اللَّهِ وَحْدَهُ الْعِصْمَةُ
وَلَهُ الْمُنَّةُ.

وقد تصدّيتُ لهذه الكتابة لقلّة المتصدّين لها على الرّغم من اشتداد البلاء
بهذه الجماعات، وانتشار سُمّها في جسد الأمة، مع كثرة المُتخدعين بها، وكذا
المدافعين عنها من خارجها، أو الساكنين عنها: أولئك النافخون في كير الفِئنة.
وقد قرأتُ لبعض الغيورين كتابات دَعَوِيَّةً عَظِيمَةً، دَعَمَها بفتاوى الأئمّة
الكبار؛ لدخض حُجج أولئك الأغرار، فكان لها الأثر الطيّب في ذلك، واشتهر
عند الناس رأيُ أولئك: الألباني وابن باز وابن عُثيمين رحمهم الله، واغتاظ
التكفيريون بها أشدَّ الغيظ، وهم يرون أنّه قد أتحدت كلمتها واشتدَّ عودها،
وأشدُّ ما غاظهم فيها أن يجتمع سوادُ الأئمّة على الرجوع إلى هؤلاء الجبال
الثلاثة ومن معهم من أهل العلم، فكادوا لهم، وحركوا غيرهم هنا وهناك، بعد
أن كاد يُقطع نَسْل هذه الجماعة!

وفي الوقت الذي كان يُشيع الناسُ جنازتها، ويهيلون التُّراب على جدّتها،
كتبَ أقوامٌ من الأحداث كُتُباً في اتِّهام المجاهدين لها - من أهل السُّنة بل من
أئمّة السُّنة - بالإرجاء، فذرت قَرْنها، ورفعت عَقيرتها، وقد رأت أن صار لها
مَرَاجِعُ...!

من أجل هذا جرّدتُ قلمي، وأنا راجٍ من الله أن يكتبني في المجاهدين، كما

قال ابن القيم - رحمه الله - في « التبيان في أقسام القرآن » (ص ١٣٢):
 « القلم الجامع: وهو قلم الرد على المبطلين ورفع سنة المحققين وكشف
 أباطيل المبطلين، على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم وهماقتهم،
 وخروجهم عن الحق، ودخولهم في الباطل، وهذا القلم في الأقلام نظير
 الملوك في الأنام، وأصحابه أهل الحجّة النَّاصرون لما جاءت به الرُّسل،
 المحاربون لأعدائهم، وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة،
 المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال، وأصحاب هذا القلم حربٌ
 لكلِّ مُبطل، وعدوٌّ لكلِّ مخالفٍ للرُّسل، فهم في شأن، وغيرهم من أصحابِ
 الأقلام في شأنٍ ».

هذا، ولم أتوسّع في مراجع الرَّجُل، وإنما اعتمدتُ في نقلِ أغلبِ كلامه
 على ثلاثة:

الأوّل: مقالاته التي ينشرها في مجلّة الأنصار الصّادرّة في لندن، وقد أُحيلُ
 أحياناً على كتابه « الجهاد والاجتهاد » الذي جُمع فيه حلُّ أبحاث مجلّته هذه.
 الثاني: خطبة جُمعة له في لندن، في حكم ما قامت به جماعة في الجزائر
 من قتل للنساء والأطفال، وهي مشهورةٌ مُتداولة.

الثالث: حوارٌ أجرته معه جريدة « الحياة »، العدد (١٣٢١٩)، في
 (ص ٦)، بتاريخ: (الثلاثاء ٣ صفر ١٤٢٠هـ)، والموافق لـ (١٨ أيار مايو
 ١٩٩٩م).

وقد صوّرتُ جميعَ الوثائق التي استقيتُ منها المعلومات بحسب الإمكان،
 وجعلتها في أماكنها من الكتاب حتى تكون قريبةً من عين القاري، فبلغت
 أكثر من ثلاثين وثيقة.

ولاً بأس من تذكير القاريء الكريم بأني كتبت في الموضوع ثلاثة كتب:
الأول: «مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات
الحماسية»، وقد جعلته خاصاً بباب السياسة.

والثاني: «فتاوى العلماء الأكاير فيما أهدر من دماء في الجزائر»، وقد
جعلته خاصاً بباب الدماء، وكلاهما قد طبع والحمد لله.

والثالث: هو هذا، وهو في موضوعه تابع لسابقه، ثم لما طال الكتاب
جعلته قسمين: قسم هو هذا، جعلته خاصاً بالدماء، وقسم خاص بالأعراض
والأموال، سمّيته: «تنبيه النبيه على لص بسمت فقيه».

وأقدم بالشكر الجزيل لجميع الإخوة الذين أمدوني بمراجع القوم، وأسأل
الله لهم السداد في القول والعمل، والثبات على الإسلام والسنة، وأن يلحقنا
وإياهم بالصالحين.

وأسأله تعالى أن يحقن دماء إخواني، وأن يحشرنا إليه إخواناً على سرر
مقابلين، وأن يكتب لي القبول عنده فيما أكتب؛ فإن الله إن رضي عن عبده
هانت عليه مساحط غيره، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المدينة في ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٢هـ.

مَدْخَل

فِيهِ ثَلَاثَةُ أَصُولٍ:

الأول: وجوب العمل بالشريعة الإسلامية.

الثاني: التحذير من تكفير المسلم.

الثالث: حرمة وحي المسلم.

وَجُوبُ الْعَمَلِ بِشَرِيحَةِ الْإِسْلَامِ

المسلمُ الذي يؤمنُ باللهِ ورسوله لا يترددُ في العملِ بأمرِ الله ﷻ وأمرِ رسوله ﷺ؛ لأنَّ ذلكَ من مقتضى إيمانه، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور ٥١ - ٥٢]، والناسُ في تشريعاتهم يختارون لأنفسهم الأصلاحَ في ظنِّهم، ولا أصلحَ ممَّا اختاره اللهُ لهم في شريعته، حيثُ يقولُ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة ٥٠]، وكلُّ شريعةٍ غيرِ شريعةِ اللهِ فنحنُ منهثيون عن أتباعها؛ لأنَّ اللهُ قد قالَ - ولا قولَ مع قولِ اللهِ -: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النور ٥٠]، إنَّهم لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الحاثية].

ولهذا فإنه يستحيلُ أن يختارَ المسلمُ لنفسه حكماً غيرَ اللهِ ذي الحكمة والعدل، وهو يقرأ قولَ اللهِ ﷻ: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام ١١٤]؛ وذلكَ لأنَّ كلامَ اللهِ إمامٌ خيرٌ وإمامٌ حُكْمٌ، فخيرُهُ ﷻ صدقٌ، وحُكْمُهُ عدلٌ، ولذلك قالَ عقبَ هذه الآية: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام ١١٥].

عن هانئ بن يزيد ﷺ: « أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْمِهِ سَمِعَهُمْ يُكْتَبُونَ بِأَبِي الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ

الحُكْمُ، فَلِمَ تَكُنِّي بِأَبِي الْحَكَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ فَقَالَ: لِي شَرِيحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قَالَ: شَرِيحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ « رواه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٢٢٦/٨) - (٢٢٧) بإسناد صحيح.

وكيف لا يكون الأمر كذلك، وقد أعطى الله تعالى الحقوق لأهلها من غير حيف ولا نسيان، كما قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ » الحديث، أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٧٢٠).

فما كان من خير القرآن والسنة صدق به المؤمن، وأيقن به قلبه ولو لم يبلغه عقله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء ١٢٢].

وما كان من حكم القرآن والسنة تحاكم إليه المؤمن منشرح الصدر، ولو كان فيه ذهابُ شيءٍ من حظه العاجل، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَتُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء ٦٥].

ذكر ابن القيم - رحمه الله - في « مدارج السالكين » (١٧١/٢) - (١٧٢) الحديث الذي رواه مسلم (٣٤) بلفظ: « ذاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا »، والحديث الذي رواه مسلم أيضاً (٣٨٦) بلفظ: « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ »، ثم قال: « وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي، وقد تضمننا الرضا

برُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانُهُ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَالرِّضَا بِرَسُولِهِ وَالانْقِيَادَ لَهُ، وَالرِّضَا بِدِينِهِ وَالتَّسْلِيمَ لَهُ، وَمَنْ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ فَهُوَ الصِّدِّيقُ حَقًّا، وَهِيَ سَهْلَةٌ بِالِدَّعْوَى وَاللِّسَانِ، وَهِيَ مِنْ أَصْعَبِ الْأُمُورِ عِنْدَ حَقِيقَةِ الْاِمْتِحَانِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَاءَ مَا يُخَالِفُ هَوَى النَّفْسِ وَمَرَادَهَا، مِنْ ذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الرِّضَا كَانَ لِسَانَهُ بِهِ نَاطِقًا، فَهُوَ عَلَى لِسَانِهِ لَا عَلَى حَالِهِ ...

وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا: فَيَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْاِنْقِيَادِ لَهُ وَالتَّسْلِيمَ الْمَطْلُوقَ إِلَيْهِ، بَحِثْ يَكُونُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَتَلَقَّى الْهُدَى إِلَّا مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِهِ، وَلَا يُحَاكِمُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ الْبَتَّةَ، لَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَذْوَاقِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَمَقَامَاتِهِ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، لَا يَرْضَى فِي ذَلِكَ بِحُكْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ كَانَ تَحْكِيمُهُ غَيْرَهُ مِنْ بَابِ غِذَاءِ الْمَضْطَرِّ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَا يُقِيئُهُ إِلَّا مِنَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمِّ، وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الثَّرَابِ الَّذِي إِنَّمَا يُتِيَّمُ بِهِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ الطَّهْوَرِ.

وَأَمَّا الرِّضَا بِدِينِهِ: فَإِذَا قَالَ أَوْ حَكَمَ أَوْ أَمَرَ أَوْ نَهَى، رَضِيَ كُلَّ الرِّضَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ حَرَجٌ مِنْ حُكْمِهِ، وَسَلَّمَ لَهُ تَسْلِيمًا، وَلَوْ كَانَ مُخَالَفًا لِمُرَادِ نَفْسِهِ أَوْ هَوَاهَا، أَوْ قَوْلِ مَقَلَّدِهِ وَشَيْخِهِ وَطَائِفَتِهِ.

وَهَذَا يُوحِشُكَ النَّاسُ كُلَّهُمْ إِلَّا الْغُرَبَاءَ فِي الْعَالَمِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَوْحِشَ مِنَ الْاِغْتِرَابِ وَالتَّفَرُّدِ، فَإِنَّهُ - وَاللَّهِ! - عَيْنُ الْعِزَّةِ وَالصُّحْبَةِ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَرُوحُ الْأَنْسِ بِهِ، وَالرِّضَا بِهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا.

بَلِ الصَّادِقِ كَلَّمَا وَجَدَ مَسَّ الْاِغْتِرَابِ، وَذَاقَ حَلَاوَتَهُ، وَتَنَسَّمَ رُوحَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ زِدْنِي اِغْتِرَابًا وَوَحْشَةً مِنَ الْعَالَمِ وَأَنْسًا بِكَ، وَكَلَّمَا ذَاقَ حَلَاوَةَ هَذَا

الاغتراب وهذا التفرد رأى الوحشة عين الأنس بالناس، والذل عين العز بهم، والجهل عين الوقوف مع آرائهم وزبالة أذهانهم، والانقطاع عين التقيد برؤسومهم وأوضاعهم، فلم يؤثر بنصيبه من الله أحداً من الخلق، ولم يبع حظه من الله بموافقتهم فيما لا يُجدي عليه إلا الحرمان.

وغايته مودة بينهم في الحياة الدنيا، فإذا انقطعت الأسباب، وحققت الحقائق، وبُعث ما في القبور، وحُصّل ما في الصدور، وبليت السرائر، ولم يجد من دون مولاه الحق من قوة ولا ناصر، تبين له حينئذ مواقع الربح والخسران، وما الذي يخف أو يرجح به الميزان، والله المستعان وعليه التكلان.»

ومن صفات المنافقين إرادة التحاكم إلى غير شريعة رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء ٦٠ - ٦١].

فاحذر من الإعراض عما أنزله الله من حكم في كتابه وعلى قلب رسوله ﷺ، فقد يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً، فتخرج من ملة الإسلام، وتخسر الدنيا والآخرة، فلا تسعد في الدنيا بالحكم البشري الذي اخترته على حكم الله وفضلته عليه أو ساوئته به؛ إذ لا سعادة إلا في ظل ما أنزله الله، ولا تسعد في الآخرة؛ إذ كنت في عداد أعداء الله الذين قال فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [محمد ٨-٩].

ولا تزال الأمم في معيشة ضنك ما أعرضت عن الوحي، قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾
 ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
 آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ ﴿ [طه ١٢٤ - ١٢٦].

وما نراه في مجتمعات المسلمين من اختلاف الرأي وتفكك الأواصر ولعن بعضهم بعضاً هو نتيجة حتمية لبعث الناس عن العمل بالكتاب والسنة، أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ، فقد أخرج ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٥٤٠/٤)، وصححه الألباني في « الصحیحة » (١٠٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « أقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدرِكوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السُلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم ». »

قال ابن تيمية عقب إيراد موقع الشاهد من هذا الحديث: « وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول، كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة، في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويتجنب مسلك من خذله الله وأهانته » من « مجموع فتاواه » (٣٨٨/٣٥).

فهذه هي هيات أن يعز قوم وكونا شريعة ربهم ظهورهم، أخرج أحمد في

« الزُّهْدُ » (ص ١٤٢) وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٦/١ - ٢١٧) بسند صحيح عن جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ قَالَ: « لَمَّا فَتَحَتْ قَبْرِصُ فُرَّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ! مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ﷻ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ؛ بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمَلِكُ، تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى! ».

وعلى هذه الحال جرت سنة الله في دول الإسلام، قال الشيخ إسماعيل الحسيني في كتابه: « تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن » (ص ٨٤ - ٨٥): « وكذلك الشام، كان أهلها في أول الإسلام في سعادة الدنيا والدين، ثم جرت فتن، وخرج الملك من أيديهم، ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والتصارى بذنوبهم، واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل، وفتحوا البناء الذي كان عليه وجعلوه كنيسة، ثم صلح دينهم فأعزهم الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله وأتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم.

وكذلك أهل الأندلس كانوا رقاداً في ظلال الأمن وخفض العيش والدعة، فغمطوا النعمة، وقابلوها بالأشر والبطر، فاشتعلوا بمعاصي الله تعالى، وأكبوا على لهوهم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته، ففعل الله بهم ما لا يحصره قلم كاتب، ولا يحصيه حساب حاسب، بتسليط عدوهم عليهم حتى مزقهم الله كل ممزق، وفرقهم أيادي سبأ، وارتد بعضهم على عقبه؛ ركوناً إلى الدنيا الفانية والحظوظ العاجلة، ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه، وما صاروا إليه، وفي التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر ».

ومُقابِلَةٌ سَريِعةٌ بَينَ ما وَصَلَ إِلَيهِ أَصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ العِزِّ مَعَ القَلَّةِ،

وما وصل إليه غيرهم من الذلة مع الكثرة، تُنيك بالفارق الكبير بين صاحب الطاعة وصاحب المعصية، قال الشيخ إسماعيل الحسيني في كتابه السابق (ص ٧٩): « أَلَا تَرَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم بعد وفاة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَحُوا مَا فَتَحُوا مِنَ الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ، وَنَشَرُوا الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي مَدَّةٍ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ، مَعَ قَلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ وَعُدْدِهِمْ وَضِيقِ ذَاتِ يَدِهِمْ، نَحْنُ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِنَا وَوَفْرَةِ عُدْدِنَا وَهَائِلِ ثَرَوَتِنَا وَطَائِلِ قُوَّتِنَا، لَا نَزْدَادُ إِلَّا ضَعْفًا وَتَقَهْرًا إِلَى وِرَاءِ، وَذَلًّا وَحِقَارَةً فِي عُيُونِ الْأَعْدَاءِ ». »

هذا ما تيسر جمعه، وإنما أردتُ تبيين المسلمين جميعاً إلى سبب ما حلَّ بديارهم من محن، ولم أردُ به تخصيص الأمراء بالأمر بإقامة الدين؛ لأنَّ الخلقَ كلَّهم مأمورون بإقامة دين الله.

ومن أرادَ تخصيصَ الأمراء بهذا، ففي عرينهم، وبلين القول لهم، مع مُراعاة حكمة الشرع في ذلك، كما قال اللهُ تعالى لموسى وهارون صَلَّى اللهُ عليهما وَسَلَّمَ: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه ٤٣ - ٤٤].

التَّحْذِيرُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِ

البلاءُ موْكولٌ بالمنطق، واللسانُ مرْكَبٌ خطرٌ من مرَاكب العَطْبِ، وقد حذرنا الله من شرِّه في آيات كثيرة جدًّا من كتابه؛ لأنَّ المرءَ مسئولٌ يومَ القيامة عمَّا قاله في الدُّنيا، قال اللهُ ﷻ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ومن الآفات اللُّسائيَّة التي يُسألُ عنها: تكفيرُ المسلم بغير حقٍّ، كأتباع الظنِّ أو المبالغة في ردِّ عُذْوانه إلى حدِّ تكفيره بلا مسوِّغ، أو جعل كباثره نواقضَ لإيمانه، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

وفي الصَّحِيحَيْنِ عن ابن عمر قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « إذا قال الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: (يا كافر!) فقد باءَ بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعتُ عليه ». «

وفيهما عن أبي ذرٍّ أنَّه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: « مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ أَوْ قَالَ: (عدُوُّ اللهِ!) وليس كذلك إلا حارَّ عليه ». «

وقال ﷺ: « مَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ » رواه الطبراني من حديث هشام بن عامر، وصحَّحه الألباني في « صحیح الجامع الصغیر » (٦٢٦٩).

وعلى هذا فينبغي للناصح لنفسه أن يتجنب أعراض المسلمين، ففي الصَّحِيحَيْنِ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: « سبَّابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ». «

وَأَمَّا كَانَ إِثْمُ التَّكْفِيرِ عَائِدًا عَلَى صَاحِبِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْمَكْفُرُ أَهْلًا لِلذَّكَاءِ؛
لأنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ فِي « النَّصِيحَةِ » (ص ٢١)
أَنَّهُ لَمَّا رَكِبَ ابْنُ سَيْرِينَ الدِّينُ وَحُبِسَ بِهِ، قَالَ: « إِنِّي أَعْرِفُ الذَّنْبَ الَّذِي
أَصَابَنِي هَذَا؛ عَيَّرْتُ رَجُلًا مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقُلْتُ لَهُ: يَا مُفْلِسُ! ».

هَذِهِ كَلِمَةٌ قَالَهَا صَاحِبُهَا مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلَمْ يَنْسَهَا؛ لِأَنَّ السَّلْفَ لَمْ يَكُونُوا
عَنْ أَنْفُسِهِمْ غَافِلِينَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَرْءُ يَلُوكُ كَلِمَةً (يَا كَافِرًا!) - الَّتِي هِيَ
شَرٌّ مِنْ (يَا مُفْلِسُ!) - صَبَاحَ مَسَاءٍ!؟

وَعَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: « سَأَلْتُ جَابِرًا وَهُوَ مَجَاوِرٌ بِمَكَّةَ، وَكَانَ نَازِلًا فِي بَنِي
فَهْرٍ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ: هَلْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُشْرِكًا؟ فَقَالَ: مَعَاذَ
اللَّهِ! وَفَزَعٌ لِلذَّكَاءِ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَافِرًا؟ قَالَ: لَا » رَوَاهُ
أَبُو يَعْلَى (٢٣١٧)، وَأَحْمَدُ (٣/٣٨٩ - مَخْتَصَرًا) وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « صِفَةِ التَّفَاقِ »
(١٣٧ - بِنَحْوِهِ) وَالطَّبْرَانِيُّ كَمَا فِي « مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ » (١/١٠٧)، وَصَحَّحَهُ
ابْنُ حَجَرٍ فِي « الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ » (٣٢٩٤).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ، حَتَّى إِذَا رُئِيَ بِهِجْتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْءًا لِلْإِسْلَامِ، انْسَلَخَ
مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ، قُلْتُ: يَا
نَبِيَّ اللَّهِ! أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرْكِ: الرَّامِي أَوْ الْمُرْمِي؟ قَالَ: بَلِ الرَّامِي » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ فِي « التَّارِيخِ » (٢٩٠٧) وَابْنُ حَبَّانَ (٨١)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
« الصَّحِيحَةِ » (٣٢٠١).

حُرْمَةُ دَمِ الْمُسْلِمِ

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام ١٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٩٣].

ولِعَظَمِ شَأْنِ الدِّمَاءِ كَانَ قَتْلُ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كَقَتْلِ أَنْفُسٍ، وَإِحْيَاءُ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كِإِحْيَاءِ أَنْفُسٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة ٣٢]، قَالَ بِمُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَمَنْ أَحْيَاهَا وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا فَقَدْ حَيَّ النَّاسَ مِنْهُ » رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٦٣/٩) وَابْنُ جَرِيرٍ فِي « تَفْسِيرِهِ » (١١٧٨٤/١٠ - ١١٧٨٥).

وبهذا المعنى فهم الآية عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد أثار أن يموت وحده يوم الدار حين اجتمع الثوار لقتله؛ حقناً لدماء المسلمين وإحياء لهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « دخلت على عثمان رضي الله عنه يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين! طاب الضرب، جئت أقاتل معك، فقال: يا أبا هريرة! أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإيائي معهم؟ قال: قلت: لا، قال: فأنتك — والله! — نئن قتلت رجلاً واحداً لكأنما قتلت الناس جميعاً، قال: فرجعت ولم أقاتل » رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ

في « سننه » (٢٩٣٧) ونعيم بن حماد في « الفتن » (٤٣٧) وابن سعد في « الطبقات » (٧٠/٣) والخطيب في « الكفاية » (ص ١٨٣)، وهو صحيح.

قلت: هذا نفس من نفس طيبة، جاد بدمه لحفظ غيره، مع أنه أحق الناس بالنصرة، والانتصار لعثمان ذي النورين ﷺ انتصاراً لحقٍ مُحَقَّقٍ، مع ذلك فقد أثار أن يموت هو ليحيا غيره، فكيف عمي أهل التكفير عن هذا؟!

بلى! إنه يُبصره الراسخون، ويعمى عنه الماسخون؛ لأن الله يقول: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر ٩].

أم كيف عمي عنه رجل يزعم أن له يداً على الأفغان؛ بسبب ما قدم لجهادهم من أموال، ثم لما دار الأمر بين أن يسجن أو يقتل وبين أن يقتل الشعب الأفغاني، شحت نفسه بما جادت به نفس ذي النورين المخلص، حتى قتل من أجله أمة عظيمة من هذا الشعب المسلم من قبل عدو غاشم يفرحه عناداً مطلوبه؛ ليصل إلى مرغوبه!!

أيعقل أن يفدى رجل بشعب، ثم يُنسب هذا المفدى إلى الغيرة على الإسلام والمسلمين؟!

ولئن كان بالأمس قد حمى هذا الشعب من استعمار الروس الغاصبين، فلقد قدمه اليوم لقمة سائغة لأعداء عطاش إلى دماء المسلمين!!

إن عثمان ﷺ خليفة حقاً، وراشد بكل معاني الرشد صدقاً، ومتزوج من بيت النبوة مرتين، ومن أهل الجنة بلا ميين، ومظلوم بإجماع أهل السنة، والخارجون عليه كلاب النار بلا ريب، على الرغم من ذلك لم تطب نفسه بأن تفدى بغير دمه، رضي الله عن هذه النفس الطيبة المخلص.

وكيف خفي هذا على أصحاب الحركة الذين يرون ضرورة (حرق جيلٍ مُسلمٍ) من أجل الدفاع عن دُعاةٍ لا عزاءَ فيهم؟! بل هم كما قيل:

فإن تُصِبَكَ من الأيامِ جائحةٌ لا تُبَكِّ منكَ على دُنيا ولا دينٍ

ومن الأصول التي كان رسولُ الله ﷺ يحرصُ على تقريرها ما رواه مسلم (٢٥٦٤) وابن ماجه (٣٩٣٣) عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: « كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دمه وماله وعرضه ».

وكان رسولُ الله ﷺ يجتهدُ في ذلك بقطعِ أسبابه وحسَمِ مادته من أوليها، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « الملائكةُ تلعنُ أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه » أخرجه مسلم (٢٦١٦).

وعن أبي بكرة ؓ أن النبي ﷺ قال: « إذا أشار الرجلُ على أخيه بالسلاح فهما على جُرف جهنم، فإذا قتله وقعا فيه جميعاً » أخرجه مسلم (٢٨٨٨) وأبو داود الطيالسي (٩٢٥) واللفظُ له، والنسائي (٤١٢٧) وابن ماجه (٣٩٦٥).

ومعنى « جُرف »: شقُّ الوادي، أي طرفه.

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: « لا يُشيرُ أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري أحدكم لعلَّ الشيطانَ أن يتزغ في يده فيقعُ في حفرةٍ من النار » أخرجه البخاري (٧٠٧٢) ومسلم (١٢٦).

وأبلغُ منه في حسَمِ مادته ما أخرجه أحمد (٣٦٢/٥) وأبو داود (٥٠٠٤) وغيرهما بإسنادٍ صحَّحه الألباني في « غاية المرام » (٤٤٧) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: « حدَّثنا أصحابُ رسولِ الله ﷺ أنهم كانوا يسرون مع رسولِ الله ﷺ في مسير، فنام رجلٌ منهم، فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذها،

فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: ما يُضحككم؟ فقالوا: لا، إلا أننا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً».

قال المناوي - رحمه الله - في « فيض القدير » (٤٤٧/٦): « لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً وإن كان هازلاً، كإشارة بسيف أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده؛ لما فيه من إدخال الأذى والضّرر عليه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

ومن أخلاق المؤمنين أنه إن قتل قتل بالحق، وفي رفق وإحسان؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « أعفُ النَّاسِ قِتْلَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ » رواه أحمد (٣٩٣/١) وأبو داود (٢٦٦٦) وابن ماجه (٢٦٨٢)، وهو حسن.

قال المناوي في « فيض القدير » (٧/٢): « أي هم أرحم الناس بخلق الله وأشدّهم تحرياً عن التمثيل والتشويه بالمقتول وإطالة تعذيبه؛ إجلالاً لخالقهم، وامتنالاً لما صدر عن صدر النبوة من قوله: (إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ)، بخلاف أهل الكفر وبعض أهل الفسوق، ممن لم تدق قلوبهم حلاوة الإيمان، واكتفوا من مسماه بلقلقة اللسان، وأشربوا القسوة، حتى أبعدوا عن الرحمن، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، ومن لا يرحم لا يرحم».

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، لَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ، دَخَلَ الْجَنَّةَ » أخرجه أحمد (١٥٢/٤) وابن ماجه (٢٦١٨)، وهو صحيح.

قال السيوطي: « لم يتندد: أي لم يُصب منه شيئاً، أو لم ينله منه شيء، كأنه نال نداوة الدم»، من حاشية « سنن ابن ماجه ».

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله: « ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالمسلم، فكيف بالتقي الصالح؟!»، من « فتح الباري » لابن حجر (١٩٦/١٢).

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة - وهو يرى بابها - ملء كف من دم امرئ مسلم يقول: لا إله إلا الله، يهريقه بغير حله كأنما يذبح به دجاجة، كلما تعرض لباب من أبواب الجنة حال بينه وبين المقتول ينازع قاتله إلى رب العالمين » رواه عبد الرزاق (٢٦/١٠ - ببعضه)، وابن أبي عاصم في « الديات » (ص ٨) والطبراني في « الأوسط » (٢٣٣/٨) وفي « الكبير » (١٥٩/٢ - ببعضه، و١٦٠) والبيهقي في « الشعب » (٥٣٥٠)، وهو صحيح.

وعند بعض هؤلاء بلفظ: عن الحسن البصري قال: « جلست إلى جندب في إمارة مُصعب، فقال: إن هؤلاء القوم قد ولغوا في دمائهم وتحالفوا على الدنيا، ثم قال: تعلمون أنني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ... »، فذكره.

قال ابن حجر عقبه في « الفتح » (١٣٠/١٣): « وهو وعيدٌ شديدٌ لقتل المسلم بغير حق ».

فبان أن هذه الأحاديث كانت تحجزهم عن مشاركة الناس فيما يُزعم أنه إصلاحٌ للولاة، ولو تدبرها هؤلاء الوالغون في دماء الناس باسم (الجهاد لإقامة دولة الإسلام) لما تجرؤوا على ذلك؛ إذ هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أولى الناس بإمارة الناس، مع ذلك فقد كان من ورعهم ما رأيت.

ومنه ما صحَّ من رواية الإمام أحمد (٣٦٧/٥، ٣٧٣، ٣٧٦) والطبراني (١٦٤/٢) والبيهقي (١٩١/٨) عن أبي عمران الجوني قال: « قلتُ لجندب بن عبد الله: إني بايعتُ ابنَ الزبيرِ على أن أقاتلَ أهلَ الشام، قال: لعلك تقول: أفتاني جندب وأقتدي؟ قال: قلتُ: ما أريد ذلك، ولكني أستفتيك لتفتيني، (وفي رواية: إهم يريدون أن أخرجَ معهم إلى الشام؟ فقال: أمسكْ عليك، فقلتُ: إهم يأبون)، قال: افتدِ بمالك، قلتُ: لا يُقبلُ مني، قال جندب: كنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً حَزَوْرًا^(١)، وإنَّ فلاناً أخبرني أن رسول الله ﷺ قال: يجيءُ المقتولُ يومَ القيامةِ بقاتله، مُتعلقٌ به، فيقولُ: يا رب! سلّه فيمَ قتلني؟ فيقولُ اللهُ ﷻ: فيمَ قتلتم هذا؟ فيقول: في مُلكِ فلان، قال جندب: فأتقِ لا تكونَ ذلكَ الرَّجل! ».

فانظُرْ إلى ورعِ القومِ واتقائِهِمِ الدِّماءِ، على الرَّغمِ من أن ابنَ الزُّبيرِ ﷺ هو الذي بُويِعَ له قبلَ خصمه، وهو صحابيٌّ، بل هو ابنُ حواريِّ النبي ﷺ وابنِ عمته!

ثمَّ انظُرْ إلى استدلالِ جُندبِ ﷺ بهذا الحديثِ الخاصِّ بالقتالِ من أجلِ مُلكِ الغيرِ على قتالِ ابنِ الزُّبيرِ ﷺ، ولم يقلْ أحدٌ منهم: إنَّ هذا خذلانٌ لأهلِ الحقِّ السَّاعينِ لإقامةِ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ؛ وإنما شأنُ الدِّماءِ عظيمٌ! فتأمَّلْ توظيفَهُمَ لهذا الحديثِ وما سبق من الأحاديثِ في هذا المقامِ، مع أنَّ جهادَهُمِ ﷺ هو أصدقُ جهادٍ، ودولتُهُمُ هي أنظفُ دَوْلَةٌ، وأمَّا حديثنا نحنُ عن الجهادِ لتحقيقِ دَوْلَةِ الإسلامِ اليومَ فـ ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ﴾.

(١) الحزور: إذا قارب البلوغ، كذا في « غريب الحديث » لابن قتيبة (٧٥٨/٣).

عِظْمُ شَأْنِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالْكَفُّ عَنْ أَهْلِهَا:

عن أوس بن أبي أوس الثقفي رضي الله عنه قال: « أتيتُ رسولَ الله ﷺ في وفدٍ ثَقِيفٍ، فكنَّا في قَبَّةٍ، فقام من كان فيها غيري وغير رسول الله ﷺ، فجاء رجلٌ فسارَه، فقال: اذهب فاقْتُلْهُ، ثم قال: أليسَ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ؟ قال: بلى! ولكنَّه يقولها تَعَوُّدًا، فقال: رُدَّه، ثم قال: أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يَقولوا لا إلهَ إلا اللهُ، فإذا قالوها حَرُمْتُ عليَّ دماؤُهُم وأموالُهُم إلاَّ بحَقِّها » رواه أحمد (٨/٤) والنسائي (٨٠/٧ - ٨١) وابن ماجه (٣٩٢٩)، وهو صحيح.

الْكَفُّ عَنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ:

عن عبيد الله بن عدي بن الحيار أن رجلاً من الأنصارِ حَدَّثَهُ: « أتى رسولَ الله ﷺ وهو في مجلسٍ، فسارَه يَسْتَأْذِنُهُ في قَتْلِ رَجُلٍ من المُنَافِقِينَ، فَجَهَرَ رسولُ ﷺ، فقال: أليسَ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ؟ قال: بلى - يا رسولَ الله! - ولا شهادَةَ له، قال رسولُ الله ﷺ: أليسَ يَشْهَدُ أن محمداً رسولُ الله؟ قال: بلى - يا رسولَ الله! - ولا شهادَةَ له، قال: أليسَ يُصَلِّي؟ قال: بلى - يا رسولَ الله! - ولا صلاةَ له، فقال النبي ﷺ: أولئك الذين نهاني اللهُ عَنْهُمْ » أخرجه أحمد (٤٣٢/٥ - ٤٣٣) بإسنادٍ صحيحٍ.

قال ابنُ عبد البرِّ في « التَّمهيد » (١٥٣/١٠): « وفي قولِ رسولِ الله ﷺ: (أولئك الذين نهاني اللهُ عَنْهُمْ) رَدُّ لِقَوْلِ صَاحِبِهِ الْقَائِلِ لَهُ: (بلى! ولا صلاةَ له، بلى! ولا شهادَةَ له)؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ قد أثبتَ له الشَّهادَةَ والصَّلَاةَ، ثمَّ أُخْبِرَ أن الله نهاهُ عن قَتْلِهِم، يعني عن قَتْلِ مَنْ أقرَّ ظاهراً، وصَلَّى ظاهراً. »

تعريف

بعض المسميات وأصحابها

تعريفُ ببعضِ الجماعات

ستجدُ هنا ذكرًا لأسماءِ بعضِ الجماعاتِ، فهذا تعريفُها المختصرُ:
الجماعةُ الإسلاميَّةُ المسلَّحةُ: هي جماعةُ العُلَّاءِ مِنَ التَّكفيرِيِّينَ في
 الجزائرِ، وهم الذينَ يَرجعونَ إلى أبي قنادَةَ الفلسطيني في فتاواه.

الجهةُ الإسلاميَّةُ للإِقتادِ: حزبٌ سياسيٌّ قامَ في الجزائرِ في حُدُودِ سَنَةِ
 (١٤٠٩هـ) أو قَبْلَها بِقَليلٍ، كانَ يترأسُه الدُّكتورُ عَبَّاسي مَدني، وَيَنوبُ عنه
 لسانُ الحزبِ علي بن حَاج، تحوَّلَ إلى الجيشِ الإسلاميِّ للإِقتادِ بعدَ أن
 أُقصيَ مِنَ البرلمانِ في بَدَايَةِ سَنَةِ (١٤١٢هـ).

الجماعةُ السِّلَفِيَّةُ للدَّعوةِ والقتالِ: هي جَماعةٌ متأخِّرةُ الميلادِ عن
 سابقتيها، وليسَ لها مِنَ السِّلَفِيَّةِ إلاَّ الأسمُ؛ وإنَّما ظهَرتَ لمنافسةِ السِّلَفِيِّينَ
 الحقيقِيِّينَ؛ حتى تصَرفَ النَّاسَ إِلَيْها، لا سِيَّما في بلادِ الجزائرِ؛ حيثُ أحبُّ
 أهلُها هذا الاسمَ بسببِ دَعْوَةِ العَلَّامةِ الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - خاصَّةً، وغيره من
 أهلِ العِلْمِ عامَّةً.

وقد أرادتْ هذه الجماعةُ أن تَفرِّضَ وجودَها في سَاحةِ أهلِ السُّنَّةِ السِّلَفِيِّينَ
 ولم تُفلحْ؛ لأنَّ أرضَها قَفَرٌ من العُلَماءِ، وإنَّما نجحتْ الدَّعوةُ السِّلَفِيَّةُ الحَقَّةُ
 لارتباطها بالعُلَماءِ، وقد قيلَ:

إنَّ الأمورَ إذا الأحداثُ دَبَّرها دونَ الشُّيوخِ تَرى في سَيرِها الخللا

وما قيلَ فيها، يُقالُ في جماعة: **حُمَاةُ السِّلَفِيَّةِ!!**

وهؤلاءُ وإن لم يَكُونُوا في الوَحْشِيَّةِ مثلَ الجماعةِ الأولى، فإنَّ ظهورَهم
 جميعاً مُثقلَةٌ بالدِّماءِ، نَسألُ اللهَ العَافِيَةَ، وَبَيْنَهُم جَميعاً وَبَيْنَ الخَوارجِ اشتِقاقُ،

وإن كانوا في عِزَّةٍ وشِقَاقٍ.

كما أنّها تُرْجَعُ في فتاواها إلى أبي قتادة الفلستيني، ويبدو أنّها لم تُقنَع به،
فهرَعَت إلى أبي بصير عبد المنعم مُصْطَفَى حَلِيمَةَ!!

روى أبو نُعَيْمٍ في « الحلية » (٢٢٥/٤) بإسناد صحيح عن إبراهيم النَّخَعِي
قال: « كانوا يقولون ويرجون: إذا لقي الله الرجل المسلم وهو نقي الكف من
الدم أن يتجاوز الله عنه ويغفر له ما سوى ذلك من ذنوبه ». »

من هو أبو قنادة؟

هو عمّار بن محمود أبو عمّار الأردني، يُدعى أبا قنادة الفلسطيني؛ بالنظر إلى أصله، وهو بريطاني المهجر؛ بالنظر إلى البلاد التي اختارها الآن لنفسه، بعد هجره بلاد المسلمين.

لَهُ فِي أَكْثَرِ الدِّمَاءِ الَّتِي تُرَاقُ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ - وَالْإِسْلَامِيِّ فَقَطْ! - يَدٌ، لَكِنَّهَا يَدٌ دُونَ يَدٍ؛ لِأَنَّهُ يَحْسُنُ لِكُلِّ مُبْتَغِي دَمٍ - بِاسْمِ الدِّينِ - عَمَلَهُ، وَيُزَيِّنُ لِكُلِّ مَفْتُونٍ بِالثُّورَاتِ - بِاسْمِ الْجِهَادِ - (جِهَادِهِ!)، وَلَكِنَّهُ لَا يُبَاشِرُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ!

أَدْرَكَ الْقِتَالَ الْأَفْغَانِيَّ فِي إِدْبَارِهِ، فَلَحَسَ مَا بَقِيَ مِنْ تَكْفِيرٍ عَلَى مَائِدَتِهِ، حَتَّى إِذَا غَصَّ بِسُمِّهِ، التَّجَأَ إِلَى لُنْدُنْ عَاصِمَةِ الْإِسْتِعْمَارِ، وَوَجَدَ عِنْدَهَا الظِّلَّ الظَّلِيلَ، وَالْمَلْجَأَ وَالْمَقِيلَ، فَتَكَفَّفَ مِنْهَا اللُّجُوءَ السِّيَاسِيَّ، وَعِنْدَهَا وَجَدَ ضَالَّتَهُ وَبَدَأَتِ الْمَآسِي!

أَوْتَهُ بَرِيطَانِيَا هُوَ وَأَشْكَالُهُ مِنَ الْفَارِسِيِّينَ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ، وَأَعْتَدَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُتَّكاً، فَمِنْ ظِلِّهَا وَظِلَالِهَا جَعَلَ يَنْفُثُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ سُمَّ التَّكْفِيرِ، بَلْ مِنْهَا يُحَرِّكُ أَوْبَاشَهُ الَّذِينَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ نَحْوَ الْقَتْلِ وَالتَّفْجِيرِ!!

وهؤلاء لا يُقاتلون إلا الأمة الإسلامية، فهي الغرض المنصوب لسبهم، والعرض المحبوب طعنه لأقلامهم!

لم يُيقوا منها لَحْماً إلا تعرّفوه، ولا عَظْماً إلا هشموه!

تلك هي سيرتهم في جهادهم: أمّا مع المسلمين، فحُضِبُ الهَامِ، وأمّا مع

الكفار فحربُ كلامٍ، ولا يَغْرَتِكُمْ مَضَاءُ أَلْسِنَتِهِمْ فِي أَعْرَاضِ الْكُفَّارِ، وَلَا غَلِيَانُ أَفْكَارِهِمْ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ كَعَلِي الْقُدُورِ، فَلَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ تَحْرِيشِ رَبَّاتِ الْخُدُورِ. ولذلك كَانَ مِنْ مَصَائِبِهِ تَقْدِيمُ مَجَاهِدَةِ الدُّوَلِ الْمُسْلِمَةِ عَلَى مَجَاهِدَةِ الدُّوَلِ الْكَافِرَةِ؛ بَزَعِمِ ارْتِدَادِهَا، فَقَدْ قَالَ فِي حِوَارِهِ مَعَ جَرِيدَةَ « الْحَيَاةِ »، الْعَدَدِ (١٣٢١٩)، فِي (ص ٦)، بِتَارِيخِ: (٣ صَفَرِ ١٤٢٠ هـ): « نَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ نُقَاتِلَ أَمْرِيكَ إِلَّا إِذَا صَالَتْ عَلَيْنَا، وَكَانَتْ هِيَ مَنْ بَدَأَ بِالْقِتَالِ، هَذَا بِخِلَافِ قِتَالِ الْأَنْظَمَةِ الْمُرتَدَّةِ فِي بِلَادِنَا، الَّذِي يُعْتَبَرُ جِهَادًا فَرَضَ عَيْنَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ!! ».

قلت: هذا هو مذهبُ الخوارجِ تماماً، قال فيهم رسولُ الله ﷺ: « يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ » متفق عليه.

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ الثَّائِرَةَ عَلَى دَوْلَتِنَا هُنَا وَهِنَا، يَجِدُهَا لَا تَكَادُ تُقَاتِلُ أُمَّةً كَافِرَةً، وَلَوْ كَانَتْ أَلَدَّ الْأَعْدَاءِ كَالْيَهُودِ، بَلْ هُمْ - طُولَ عُمْرِهِمْ - يُثِيرُونَ الْفِتْنَ فِي الْبُلْدَانِ الْمُسْلِمَةِ، وَيُرِيقُونَ دِمَاءَ أَهْلِهَا، وَعَدُوَّهُمُ الْكَافِرُ آمِنٌ، بَلْ جَائِئُهُمْ عَلَى دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُهَيِّجُهُ أَحَدٌ، وَلِذَلِكَ لَمَّا خَرَجَ مِنْ بِلَادِهِمْ لِحِقْوَتِهِ، بَلْ يَلْعَنُونَ الْكُفَّارَ، وَلَا يَكَادُ يَهْنَأُ لَهُمْ عَيْشٌ إِلَّا فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ!

فَانظُرْ إِلَى رُؤُوسِ التَّكْفِيرِ الْيَوْمِ، فَلَنْ تَجِدَهُمْ إِلَّا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج ١٨].

وَمَضِي عَلَيْهِمُ السَّنَوَاتُ، وَهُمْ هَكَذَا حَتَّى يَنْقَرِضَ جِيلُهُمْ وَيَأْتِي آخِرُ لِيُعِيدَ الْكُرَّةَ، وَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُمْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَالْمُسْلِمِينَ بِتَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ وَغَيْرِهَا، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا يُجَاوِزُ سَاحَةَ أَلْسِنَتِهِمْ!!

وَإِنَّمَا يَتَبَاكُونَ عَلَى فِلَسْطِينَ وَمَثِيلَاتِهَا لِيَحْظُوا بِتَرْكِيَةِ النَّاسِ لَهُمْ!

والأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ لَا تَكَادُ تَسْتَرِيحُ مِنْ كَيْدِ جِيرَانِهَا الْكُفَّارِ الَّذِينَ رَمَوْهَا
عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، حَتَّى يَتَأَلَّبَ عَلَيْهَا مِنْ بَنِي جِلْدَتِهَا مَنْ يَشْغَلُهَا عَنْ مَعَالِي
أُمُورِهَا، فَكَيْفَ تَسْتَقِرُّ بِلَادُ الإِسْلَامِ وَهِيَ بَيْنَ جَارٍ مُحَارِبٍ، وَشَرِيكِ فِي الدَّارِ
مُشَاغِبٍ!؟

هذا، وقد كان من فتاوى هذا المشاغِب إعلان جوازِ اختلاسِ أموالِ الكُفَّارِ؛ كي يعيشَ حيثُ يعيشُ، بل جوازِ اختلاسِ أموالِ المسلمين في بلادِ المسلمين؛ كي لا يحتجَّ عليه من أوباشه من هناك يعيشُ، ممن لم (يُكرِّم بالهجرة إلى مثلِ بلاده تلك!)، فما عجبُ أن يَطْرُبَ لهذه الفتوى أقوامٌ بعد مسِّ اللُّغوبِ، وخِفةِ الجُيوبِ!

وكان من فتاواه أيضاً - والرجلُ لا يهابُ الفتوى! - جوازُ قتلِ النساءِ والصِّبيانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كما سيأتي!!

وهذه غصَّةٌ يعسرُ ابتلاعُها، ومأساةٌ يلينُ لها الجمادُ بمجردِ سماعِها، ظلمٌ وظلامٌ، وفتاوى مُقنَّعاتٌ بقناعِ نُصرةِ الإسلامِ، قد تبعه فيها هوامٌ، أفزعوا العبادَ، وأرعبوا البلادَ، وغرقوا أرضها بالدماءِ، وصيروا أهلها قطعاً من الأشلاءِ، ويثم من بقي من الولدانِ، وأرمل من حفظ الله من النسوانِ، وقُطِعَت سُبُلُ أرضٍ شاسعةٍ آمنةٍ، حتى ضاقتُ بأهلها...!!!

لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانٌ
تلك هي أرضُ الجزائرِ اليومَ: عرضٌ مَعْصوبٌ، ومالٌ مَنهوبٌ، ودمٌ مَسْكوبٌ، فأين أهلُ العِيرةِ؟!

والرجلُ واسعُ الخطو في دماءِ المسلمين، سريعُ العدو في أعراضِهِم، من أجلِ ذلكَ كنيته في عنوانِ الكتابِ بـ (أبي القناد) بدلاً من (أبي قتادة)؛ لأنَّه اللاتق به، إذ القنادُ شجرٌ صلبٌ له شوكةٌ كالإبر، كما في «القاموس المحيط»، وهذا هو الذي جنَّته الأمةُ منه، وفي «مجمع بحار الأنوار» (٢٠٩/٤) قال محمد طاهر الفتني: «وقد قيل: لا يُجتنى من القنادِ إلا الشوكُ، وهو شجرةٌ لها شوكةٌ، شُبِّه به، وإنَّه لا يصلحُ إلا للنَّارِ، تلميحٌ إلى أنَّ المشبَّه لا يصلحُ

إِلَّا لَهَا».

وكيف لا يكون هذا الرَّجُلُ كذلك؛ وهو نكرةٌ ما عُرِّفَتْ إِلَّا بِالْمُضَافِ
وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ؟ فَيُقَالُ: مَخْتَلَسُ الْأَمْوَالِ، سَفَاكَ الدِّمَاءِ، فَبِهَا عُرِفَ، وَبِهِ عُرِفَتْ!!
ولذلك كان العَلَامَةُ التَّاقِدُ الْأَلْبَانِيُّ - رحمه الله - يَشْكُ في إسلامِ هذا
الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ، حَيْثُ قَالَ حِينَ سُئِلَ عَنْهُمْ: « وَلِذَلِكَ فَأَنَا فِي الْحَقِيقَةِ فِي
شَكِّ كَبِيرٍ مِنْ أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

- مِنْ إِسْلَامِ هَؤُلَاءِ حَقِيقَةً، أَيِ أَخْشَى أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ
تَلَبَّسُوا بِثِيَابِ الْمُسْلِمِينَ.

- وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، وَهِيَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ فِعْلًا، وَلَكِنَّهُمْ جَهْلَةٌ فِي
مَنْتَهَى الْجَهَالَةِ ... ».

إِلَى أَنْ قَالَ: « أَنَا أَسْتَبَعِدُ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنَ
الْمُتَزَيِّينِ بِزِيِّ الْإِسْلَامِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُشَوِّهُوا نِصَاعَةَ الْإِسْلَامِ وَبَيَاضَهُ وَنِقَاوَتَهُ،
بأن يَنْسِبُوا إِلَيْهِ أَفْعَالًا، الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ حَقًّا هُمْ بَرَاءٌ (أَبْرِيَاءٌ) مِمَّا يُنْسَبُ
إِلَيْهِمْ بَرَاءَةَ الذُّبِّ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ «، انظُرْ نَصَّ الْفَتَاوَى إِنْ شِئْتَ فِي كِتَابِي:
« فِتَاوَى الْعُلَمَاءِ الْأَكْبَارِ فِيمَا أُهْدِرَ مِنْ دِمَاءٍ فِي الْجَزَائِرِ » (ص ٩٠ - ١٠٠).

مِنْ أَجْلِ هَذَا فَيَأْتِي أَنْعَتُ هَذَا الرَّجُلِ فِي كِتَابِي بِـ « الْمَشْبُوهِ ».

ثُمَّ إِنِّي لَا أَكْتُبُ لِهَذَا الْمَشْبُوهِ بِقَدْرٍ مَا أَكْتُبُ لِلَّذِينَ يُحَسِّنُونَ الظَّنَّ بِهِ،
مِمَّنْ اسْتَهْوَتْهُمْ خُطْبَةُ الْعَاطِفِيَّةِ، وَقَلَمُهُ النَّابِضُ بِالْجِرَاحَاتِ، وَقَدْ اتَّصَلَ بِي مِنْهُمْ
جَمْعٌ، مِنْ إِيْطَالِيَا وَبَرِيْطَانِيَا وَفَرَنْسَا وَإِسْبَانِيَا وَالْجَزَائِرِ وَغَيْرِهَا، مِمَّنْ كَانُوا فَرَائِسَ
لِهَذِهِ الْأَخْلَاطِ الْقَاتِلَةِ، وَكُلُّهُمْ حَسْرَةٌ عَلَى مَا فَعَلُوا، وَأَسَى عَلَى مَا عَمِلُوا،
وَسَأَلْتَنِي بَعْضُهُمْ عَنِ حُكْمِ الْأَمْوَالِ الَّتِي اخْتَلَسُوهَا فِي بِلَادِ الْكُفْرِ، وَنَبَتَتْ مِنْهَا

لحومهم، وسكنوا بها الدُّور، ومنهم من بنى بها شاهقَ القصور، ومنهم ..
ومنهم .. وإلى الله تُرجع الأمور.

لهؤلاء خاصّة أكتبُ هذا الكتاب؛ لعلهم يَفْطَمُونَ نفوسهم عن مراضع
الفتن، وهم الذين نرجو لهم الإفاقة من غفوتهم، والنّهوض من كبوتهم، بعد
أن وجدوا أنفسهم يتبعون سرايا يخدع الظّامئ ولا يُرويه.

كما أكتبُ لأولئك الذين لم يُدركوا بعدُ خُطورةَ هذه المسالكِ،
ويتصوّرون أن تطهير سبيل المؤمنين من هؤلاء المعرقلين للدعوة الإسلامية إنّما
هو خدمةٌ للطواغيت فحسب!!

ولولا هذا وذاك ما أطلتُ البحث؛ فإنّ الرّجل لا يستحقُّ الالتفات إليه،
ولا النّظر فيما لديه.

فَنَاقِي أَبِي قَتَادَةَ

فِي إِهْدَائِهِ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ

مَبْدَأُ الضَّلَالِ وَمُنْتَهَاهُ

إِنَّ الضَّلَالَ يَبْدَأُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَهَذِهِ تَجَرُّ إِلَى تِلْكَ، حَتَّى يُصْبِحَ صَرْحًا مِنْ الانْحِرَافِ، قَدْ لَا يَشْعُرُ صَاحِبُهُ كَيْفَ اسْتُدْرِجَ مِنْ أَوَّلِ دَرَكَاتِهِ إِلَى مُنْحَدَرٍ لَيْسَ بَعْدَهُ مُنْحَدَرٌ، وَلِذَلِكَ كَانَ التَّحْذِيرُ مِنْ أَتْبَاعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَالْتَّحْذِيرِ مِنَ الشَّيْطَانِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتَهَانَ بِخُطُواتِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَرْتَعَ فِي حَظِيرَتِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور ٢١].

لقد بدأ هذا الفكرُ بالتركيزِ على العملِ السِّيَاسِيِّ ومُلاحقةِ وُلاةِ الأمورِ في أخطائهم وكشفها للناس؛ باسمِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، ثم جرَّهم ذلك الصِّراعُ السِّيَاسِيُّ إلى تكفيرِ الحُكَّامِ قاطبةً؛ انطلاقاً من المركزِ الَّذِي يَحوُمون حوله، والقُبَّةِ التي يدورون بفلكها منذ أن تعرَّفَ عليهم الضلالُ، ألا وهو عُروشُ الحُكْمِ، التي يَسْتَرُونَ للوصولِ إليها بمسألةِ الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ، وسأبئن هنا أنَّ البدايةَ هي تكفيرُ الحُكَّامِ، ثم حاشيتهم من شُرطةِ وجُندِ وعساكرِ، ثم الحاشيةِ الأخرى التي يحملون عليها حنقاً شديداً، ألا وهي زُمرَةُ أهلِ العلمِ، ثم استباحةِ دماءِ المسلمين جميعاً، من الَّذين لم يُوافقوا أهواءهم ولم يَنضمُّوا إلى تجمُّعاتهم (التَّحزُّباتِ) ولم يُخاطبوا الحُكَّامَ بلهجاتهم، إمَّا بحجَّةِ أنَّ حُكْمَ هؤلاء هو حُكْمُ رؤوسهم؛ لأنَّهم لا يزالون مختلطينَ بهم، أو بحجَّةِ سيِّدِ قُطبِ في أنَّ إطاعةَ الكُبراءِ في مَعْصيةِ اللهِ يخرِجُهم مِنَ الإسلامِ، ولو في جُزئيةٍ من الجُزئياتِ، كما صرَّحَ بذلك في «ظلاله» (١١٩٨/٣) حين قال: «إنَّ من أطاعَ بشراً في شريعةٍ من عندِ نفسه - ولو في جُزئيةٍ صغيرةٍ!! - فإنَّما هو مُشركٌ، وإن كان في الأصلِ مسلماً ثمَّ فعلها، فإنَّما خرج بها من الإسلامِ

إلى الشُّركِ أيضاً...!! مهما بقي بعدَ ذلكَ يقولُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ بلسانِه، بينما هو يتلقَّى من غيرِ الله ويُطيع غيرَ الله، وحينَ نظرُ إلى وَجِهِ الأَرْضِ اليومَ في ضوءِ هذه التَّقريراتِ الحاسمةِ، فإننا نرى الجاهليَّةَ والشُّركَ، ولا شيءَ غيرِ الجاهليَّةِ والشُّركِ إلاَّ مَنْ عصم اللهُ!! فأنكرَ على الأربابِ الأَرْضِيَّةِ ما تدَّعيه من خصائصِ الألوهيَّةِ، ولم يقبل منها شرعاً ولا حكماً... إلاَّ في حُدودِ الإكراه! «.

بدأ هؤلاءِ بالزُّهدِ في أهلِ العلمِ، ثم التَّزهيدِ في حُضورِ دُروسهم، ثم التفتوا بأنفسهم إلى مُواجهةِ السُّلطانِ بثلبِ سياسته، فالتفَّ حولهم الجماهيرُ الطَّامعةُ، ودلَّوهم بغرورٍ، وفرحوا بتلكِ الأعدادِ التي تؤمُّ مجالسهم، ووجدوا الفرصةَ سانحةً للتخلُّصِ من العلماءِ وفصلِ الناسِ عنهم؛ ليكفِّروا السُّلطانَ متمكِّين، فإذا لم يسايرهم أهلُ العلمِ على ذلكِ، نسَّبوهم في العيرةِ على الدِّينِ إلى الفتورِ، وفي فقه الواقعِ إلى القُصورِ، فإذا وجدوا منهم مضايقةً رمَّوهم ببدعةِ الإرجاءِ، فإن لم يفِ ذلكَ بمحاجتهم كفَّروهم جملةً وتفصيلاً؛ وقالوا: مَنْ لم يكفِّرْ الكافرَ فهو كافرٌ!!

ثم تكتلوا عسكرياً، ولم يشكُّوا أنهم - بارتجالِ خطبةِ تحريضيَّةٍ - قادرونَ على التخلُّصِ من السُّلطانِ، فإذا خرجوا خرجتِ الأمورُ من أيديهم، وبانِ سوءِ تدبيرهم، كان أوَّلُ مُنقذٍ يُفكِّرون فيه حينئذٍ هو اللِّياذُ بالفرارِ إلى البلادِ الكافرةِ، فإذا وصلوا هناكَ بدأتِ المخالفاتُ الصَّريحةُ لما أنزلَ اللهُ: من تغييرِ الأسماءِ، وتزويرِ الهويَّاتِ، بل وتغييرِ الجنسيَّاتِ، من مُسلمةٍ إلى (كافرةٍ!)، وتماطلتِ الفتاوى الجريئةُ على ذلكِ في ورعِ غائبٍ وعلمِ كليلٍ، فإن مشى الحالُ على هذا التزويرِ، وإلاَّ فإنَّهم مستعدُّون للخروجِ من واقعِ الدُّلِّ إلى خيالِ جهادِ الكفارِ؛ ليُفتُّوا أنفسهم بحلِّ ما حلَّ بأيديهم، فالاحتلاسُ حلالٌ،

والسرقة حلال؛ لأن ذلك كله متخيلٌ (فيئاً!!)، والأعراضُ أيضاً حلالٌ؛ لأنها
(سبي!!)، فانظروا من أين بدؤوا، وإلى أين انتهوا!!

أرى فتنةً هاجت وفاضت وفرخت ولو تركت طارت إليها فراخها
وإذا كان الأمر كذلك، فهذا أوانُ الشروعِ في بيانِ ترسُمِ هذه الطائفةِ
العربيةِ من التكفيريينِ خطواتِ الشيطان، ثم الوقوعِ في شراكه.

فتوى أبي قنادة بتكفير جميع الحكام

نظرتُ في مجلة « الأنصار » التي يكتبُ فيها المشبوهُ، فوجدته قد كفرَ جميعَ الدُّولِ المسلمة، وذلك في العدد (١١٩)، في (ص ١٠)، بتاريخ: (الخميس ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٦هـ)، من دولة الجزائر والمغرب وليبيا وفلسطين والأردن والسعودية، فكان من ضمن ما قال في معتقد جماعته أنها: « لا ترى فرقا بين زروال الجزائري (أي الرئيس) المرتد وحكمه ونظامه، وبين الحسن الثاني المغربي المرتد، فكلاهما في دين الله تعالى مرتد كافر، وأن حكمهما في القتل والقتال سواء... ومعمّر القذافي المرتد جباراً متسلطاً!! ».

وقال أيضاً في مدح جماعته بأنها « لا ترى فرقا بين شرطة عرفات تحت راية وقيادة عرفات، وبين الجيش اليهودي وشرطة اليهود، إلا شرطاً واحداً، وهو أن عرفات وحكومته أشد كُفراً، فهم أشد حُكماً من اليهود، لكن كلاهما له القتل والقتال... وأن الملك حسين مرتد في الأولى، ومرتد في الثانية، وليس له إلا القتل والقتال، هو وشرطته وجهاز مخبراته!! ».

وقال عن جماعته مادحاً لها دائماً؛ لأنها « لا ترى فرقا حكومة السعوديين (آل سعود) المرتدين...!! »، وزاد دولة الكويت في العدد (١٣٤)، في (ص ٥)، بتاريخ: (١٢ رمضان ١٤١٦هـ)، ثم في غيرها من أعداد أخرى.

إني لا أريد أن أناقش المشبوه في التكفير؛ لأنني لا أرضى أن يتحوّل البحثُ إلى مناقشات معلومة الطول، ولكنني أريد إطلاع القراء على معتقد القوم؛ لما يتلوه من بحوث.

صورة المقال السابق

من تصحيح المترجم

اللاحقة الألفية ، أو تشريد أتباع هذه الجماعة فإنها تنقلب بغير علة شرعية إلى موقفها القوي للظلم والساكت منه .
والذائع القوي لمسؤول الصوائف الجهادية في هذا الزمان .

* الجماعات السلفية الجهادية الموحدة لا تطبق بين منكم حسيه المرابي البعشي البعشي ، وبين حافظ أسد السوري البعشي السوري ، فكلاهما في حكم الله تعالى سواء ، وليس أحدهما أولى بالقتال من الآخر ، ولكن جماعات البعثة والوصولية لها رأي آخر .

* الجماعات السلفية الجهادية الموحدة لا ترى فرقاً بين حكومة السحرودين (ألبينود) المرتدين وبين حكومة نجيب الألفاني فكلاهما في حكم الله تعالى سواء ، وليس الألفاني أولى بالقتال من الآخر . لكن جماعات البعثة والوصولية لها رأي آخر .

* الجماعات السلفية الجهادية الموحدة لا ترى فرقاً بين ندوة الجزائر التي ارتدت وحكمت وظلمت وبين المجلس الثقاني الغربي المرتد فكلاهما في دين الله تعالى سواء كإفريسيان حكهما في القتال والقتال أيضاً ، ولكن جماعات البعثة والوصولية لها رأي آخر .

* الجماعات السلفية الجهادية الموحدة لا ترى فرقاً بين معمر القذافي المرتد والمرتد متسلط ، وقبر أهله القوي ، ولا يفتح يديه المتصدية الخزية ، ولا ينشر الجبهة السياسية ، وبين معمر القذافي الذي يبيع بالعدوية الخزية ، والجبهة الديمقراطية ، فكلاهما في حكم الله سواء ، ليس لهما إلا القتل والقتال . لكن جماعات البعثة والوصولية لها رأي آخر .

* الجماعات السلفية الجهادية الموحدة لا ترى فرقاً بين شريطة عرفات تحت راية وقيادة عرفات وبين الجيش الصهيوني ، وشريطة اليهود إلا فرقاً واحداً وهو أن عرفات وحكومته وشروطه أفضل كثيراً من اليهود ، لكن كلاهما له القتل والقتال ، أما جماعات البعثة والوصولية لها رأي آخر .
الجماعات السلفية الجهادية الموحدة لا ترى فرقاً بين المرهه الله حسين حاكم الأردن والذي منعتهم من قتالهم مع اليهود وبين الزند الملك حسين وهو يقاتل المسلمين الأرثوذكس الذين يبيعونهم .

والوصول إلى قبلة الإيمان الكبري . وأن الملة حين سرته غير الأولى وموتد في الغائث واليهن له إلا القتل والقتال مر وشروطهم جهاداً متكاملاً . أما جماعات البعثة والوصولية فلها رأي آخر .

فالراية والمقصود ونوع القتال يفرق بين جهاد الموحدة ، وجهاد الرظي (الوثني) ، وجهاد المصلحة الموقوتة التي تتطلب حسب السياسات الجهادية ، والتغيرات الذاتية .

في الجزائر يزعم جماعةتان الجهاد (ولنقل بعينهم بعض الخلفاء كالشمس : إعلامية) ، جماعة باسمها الجماعة الإسلامية المسلحة ، وجماعة أخرى التسميتها بالجيش الإسلامي للاقتداء ، فكيف يستطيع المرء أن يفرق بين جهاد الموحدين وجهاد المصلحة والوصولية ؟

الجماعة الإسلامية المسلحة لأزلاً : تمنى نقاتل حتى نميد الحق إلى نصابه ، وأن نرجع الضائع إلى أصحابه ، ونحن في حكم الله تعالى ، ونحكم المسلمين لأرضي الجزائر ، وكل بلاد المسلمين ولا نعتبر فيما يقول الكتابيون ، ونحن لا نعتبر في الفتنة ولا في بيع الشعب دولة بالعدوية القاتلة الرضحي . ونحن نقاتل تيل

أن تجد الأشخاص والقبائل أو ناسداً وقائلاً بعد الفاتحة ، فبئس قولنا لولا أن نواجه موجودة مع كل هذه الأزمات .

والجماعة الأخرى المزعومة إعلامياً للزاد نحن نقاتل حتى نميد خير الشعب ، ونصيد الناس إلى القدر الإسلامي ، فبئس قولنا لولا أن نواجه موجودة مع كل هذه الأزمات .

فما الذي يقودهم إلى أن يقتلوا من يقتلهم من قتلهم ؟

الجماعة الأولى قد شرع في ليبيا ، وكانت بحركة جهادية موحدة سلفية ، وإنشأت بعض الجماعات البعثة والوصولية لهذه الأضداد الجهادية ، ونسب هذا التصنيع أو المبرك أن القذافي يرتكبه من تحت يده ، ولكن جعلنا هذا إذا لفتح القذافي يبيع بالعدوية ، ويجمع بتشكيل الأحزاب وفي القاتل من القاتل ، فبئس قولنا لولا أن نواجه موجودة مع كل هذه الأزمات .

صورة المقال الذي بعده

من مساجد المسلمين



قال أبو عبد الله (وأحمد بن حنبل) : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي لم صليت خلف اليهود والنصارى ولا يسلم عليهم ، ولا يمدون ولا يتكلمون ولا يشهدون ولا تزكوا ذماتهم . قال عبد الرحمن بن مهدي : سمعت أبا عبد الله يقول : لا يفتن من دين الإسلام الجهمية والرافضة . (أبو القناد) أقوال أعلام لإمام البخاري (53، 54) . قوله : لا يعادون - لا يتركون في موضعهم ، وقوله لا يشهدون : أي جازهم .

كان شأن سلفنا الصالح رضي الله عنهم عظيماً مع أهل البدع ، ولا يرون شيئاً أسيئاً على دين الإسلام منهم ، والقارى المتعمق في كتب السلف لا يرى هذه الهنات التسمية التي وقع فيها الكُتف من الإخوان المسلمين ، وحب التحرير ، ولا يرى فيهما هذه التنازلات المقيسة التي وقع فيها الكُتف من أصحاب البدعة ، والسلف من أهل الحديث والملة لم يكن عندهم هم التجسس والتكثير على حساب المنهج بل كان المنهج قبل كل شيء ، والتوحيد بجلاله ووضوحه هو أساس السلفية ، والبدعة والفكر هما مناطا اليقظ والعناء والبراء ، لكن لما كانت البدعة على التوالي الأضداد للهدى عند أصحاب الفهم العصابي الإسلام عن الجنة والنار والقيوم والأخيرة ، والنياب والعتاب هو حديث السذج من الناس ضاعت معالم الدين وانقرمت آفاته ، وبذات المصطلحات الجديدة تغشى الإسلام وشعائره المجرى فصار هناك الإسلام الحضاري ، والإسلام للثقافة ، والإسلام الليبرالي ، وصار عقيدتهم القوم هو من يحسن لوك الأقطاب السفحة ، ويتقصر في حديثه متجنباً السنة والأرقا ، فتعززت الريوس بالأفكار ، والأحسن أصليها دا - السمرطان فطالت موهبة ، وقال للمسل ، وضعت عبودية النبي لهم ، وقال الشوق إلى الأخرة ، حيثما يرضى الله لرب الناس بالهبة والأهوا ، فاصبيري الذي لا يفري فريده هو من يحسن رد السنة بالمهوى ، ومن يقبض الحق للناسي ولا تكاديف ، هذا حال

أهل الرأي الذين جعلوا الوعي حضارة والنص الضيبي فكراً ، فتأسس الإسلام على أيديهم ، إذ صار الإسلام هو مصلحة الرجل والجماعة لتحليل شؤونهم في الدنيا ، وكل تكليف ومشقة تلحق الناس في عمل من الأعمال رده بحجة الضرورة ورفع الحرج ، فتوسع الناس في التأويل وسفقت الخرخص ومزالي العنما ، وأخطأهم .

وقدم آخرون زعموا التمسك بالمتن في فهم السلف الضائع ، وأخرجوا الناس من تقليد الأئمة ونكثهم لم يبرؤوا حتى جرثومة التقليد فأخرجوا الناس من تقليد الشافعي إلى تقليد ابن باز ومن تقليد مالك إلى تقليد ابن عثيمين ومن تقليد أحمد إلى تقليد الألباني ، وكانوا يفتخرون باتباع السادة والساعين وترمي بوجهه الدليل نلو الدليل فلا يجد في قلبه من الكش إلا أن يقول لك : ولكن الألباني يقول بغير ذلك !! ، ولكن ابن باز لم يقل هذا !! ، هل مال بهذا ابن عثيمين وابن باز والألباني ؟ من مال بهذا ؟ ولم قلت له قال الأئمة العظيم لتصارى هذا القول في نفسه فيما يقول هؤلاء ، الذين اتكلمهم أنه من دون الله ، لا يقول إلا ما يقولوا ، ولا يدين إلا بنههم ، وكأنهم أنبياء هذا الزمان ، وكان من ملأت الله فعمالي لهؤلاء ، القوم أن مسح الله نورههم وعظمتهم ، وأبى البراب والشراف في تلك الدنيا من حق من مسح الله قلبه وأتى المكذوبات العظيمة .

كأن سعرد والمملك حسير والمغلامي وهدام وآل الصباح ، فانتسابهم للسلف لم يخلص التوحيد الذي يوجب عليهم المرأة من كل هذا الدنيا الأرض ، إلا أن العلم عاقباً بسلطان اسمه يفرز على كتب الحديث تحقيراً وتفريفاً ومع ذلك هو في حيز علماني من أهل بلد ، ولا يرى الصرح في ذلك فأتى قوم هؤلاء ،

إن حدثوا الناس بالسنة والعمل قال أهل النفاق : هؤلاء أهل التشور . وإن حدثوا الناس بكتب التحاكين بغيرها أنزل الله وطرافهم ، قال أهل النفاق هؤلاء خواج . وإن حدثوا الناس بالجهاد في سبيل الله ضد المرتدين قال أهل النفاق : هؤلاء مترعون لا يقفون في السياسة . وإن حدثوا الناس بكتب الديمقراطية وكفر العمل البرلماني

تكفير أبي قنادة لكل عسكري في الجزائر!

بعد أن نقلتُ كلامَ المشبوه في تكفير الدول المسلمة، وأشرتُ إلى بعضه، أنقلُ هنا سحبه ذيلَ التكفير لعساكر هذه الدول، فأقول:

يزعمُ بعضُ من يحسنُ ظنه في ثوار الجزائر أن هؤلاء لا يُقاتلون العساكرَ الجزائريينَ على أساسِ تكفيرهم، ولكنهم ينطلقون في ذلك من مبدأ الدفاع عن النفس، ومع أن هذا غيرُ صحيح بهذا الإطلاق؛ لأنَّ العساكرَ لم يُقاتلوا هؤلاء - قتالاً رسمياً - إلا بعدَ حملهم السلاح، سواء رجعتَ إلى عهد المدعو (مصطفى بويعلّي)، أو رجعتَ إلى ما بعده، عقبَ الإضراب العام الذي نظّمته جبهة الإنقاذ في ساحة أول ماي، فيما عُرفَ بإضراب سنة (١٩٩١م)، فقد دُعِيَ إلى الاغتيالات قبل الاعتقالات، وفي الساحة نفسها ضُربت الأعناق قبل سجن الآفاق، أقولُ هذا على أساسِ جوازِ حملِ السلاح في وجهِ السلطان؛ مُقابلةً له بالمثل؛ وإلا فإنَّ الذي عليه أهلُ السنة والجماعة أن السلطان لا يُقاتلُ ولو قتل؛ لأنَّ القتلَ ليسَ كُفراً، وقد علّقَ الرسول ﷺ جوازَ الخروج على كُفر السلطان، فقال: «إلا أن تروا كُفراً بواحا عندكم فيه من الله برهان» متفقٌ عليه، وقد بيّنتُ هذا في كتاب «فتاوى العلماء الأَكابر»، فلا أُعيدُه.

ذكرتُ هذا لبيان أن ما سُمِّيَ جهاداً في الجزائر قد اختلف أصحابه في

تعليله:

- فمن قائلٍ: إنهم لجؤوا إليه؛ لإلغاء الدولة نتائج الانتخابات.
- ومن قائلٍ: إنهم لجؤوا إليه؛ للدفاع عن النفس.
- ومن قائلٍ: إن داعي القتال كان قائماً من قبل هذا كله؛ لأنَّ الدولة

كافرةٌ من أوَّلِ يَوْمٍ.

ولَا رَيْبَ أَنَّ تَضَارِبَ هَذِهِ التَّعْلِيلَاتِ يَدُلُّ عَلَى هِشاشَةِ الْبُيَانِ، واضطرابِ الأركانِ، وما دامَ كلامي منصباً على جماعةٍ معيّنةٍ فإني أتجاوزُ هذا كله لأفسحَ المجالَ لأبي قتادةٍ مُفتي الجماعةِ نفسه ليعبرَ عن ذلك؛ فقد صرَّحَ بأنَّ سببَ قتالِ الثُّورِ لأولئك العساكرِ إنما هو كُفرُ العساكرِ، فقال في خُطْبته المشارِ إليها: «الآنَ على أرضِ الجزائرِ، أسألوا النَّاسَ: الجبهةُ للإنقاذِ أقامتِ البلاغَ أنَّها تريدُ (كذا)، كلُّ جنديٍّ وكلُّ إنسانٍ في الجزائرِ - عن طريقِ جبهةِ الإنقاذِ - عَلمَ أن هذه الدَّولةَ ليستُ بإسلاميةٍ، وأنَّ من (١) من جبهةِ الإنقاذِ ثمَّ غيرها إنما قاموا ليحكِّموا الإسلامَ، بل إنَّ أغلبَ الجندِ الآنَ علموا أنَّهم يُقاتِلونَ (كذا) مُسلمينَ، ويُقاتِلونَ مجاهدينَ، بخلافِ كثيرٍ من الدُّولِ، فعلى هذا: عُدِرَ الجهلُ لا وُجودَ له، فكلُّ جنديٍّ على أرضِ الجزائرِ معَ الدَّولةِ وطائفَتها وحُكْمها هو كافرٌ باللهِ مُشركٌ، خالدٌ في جهنمٍ!!! هو حلالُ الدِّمِّ وحلالُ العرَضِ...!!!».

ثمَّ حاولَ أن يصنِّعَ استدراكاً على نفسه، ثمَّ قال: «تَبَقِيَ قَضِيَّةُ سبَايَا المرتدِّينَ، هذا خلافٌ بينَ العلماءِ قديماً وحديثاً، ونحن نتحدَّثُ الآنَ عن طائفةٍ ممتنعةٍ ذاتِ قوَّةٍ، ومع ذلك فهذه طائفةٌ كُفِرَ وردَّةُ، بعضُ النَّظَرِ عن أعيانِ أفرادها، فمَن قال بكُفرِ أعيانها فدلِيلُه قوِيٌّ خاصَّةً في أرضِ الجزائرِ، ومَن قالَ بعدمِ كُفرِ أعيانها، فكذلك يُحترَمُ قولُه على أرضِ الجزائرِ، وإِنما الإجماعُ منعقدٌ أنَّ الطَّائفةَ بكلِّ من فيها تُعاملُ كلَّ فردٍ فيها مُعاملةَ الفردِ الواحدِ أو مُعاملةَ الجماعةِ!!».

(١) هنا كلمةٌ غيرُ مسموعةٍ جيِّداً.

قلت: فهل يبقى بعد هذا للمتصوِّحين عذرٌ في اصطناع ظُنُونٍ حَسَنَةٍ
للقوم، وهم يقرؤون شهادة القوم على أنفسهم؟!!

تنبيه: لقد أحببتُ للقاريء أن يتبَّه هنا لاستدلال المشبوه بجهة
الإنقاذ من جهة، ودفاعه عن « الجماعة الإسلامية المسلحة » التي تمثل « غلاة
التكفير » في الجزائر من جهة أخرى، مع أن « الجماعة الإسلامية » تكفر
« جهة الإنقاذ »، وبينهما حروبٌ طاحنةٌ معروفة!

وها هو الدليلُ بين يديك على أن الرجل يعيرُ مرَّةً إلى هؤلاء، ومرَّةً إلى
هؤلاء، قال في العدد (١١٩) السابق تصويره من مجلَّة الأنصار: « في الجزائر
ترعُمُ جماعتان الجهاد، (أو لنقلُ بتغييبِ بعض الحقائق كالشمس: إعلامياً):
- جماعةُ اسمها (الجماعةُ الإسلاميَّةُ المسلَّحة).

- وجماعةُ أخرى اسمها (الجيش الإسلاميُّ للإنقاذ).

فكيفَ يستطيعُ المرءُ أن يفرِّقَ بين جهادِ الموحِّدين وجهادِ المُبتدعة
والوُصُوليين؟

الجماعةُ الإسلاميَّةُ المسلَّحةُ تقولُ: نحنُ نُقاتِلُ حتَّى نُعيدَ الحقَّ إلى نِصابه،
وأن تُرجعَ الضَّائعَ إلى أصحابه، والحقُّ هو حُكْمُ اللهِ تعالى...

والجماعةُ الأخرى المزعومةُ إعلامياً تقولُ: نحنُ نُقاتِلُ حتَّى نُعيدَ خيارَ
الشَّعب، ونُعيدَ النَّاسَ إلى المسارِ الانتخابيِّ، فقتالنا لمن سرقَ خيارَ الشَّعب.

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنعام] «.

وبهذا يدركُ القراءُ أن المشبوه قد قسَّم ولاءه على الجميع؛ ليحظى بالزُّلفى
من الجميع، كصنيعِ السِّيَاسِيِّينَ اليَوم، وهو مسلِّكٌ معلومٌ لديهم، كما أنَّه طبعٌ

مركزاً في دعوة المشبوه، ولذلك كان من غريب الموافقات أن كل جماعة من هذه الجماعات الخارجة تستدل به، مع أن كل واحدة منها تلعن أختها!!
وفيما يأتي ترى طعن أبي قتادة على الدعوة السلفية التي يتظاهر لقوم بالاعتزاز إليها؛ وذلك في تمهيدهِ لصرف الناس عنها، حتى يكون هو المرجع الوحيد لهم!

وبعد أن نقلت لك تكفير المشبوه للدولة، ثم تكفيره لعساكرها، فأنقل إليك الآن طعنه على أهل العلم، بدءاً بصفتهم: علماء الدعوة السلفية!!
وقبل هذا كله أنقل إليك تقييده الخطير في التنفير من الرجوع إلى العلماء المعاصرين، بل ومن الرجوع إلى العلماء المتقدمين، الذين جاؤوا بعد القرن الثالث!!

أبو قنادة يُنْفِرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ

لقد أمر الله في كتابه بالرجوع إلى أهل العلم عند الجهل بالمسائل المتباحث فيها، فقال: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل ٤٣]، كما أمر النبي ﷺ بذلك، فروى أبو داود (٣٣٦) وغيره عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: « أصاب رجلاً جرح في عهد رسول الله ﷺ، ثم احتلم، فأمر بالاعتسال فاعتسل فمات، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: قتلوه قتلهم الله؛ ألم يكن شفاء العي السؤال »، وصححه الألباني في المصدر المذكور.

هذا فيمن تسبب في قتل رجل واحد، وهو بعيد عن جمهور أهل العلم؛ لأن ذلك كان في غزوة، فكيف بمن قتل أمة بفتاوى ارتجلها، والعلماء متوافرون، وهم بفتاواهم متظاهرون؟!

وهذه المسائل التي نحن بصدددها هي أصعب بكثير من مسألة صاحب الجرح؛ لأنها من مسائل التوازل، وقد أمرنا الله بردها إلى العلماء الذين بلغوا رتبة الاجتهاد، فقال: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء ٨٣]، وهذا الطراز من أهل العلم لا يخلو منه زمان؛ لأن الرسول ﷺ قال: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود (٤٢٩١) والحاكم (٥٢٢/٤)، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٥٩٩).

وقد حسم ابن القيم - رحمه الله - الكلام في صفة هذا العالم، فقال في « إعلام الموقعين » (٢١٢/٤): « العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال

الصَّحَابَةُ فَهُوَ الْمُجْتَهِدُ فِي التَّوَازُلِ، فَهَذَا النَّوْعَ الَّذِي يَسُوغُ لَهُمُ الْإِفْتَاءُ، وَيَسُوغُ اسْتِفْتَاؤُهُمْ، وَيَتَأَدَّى بِهِمْ فَرَضُ الْجِهَادِ»، ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ السَّابِقَ. إِذَا خَرَجَ بِهَذَا التَّعْرِيفِ صِنْفَانِ مِنَ الْمَتَسَلِّقِينَ:

الأوَّل: المقلِّدة، وهم الَّذِينَ يَمْلَأُونَ السَّاحَةَ الْيَوْمَ بِالْحَدِيثِ عَنْ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَيْسُوا عَلَى تَغْرِ الْجِهَادِ كَمَا تَرَى، وَدَوْلَةُ الْإِسْلَامِ بِحَاجَةٍ إِلَى مُجْتَهِدِينَ.

الثَّانِي: المتفلِّتون من أمثال المشبوه؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُعْرَجُونَ عَلَى التَّعْرِفِ عَلَى خِلَافِ الْعُلَمَاءِ، بَلْ يَهْجُمُونَ عَلَى الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ التَّفَاتِ إِلَى مُجْتَهِدِي عَصْرِهِمْ، بَلْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا وَافَقُوهُمْ، عَلَى أَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ أحياناً عَلَى الْخِلَافِ، أَوْ يَتَعَمَّدُونَ اخْتِرَاعَهُ إِذَا وَجَدُوا فِيهِ تَسْلِيكاً لَشُدُوزَاتِهِمْ!

ثُمَّ هَذَا الْعَالِمُ يُعْرِفُ عَنْ طَرِيقِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ لَا يَنْقَرِضُ وُجُودُهُمْ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ » متفقٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، فَاللَّهُ زَكَّى رُسُلَهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج ٧٥]، وَهَؤُلَاءِ الرُّسُلُ يُزَكُّونَ حَوَارِيِّهِمْ، وَهَؤُلَاءِ يُزَكُّونَ تَلَامِيذَهُمْ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ يُزَكُّونَ مَنْ بَعْدَهُمْ، فَهِيَ سِلْسِلَةٌ لَا تَنْفَصِمُ غُرَاهَا، وَهِيَ أَمَانٌ مِنَ الدُّخْلَاءِ كَأَمْثَالِ الْمَشْبُوهِ، فَإِذَا حَاوَلُوا التَّسْرُبَ فِي صِفِّ هَؤُلَاءِ الصَّفْوَةِ، قِيلَ لَهُمْ: « سُمُّوا لَنَا رِجَالِكُمْ! »، وَلِذَلِكَ نَقَلَ صَاحِبُ « عَوْنِ الْمَعْبُودِ » شَرْحَ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ « (٢٦٣/١١) قَوْلَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْآتِي: « وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ الْمَجْدُّ إِلَّا بِغَلْبَةِ الظَّنِّ مِمَّنْ عَاصِرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِقِرَائِنِ أَحْوَالِهِ وَالانْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ؛ إِذِ الْمَجْدُّ لِلدِّينِ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ عَلِماً بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، نَاصِراً لِلسُّنَّةِ، قَامِعاً لِلْبِدْعَةِ، وَأَنْ يَعَمَّ عِلْمُهُ أَهْلَ زَمَانِهِ ».

وذكر الذهبي في « تذكرة الحفاظ » (١٣٣٢/٤) عن ابن عساكر - رحمه الله - أنه قال: « لما عزمتم على التحديث والله المطلع أنني ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم، بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأي فائدة في كوني أخلفه صحائف؟ فاستخرت الله، واستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد، وطفت عليهم، فكلهم قالوا: من أحق بهذا منك؟ فشرعت في ذلك منذ ثلاث وثلاثين وخمس مائة ».

هذا هو التقييد الصحيح الذي يعرفه العقلاء، ويسلكه العلماء، وبه تحفظ الأمة في الكليات الخمس، إلا أن المشبوه لم يرض به، بل قعد تقييداً غريباً لهدمه، ودم من يأخذ العلم من أفواه أهله، ومدح من يكتفي بأخذه من الصحف، فقال في (ص ٢٤٨-٢٤٩) من « الجهاد والاجتهاد »: « قولهم: إن العلماء على الدوام رفضوا اسم العلم أن يلتصق بفرد أو جماعة أخذت علمها من مصدر البيان مباشرة، بل لا بد من أفواه العلماء، والجلوس على الركب أمامهم، وهذا دليل على أن تواصل العلم عن طريق الرجال مشافهة، ولا شيء غير ذلك.

وقولهم هذا لا يعدو أن يكون حيدة عن موضوع البحث، لأن هذا القول هو في البداية حجة ثرائية، والخصومة حولها وعليها، والاختلاف يدور حول حجية التراث والتاريخ، والأمر الآخر هو أن هذا - الذي قيل - وجد في السنة ما ينقضه ويبدده، خاصة حين يصبح ويصير لكل طائفة رجالاً (كذا)، تتخذهم الطائفة قدوة وأئمة، وترعم أن مجرى الهدى على محيائهم، ومنبع النور من أفواههم، فلا بد من قطع علائق الفتن بالعودة إلى الأصل وهو: البيان

مُضافاً إلى التَّمَوِّجِ الأوَّلِ «.

قلتُ: يقصدُ بكلامه الأخيرِ الاستِغناءَ عن الرجوعِ إلى العلماءِ المعاصرينَ بالاكْتِفَاءِ بالرجوعِ إلى النَّصُوصِ والتَّمَوِّجِ الأوَّلِ، الذي هو العَصْرُ الأوَّلُ!

وانطلاقاً من هذا التَّفَعُّيدِ الأخيرِ ذهبَ مَنْ لَا يُحْسِنُ يَتَهَجَّى، بِبُرْدِ أَهْلِ العِلْمِ يَتَسَجَّى، وَحَصَلَ مِنْ هَذِهِ الاستِغْلَابِيَّةِ شَرٌّ كَبِيرٌ، مِنْهُ ذَلِكَ الزَّخَمُ مِنَ الجِثَّتِ المُسَلِّمَةِ البَرِيئَةِ الَّتِي سَقَطَتْ فِي أَرْضِ الجَزَائِرِ، بَعْدَ أَنْ أَقْتَسَى المَشْبُوهُ وَجَمَاعَتُهُ بِجَلِّ دِمَائِهَا، غَيْرَ عَابِتِينَ. مُخَالَفَةً جَبَالِ أَهْلِ العِلْمِ!

ثُمَّ جَعَلَ يَسْتَدِلُّ لِهَذَا الضَّلَالِ مُنْطَلِقاً مِنْ استِغْلَابِيَّتِهِ دَائِماً، فَقَالَ بَعْدَ فَقْرَتِهِ الأَخِيرَةِ: « وَالسَّنَةُ الَّتِي مَدَحْتَ العُودَةَ إِلَى الوَرَقِ دُونَ النَّظَرِ إِلَى الشَّخْصِ وَمِثْلِ هِيَ القَاطِعَةُ لِحُجَّةِ هَذَا الفَرِيقِ، هَذِهِ السَّنَةُ هِيَ قَوْلُهُ ﷺ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ: (أَيُّ الخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا؟) قَالُوا: المَلَائِكَةُ، قَالَ: وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟! قَالُوا: الأَنْبِيَاءُ، قَالَ: وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ يَأْتِيهِمُ الوَحْيُ؟! قَالُوا: نَحْنُ، فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟! قَالُوا: فَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَجِدُونَ صُحُفًا يُؤْمِنُونَ بِهَا، وَفِي بَعْضِ أَلْفَازِهِ: (بَلْ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِكُمْ، يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، أَوْلَئِكَ أَكْبَرُ مِنْكُمْ أَجْرًا)، وَفِي لَفْظِ آخَرَ: (يَجِدُونَ الوَرَقَ المَعْلُوقَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الإِيمَانِ إِيمَانًا)، انظُرْ (البَاعِثُ الحَثِيثُ) بِتَعْلِيقِ أَحْمَدِ شَاكِرٍ، هَامِشٌ ص ١٢٥، فَالحَدِيثُ بوضوحه يمدحُ أَخْذَ العِلْمِ عَنِ طَرِيقِ الوَرَقِ المَعْلُوقِ، بَلْ جَعَلَ هَؤُلَاءِ القَوْمِ هُمْ أَكْبَرُ النَّاسِ أَجْرًا، وَأَفْضَلُ أَهْلِ الإِيمَانِ إِيمَانًا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ العِصْمَةَ عِنْدَ اخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَسُقُوطِ التَّمَاذِجِ الفَاسِدَةِ الحَامِلَةِ

لاسم العلم والعلماء زوراً وبهتاناً، هو العودة إلى الورق، ولن يضر هؤلاء المتمرّدون (كذا) قول فلان وعلان!!!».

النقد:

١ - هذا الحديث - الذي استدلل به المشبوه على تقعيده الفاسد ذاك - قال فيه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/٧): «إسناده ضعيف فلا حجة فيه»، وضعفه العلامة الألباني بجميع رواياته في «السلسلة الضعيفة» (٦٤٧-٦٤٩)، لكن جاء من روايات كثيرة، أذكر منها ما يأتي:

أ - رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رواها أبو داود الطيالسي في «مسنده» كما في «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤٨/٢٠)، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٣٢١٠)، وأبو يعلى (١٤٧/١ - دار المأمون) والبيزار (٢٨٨-٢٨٩) والحاكم (٨٥/٤-٨٦) والعقيلي في «الضعفاء» (٢٣٨/٤) وابن عبد البر في المصدر السابق والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (٦٢) وبيبي بنت عبد الصمد في «جزئها» (١٠٤) والمهروي في «ذم الكلام» (١٤٨٦) وابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص٣٧)، كلهم من طريق محمد بن أبي حميد، ومحمد هذا ضعيف، وقال ابن حجر بعد روايته للحديث: «هذا الحديث غريب».

ب - رواية أبي جُمعة رضي الله عنه: رواها البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٨٨) وفي «التاريخ الكبير» (٣١٠-٣١١) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٢/٤) والرويان في «مسنده» (٥١٣/٢) وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٧٧-١٧٨) والطبراني (٢٣/٤) من طريقين،

وابن مردويه في « تفسيره » كما في « تفسير ابن كثير » (٦٩/١)، والهروي في « ذم الكلام » (١٤٨٥) والمزني في « تهذيب الكمال » (٢٧_٢٦/١٣) والذهبي في « ميزان الاعتدال » (٢٩١/٢) وابن حجر في « الأمالي المطلقة » (ص ٤٠)، وقال: « هذا حديث حسن » وكذلك قال في (ص ٤٣)، وابن القيسراني في « تذكرة الحفاظ » (٣٩٠/١-٣٩١)، وقال: « هذا حديث صالح الإسناد وغريب ».

ج - رواية أنس رضي الله عنه: رواها البزار، كما في « كشف الأستار » (٣١٨/٣) وقال: غريب من حديث أنس، وأعله الهيثمي في « الجمع » (٦٥/١٠) بسعيد بن بشير، وهو ضعيف كما في « التقریب ».

د - رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أي رواية عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما: رواها ابن عرفة في « جزئه » (١٩)، ومن طريقه قوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٤٨)، والخطيب في « شرف أصحاب الحديث » (٦١) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥٣٨/٦)، وابن حجر في المصدر السابق (ص ٣٨-٣٩)، وزاد العلامة الألباني في « الضعيفة » (١٠٢/٢) إسماعيل الصفار في « جزئه » وطراد أبا الفوارس في « ما أملاه يوم الجمعة ١٤ شعبان »، وفيها المغيرة بن قيس البصري، قال فيه أبو حاتم: « هو منكر الحديث »، كما في « الجرح والتعديل » لابنه (٢٢٨/٨)، وقد رواها عنه إسماعيل بن عياش، وروايته عن غير الشاميين ضعيفة، كما هو الشأن هنا.

ه - رواية أبي هريرة رضي الله عنه، رواها أبو نعيم في « ذكر أخبار أصبهان » (٣٠٩-٣٠٨/١) والسهمي في « تاريخ جرجان » (٦٨٧) وابن عساكر كما

ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْأَبْيَانِي، لَكِنْ فِيهَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْعَمْرِيُّ، وَهُوَ كَذَّابٌ، وَفِي طَرِيقِ ابْنِ عَسَاكِرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ نَبِيطَ، قَالَ فِيهِ الذَّهَبِيُّ فِي « الْمِيزَانِ » (٨٣/١): « لَا يَجُلُّ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ »، وَالرَّوَايَةُ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ الرَّيَّانِ، تَكَلَّمُوا فِيهِ، انظُرْ « الْمِيزَانِ » (١٢٨/١).

وَبَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ طُرُقَ الْحَدِيثِ لَا تَخْلُو مِنْ مَقَالٍ، وَإِنْ كَانَ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَتَقَوَّى الْحَدِيثُ بِهَا، وَلَعَلَّهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَحَّحَهُ السَّخَاوِيُّ فِي « فَتْحِ الْمَغِيثِ » (٢٨/٣)، اللَّهُ أَعْلَمُ.

٢- وَعَلَى افْتِرَاضِ صِحَّةِ الْحَدِيثِ كَمَا يَبْدُو، فَإِنَّهُ لَا يُعَلِّمُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ ذَهَبَ بِهِ إِلَى مَذْهَبِ الْمَشْبُوهِ، الَّذِي قَالَ فِي خِضْمٍ حَرَبَهُ لِلْعُلَمَاءِ: « فَالْحَدِيثُ بُوْضُوحُهُ يَمْدَحُ أَخْذَ الْعِلْمِ عَنْ طَرِيقِ الْوَرَقِ الْمَعْلُوقِ، بَلْ جَعَلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هُمْ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا!! ».

هَذَا مِنْ غَرَائِبِ الْاِسْتِدْلَالِ؛ لِأَنَّهُ أَضْحَى أَخْذَ الْعِلْمِ عَنِ الْكُتُبِ أَعْظَمَ أَجْرًا مِمَّنْ يَأْخُذُهُ مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِهِ!!

وَلَوْ أَنَّهُ رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالتَّعَلُّمِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ لِتَحَنُّبِ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ هَذَا الشُّذُودِ، وَلَعَلِمَ أَنَّ شَرَّاحَ الْحَدِيثِ أَدْرَجُوهُ تَحْتَ بَابَيْنِ:

الأوَّلُ: فَضَّلَ مَنْ آمَنَ بِالرَّسُولِ ﷺ وَلَمْ يَرَهُ، أَيْ فِي بَابِ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، كَمَا فَعَلَ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الدَّلَائِلِ » (٥٣٧/٦)، حَيْثُ بَوَّبَ لِلْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: « بَابُ مَا جَاءَ فِي إِخْبَارِهِ بِقَوْمٍ لَمْ يَرَوْهُ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ »، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْهَيْثَمِيُّ فِي « الْمَجْمَعِ »، حَيْثُ بَوَّبَ لَهُ بِقَوْلِهِ (٦٥/١٠): « بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَرَهُ »، وَفِي مَعْنَاهُ أَيْضًا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي

« التمهيد » (٢٤٨/٢٠)، وكذا ابن حَجَرٍ في « المطالب العالِيَّة » (٣٢١٠) حيث بَوَّبَ « بابُ فَضْلِ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْغَيْبِ »، وكذا البُوصِيرِيُّ في « إتحاف الحِيرَةِ » (١٠٦/١)، وقال ابن حَجَرٍ في « الأَمالي » (ص ٤٣): « والمُرَادُ التَّرغِيبُ في الإِيْمَانِ بِالْغَيْبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ »، وقال المُنَاوِيُّ في « فَيْضُ الْقَدِيرِ » (٢٧٩/٤): « وذلكَ لأنَّ اللهَ مَدَحَهُم بِإِيْمَانِهِم بِالْغَيْبِ وَكَانَ إِيْمَانُ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ غَيْباً وَشُهُوداً؛ فَإِنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ غَيْباً، وَآمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ شُهُوداً؛ لِمَا أَنَّهُمْ رَأَوْا الْآيَاتِ وَشَاهَدُوا الْمُعْجَزَاتِ، وَآخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ آمَنُوا غَيْباً بِمَا آمَنَ بِهِ أَوَّلُهَا شُهُوداً، فَلِذَا أَثْنَى عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ »، وفي هَذَا الْمَعْنَى نَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِهِ السَّابِقِ تَفْسِيرَهُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ فَقَالَ: « وَكَانَ سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: تَفْسِيرُ هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا كَانَ مِثْلَهُ بَيْنَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ [آل عمران ١٠١] »، كما فَسَّرَ ابْنُ كَثِيرٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة ٣].

الثاني: جعلَ العُلَمَاءُ هَذَا الْحَدِيثَ دَلِيلًا عَلَى رِوَايَةِ الْحَدِيثِ بِالْوَجَادَةِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْمَوْضِعِ السَّابِقِ: « وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى الْعَمَلِ بِالْوَجَادَةِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الْحَدِيثِ، كَمَا قَرَّرْتُهُ فِي أَوَّلِ شَرْحِ الْبُخَارِيِّ؛ لِأَنَّهُ مَدَحَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ »، وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي « تَدْرِيْبِ الرَّأْيِ » (٦٤/٢): « قَالَ الْبَلْقِينِيُّ: وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ لِلْعَمَلِ بِالْوَجَادَةِ بِحَدِيثِ (أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِيْمَانًا؟) قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ، قَالَ: وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟! قَالُوا: الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: وَكَيْفَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ يَأْتِيهِمْ

الوحي؟! قالوا: نحن، قال: وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟! قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها، قال: البلقيي: وهذا استنباط حسن، قلت: المحتج بذلك هو الحافظ عماد الدين ابن كثير، ذكر ذلك في أوائل تفسيره، والحديث رواه الحسن بن عرفة في جزئه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وله طرق كثيرة أوردتها في الأمالي، وفي بعض ألفاظه: (بل قوم من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به، ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجراً) أخرجه أحمد والدارمي والحاكم من حديث أبي جمعة الأنصاري، وفي لفظ للحاكم من حديث عمر: (يجدون الورق المعلق (في الأصل: المعلم) فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أهل الإيمان إيماناً)».

قلت: رواية أحمد هذه ومن ذكر معه ليس فيها محل الشاهد من الحديث، وإنما هو سهو من السيوطي كما نبه عليه الألباني - رحمه الله - في «الضعيفة» (١٠٥/٢)، من أجل هذا لم أذكرها هنا.

ثم وجدت العلامة الألباني - رحمه الله - قد رجع عن تضعيف الحديث، كعادته في الرجوع إلى الحق من غير مبالاة بالشائنين، فحسنته في «السلسلة الصحيحة» تحت رقم (٣٢١٥)، وجوّدته فيها أيضاً تحت رقم (٣٣١٠)، فجزاه الله خيراً، وهذا ما كان ترجح لديّ كما مرّ، فالحمد لله على توفيقه.

الخلاصة من هذا البحث أنه لا يوجد عند أهل العلم من سبق إلى هذا الاستدلال الغريب للاستقلالية التي يدعيها لنفسه ولهوام العوام من أتباعه، وهذه نظير ما ادّعاه قريبه في المذهب: أبو محمد المقدسي من أن التكفير الذي

يشدُّو به فؤادُه هو نتيجةُ لقراءتِه المتفحِّصَة الكاملة لكتبِ أئمةِ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، كما في الاستِجوابِ الصَّحفي مع « نداء الإسلام »: « لقاء من خلف القُضبان »، المنشور عبر الانترنت!!

فنقول لهذا وذاك كما قال عبدُ الله بنُ المبارك - رحمه الله - لمن أتهمه بالإرجاء: « ما أحوجك إلى أن تأخذَ سُبُورَةَ فَتُجَالِسَ العُلَمَاءَ! » رواه إسحاقُ بنُ راهويه في « مسنده » (٦٧١/٣).

٣- لقد وقع المشبوهُ في مُصيبةٍ عظيمةٍ؛ إذ جعلَ الذينَ يجدونَ الصُّحَفَ المعلقةَ أفضلَ من غيرهم، مع أنه لم يتبَّه إلى أنه جاء في الحديثِ ذِكْرُ الأنبياءِ والملائكةِ، فتكونُ نتيجةُ هذا (الاجتهادِ المتكبر!) أن متأخري المسلمين أفضلُ من الأنبياءِ؛ ولذلك ذكرَ ابنُ تيمية هذا الحديثَ ثم قال كما في « مجموع فتاواه » (٣٧٢-٣٧١/١١): « هو يدلُّ على أن إيمانهم عجبٌ، أعجبُ من إيمان غيرهم، ولا يدلُّ على أنهم أفضلُ؛ فإن في الحديثِ أنهم ذكروا الملائكةَ والأنبياءَ، ومعلومٌ أن الأنبياءَ أفضلُ من هؤلاء الذين يؤمنون بالورق المعلق »، وقال ابنُ حجر في « الأُمالي المطلقة » (ص ٣٩-٤٠): « المرادُ بالأفضليَّة: التي قبله، وأنها ليست على الإطلاق... والأفضليَّةُ محمولةٌ على ما تقدَّم من تفضيلِ الإيمان بالغيب ». »

فانظرُ إلى نتائج الانطلاق في تفسيرِ النَّصُوصِ من غيرِ مبالاةٍ بآراءِ الفقهاء!! لقد كان السلفُ الأوَّلُ يرى أن الزُّهد في علمِ العالمِ حتى يموتَ علامةً هلاكاً؛ قال سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه: « لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ ما بقيَ الأوَّلُ حتى يتعلَّم أو يعلم الآخرُ؛ فإن هلكَ الأوَّلُ قبل أن يعلم أو يتعلَّم الآخرُ هلكَ

الناس» رواه الدارمي (٧٨/١ و ٧٩) من طريقين، ومن إحداهما ابن بطّة في «الإبانة/ الإيمان» (٤٢)، وفي كل منهما عطاء بن السائب، وهو صدوقٌ اختلط، وحديثه القديم صحيحٌ، والراويان عنه هنا ممن روى عنه في حال الاختلاط، لكن تابعهما سُفيانُ الثوري عند عمر النسفي في «القند في ذكر علماء سمرقند» (ص ٤٤٥)، وبه يصحُّ الأثر؛ فإن سماع سُفيانٍ من عطاءٍ قديمٌ، كما في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣٣٤/٦).

إن العلماء اليوم متوافرون والحمد لله، والمشبهه يُريدُ منا أن نسعى في هلكتنا كما فعل هو بنفسه وبجماعته؛ إذ تُوفي من أهل العلم جمعٌ كبيرٌ في وقتٍ متقاربٍ، ولم تحظ رُكبه بمزاحمة واحدٍ منهم، بل هو ذائبُ التنفيرِ منهم، وهذا الذي أرادَ تقريره هنا - من الاستغناء بالكتاب عن فهم أهل العلم - قد حذرَ منه ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه أن يذهب بأصحابه، عليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يُفتقرُ إليه أو يُفتقرُ إلى ما عنده، إنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والتبذع، وإياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق»، رواه معمر في «جامعه» المطبوع في آخر «مصنف عبد الرزاق» (٢٥٢/١١) والدارمي (٦٦/١) وابن نصر في «السنة» (٨٥) وغيرهم، كلهم من طريق أبي قلابة عن ابن مسعود، وهو لم يسمع منه كما في «مجمع الزوائد» (١٢٦/١)، لكن رواه موصولاً البيهقي في «المدخل» (٣٨٨) من رواية أبي إدريس الخولاني عنه.

والشاهدُ من هذا الأثر قويٌّ؛ فإن ابن مسعودٍ أكدَ على أن العلم يؤخذُ

من العلماء الأحياء، كما أنه حذر من قوم يدعون إلى خير كتاب، ألا وهو كتاب الله، على الرغم من ذلك فإنه لم يشفع لهم في الكفاية العلمية، بل حذر معه من البدع؛ لأن البدع تحيا بهذه الذريعة، فله دَرُه ﷺ، فكأنه قد خرقت له الحُجُب!

٤- « عش رجبا تر عجباً »! لقد أسقط المشبوه أصح طريق لطلب العلم، ألا وهي التعلّم على أيدي أهل العلم، وزعم أنه لا حاجة إلى الرجوع إلى العلماء بعد الجيل الأول، على الرغم من إجماع السلف على ضرورة الرحلة للطلب، وما من مصنف في أدب الطلب إلا وهو يذكر ذلك، بل أفرد بعضهم لذلك مصنفًا خاصًا، كالخطيب البغدادي في « الرحلة في طلب الحديث »، وكيف يخلد الإنسان إلى الكتب وقد كان السلف يرون أن من أخذ العلم من علماء بلده ولم يرحل، يروونه محروماً؟! روى الخطيب في كتابه المذكور (١٤) عن يحيى بن معين قال: « أربعة لا تؤنس منهم رُشدًا: حارس الدرب، ومُنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث »!؟

هذا فيمن أخذ العلم عن العلماء ولم يرحل، فكيف بمن لا يرى مجالستهم من أصول الطلب؟!؟

روى حنبل بن إسحاق في « جزئه » (٣٩) وابن أبي شيبة (٤٩٦/١٣) وأبو نعيم (٢٨٣/٢) أن أبا قلابة قال: « مثل العلماء كمثل الثجوم والأعلام التي يقتدي بها الناس، فإذا توارت تردّدوا في الحيرة ».

إنّ كليّم الله موسى ﷺ سمع بوجود علم عند رجل يُقال له الخضر، فما

برح حتى رحل ليأخذ العلم على يديه، مع أنه كان يأتيه الوحي من الله ﷻ، بل كلمه ربه بلا واسطة، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء ١٦٤]، بل أخبر الله ﷻ أنه بلغ به الحرص على ذلك إلى الاستهانة بكل ما يكلفه في سبيل الوصول إلى هذه الغاية النبيلة، ولو أذاه إلى سفر ذي حُب طويلاً، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرُحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف ٦٠].

وروى أبو داود (٢٧٥٠) بسند صحيح عن مكحول أنه قال: « كنت عبداً بمصر لامرأة من بني هذيل فأعتقتني، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت الحجاز، فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق، فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت الشام، فغربلتها...».

ولذلك تجد العلماء إذا ترجموا للأعلام ذكروا شيوخهم وتلاميذهم، بل كانوا يرون أن نبوغ الرجل يُعلم من كثرة شيوخه، ولا سيما إذا كان الشيوخ من الحذاق، فقد جاء في « تهذيب الكمال » (٣٣٣/٣٢) أن يعقوب بن سفيان الفسوي - رحمه الله - قال: « كتبت عن ألف شيخ وكسر، كلهم ثقات »، وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » (١٠٣٢/٣) في ترجمة ابن منده رحمه الله تعالى: « وعدة شيوخه الذين سمع وأخذ عنهم ألف وسبع مائة شيخ... وما بلغنا أن أحداً من هذه الأمة سمع ما سمع، ولا جمع ما جمع! ».

واعلم أن أخذ العلم من الكتب حسن، ولكن في الاقتصار عليه قصور

ظاهرٌ، والمأثورُ عن السلفِ هو التَّحذِيرُ من طلبِ العِلْمِ على مَنْ بضاعتهُ العِلْمِيَّةُ مقصُورةٌ على المَرْقُومِ في الصُّحُفِ، فقد روى ابنُ عبدِ البرِّ في « التَّمهيدِ » (٤٦/١) عن سَلِيمَانَ بْنِ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ: « لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ مِنْ صُحْفِي »^(١)، وروى ابنُ أبي حاتمٍ في « الجرحِ والتَّعْدِيلِ » (٤٠٢/٣) بإسناده إلى أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي أَنَّهُ قَالَ: « لَا تَرَوْا عَنْ خَلَّاسٍ؛ فَإِنَّهُ صُحْفِيٌّ »، بل كانوا يَخُوفُونَ مِنْ أَخَذِ الْقُرْآنِ نَفْسَهُ مِمَّنْ لَمْ يَأْخُذْهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْقُرَّاءِ، مع أَنَّهُ الْكِتَابُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، فروى أبو أحمدَ العسْكَرِيُّ في « أَخْبَارِ الْمُصَحِّفِينَ » (ص ٣٢) بإسناده إلى سعيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّنُوخِيِّ يَقُولُ: « كَانَ يُقَالُ: لَا تَحْمِلُوا الْعِلْمَ عَنْ صُحْفِيٍّ، وَلَا تَأْخُذُوا الْقُرْآنَ عَنْ مُصَحَّفِيٍّ ».

وسببُ ذلكَ أنَّ فَهْمَكَ لِلْكِتَابِ قَدْ يَقْصُرُ بِكَ عَنْ مُرَادِ صَاحِبِهِ، كما أَنَّهُ يَقْصُرُ بِكَ عَنْ أَدَبِ صَاحِبِهِ، بل الحَقُّ أَنَّكَ ما سَيَّرْتَ طَرْفَكَ فِي دَعَوَاتِ بَعْضِ الرِّجَالِ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالْغُلُوِّ فِي الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ وَالْإِقْدَاعِ فِي أَعْرَاضِ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَّا وَجَدْتَ مَنْشَأَ غَلَطِهِمْ مِنَ الزُّهْدِ فِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ تَحْسِينِ الظَّنِّ بِالنَّفْسِ.

أمَّا أَنَّ ذلكَ قَدْ يَكُونُ سَبَباً فِي سُوءِ الْفَهْمِ فَوَاضِحٌ، ولذلكَ ارتَبَطَتْ كَثْرَةُ أخطاءِ الْمُحَطِّبِينَ بِالصُّحُفِيِّينَ، كما في « مِيزَانَ الْإِعْتِدَالِ » لِلذَّهَبِيِّ (٦٥٢/٢)، حيثُ قَالَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ: « أَحَدُ الْأَثَمَةِ، وَمُصَنِّفُ الْوَاضِحَةِ، كَثِيرُ الْوَهْمِ صُحْفِيٌّ ».

(١) هذه النَّسْبَةُ على الْحِكَايَةِ، وإلاَّ فَقَدْ خَطَأَ بَعْضُهُمْ ذلكَ؛ وَقَالُوا: لِأَنَّ النَّسْبَةَ هُنَا أَخَذَتْ مِنَ الصُّحُفِ جَمْعَ صَحِيفَةٍ، وَالْأَصْلُ فِي النَّسْبَةِ أَنَّ تَوْخَذَ مِنَ الْمَفْرَدِ، فَيُقَالُ: صُحْفِيٌّ، كصَحْفِيٍّ، نَسْبَةً إِلَى حَنِيفَةٍ، انظُرْ « تَدْرِيبَ الرَّاوي » (٢٠٨/٢).

وأما أن صاحبه يُحرّم أدب أهل العلم؛ فلأن من العلم ما لا يفهم على حقيقته إلا بالمثال الحي كما يُقال، ولذلك روى الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٠) عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد أنه قال: «قال لي أبي: يا بُني! إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهدْيهم؛ فإن ذلك أحبُّ إليّ من كثيرٍ من الحديثِ»؛ وذلك لأن المرء قد يحدّوه الاستكثار من العلم واستعجال تحصيله إلى ترك مجالسة العلماء، فيتوهّم أن انقطاعه عن أهله يُعزّز عليه منه.

وأما أنه سبب في الزهو بالنفس والتّيه والغرور؛ فلأن هذه الأدواء يكسرها التواضع، والتواضع لا يُؤتاه من لم يعرف الفضل لأهله ولم ين رُكبتيه بين أيديهم، وقد قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٢٦/٤) عند ترجمة عمرو ابن محمّد بن إسحاق العطار: «... لا يعده أحد شيئاً ولا يكثر به؛ لإعجابهِ بنفسه، وكان أكبر من يذكر له من الحفاظ يقول: صحفي!».

وفي تعريفه قال المناوي في «التوقيف على مهمّات التعاريف» (ص ٤٤٩): «والصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، وإذا نُسب إليها قيل: صحفي بفتحين، ومعناه يأخذ العلم منها دون المشايخ»، وقال العسكري في «تصحيّفات المحدثين» (٢٤/١): «وأما معنى التّصحيف وقولهم (صحفي)، فقد قال الخليل بن أحمد: الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشتباه الحروف، وقال غيره: أصل هذا أن قوماً كانوا أخذوا العلم من الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء، فكان يقع فيما يروونه التّغيير، فيقال عندها: قد صحّفوا، أي قد رووه عن الصحف، فهو مصحّف، ومصدره

التصنيف».

ولذلك أنشد بعضهم:

لنا صاحبٌ موعٌ بالخلافِ
ألجُّ لجاجاً من الخُفساءِ وأزُّ
إذا ذكروا عنده عالماً
وليس من العلمِ في كفه
أحاديثُ ألفها شوكرٌ
فلو كان ما قد روى عنهما
رأى أحرفاً شُبّهت في الهجاءِ

٥_ هذا النفس الذي قعد له المشبوه هنا هو نفسٌ خارجيٌ قدسٌ، قد حفظ

لنا التاريخ من سيرتهم ما يدل على أنهم من أشد الناس بغضاً لأهل العلم؛
الذين كانوا لا يُجارونهم على أهوائهم، وأوّل ما حصل لهم عند استفرّاز
الشيطان لهم نحو بدعتهم أن زين لهم مفارقة أصحاب رسول الله ﷺ، وهم
علمائهم في ذلك الزمان بلا ريب، فانحازوا عنهم إلى قرية، ولولا أنهم رأوا
لأنفسهم فضلاً عليهم ما فعلوه، كما فعلوا مع ترجمان القرآن عبد الله بن
عبّاس رضي الله عنهما، فقد ذهب لينصح لهم، فلم يمنعهم علمه ولا صحبته
ولا كونه من أهل البيت النبوي من أن ييهتوه بوقاحة لأوّل لقاء به، فقد روى
أحمد (١/٨٦-٨٧) والحاكم (٢/١٥٢-١٥٤) والبيهقي (٨/١٧٩-١٨٠)
بسند صححه الألباني في «الإرواء» (٢٤٥٩) عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد
قال: «... فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس، فخرجتُ

مَعَهُ حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْنَا عَسْكَرَهُمْ، قَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَحَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ! إِنَّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، هَذَا مَنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الرُّحْف ٥٨]، فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا تُوَضِعُوهُ كِتَابَ اللَّهِ ﷻ...!!».

هَذَا تَأْصِيلٌ خَارِجِيٌّ حَاطِرٌ؛ بَحِيثٌ رَأَوْا أَنَّ الْاِقْتِدَاءَ بِعُلَمَاءِ زَمَانِهِمْ - الَّذِينَ هُمُ الصَّحَابَةُ ﷺ - قَدْ انْقَرَضَ؛ بَزَعَمِ انْحِرَافِهِمْ بَعْدَ وِفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ صَحَابِيٌّ وَاحِدٌ حِينَ اعْتَرَلُوا، فَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ (١٥٠/٢) وَالطَّبْرَانِيُّ (٣١٢/١٠-٣١٣) بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ مِمَّا قَالَهُ لِلْخَوَارِجِ لَمَّا نَازَرَهُمْ أَنْ قَالَ: «أَتَيْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ لِأُبَلِّغَكُمْ مَا يَقُولُونَ، الْمُخْبِرُونَ بِمَا يَقُولُونَ، فَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَهُمْ أَعْلَمُ بِالْوَحْيِ مِنْكُمْ، وَفِيهِمْ أُنْزِلَ، وَلَيْسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ...»، وَفِي هَذَا التَّصَرُّفِ تَشَابُهُ وَاضِحٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَشْبُوهِ، وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ هَؤُلَاءِ رَأَوْا أَنَّ الْقُدُوةَ بِعُلَمَاءِ زَمَانِهِمْ قَدْ انْقَرَضَتْ، وَأَمَّا الْمَشْبُوهُ فَقَدْ مَدَّ الْقُدُوةَ إِلَى زَمَنِ الْجِيلِ الثَّلَاثِ كَمَا مَضَى، ثُمَّ قَطَعَهَا؛ لِأَنَّهُ مِثْلُهُمْ يَرَى أَيْضاً أَنَّ عُلَمَاءَ زَمَانِهِ لَا يَصْلِحُونَ لِلْقُدُوةِ!!

وَقَدْ ذَكَرُوا فِي تَرْجَمَةِ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مُبْعِضاً مِنْ قِبَلِ الْخَوَارِجِ؛ وَسَبَبُهُ مَا ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي «السَّيْرِ» (١٨٦/٣)، قَالَ: «وَكَانَ شَدِيداً عَلَى الْخَوَارِجِ، قَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً»، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ كَانَ الْخَوَارِجُ فِي زَمَانِهِ يُرِيدُونَهُ عَلَى الْمُوَافَقَةِ عَلَى الْخُرُوجِ، فَمَا أَفْلَحُوا، لَا مَعَ ابْنِ الْمُهَلَّبِ وَلَا مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ وَلَا مَعَ

غَيْرَهُمَا مِنَ الْخَارِجِينَ، حَتَّى اضْطَرُّوا فِي خُرُوجِهِمْ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عَلَى أَنْ يُكْرِهُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ رَوَى ابْنُ سَعْدٍ فِي « الطَّبَقَاتِ » (١٧٤/٧) بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنِ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: « وَاللَّهِ! لَا يُبْغِضُ الْحَسَنَ إِلَّا حُرُورِيٌّ! ».

وَرَوَى وَكَيْعٌ فِي « أَخْبَارِ الْقُضَاةِ » (١٢/٢) بِإِسْنَادِهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ قَالَ: « لَقِيتُ مَسْلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْحَيْرَةِ بَعْدَ هَلَاكِ ابْنِ الْمُهَلَّبِ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ! أَخْبِرْنِي عَنْ حَسَنِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ »، فَذَكَرَ لَهُ مِنْ سِيرَتِهِ الْحَسَنَةَ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ، حَتَّى قَالَ لَهُ: « حَسْبُكَ! حَسْبُكَ! كَيْفَ ضَلَّ قَوْمٌ هَذَا فِيهِمْ؟! يَعْنِي بِاتِّبَاعِهِمْ ابْنَ الْمُهَلَّبِ ».

قُلْتُ: يَعْنِي كَيْفَ خَرَجَ قَوْمٌ مَعَ ابْنِ الْمُهَلَّبِ الَّذِي خَلَعَ يَزِيدَ، وَفِيهِمْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي هُوَ أَحَدُ رُؤُوسِ الْعُلَمَاءِ، الَّذِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّخِذَهُمُ النَّاسُ مَرْجِعاً لَهُمْ فِي مَسَائِلِهِمْ؟! وَلَا سِيَّمَا مَا كَانَ فِي الْفِتَنِ وَمَا إِلَيْهَا، قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « كَانَ الْحَسَنُ - وَاللَّهِ! - مِنْ رُؤُوسِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفِتَنِ وَالِدِّمَاءِ »، رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي « الطَّبَقَاتِ » (١٦٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ زِيَادَةٌ: « وَالْفُرُوجِ »، أَي كَانَ مِمَّنْ يُفَزَعُ إِلَيْهِ فِي الدَّوَاهِي الَّتِي لَهَا تَعَلُّقٌ بِالْفِتَنِ وَالِدِّمَاءِ وَالْفُرُوجِ، وَنَحْنُ نَقُولُ: كَيْفَ ضَلَّ قَوْمٌ فِي الْجَزَائِرِ وَغَيْرِهَا وَقَدْ خَرَجُوا فِي حَيَاةِ أَمْثَالِ الْمَشَائِخِ الْكِبَارِ: ابْنِ بَازٍ وَابْنِ عُثَيْمِينَ وَالْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ؟!!

٦ - تَطَهَّرْ ثَمَرَةٌ هَذَا الْبَحْثِ عِنْدَ ظُهُورِ الْبِدْعِ؛ فَإِنَّ مَا أَظْهَرَ مَبْتَدِعُ بَدْعَةٍ قَطُّ إِلَّا صِيحَ فِي وَجْهِهِ: مَنْ إِمَامُكَ فِي هَذَا؟ بَلْ قِيلَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ وَمَنْ شَيْوُخُكَ؟

وَلَوْلَا هَذَا لَقَالَ مَنْ شَاءَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا شَاءَ، وَخَرَجَ إِلَى الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ فِي

سمت المسلم، يدعو الناس إلى ما يُريدُ باسمِ أن الحقَّ معه، وأنه ليس بحاجةٍ إلى أن يُبرزَ هويته العَلَمِيَّةَ، ولولا أن العِلْمَ سلسلةٌ موصولةٌ حلقاتها بعضها ببعضٍ لوقعت الكارثةُ، كما هو الشأنُ هنا، ولذلك روى عبدُ الله بنُ أحمد في « السنَّة » (٥٠٩) وابنُ بطة في « الإبانة/ تتمّة الردّ على الجهميّة » (١٥٦) عن عباد بن العوام قال: « قَدِمَ عَلَيْنَا شريكُ بنُ عبدِ الله منذُ نحوِ خمسينَ سنّةً، قال: فقلتُ له: يا أبا عبدِ الله! إنَّ عندنا قوماً من المعتزلة يُنكرون هذه الأحاديث؟ قال: فحدّثني بنحوٍ من عشرةِ أحاديث في هذا، وقال: أمّا نحنُ فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، وأخذ التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهمُ عمّن أخذوا؟!»، وسنده صحيحٌ؛ وسلّم بنُ قادم الذي في إسناده ثقةٌ، ترجمَ له الخطيبُ البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤٥/٩)، وحرف في نسخة « السنّة » التي حقّقها الدكتورُ محمّدُ بنُ سعيد القحطاني إلى اسم: أسلم، فقال محققه: « لم أجِدْ له ترجمةً فيما اطّعتُ عليه من مصادرا! ».

٧_ الاعتراضُ على العلماءِ في مسائلِ القتالِ وأتّهامهم بالجمودِ والتقصيرِ سنّةٌ خارجيّةٌ معروفةٌ، فقد أخرج البخاري (٤٥١٣) عن ابنِ عمرَ أنّه أتاه رجلان في فتنةِ ابنِ الزبير، فقالا: « إنَّ الناسَ ضيّعوا، وأنت ابنُ عمرَ وصاحبُ النبيِّ ﷺ، فما يمنعُك أن تخرُجَ؟ » الحديث.

وأخرج ابنُ ماجه (٣٩٣٠) بسندِ حسنه الألباني عنِ عمران بنِ الحصينِ قال: « أتى نافعُ بنُ الأزرقِ وأصحابه، فقالوا: هلكت يا عمران! قال: ما هلكت! قالوا: بلى! قال: ما الذي أهلكني؟ قالوا: قال اللهُ: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال ٣٩] ! قال: قد قاتلناهم

حَتَّى نَفِينَاهُمْ فَكَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ...».

تطبيق هذا التفهيد: لقد زارني في هذه السنة (١٤٢٢هـ) رجلٌ عرّف نفسه بأنّه كان (ضابطاً شرعياً!) في « الجيش الإسلاميّ للإنتقاذ » بالجزائر، وأخذ يشرح لي بأنّه ومن معه اضطروا لحمل السلاح على كراهية منهم لذلك؛ وزعم أنّهم لجؤوا إلى ذلك بسبب مضايقات الدولة لهم، فكُنْتُ أريدُ أن أنقضَ اعتذاره هذا بأمرين:

أحدهما: أن عذر الإكراه على القتل غير مقبول بإجماع العلماء. والثاني: أن ذكره لمضايقات الدولة لهم هو المنتصف الأخير لقصّتهم مع الدولة، وكان عليه أن يقصّ عليّ المنتصف الأول الذي عليه تأسّس ما بعده؛ وإلاّ فإنّ الجَميعَ يَعْرِفُ التّهديدات الدّمويّة التي كان رؤوسُ « الجبهة » يخاطبون بها الدولة والنّاسُ آمنون، فكيف يُصدّقكم سلطانٌ إذا ادّعيتم له أنّكم دعاةُ أمنٍ وهو يسمعكم في كلّ جمعةٍ تُنازعونه الأمر، بل تُكفرونه، لا سيّما خطابات الإضراب عن العمل التي دعت إليها « الجبهة » في ساحة أولّ ماي بعاصمة الجزائر، والتي اشتهرت بـ (إضراب سنة ١٩٩١م)، وما كان فيه من تكفير صريحٍ للسلطان، بل واستحلالٍ لدمه، وجندُ الدولة يُنصتون بلا أدنى كلفة، والأشرطةُ مُسجّلةٌ محفوظةٌ لدى خاصّة الناس وعامّتهم!!

يضافُ إليه تأييدُ رؤوسهم لبعض من حمل السلاح قبل ذلك بسنّوات، أعني خروجَ مُصطفى بويعلّي...

كلُّ هذا حصلَ قبلَ المضايقات، وعلى كلّ حال، فإنّني لم أذكرُ شيئاً من هذا لذلك (الضابط الشرعي!)، ولكن اختصرتُ الطّريقَ لي وله، فقلتُ له: لما

رَأَيْتُمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تُطَارِدُكُمْ، لِمَاذَا لَمْ تَتَّصِلُوا بِأَهْلِ الْعِلْمِ لِيُقِرُّوَكُمْ عَلَى الْخُرُوجِ أَوْ يَرُدُّوَكُمْ؛ فَتَبْنُوا عَمَلَكُمْ عَلَى قَاعِدَةٍ مَتِينَةٍ، وَتَكْفُوا أُمَّتَكُمْ شُرُورَ الْعَمَلِ الْارْتِجَالِيِّ، وَتَكْفُوا أَنْفُسَكُمْ شُرُورَ الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ فِي إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ الَّتِي يُمْلِيهَا عَلَيْكُمْ سَوْءُ ظَنِّكُمْ بِأَهْلِ الْعِلْمِ؟! أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوَهَا.

وَقَدْ قُلْتُ لَهُ هَذَا؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ زَعَمَ - بَعْدَ تَلْكَ الدِّمَاءِ الَّتِي أَرَاقَوْهَا! - أَنَّهُ

جَاءَ لِيَجْمَعَ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ!!!

فَفُوجِئْتُ بِانزِعَاجِهِ بِهَذَا السُّؤَالِ انزِعَاجًا شَدِيدًا، إِلَى حَدِّ أَنَّهُ رَفَضَ الْجَوَابَ! فَلَمَّا رَأَى إِصْرَارِي عَلَى السُّؤَالِ نَفْسِهِ، قَالَ: مَا كُلُّ النَّاسِ يَتِمَكَّنُ مِنْ

سُؤَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ!!

فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرَ نَقْصٍ فِي الْأَمْوَالِ فَلَقَدْ حَلَبْتُمْ مِنْ أَمْوَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَا لَا يُوصَفُ، أَمَا كَانَ يَسْعُكُمْ أَنْ تَقْتَطِعُوا مِنْهَا شَيْئًا لِدِينِكُمْ، فَتَعْرِفُوا مَا يُطَلَّبُ مِنْكُمْ شَرْعًا فِي تِلْكَ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ؟!

فَقَالَ: لَا تُخْرِجْنِي بِهَذَا السُّؤَالِ!

ثُمَّ ذَكَرَهُ الشَّيْطَانُ جَوَابًا آخَرَ، فَقَالَ: لَا يُشْتَرَطُ سُؤَالُ الْأَحْيَاءِ!!

فَأَدْرَكْتُ حِينَئِذٍ مَكْمَنَ الدَّاءِ مِنْهُ وَمِنْ جَمَاعَتِهِ، وَتَأَكَّدْتُ مِنْ إِسَاءَتِهِمُ الظَّنَّ بِالْعُلَمَاءِ، وَقُلْتُ: هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْعِلْمَ فِي الْأَحْيَاءِ قَدْ انْقَرَضَ، وَهَذَا يَجْرُ إِلَى تَكْذِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ فِي الْعُلَمَاءِ خُصُوصًا: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، انظُرْ «السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ» لِلْأَلْبَانِيِّ (٢٧٠) وَ(١٩٥٦).

ثم لما ذا اللياذ بالأموات، وهم عاجزون عن إجابتنا عمّا لدينا من تساؤلات، والأحياء من العلماء أفهم منّا لمراد الأموات؟! فأيقنتُ أن الرجل أدركته عنجهية الخوارج، وتذكرتُ إنكارهم على عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجوعه إلى حكم العلماء في زمانه، حين حكم أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقالوا: «حكمت الرجال في دين الله!»، يريدون الاكتفاء بالكتاب الكريم، نظيره قول هؤلاء اليوم: يكفينا الرجوع إلى كتب الأموات! فأتى عليّ عليه السلام بكتاب الله وكلمه ليكلم القوم بلا واسطة؛ تهكمًا بهم؛ لعلهم ينزعون عن بلادهم، فقد روى أحمد (٨٦/١) وأبو يعلى (٤٧٤) والحاكم (١٥٢/١) والبيهقي (١٧٩/٨) بسند صححه الحاكم والذهبي، وكذا ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥٦٨/١٠ - هجر) والألباني في «إرواء الغليل» (٢٤٥٩) عن عبيد الله بن عياض قال: «جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة ونحن عندها جلوس، مرجعه من العراق ليالي قتل عليّ، فقالت له: يا عبد الله بن شداد! هل أنت صادق عمّا أسألك عنه: تُحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليّ؟ قال: وما لي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم، قال: فإن عليًّا لما كاتب معاوية وحكم الحكمين، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه، فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى!

فلما أن بلغ عليًّا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه، فأمر مؤذنًا فأذن: أن لا يدخل عليّ أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما أن امتلأت الدار من

قرأء النَّاسِ، دعا بمصحفٍ إمامٍ عظيمٍ، فوضعه بين يديه، فجعل يصكُّه بيده، ويقول: أَيُّهَا المصحفُ! حَدِّثِ النَّاسَ! فناداه الناسُ فقالوا: يا أمير المؤمنين! ما تسألُ عنه؛ إنما هو مدادٌ في ورَق، ونحن نتكلم بما رُوينا منه، فماذا تُريدُ؟ قال: أصحابُكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتابُ الله ﷻ...».

قلتُ: هذه البلادةُ التي دعا إليها هؤلاء الخوارجُ عليًّا شبيهةً بالبلادة التي يدعونا إليها هؤلاء السياسيون اليوم والتكفيريون؛ وبدافع نفرتهم من العلماء الذين يفتوهم بما لا يهوون، فقد أعرضوا عن فتاوى الأحياء، وادَّعوا أنهم يرجعون إلى الأموات منهم، وهم يعلمون أننا إذا اختلفنا معهم في فهم كتابات الأموات، فإن أهلها لا يقدرُونَ على أن يخرجوا من قبورهم ليشرحوا لنا مرادهم!! والحقيقة أن وجه الشبه واحدٌ بين القوم وبين سلفهم؛ فإن خوارج حروراء ما رفضوا الرجوعَ إلى حكم الحكمين إلا لأهم لم يرتضوا حكمهما، فطلبوا الرجوعَ إلى الكتاب مباشرةً، كما أن هؤلاء طلبوا الرجوعَ إلى كتب الأموات مباشرةً دون الرجوع إلى الأحياء للعلَّة نفسها، فحقيقٌ بمن ابتلي بهم أن يفعل بهم كما فعل عليٌّ ﷺ، فإذا قالوا: يكفيننا الرجوع إلى كتب الأموات، فليجعلهم بين أمرين: إمَّا أن يقبلوا عرض الكتاب على عالمٍ، وإمَّا أن يأتي إلى كتابهم الذي اختاروه، ثم يستنطق ورقاته لتفصح لهم عما قصده صاحب الكتاب، أعني الميت!!

هذا ذكرته لبيان أن هذا الصنف من المتصدِّين للدعوة لا يرغبون إلا فيما يوافقون عليه، ولو وافقهم الأحياء على ما هم فيه لأتوا إليهم مدعين، وطاروا إليهم بجناحين!!

هذا هو الهوى الذي يكون من الأمارات الدالة على أن ادعاء من يدعي التَّحاكَمَ إلى نُصوص الشريعة إنما هو مجرد دعوى؛ لأن أتباعه لهواه يكذبه

ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِن رَّبِّهِ كَمَن زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد ١٤].

تنبيه: ما ذكره هذا الضابط هنا من أن الجيش الإسلامي للإنقاذ حمل السلاح مضطراً، وأن (من فضلهم!!) على الناس أنهم لا يُقاتلون إلا من يُقاتلهم من الدولة أو غيرها، قولهم هذا هو مذهب الخوارج؛ فقد ذكر ذلك أحد الخوارج الإباضية في كتابه « الخوارج والحقيقة الغائبة » (ص ١٣٠) نقلاً عن بعضهم قوله: « إنا لم نخرج لفسد في الأرض ولا لروع أحد، ولكن هرباً من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يُقاتلنا!! »، وانظر « الأنساب » للبلاذري (١٩٠/٥).

وأما أهل السنة فإنهم لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله؛ وقد قرؤوا في صحيح مسلم (١٨٤٧) عن حذيفة بن اليمان قال: « قلت: يا رسول الله! إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم! قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: نعم! قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: نعم! قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع - يا رسول الله! - إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع! ».

هَجْرُ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ أَبِي قَنَادَةَ

فَاتَّيْنِي يَوْمًا صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ بِأَحَدِ مَسَاجِدِ الْعَاصِمَةِ بِالْجَزَائِرِ، وَذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ الْعَتِيقِ بِمَنْطِقَةِ بئر خَازِمٍ، فَوَجَدْتُ جَمَاعَةً صَغِيرَةً جَدًّا فِي مَكَانٍ مُظْلَمٍ بِنَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَهَا، فَإِذَا بِأَحَدِ الْمُحِبِّينَ يَسْتَنْكِرُ عَلَيَّ ذَلِكَ بِأَدَبٍ، وَيَخْبِرُنِي أَنَّ تِلْكَ الْجَمَاعَةَ الثَّانِيَةَ هِيَ «جَمَاعَةُ التَّكْفِيرِ»، وَبِاصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ الدَّقِيقِ: هُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَتَأَسَّفْتُ وَشَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ: لَوْ عَرَفْتُهُمْ مَا فَعَلْتُ!

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ تَرْكَهُمْ لَصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ لَمْ يَكُنْ مُشْتَهَرًا عَنْهُمْ يَوْمَها، لَكِنْ خَالَجَنِي شَكٌّ وَأَنَا أُصَلِّي مَعَهُمْ؛ لِأَنَّ إِمَامَهُمُ الَّذِي صَلَّى بِنَا افْتَتَحَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَالصَّلَاةُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، وَالْجَمَاعَةُ مُتَأَخِّرَةٌ، فَبِمَجْرَدِ قَوْلِهِ: ﴿الْم...﴾ دَخَلَنِي الشَّكُّ، ثُمَّ قَوِيَ الشَّكُّ حِينَ وَجَدْتُهُ يَلْحَنُ فِي قِرَاءَتِهِ اللَّحْنَ الْجَلِيَّ؛ وَذَلِكَ لِأَنِّي أَعْرَفُ أَنَّ خَوَارِجَ الْعَصْرِ يَحَاوِلُونَ التَّشْبِيهَ بِعِبَادَةِ أَسْلَافِهِمْ - الَّذِينَ يَحْقِرُ الصَّحَابَةَ صَلَاتَهُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ! - وَلَا يَرْقَى بِهِمُ الْحَالُ إِلَى ذَلِكَ، لَكِنِّي دَفَعْتُ (هَذِهِ الْوَسْوَسةَ!) عَنِ نَفْسِي وَأَتَمَمْتُ الصَّلَاةَ مَعَهُمْ!

وَقَدْ أَخْبَرَنِي وَاحِدٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ ثُمَّ فَارَقَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي بَادِي الْأَمْرِ يَتَعَمَّدُونَ إِدْرَاكَ الْجَمَاعَةِ فِي آخِرِهَا، فَيَدْخُلُونَ مَعَ الْإِمَامِ فِي التَّشْهَدِ الْأَخِيرِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ، فَإِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ قَامُوا وَكَبَرُوا لِلْإِحْرَامِ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصُورَةُ صَلَاتِهِمْ صُورَةُ مَسْبُوقٍ، وَحَقِيقَتُهَا صَلَاةٌ مُنْفَرِدٌ، ثُمَّ رَأَوْا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْعَلَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، فَلَجَّؤُوا إِلَى الصَّلَاةِ بَعْدَ الْإِمَامِ مُنْفَرِدِينَ، ثُمَّ رَأَوْا أَنَّ يُؤَدُّوها جَمَاعَةً مَعَهُمَا كَلَّفَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ انْتَهَى بِهِمُ الضَّلَالُ إِلَى هَجْرِ بِيوتِ اللَّهِ لِئَوْافَقُوا أَسْلَافَهُمْ الْخَوَارِجِ، قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ فِي إِسْمَاعِيلِ بْنِ سَمِيعِ الْبَيْهَسِيِّ الْخَارِجِيِّ: «كَانَ جَارَ الْمَسْجِدِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَرِ فِي جُمُعَةٍ وَلَا جَمَاعَةٍ!!»،

أخرجه العُقَيْلِيُّ فِي « الضُّعْفَاءِ » (٧٨/١)، وَجَوَّدَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي « الصَّحِيحَةِ » (١٣٤٢/٧ — الْقِسْمَ الثَّانِي).

وَقَدْ كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يُبَدِّعُ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ وَيَهْجُرُهُ بِسَبَبِ أَنَّهُ كَانَ يَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أُمَرَاءِ الْجَوْرِ، فَأَرَادَ الْحَسَنُ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ الْآنَ لِعَدَمِ تَوْفُرِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ الثَّوْرِيُّ، فَفِي « السِّيَرِ » لِلدَّهْمِيِّ (٣٦٣/٧) عَنْ زَافِرِ بْنِ سَلِيمَانَ قَالَ: « أَرَدْتُ الْحَجَّ، فَقَالَ لِي الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ: إِنْ لَقَيْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ بِمَكَّةَ فَأَقْرِهْ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ: أَنَا عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَلَقَيْتُ سُفْيَانَ فِي الطَّوَافِ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَخَاكَ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحٍ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: أَنَا عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، قَالَ: فَمَا بَالُ الْجُمُعَةِ؟! ». «

قَالَ الدَّهْمِيُّ: « قُلْتُ: كَانَ يَتْرُكُ الْجُمُعَةَ، وَلَا يَرَاهَا خَلْفَ أُمَّةِ الْجَوْرِ،

بَزَعَمَهُ ». «

إِنَّ مُفَارَقَةَ الْخَوَارِجِ الْأَوَّلِينَ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشْهُورٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ شَوَاهِدِهِ التَّارِيخِيَّةِ، وَلَيْسَ بَعْرِيْبٌ عَلَى مَنْ كَفَرَ الْحُكَّامَ وَالْأُمَرَاءَ، وَأَمْرٌ بِهَجْرِ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَحَرَضَ عَلَى التَّمَرُّدِ عَلَى فِتْوَاهِمِ كَمَا مَرَّ، لَيْسَ بَعْرِيْبٌ عَلَى مَنْهَجِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِهَجْرِ الْمَسَاجِدِ أَيْضًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يَكُونُ لَهُ صِفَةُ (الرَّسْمِيَّةِ) يَكُونُ تَابِعًا لِلطَّاعُوتِ، كَمَا هُوَ التَّسْلُسُ الْفَلَسْفِيِّ لَدَى هَؤُلَاءِ، لِذَلِكَ وَجَدْتُ مِثْلَهُ فِي بَعْضِ كِتَابَاتِ الْمَشْبُوهِ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ، كَمَا فِي فِتْوَاهِ الَّتِي يُقَرَّرُ فِيهَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ هِيَ مَسَاجِدُ ضَرَّارٍ، تَبْطُلُ الصَّلَاةُ فِيهَا، كَمَا فِي وَرَقَاتِهِ الَّتِي بَعْنَوَانَ: « هَجْرَانِ مَسَاجِدِ الضَّرَّارِ! »، حَيْثُ قَالَ فِي (ص ١) مِنْهَا: « فَكَانَتْ الصَّلَاةُ فِيهِ حَرَامًا، وَعِنْدَ بَعْضِ الْأُمَّةِ - وَهُوَ الصَّوَابُ - بَاطِلَةٌ! ». «

وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا (ص ٤): « وَمَا تَدْخُلُ فِي مَعْنَى مَسْجِدِ الضَّرَّارِ وَيَنْطَبِقُ

عَلَيْهَا الْوَصْفُ الشَّرْعِيُّ، تِلْكَ الْمَسَاجِدُ الَّتِي بَنَاهَا الطَّوَاعِيتُ لَتُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَاؤُهُمْ

وتُسمى بهم، وهذه المساجد فيها الكثير من معاني الضرار؛ منها أنها بُنيت رياءً وسمعةً، وأموالها إنما بُنيت من سرقات هؤلاء الطواغيت، وبعضها من الربا والميسر!! «.

قلت: سترى - إن شاء الله - في القسم الثاني من هذا الكتاب أن مال المشبوه نفسه خبيث؛ لأنه يدعو إلى اللصوصية، ويعتبرها أحلّ الحلال!! ويجريُّ النَّاسَ - لا سيما أتباعه الجهال - على الفتاوى العشوائية، فيقول في (ص ٣): « لا يُشنع ولا يُعابُّ على مَنْ كَرِهَ أو حَرَّمَ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدٍ مَا لاعتقاده أنه بُنيَ ضراراً!! «.

وهو هنا يقصد نفسه بالدرجة الأولى؛ لأنه يترك الصلاة في بعض مساجد المسلمين؛ ليؤجر قاعةً يُصلي بالناس فيها الجمعة قريباً من المسجد الجامع، كما ستراه قريباً!

وقال في (ص ٤): « كلُّ مَسْجِدٍ بَقِيَ عَلَى ضِرَارِهِ وَلَمْ يُمْكِنْ إِصْلَاحُهُ فَلَا يَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَقْرُ فِيهِ أَبَدًا﴾...!!

أما في ديار العُربة فقد درجت سفارات الرِّدة على بناء مساجد، بعضها يختص لأهل بلد ما دون غيرهم من المسلمين، وتسيطر عليه هذه السفارة، وترغب أهل بلدها الذهاب إليه فقط دون غيره؛ حرصاً منهم على عدم تأثر رعيتهم خلال مكثهم في البلاد الأجنبية أن يصلوا في مساجد أخرى فتتغير أحكامهم على بلدهم وحكام بلدهم، وهذا عين الضرر، ومثلها التي تبنيها السفارات، وتسجلها باسم شركات أو أبنية خاصة؛ لتدوم السيطرة عليها، ويعينوا لها الأئمة والمدرسين والمؤذنين، ويجعلونها مباحةً ورياءً وسمعةً، وليختصوا هم بتفسير الدين على منهاجهم ورغبتهم، وتكون هذه المساجد

مَقْرَأًا لِلْمَخَابِرَاتِ عَلَى الشَّبَابِ الْمُسْلِمِ، وَفِيهَا يَجْتَمِعُ رِجَالَاتُ السَّفَارَةِ فِيهَا لِلْاِحْتِفَالَاتِ الَّتِي يُسَمُّوْنَهَا دِينِيَّةً، فَهِيَ تَحْمَلُ مَعْنَى: ﴿وَإِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

قلتُ: أصلُ هذا البحثُ هو قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة ١٠٧-١٠٨].

لقد استنتج أهل العلم من هذه الآية أنه لا يجوزُ بناءُ مسجدٍ إلى جنبِ مسجدٍ؛ لما فيه من تفریقٍ للجماعة الواحدة، كما هو واضحٌ من بعض التعليلِ المنصوصِ عليه في الآية، فكيف ساعَ للمشبوهِ أن يفتحَ قاعةً لصلاةِ الجمعةِ قريبةً جدًا من أحدِ المساجدِ الكبيرةِ في لندن؟!!

لقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يَرُغِبُ في أن تكونَ صلاةُ المؤمنينَ واحدةً، وكأدُّ يُوجبُ على مَنْ بعدَ جدًا عن المسجدِ ألا يُصَلِّيَ إلا في مسجده لولا المشقة، كما روى أبو داود (٥٠٦) بسند صحيح أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لَقَدْ أَعْجَبَنِي أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ الْمُسْلِمِينَ أَوْ قَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةً، حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْثُ رِجَالًا فِي الدُّورِ يُنَادُونَ النَّاسَ بِحِينَ الصَّلَاةِ، وَحَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ رِجَالًا يَقُومُونَ عَلَى الْآطَامِ يُنَادُونَ الْمُسْلِمِينَ بِحِينَ الصَّلَاةِ...».

ولا أريدُ أن أبعثَ بالقاريءِ عن منقولاتِ المشبوهِ نفسه، التي حُرِّمَ الاستفادَةُ منها، فمن ذلك قولُ ابنِ تيمية - رحمه الله - كما في «مجموع الفتاوى» (٤٦٩/١٧): «ولهذا كان السلفُ يكرهون الصلاة فيما يشبهه

ذلك، ويرون العتيق أفضل من الحديد؛ لأن العتيق أبعث عن أن يكون بُني ضراراً من الحديد الذي يخاف ذلك فيه، وعتق المسجد مما يُحمد به.»

وقول محمد بن رشد في «البيان والتحصيل» (٤١١/١): «وهذا كما قال مالك رحمه الله: إن من بني مسجداً بقرب مسجد آخر ليضار به أهل المسجد الأول ويُفرق به جماعتهم فهو من أعظم الضرر؛ لأن الإضرار فيما يتعلق بالدين أشد منه فيما يتعلق بالنفس والمال، لا سيما في المسجد المتخذ للصلاة التي هي عماد الدين، وقد أنزل الله تعالى في ذلك ما أنزل من قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِينَ بَنَوْا رِيبةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾...»

وقال البهوتي في «كشاف القناع شرح الإقناع» (٣٧٣/٢): «ويحرم أن يُبنى مسجدٌ إلى جانب مسجدٍ إلا للحاجة، كضيق الأول، ونحوه كخوف فتنة باجتماعهم في مسجد واحد، وظاهره: وإن لم يقصد المضارة، وعبارة (المنتهى): ويحرم بناء مسجد يُراد به الضرر لمسجدٍ بقربه.»

(المنتهى) هو «منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات» لابن النجار الحنبلي، ومن أقواله في ذلك أيضاً (٣٥٩/١): «وتحرم إقامتها وعيد - أي الجمعة والعيد - في أكثر من موضع من البلد إلا للحاجة، كضيق وبعث وخوف فتنة ونحوه.»

وللمؤلف نفسه شرح عليه باسم: «مُعونة أولي النهى شرح المنتهى»، والبحث فيه في (٣٠٢/٢ - ٣٠٣).

وقال ابن حزم في «المحلى» (٤٤/٤ - ٤٥): «ولا تجزئ الصلاة في مسجدٍ أخذت مباهةً أو ضراراً على مسجدٍ آخر، إذا كان أهله يسمعون نداء المسجد الأول ولا حرج عليهم في قصده، والواجب هدمه وهدم كل مسجدٍ أخذت لينفرد

فيه الناس كالرهبان، أو يقصدُها أهل الجهل طلباً لفضلها... وقد هدم ابن مسعود مسجداً بناه عمرو بن عتبة بظهر الكوفة، وردّه إلى مسجد الجماعة.»

قلت: قصة ابن مسعود ذكرها ابن سعد في «الطبقات» (٢٠٦/٦).

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» (٥٧١/٣)، وهو يعدُّ فوائد غزوة تبوك: «ومنها تحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورَسُولُهُ فيها وهدمها، كما حرق رسول الله ﷺ مسجد الضرار وأمر بهدمه، وهو مسجد يُصلى فيه ويُذكر اسمُ الله فيه؛ لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم أو تحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضع له.»

فعلى هذا يكون الواجب في مسجد أبي قتادة أن يُهدم؛ لأنه اتُخذ منافساً للمسجد الجامع الذي هو بجنبه، قال القاضي عبد الوهاب في «عيون المجالس» (٤١٥/١-٤١٦): «ولا يجمع الجمعة في مصر إلا في جامع واحد، في الأقدم منها، وبه قال الشافعي رحمه الله، وقال محمد بن الحسن رحمه الله: يجوز في موضعين، وقال داود - رحمه الله - وأصحابه: تُصلى الجمعة في مساجد العشائر كلها، وقال أبو يوسف رحمه الله: إذا كان المصر جانيب - مثل بغداد - جاز أن تُقام الجمعة في كل جانب منه، فإن لم يكن كذلك لم يجز.»

قلت: مثل مدينة بغداد؛ لأنه يشقها هراً دجلة شقيين.

ولإمام العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - كلام نفيس في هذا في كتابه «الأجوبة النافعة على أسئلة مسجد الجماعة» (ص ٤٦-٤٧) و(ص ٧٣-٧٤)، وأشار فيها إلى رسالة للسبكي في الموضوع بعنوان: «الاعتصام بالواحد الأحد من إقامة جمعيتين في بلد.»

هَذَا لَوْ كَانَ الْمَشْبُوهُ يَصَلِّي الْجُمُعَةَ فِي مَسْجِدِ جَامِعٍ، بَلْ وَلَوْ تَصَوَّرْنَاهُ فِي مَسْجِدِ صَغِيرٍ، وَإِلَّا فَإِنَّ صَاحِبَهُ فِي الدَّارِ وَشَرِيكَهُ فِي الْعَارِ عَبْدُ الْمَنَعِمِ مُصْطَفَى حَلِيمَةَ، الَّذِي يُكْنَى أَبُو بَصِيرٍ قَدْ فَضَحَهُ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ « حُكْمُ اسْتِحْلَالِ أَمْوَالِ الْمُشْرِكِينَ » وَهُوَ يَنْتَقِدُ الْمَشْبُوهَ، قَالَ فِي (ص ٢): « هُوَ نَفْسُهُ صَاحِبُ فَتْوَى مَسَاجِدِ ضِرَارٍ، الَّتِي قَاسَ فِيهَا الْمَسَاجِدَ الَّتِي تَبْنِيهَا الْحُكُومَاتُ وَالسَّفَارَاتُ وَالْأَحْزَابُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالطَّوَائِفُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى مَسْجِدِ ضِرَارِ الْأَوَّلِ، الَّذِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَدْمِهِ وَعَدَمِ الصَّلَاةِ فِيهِ، وَجَعَلَ حُكْمَهَا حُكْمَهُ مِنْ حَيْثُ وَجُوبُ الْهَدْمِ وَالْمُهْجَرَانِ !!.. »

عَلِمَا أَنَّ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ يَتَحَوَّلُ مُبَاشَرَةً بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ إِلَى مَرْقَصٍ وَمَلْعَبٍ لِلدَّاعِرِينَ وَالِدَّاعِرَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، فَمُصَلَّاهُ مَسْجِدُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَالْمَلَّةِ، وَمَا سِوَاهُ تَمَّا ذَكَرَ فِيهِ مَسَاجِدُ ضِرَارٍ!!
جَرًّا الْعُلَاةَ مِنْ قَبْلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ فَانْتَهَكُوا حُرْمَاتِ الدَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ، وَهَذَا هُوَ الْيَوْمَ يَجْرُئُهُمْ عَلَى بِيوتِ اللَّهِ، وَيُنْفِرُ عِبَادَ اللَّهِ مِنْهَا؛ بِدَعْوَى أَهْلِ ضِرَارٍ!!...
فَجَرًّا — بَفَتْوَاهُ الْجَائِرَةَ هَذِهِ — كَثِيرًا مِنْ ضِعَافِ النُّفُوسِ عَلَى الْجَرِيِّ وَرَاءَ الْحَرَامِ وَالسَّرْقَةِ وَالْعَدْرِ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ مِمَّنْ امْتَهَنَ السَّرْقَةَ وَاللُّصُوصِيَّةَ: كُنَّا نَسْرِقُ مِنْ قَبْلِ وَنَحْنُ نَشْعُرُ بِالذَّنْبِ وَالْإِثْمِ، وَالْآنَ نَسْرِقُ — بِكُلِّ فَخْرٍ وَعَيْنٍ وَقِيحَةٍ — وَنَحْنُ نَشْعُرُ بِأَنَّنا مَأْجُورُونَ مَجَاهِدُونَ!!

فَسَاءَتْ بِذَلِكَ أَخْلَاقُهُمْ وَطِبَائِعُهُمْ، وَفَشَا بَيْنَهُمُ الْكُذْبُ وَالْعَدْرُ وَالْحِيَايَةُ، حَتَّى أَصْبَحَ هَمُّهُمْ الْأَكْبَرُ كَيْفَ يَحْتَطِبُونَ فِي اللَّيْلِ وَفِي النَّهَارِ، وَكَيْفَ يَأْتُونَ بِالْأَمْوَالِ، وَلَوْ بِالطَّرْقِ الْمُتَلَوِّيَةِ الْحَرَامِ! «.

قلت: هذا الذي أخبر به صدق؛ فقد سألت بعض من أتق به من بلدي المشبوه اليوم فصدقه، فهكذا يقع في سبئتين: الأولى: أنه وصف مساجد المسلمين بالضرار، وقاعته التي يجمع فيها وحوشه على بدعته أولى بذلك، والثانية: أنه رماهم بتفريق المسلمين وهو قد فارق مساجدهم، فانظر إلى آثار تزوين الشيطان: يفارق مساجد المسلمين ليؤدّي صلاته في قاعات العهر والخنا، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَنْ أَللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ أَللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج ١٨]!!

كما أن هذا الذي ذكره أبو بصير هنا حق، لكن ليته خرج من المذهب كله بعد إدراكه غلو مشاركه في أصل هذا الفكر؛ لأن المشبوه بدأ من حيث انتهى أبو بصير الآن، فلا يؤمن على هذا الأخير أن يلحق بالركب يوماً ما، لا سيما وله فتاوى تدل على أنه ليس ببعيد اللهجة، وقد كتب كتابته في المجادلين عن الطواغيت، متهما بذلك العلامة الألباني وإخوانه من أهل العلم، فما هو ذا أبو بصير يكتب في المجادلين عن الطواغيت حسب فلسفتهم؛ لأنه كتب بعض الشيء في الرد على المواجهين (للطواغيت!) كما مر، ونحن نعلم أنهم جميعاً يرون أن الدعوة إلى الأناة وترك التسرع في التكفير والتماس العذر للمخطئ ما وجد إليه سبيل، كل هذا يرونه جدالاً عن الطواغيت!

وإنه ليسهل عليه أن يهتدي إلى الحق - إن شاء الله - لو عرف قدره فلم يتشبع بما لم يعط، وكذلك لو عرف قدر العلماء لم يتجاوز فتاواهم في هذه التوازل، ومهما خفي عليه من مسالكهم رجع على نفسه بالثهمة؛ لأن لكل ميدان فرسانه، والله الموفق.

وما كان من أبي قتادة من غلو لا يبعد عنه أبو بصير؛ لأن المنهج واحد أو متقارب، فقد نقلت قريباً تعييد المشبوه في أخذ العلم عن غير العلماء

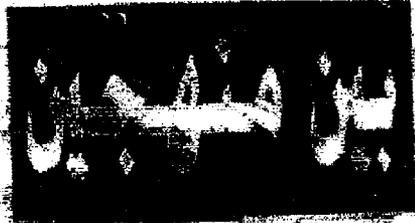
المعروفين، وكذلك فعل أبو بصير في بعض ما أفتى به، كما في فتاواه المعنونة بـ « مسائل متفرقة وردود سريعة »، فقد ذكر في فتواه رقم (١٢٨) أنه لا حاجة إلى اشتراط التزكية فيمن يؤخذ عنه العلم، وإن كان حاول حصر الكلام في تزكية العلماء: الألباني وابن باز وابن عثيمين، لكن يبقى أن هذا التقييد خطير؛ لأنه بسببه ظهر المشبوه وأمثاله، وانطلت بدعهم على المستشرفين لهم، بل إنه لا يعرف له ولا لغيره من المرتوين من هذا المشرب رحم موصولة بأهل العلم؛ بدليل أن أبا بصير نفسه لما سئل عن شخصه عجز عن ذكر شيوخه، بل جعل يتأسف من كون الناس لا يعرفونه، ولا يحاولون أن يتعرفوا عليه!! كذا في موقع « الحوار المفتوح في ميدان التوحيد للحوار » (ص ١٣).

فأين يجعل السلفي مقولة السلف كابن سيرين ومالك بن أنس رحمهما الله: « إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم »؟! راجع مقدمة الإمام مسلم لـ « صحيحه ».

أَبُو قَنَادَةَ يَطْعَنُ عَلَى الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ

لم يَصْبِرِ الْمَشْبُوهُ عَلَى الطَّعْنِ عَلَى الْحُكَّامِ دُونَ الطَّعْنِ عَلَى الْعُلَمَاءِ، كَمَا أَنَّهُ
 لَمْ يَصْبِرْ عَلَى التَّعْرِيزِ بِهِمْ كَمَا يَفْعَلُ الْحَرَكِيُّونَ الْيَوْمَ، بَلْ ذَهَبَ يُصْرِحُ
 بِالتَّشْنِيعِ عَلَى أُمَّةِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ، وَكَشَفَ الْقِنَاعَ عَنْ وَجْهِهِ، خِلَافًا لَطَّرِيقَتِهِ
 الْمَغْلَفَةِ الَّتِي يَلْجَأُ إِلَيْهَا أحيانًا، فَقَالَ فِي مَجَلَّةِ الْأَنْصَارِ، الْعَدَدِ (٦٨)، فِي (ص ٢)،
 بِتَارِيخِ: (٢٢ جُمَادَى الْأُولَى ١٤١٥ هـ): « وَقُلْنَا فِي الْعَدَدِ الْفَائِتِ أَنَّ (كَذَا)
 الْحَرَكَةَ السَّلَفِيَّةَ بِقِيَادَةِ شُيُوخِهَا الْأَوَائِلِ انْتَكَسَتْ فِي مَهْدِهَا فِي تَرْسِيخِ مَبْدَأِ
 عَدَمِ التَّقْلِيدِ، وَضَرَبْنَا عَلَى ذَلِكَ الْأَمْثَلَةَ، ثُمَّ رَأَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ قَدْ فَشَلَتْ
 فَشَلًّا ذَرِيعًا فِي تَجَلِيَّةِ مَقَاصِدِ النَّاسِ فِي تَحْقِيقِ الْمَرَادِ وَالْمَهْدَفِ، وَهَذَا الْفَشَلُ وَقَعَ
 عَنِ طَّرِيقِ لَمَّاتِ إِبْلِيسَ فِي إِفْرَازِ أَسَالِيبَ جَدِيدَةٍ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَلَمَّاتِ
 إِبْلِيسَ فِي بَثِّهِ وَنَشْرِهِ!!! ».

صورة المقال السابق



أبو قلادة الشيباني

وفي أي وقت لاحق عن جبل الصحابة رضي الله عنهم لا بد أن يكون
 بتجلية هذين الكثرين في نفوس المستنيرين - فتجلى بها إزالة عبائر
 المشركين الذين قد يكونون يفتخرون بمدين الأبرار المعتبرة في الدواعي
 التي من أعظم منسجحات حصول العلم النافع التام كالتفصيل من
 التخليد في القلوب المظلمة لئلا تيسر الله . فتجلى العلم في نفسه
 ووضوحه وجلاله لا يكون برتبة واحدة من التخليد التام بل هو
 التبع الفاعل الذي لا يتوقف على العلم الصائت أن الحركة السلفية
 بقيادة شيوخها الأوائل انتكست في مهدها في ترويض مبدأ عدم
 التقليد ، وضربا على ذلك الأمثلة . ثم إن هذه الحركة قد
 أشعلت في نفوس علماء عصرنا من علماء التأسيس في تحقيق المولد والنهضة
 . وقفا الفشل وقع عن طريق طائفة إلهيس في إقرار أساليب جديدة
 في تحصيل العلم ، ولما لم يلبس في بشرة ضيقة [فإليك الشرح
 والبيان :

إن هذا العلم هو ما هو شعار المسلم على مدار التاريخ ،
 فطلبه له دين ، وطلبه في الناس دين ، هذا والدين مرتبطان بمرم
 الدين - أي بمرم الشهامة - وكانت قوة العلم في نفس المسلم تكسبه
 عن طريق جهده وتعبه لتحقيق عبودية الله عز وجل . فهو يتعلم
 لتحقيق دين الله في نفسه وفي الناس . يتعلم هذا كان أهل العلم
 دائما يفتخرون بدينهم في كل زمان . فطلب العلم في هذا الدين ، وإن من
 أعظم البشر أحرارهم في كل زمان . فطلب العلم في هذا الدين ، فالحفر منهم واجب
 . والمحرص من عدم ولوغهم في هذا الدين مهمة ضرورية ، ولكننا
 لم نضعل ونهنا عن طريق صور متعددة واضحة ووضوح الشمس في
 رابعة النهار .

والآن كيف استحوذت علينا هذه العقيدة الضالة وأصلها

إن من أعظم المصائب التي أصابنا في العلم مرتبطا بانحطاطه حتى لو
 كان العلم في كل زمان . فطلب العلم في هذا الدين ، فالحفر منهم واجب
 يشهد أصحابه عن طريق قانون الحاكم ودمتوره .
 كان العلم عند الأوائل يدرس بطريقة مفتوحة ، فيجلس العالم
 في المسجد (بيت الله لا بيت الحاكم) ويدخل عليه من شاء من
 الناس ، فيطرحون إليه ويستسمعون لدين الله منه ، وتتفاوت درجات
 طلبه العلم بقدر اهتمام من هذا العالم . وحرصهم عليه ، ونباهة
 وذكاء الطالب . فطلب العلم الطيبة ، فيشهد لهذا بالعلم ، ويحكم
 على هذا بالصحة في الطلب ، فيطلبه الطيبة ويؤثرون حسب ميزان
 الحق . هو أفضل ميزان سنني في هذه الحياة . ثم يتقبل الطالب

إن حركة الصيوان لا تقبل التوراة منه ، والإرادة
 تتحرك من أسرى التوراة تشبهاً إلا بهما ، وهما :
 العلم والخلق ، وفي ظل في أحدهما بشي . خلا
 في التوراة ، والتميز يكون فساد العقل ، والشرع
 الخفيف العظيم حذو الصيوان علوم البشر وتطورها ،
 والاحتفاظة عليها من ذخائن الوهم والظن . فتفسر
 المعرفة . فكلها من أعظم ما يصيب الإنسان في
 العقيدة . وهي السبب الرئيسي لفساد العقل والوهم والظن
 في الدنيا والآخرة . وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْحُكْمُ كُلُّ
 مَا يُرَادُ فِي دِينِكُمْ يُرَادُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ حُكْمُهُ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .
 فطلب العلم في هذا الدين ، فالحفر منهم واجب
 . فطلب العلم في هذا الدين ، فالحفر منهم واجب
 . فطلب العلم في هذا الدين ، فالحفر منهم واجب

والقرآن الكريم شعار الإنسان ، ووضعه على
 نفس الإنسان ، وجواب عليه الظن والوهم والكذب ،
 إن تعالينا : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ
 وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ مِنْهُ مَحْضُورًا ﴾ .
 هل العنان والذوائع لتصل الصفات التي هي
 ليتقاسم المتقربون . ﴿ وَجعل العلم الفعالة مقصده
 حصول رضا الله تعالى ، ﴿ وَجعل العلم خير مما
 يحور . ﴿ . ﴿ وَجعل العلم من الله العليم . ﴿ وجعل
 يربو من آثار من علم المسلم في ليله ونهاره ﴿ فمن
 يربو من العلم وأهل العلم في كل زمان . ﴿ ويطلب العلم
 ﴿ إن يربو من العلم ويستقيم . ﴿ الخالي من
 العلم ، والبعيد عن المراتب العقول والأراء .
 في العلم الخرد تنطوي على المسلم المتخصص في
 حركة التجهيز في العلم في كل زمان .

النقد: في هذا الكلام كالتصريح من المشبوه على أنه غير سلفي، وأنَّ الدَّعوة السَّلفيَّة عنده ليست هي دعوة الطائفة المنصورة، ما دام يطعن عليها بهذه الطعون الفاجرة؛ فإنه طعن في إخلاصها الذي سمَّاه بمقاصد النَّاس، وطعن في متابعتها التي ذكرها بمقابلها، ألا وهو التقليد الذي وصف به شيوخ الدَّعوة السَّلفيَّة الأوائل، ولا ريبَ أنَّه يقصدُ الأئمةَ المعروفين اليوم: الألباني وابن باز وابن عُثيمين وغيرهم من أقرانهم الذين ألقوا جماعات التَّكفير، رحمهم الله جميعاً أحياءً وأمواتاً، وسيأتي تصريحُ المشبوه بأسمائهم، فهل آن لأتباعه من المنتسبين إلى الدَّعوة السَّلفيَّة أن يستيقظوا!؟

لعلَّ الأذكياء من أتباعه قد فهموا سبب انتقال هذا الرَّجل بين العُلاة من جماعات التَّكفير كـ « الجماعة الإسلاميَّة المسلَّحة » التي في الجزائر والأحرى التي في مصر، وبين المتظاهرين منهم بالاعتدال المتسمين تدليساً بـ « الجماعة السَّلفيَّة للدَّعوة والقتال » أو « حُماة الدَّعوة السَّلفيَّة »، وبين عُلاة السِّياسة منهم كـ « الجيش الإسلاميّ للإنقاذ!!!»

وتأرجحه هذا بين جميع الجماعات الدَّمويَّة أكبر بُرهانٍ على أنه ليس سلفياً؛ وإلاَّ فمن تكون هذه الحُسناء التي يخطبها الجميع!؟
ولهذا قلتُ: إنَّه مشبوه، وذكرتُ لكم أنَّ الشَّيخ الألباني - رحمه الله - كان يشكُّ في إسلام أصحاب هذا التَّوجه أصلاً، والحقيقة أنَّ كلَّ ما يُخفيه المرء عن غيره لإرادة السُّوء يُظهره اللهُ، وقد قيل:

ومهما تَكُن في امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على النَّاس تُعلم

ذلك لأنَّ الله يقول: ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة ٧٢].

إنَّ المشبوه دائبُ الطَّعن على العلماء؛ بُغية صرْف النَّاس عن علمائهم الحقيقيين، ولا أريدُ أن أُطيل هنا التَّقلُّل عنه؛ لأنَّك لو رجعت إلى مجلَّته (الأنصار) لوجدتَ ذلك جلياً في كلِّ أعدادها المطبوعة، ولكنني أنقل إليك -

أخي القاريء! - كلامه من خطبته تلك، فقد قال عند ابتداء الخطبة الثانية منها في تزكية وحوشه في الجزائر، قال: « قال الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت ٦٩]، ليس هناك في الدنيا أحدٌ أهدى من المجاهد، ليس هناك أحدٌ في الدنيا أهدى من المجاهد؛ لأنه هو الذي يعيشُ المعركة، وهو يعرفُ وقائعها، وهو يعرفُ ظرفه، لا يمكنُ أن يُقال قولٌ - لا مني ولا من غيري - حتى يُرجع إلى أصحابِ الشأن! من هم أصحابُ الشأن؟ أصحابُ الشأن هم أهل المعركة، من العلماء، ليس من الجهلة، فالجاهل لا قول له، لا مجاهداً ولا غير مجاهد؛ إنما عليه أن يستمع، فنحنُ نَصِفُ أن أولئك المجاهدين هم على فكرٍ وعقيدة أهل السنة والجماعة، وأنهم اختطوا طريقَ السلف، وأنهم لا يفعلون فعلاً إلا وقد تأولوا فيه، قد تأولوا فيه، وأن لهم دليلاً شرعياً، فنلقي إلى الله بأعذارهم، نُلقِي إلى الله بأعذارهم، ونتقرب إلى الله بحبهم، لعلَّ الله سبحانه وتعالى ينصرهم أو لعلَّ الله يتقبلنا نحن وإياهم شهداء...!! ».

وقال: « فأقلُّ ما يكون أن تُوالي أولئك القوم، ولا نقفُ على شفا جُرف هار، حيث هبت ریح ملنا إليها، وكأننا ننتظر شُبهة ما تُثار إلينا أو تُساقُ إلى عُقولنا!

اللهم إننا نسألك أننا نحبُّ أولياءك المجاهدين في سبيلك على أرض الجزائر المسلمة...!! ».

النقد: إنه يريد أن يُثبت للناس أن أصحاب الفتوى الشرعية - الذين سمَّاهم بأصحاب الشأن مشاكلةً للفظ خصمه - هم الذين في الجبال يُقاتلون المسلمين باسم قتال طوائف الردّة!

ثم وصف أصحاب الشأن من المقاتلين بـ (العلماء)؛ تمويهاً أولاً، وصرفاً لوجوه الناس عن العلماء الحقيقيين ثانياً!

فنحنُ نسأل المنصفين من أهل الجزائر وغير المنصفين أيضاً: أوجد في

صفوف أولئك الثوار عالمٌ واحدٌ، فضلاً عن أن يوجد فيهم علماء؟
والجواب معروفٌ لا يختلفُ عند المنصفين وغير المنصفين، إذا فأين هم
أصحاب الشأن؟!!

ولاً أدري ما جوابٌ هؤلاء إذا قيل لهم: لماذا كان خالد بن الوليد رضي الله عنه -
وهو سيفُ الله المسلول - يرجع في الفتوى إلى ابن عباس وأترابه؟
هذا مع الفرق الكبير بين التشبيهين.

إن المشبوه يريدُ عزلَ النَّاسِ عن علماءهم، ونفخَ رُوحَ العُرُورِ في أوساط
أصحابه الثوار بأن الفتوى منهم وإيهم، لا غير!!

بل لقد تأسَّفَ في كتابه « الجهاد والاجتهاد » على عدم تمرد النَّاسِ على
علمائهم، فقال في (ص ٢٤٨): « وأهمُّ هذه البواعثُ فُقدانُ رُوحِ التَّمردِ،
والرَّغبةُ في التَّقليدِ المريحِ الذي يُسقطُ عن المُسلمِ الكَسولِ الخاملِ تَبعةَ المُساءلةِ
الأخرويةِ، وتبعةُ ثمنِ التَّضحيةِ في مُخالفةِ عوائدِ النَّاسِ وإيلافهم، وهؤلاء وإن
رفضوا مقولةَ العوامِّ: (قلدها لعالمٍ فتخرج سالم)، إلا أنَّهم في الحقيقة يعيشونها
شعوراً حاضراً لا يغيبُ عن أذهانهم، وهؤلاء أبعدُ النَّاسِ عن الدُّخولِ في زُمرَةِ
التَّجديدِ والإحياءِ، أو الوُلُوجِ إلى شِعَارِ تَصْفِيَةِ الحَقِّ من دَخَنِ العُقُولِ
والأهواء!! ». »

أبوقنادة يرى أن السلفية حوت على مذاهب بدعية منحرفة

لقد تضايق أبو قتادة من العلماء السلفيين؛ لأن فتاواهم كانت تحاصر فكره، وسهام حجّتهم تُدحض حجّته، فتصيب منها مقتلاً.

والذي ربى في صدره الحقد عليهم هو ما وضع لهم من القبول في قلوب الناس، فالألباني - رحمه الله - يُناجي سائله عبر الهاتف من على جبال عمّان، فإذا بكلمته قد انتشرت في أقصى أودية المغرب، ويستخلص شريط لابن باز - رحمه الله - من سراديب الحركيين بعد لأيٍ شديد، فلو رأيت حرص أهل الأثر على سماعه وهم يُعالجون بحّة صوته وبحّة الشريط من طول ما سُجن، ومشقة فرز كلماته من غير كلال، ثم يبلغون به حيث بلغ الحق، الأمر الذي فتت كبد أبي قتادة الغليظة حسداً، فلم يشعر إلا وهو يأكل لحوم العلماء في العشر الأواخر من رمضان، فقد قال في (٢٤ رمضان سنة ١٤١٥هـ)، في العدد (٨٥) من مجلة الأنصار، في (ص٥): «ومشايع السلفية المعاصرة لتفرغهم لبعض القضايا، وعدم اهتمامهم بالواقع الجديد، أو لنقل بكل صراحة: لأنهم ما زالوا أسراء لقضايا لا تمت إلى زمانهم بصلة، فإن عباءة السلفية صارت حاوية على مذاهب بدعية منحرفة!!».

قلت: مع هذا الوضوح في محاربتة الدعوة السلفية، فإن قوماً يدعون له السلفية، والأغرب منه هو استناد المشبوه إلى فقه الواقع للطعن على هذا الطراز النادر من أهل العلم اليوم، ذلك السند الذي لا يزال نعهده ممن عرفوا به ولم يعرفوا بالاحتفاء بعلم الشريعة.

صورة المقال السابق

من جميع المصنفين

بين منهجين

الشيخ أبو القناد القاسمي

المسلم دوماً يفرقه الحكم الشرعي ، بل هو من مرفق في قضية ما إلا بعد أن يطلع على حكم الله تعالى في نفسه ، والأحكام الشرعية هي التي تعصم المرء من الأخطاء الكفائية والتصورية ، وهي كذلك تمنع الكثير من الاختلافات بين البشر ، لأنه لم ترك ليشتر وما هم عليه من رأي في الحكم فكان كل واحد فكر يوازي ، ولشعب عظيم عمل كل سعياً في كسرى يصعب محسوها أو توقيفها ، حين هنا فإن الداعين إلى الوحدة بين الطوائف والفرق ، والجماعات ، لابد لهم من أساسات العمل الذي يحدون إليه ، والوحدة لهم في كل شيء ، وإنا لقصدوه هو المنهج الذي يلتصق حوله ، وهو عمل الله تعالى كما قال سبحانه - واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا - فمقصود الآية بوليها مجرد الإهتمام وعدم التفرق ، بل بقصد الآية : هو الإهتمام بحبل الله ، ليس في دينه وشريعته ، بل في أساسيات الجماعات الإسلامية اليوم تتخلف من المنهج الشرعي المعتمد ، ويشعر بالثقل من هذه الأرائق والمواقف بالفاط شرعية واضحة ، فهي تخاضع من لفظ : الكفر والردة ، وتختلف من لفظ : البدعة والضلال ، ويختلف من لفظ : فسوق والمعصية ، لأن لفظ الألفاظ هي لفاظ محدثة ، وإذا أطلقها المرء إلا أنها تحصل في داخلها بوقفاً سلوكياً لا بد أن يتبع هذا للفظ (الحكم) أو محاسبته ، وترك الحكم الشرعي يصح المرء بالجماعة عبودية فكرية سلوكية ، وهي بالتالي تتفرق وتتأخر ، جماعات الكفر والهجرة خرجت من عبادة لإخوان المسلمين ، شاعت الجماعة أن تعرف م لا ، وصورة مرفق الإنسان الجديد يفكر لإرجاء المنحرفة ، وأخطرت القضايا الشرعية

التطهية لم تغير نفسها إلى أي هيئة قبل ، وصحبه بعض الإخوة من العمل التطهري في صفوف الإخوان المسلمين في بعض الظروف لأنهم لا يكفرون الملك حسين ، فهم يرونه مبدعاً فاسقاً ، ثم دارت الدائرة وقد جسدوا من العمل التطهري مرة أخرى لأنهم يعتقدون كثر الملك حسين ، وأنه لا يرضى عن أسبب الأجنبي على الناحية في هذه الجماعة أن يعترف خطياً جامعاً حكم هذه الجماعة على الواقع ، ومعلوم تلك الجماعات التي مس زالت تدور في فلكه الإخوان المسلمين مع شيء من التجهيز والتؤين ، فالاستقاء جديد سرور زين العابدين ، وإلى اليوم يشكك غضبه إذا طفت بعد الحكم الشرعي في الحكم العرب ، ليرد عليهم بأنهم مبرمون ، وإذا أريد السجدة مع التسمية على ضرورة بيان الحكم الشرعي - مسلم - كافر ، فلا تجد من إلا المتعجب ، وقد يكون هذا الضميمة في زمن غيرنا ، بأن الشيخ يخاف أن يكون السؤال من المنازعات والمجاسيس ، وكان هذا الأمر مما يجرى للمسلم كتمه ، أو هو من الأمور التي تدخل في دائرة السرية للجماعات المسلمة ، مع أن مبدأ الجماعة الأم (الإخوان المسلمين) هو عليه الدعوة وسرية التنظيم ، مع الإحترام والتقدير لعني هذه الألفاظ في المعاصير والتغيير لبعض القضايا ، ويجب اهتمامنا بالرقم الجديد ، أو أن يكون حياً لا يتغير مع الأوقات أسراً لتخصها لاقت إلى زمانهم وصله ، فإن عبادة الملاحية صارت عبودية على ملاحية منحرفة ، فتكون محنة بين إبراهيم شقراً - طينة الطيناني - لذكر في كتاب له بعنوان : تبييننا المعاصر بين التكفير الجائر والإيمان الخالي - طبع المكتبة الإصلاحية

بالتأوين ، وبعد أن تعاليم على عباد الله تعالى يتحول : وإنا أصدرت الكفاية في هذا المصنف المهم المخطوط ، فلتصرف المسلمون على مختلف طرائقهم ، مستخدمين بهم واتجاهاتهم بالذوق العلمي الخلق في دراسة المسائل ، وحل المشاكل ، وهذا ما يجب في مثل هذه المسائل الشائكة ، فليس هذا المسألة المرجى بعد هذا القول : - الإنسان إذا تطق بالشبهة ، فإنه يفسد قلبه ، واعتقدها ، وإيمان بحتمها كله ، فهو مستحق أن اجترح للعاصي كلها ، مما ظهر منها وما بطن ، ما لم يصاحبها ، وهذا التصريح من ص 37 .

المرجعية في التفسير ، فكأنه يقول لا يتصور الإيمان معصية ، ولأنه يشترط الخلق في التفسير لجميع الفروع ، سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة ، وفي كتاب آخر تخصصه آخر ، بل للمسلمين الذين تتكلموا على درب الإرجاء الملقى في مثل الباب فيما : مؤلف الكتاب ، مراد شكري ، ومراجعته ، على حسن عهد أحمد الطناني الأثري ، هذا الكتاب هو : التفسير المفسر لأحكام مسألة الرضا ، حيث يفسر الكتاب والفراجم : أنه لا يوجد في الدنيا إلا كفر التكذيب لمسيح الذنوب المكفر أو يهين المكفرة ، حيث يقولان : لا يكفر التكفير إلا إذا كذب النبي صلى الله عليه وسلم في يومها ، به وأخير ، سواء أكان التكفير مجرداً كوجود إبليس وقسوسه ، أو تكفيراً بمعنى التكفير (ص 13) . وهذا القول هو قول شيخ المرجنة كذلك إذ أنهم

ووصف العلماء السلفيين بالإغراق في سبيل المجرمين، فقال أيضاً في العدد (٦٨) من المجلة نفسها، في (ص ٣)، بتاريخ: (الخميس ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٥هـ): « وللأسف أن الحركة السلفية قبلت هذا السبيل سبيل المجرمين، وولج مشايخها فيه إلى آذاهم!! ».

قلت: هكذا يطلق الكلام في العلماء السلفيين، فهل يقدر سلفي على أن يفوه بمثله؟!

إذاً أين هو الانتساب إلى الطائفة المنصورة؟!

وأين الولاء لها والبراء من عدوها، وقد قال رسول الله ﷺ: « المرء مع من أحب » متفق عليه؟!

صورة المقال السابق

تم من الذي يسمح له بالتعليم في هذه الأمانة الطاغوتية ؟ هل هو كل عالم و فقيهه ؟ أم أنه من ملك شهادة الطاغوت ؟ أم أنه من يملك شهادة الطاغوت ؟ أم أنه من يملك شهادة الطاغوت ؟ أم أنه من يملك شهادة الطاغوت ؟

الحياة من وليمة ووزق بهذه التفتيح. لهذا التفتيح شهادة تعطي للدارس أي علم ديني أو فاسد كدارس المنهج وعلمه بالدين المصحح بأمانتها . أو دارس المنهج والفتنة . فمعها في نفس المكان والفتنة دارس علوم الإسلام والتشوية . وكل واحد من هؤلاء له نفس الفتنة وخاضع لنفس القانون والفساد .

وهذا من طائفة الطاغوت الجلال أن الناس لم يعرفوا بحرارة العلم وأهل العلم إلا بفناء ما يريد الطاغوت وجه هذا الرجل وينشر أمره ليكون للناس خائفا . فبقرار طاغوتي يؤسد أمر القضاء بين الناس في المحاكم الشرعية أو للرجل يسيء الطاغوت جالما . ويقرر طاغوتي يؤسد أمر الفتوى ويشوهها في هذا البلد إلى رجل يسمى الطاغوت علما .

وهذا من طائفة الطاغوت الجلال أن الناس لم يعرفوا بحقيقة العلم على الناس ، وتنتشر أن العلم على بقية البلدان .

إليك هذه الحكاية :

عني بلاء خارج الأمانة كان يوجد فيها طالب في رسته قلبه على الشهادة ، وغشا عليه في دراسة من شريعة الإسلام ، وقرر النظرية الخاصة بعمله التي هي شهادة الدكتوراه . هذا الرجل كائن تركه حين سحره حماركة . رأته فيه خصائص وميزات . فهو يتخاطب مع الأتجار بسعر الدولار . وكله خلال تدريسه في بيت الطاغوت (الجامعة) يشتري من الطلبة الكتب والأبحاث ليضع عليها اسمه . أو يكتب العناوين الخاصة هذه الأسماء ، وهي تفتيحها حق التقدير . وقعت منزلته بأن جعلته رئيسة لجنة الجامعة . وأثبت قدراته خارجه في إدارة الأمور ، والتفتيح بين النفط والأفكار من الإدارة والتمهيدية . لم يفتح الطاغوت جهوده ، حياء بكل عناية ، وقرر جهوده الرقعة ، وقرار نظم مساهمات هذا الدكتور وزيراً للأوقاف والتحديثات الإسلامية . ويصح النوم بأحضانها .

والحقيقة بقية إن هذه الأمانة

إلى علم إلى غير مستزيد بمسب مراده وهدفه ويراهل له علما وشهرة ، ويزداد الشهرة بالوشح والتجارب ، وحين يوزن هذا الرجل على العلم حينئذ يشترطه بضرورة حيادية من أهل العلم ، فهو رجل علم . وكان من ميزه على الأمانة هذه عن الأمانات الجانبية فلا قانون سوى قانون الجدة بتهلا . ولا مؤونة الطاغوت بولفتين له كذلك فلهذا فاسد مقصد من قوله ، بل هم الطالب أن يفتتحوا عينين في هذه الأمانة . وهذه الطريقة في الطلب كل شيء أمتنا التي صارت بلا اعتبار فاسدة ولا حجة غيبية ، فكانوا على اليوم يراس هذا الدين حسانه . وتنتشر الخلق صادقة للصدق قية حميد الدين .

تم وقته الخاصة :

بشخص الطاغوت هذا الفغل التي يتسرب منه الحق ، فلا بد أن يفتحه ، ويضع له القوانين الطاغوتية الخاصة ، فأنشأ معات (الأكاديمية) الخاصة بالشهادات الخاصة . له جهة الحياة والتم العلم بوجهه . فأنشأ في الحركة فبتهيات هذا السبيل (بغير المبررين) في الخلق الطاغوتية إلى أذنيه :

فمن على الرجال أن تشارك في الشهادة . فتصبح الرقعة شاري ، وتلحق التعليم بضرورة الأمانة الخاصة ، فتخرج من خلالها أن فيز المساهم المستفيد من التعليم . لأن قانون هذه الجامعة هو قانون طاغوتي قائم على أصله الجديد من مقاصد الشريعة . فالعلم هو على كل مسلم أي وقت يشاء . ويصح بهذا لكل طالب ، وعلى قانون أن يكون خادما للعلم الأمر لا يفتتحه له ولا مطلقا له .

ون الجامعة الإسلامية (أي جامعة إسلامية) هي التي تبتطل لهذا القانون ، فلا يسمح بغيرها قبل البتة (بيت غوث) إلا أن يأذن له الطاغوت . ولا يصح شهادة العلم من بأذن الطاغوت ، ولذلك ليس مستصحب أن يفتتح به ما العلم في جامعة خاصة أن يتخرج من طائفة العلم ثم امتحانها فترا لشهد له بالعلم . أن أي رجل يفتتح له من هذه المنشأة الطاغوتية فيحرم لقب العلم ، فلهذا لم يادن الطاغوت

غمز فاضح: قال أحدُهم تحتَ عنوان « العَدْلُ في النَّظَرَةِ الشُّمُولِيَّةِ للإسلام »: « فَالتَّحزُّبُ على جُزءٍ من الدِّينِ ونِسيانُ الأجزاء الأخرى هو من ميراثِ الأُمَّمِ الهالكةِ، ومن أعظمِّ أسبابِ الفُرقةِ والخِلافِ بين الدُّعاةِ، فتجدُ طائفةً من المسلمين تهتمُّ بالإسلام التَّعبُدي... »

وتجدُ فئَةً ثالثةً عُنيَتْ بالإسلام العِلْمِي، فهي تتعلَّمُ السُّنَّةَ والحديثَ، وتشتغلُ ببيانِ صَحيحِها من سَقِيمِها، وتُحذِّرُ الناسَ من رِوايةِ الأحاديثِ الضَّعِيفَةِ والمَوْضوعَةِ، وقد يَصُحِّبُ ذلكُ شيءٌ من الجِفاءِ أو ضَعْفِ التَّعبُدِ أو الغفلةِ عن واقعِ الأُمَّةِ وما يُدبِّرُ لها!!!».

هذه النَّفْثَةُ الخَلْفِيَّةُ المَسْمُومَةُ لِيَسَتْ من نَفْثاتِ مُحَمَّدِ العَزالي، ولا الدُّكتور القرضاوي، إنَّما هي نَفْثَةُ رَجُلٍ عاشَ بينَ أهلِ الحديثِ، إنَّه الشَّيخُ سلمان العودَةَ في كتابه « من أخلاقِ الدَّاعيةِ » (ص ٥٨ - ٦٠)، وهذه الفئَةُ التي طعنَ عَلَيْها لا تُخْفَى على القاريِّ، بل هي معروفةٌ لدى المسلمين منذُ القرنِ الأوَّلِ من تاريخِ هذه الأُمَّةِ، فهل سمعتَ بصاحبِ سُنَّةٍ يَجفُو أهلَ السُّنَّةِ بمثلِ هذا؟! إنَّ الوقِيعَةَ في أهلِ الأثرِ من علاماتِ أهلِ البدعِ، قال أبو مُحَمَّدِ عبدِ الرَّحمنِ ابنُ أبي حاتمٍ رحمه اللهُ: « سمعتُ أبي يقول: وعلامةُ أهلِ البدعِ الوقِيعَةُ في أهلِ الأثرِ » أخرجه اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٢/٢٠٠).

وإذا كان التَّحزُّبُ على جُزءٍ من الدِّينِ يُضربُ له المِثالُ بأهلِ الحديثِ، فقد أزرى قائله بعلماءِ أُمَّتِهِ الذين حفظَ اللهُ بهم الدِّينَ، وقد كان جُلُّ ميراثِ السَّلَفِ: جمعُ الحديثِ والنَّظَرِ الفاحصِ في صَحيحِهِ وضَعيهِ، فأتى لسلمان إهلاكُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. من جعلَهم اللهُ أكبرَ مُنقِذِها، فقال: « من ميراثِ الأُمَّمِ الهالكةِ ... »!؟

وأما قوله: « الغفلة عن واقع الأمة وما يُدبر لها »، فإنه مربوط الفرس، ومن أجله كُتب الكتاب، ومن أجله قَطَعَ رَحْمَهُ مع هذه الفئة التي شوَّهها بما قال، فمتى أوجب الله على جميع الناس الاطلاع على واقع الناس؟!

ومتى كانت الغفلة عن « واقع الأمة » سمةً لأهل الحديث، لولا حبُّ الاعتراض على أهل الحديث؟!

ثمَّ إذا كان لا بُدَّ من جماعةٍ يَقْطِطُ لِمَا يُدْبِرُ لهذه الأمة من مكائد فليكن الشيخ سلمان العودة ومن رابطاً عند هذا الثغر، فعلام التَّهْوِيلِ على مَنْ لم يكن معهم بأمر أكثر ما يُقال فيه: إنَّه على الكفاية؟!

إنَّ المُشْتَغَلِينَ بِتَصْحِيحِ الْأَحَادِيثِ وَتَضْعِيفِهَا آحَادٌ فِي النَّاسِ، وَقَدْ يَمُرُّ الْقُرْنُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَكَادُ يَوْجَدُ فِيهِ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي عَصْرِنَا، مَعَ ذَلِكَ يَجِدُ هَؤُلَاءِ الْآحَادُ فِي طَرِيقِهِمُ الْمَوْحِشِ قَوْمًا - لَمْ تَطِبْ أَنْفُسُهُمْ بِأَحْيَاءِ سِيرَةِ السَّلَفِ الْعِلْمِيَّةِ - يُثَبِّطُونَهُمْ وَيُشَوِّهُونَ صُورَتَهُمْ، وَيَقْعَدُونَ لَهُمْ بِالطَّرِيقِ رَافِعِينَ رَايَةَ « شَمُولِيَّةِ الْإِسْلَامِ !! ».

إنَّ وَاحِدًا مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، جَعَلَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ حِجَّةً عَلَى الْخَلْقِ فِي هَذَا الْفَنِّ الَّذِي رَأَى سَلْمَانَ أَنَّ (التَّفَرُّغَ لَهُ حَزْبِيَّةٌ مُهْلِكَةٌ تَتَنَافَى مَعَ شَمُولِيَّةِ الْإِسْلَامِ!)، حَتَّى أَحْضَعَ اللَّهُ بِهِ رِقَابَ الَّذِينَ أَقْلَقَهُمُ التَّصْحِيحُ وَالتَّضْعِيفُ، فَأَضْحَوْا - عَلَى كِرَاهِيَةِ مَنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ - لَا يَسْرُدُونَ حَدِيثًا إِلَّا خَرَّجُوهُ، وَأَضْحَى مُحَاضِرُهُمْ وَخَطِيبُهُمْ يَتَحَرَّى فِي نَقْلِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ مِنْ قَبْلِ.

وكم هي فرحة الخطيب اليوم وهو يجمع مادةً خطبته من « صحيح الجامع الصغير » وغيره من الكتب المحققة، ويرى أن صاحبه قد قطع به أشواطاً يعجز عن طرُق أدنى أبوابها لو تُرك وعلمه!

وكم هي حاجةُ المفسِّر إلى كُتُبِ الحديثِ المحقَّقة!
وكم هي حاجةُ المؤرِّخ إلى كُتُبِ الحديثِ المحقَّقة!
وكم هي حاجةُ المرَبِّي إلى كُتُبِ الحديثِ المحقَّقة!
وكم هي حاجةُ الفقيه إلى كُتُبِ الحديثِ المحقَّقة!
بل كم هي حاجةُ الكاتبِ السِّيَاسي إلى كُتُبِ الحديثِ المحقَّقة!
أنشدَ الحَافِظُ أبو عبدِ اللهِ الصُّوري كما في « مُنتقى السَّفينة البَغدادية »
لأبي طاهرِ السِّلَفي (٥):

عائِباً أهلهُ ومَن يدَّعيه	قُلْ لِمَن عانَدَ الحديثَ وأضحى
أمَّ بجهلٍ فالجهلُ خلقُ السَّفِيهِ	أبعلمُ تقولُ هذا ابنُ لي
منَ التُّرَّهاتِ والتَّمويهِ	أيعابُ الذينَ همُ حفَظوا الديـ
راجِعُ كلِّ عالِمٍ وفقيهِ	وإلى قولِهِم ومأقَدُ رووهِ

وأنتُم - يا سلَمان وجماعته! - أحوجُ النَّاسِ إلى الكُتُبِ المحقَّقة؛ لأنَّكم لا
تجدون وقتاً للتَّحقيق، فوقتكم مصروفٌ لخدمَةِ السِّيَاسةِ وهمَّ السُّلطةِ وإن
تظاهرتُم بالشُّموليَّةِ، بل لولا التَّصحيحُ والتَّضعيفُ الَّذي خصَّ اللهُ به أهلَ
الحديثِ ما عَرَفَ الشَّيخُ سلَمانُ القبلة!

قال أبو المظفر السَّمعاني كما في المجموع من « الانتصار لأصحاب
الحديث » (ص ٤٣): « يجبُ أن يُرجعَ في معرفة ما كان عليه رسولُ اللهِ ﷺ
وأصحابُه إلى أهلِ النَّقلِ والرِّواية؛ لأنهم عنوا بهذا الشَّانِ واشتغلوا بحفظه
والتَّفحصِ عنه ونقله، ولولاهم لاندرسَ عِلْمُ النَّبيِّ ﷺ، ولم يقف أحدٌ على
سنته وطريقته... ».

وكم من بدعة دفعها الله بأهل الحديث، ولولا ذلك لكانت ديناً يُدان به من دون الإسلام الصحيح، روى اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة » (٣٢) عن يوسف بن أسباط قال: « كان أبي قدرياً، وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان ».

ثم لماذا خصَّ سلمان أهل الحديث بوصف « الجفاء وضعف التَّعبُد »؟!
أليس هو داءً مُشترَكاً بين النَّاسِ؟!!

وإذا زُعم أن الكلام إنما قصد به بعض الأفراد، فلماذا يُعمَّم بلفظ « فئّة » لولا الحرصُ على إسقاط فئّة، وأيُّ فئّة؟!
يقول رسولُ الله ﷺ: « اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »
روى البخاري منه الجملة الأخيرة من حديث ابن عمَرَ، ورواه مُسلم من حديث جابر.

ومهما يكن في العالم من جفاء، فلن يُساميه صاحبُ التَّعبُد، مع أن شأن العبادة عظيم، فقد قال رسولُ الله ﷺ: « فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أذناكم، إنَّ اللهَ ﷻ وملائكته وأهلَ السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، يُصلُّون على معلِّمِ النَّاسِ الخَيْرِ » رواه الترمذي من حديث أبي أمامة، وصحَّحه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٢١٣).

ولذلك كان السلفُ يحزنون لموت صاحبِ الحديثِ أشدَّ من حزنهم على صاحبِ العبادة، فقد روى اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٣٤) عن حماد بن زيد قال: « كان أيوبُ (وهو السَّخْتِيَانِي) يبلِّغُه موتُ الفتي من أصحابِ الحديث، فيرى ذلك فيه، ويبلِّغُه موتُ الرَّجُلِ يُذكَرُ بعبادة، فما يرى ذلك فيه »، بل لقد روى الخطيبُ البغدادي في « شرف أصحابِ الحديثِ »

(٩٨) والهَرَوِي فِي « ذَمِّ الْكَلَامِ » (٩٦ - الشُّبَل) عَنْ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - قَالَ: « فُسَّاقُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادِ غَيْرِهِمْ ». ولم يَكْتَفِ سَلْمَانُ بِالطَّعْنِ عَلَى عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، بَلْ ضَمَّ إِلَيْهِمُ الْفُقَهَاءَ، فَقَالَ فِي « الْإِغْرَاقِ فِي الْجُزْئِيَّاتِ » (ص ٢)، كَمَا فِي الْإِنْتَرْنِتِ، مَوْقِعَ (السَّلْفِيُّونَ!!): « لَقَدْ بُلِينَا بِطَائِفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَأَحْيَانًا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، الَّذِينَ هُمْ عَلَى (الْإِفْتِرَاضِ!!) مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، هُمْهُمْ تَحَوَّلَ إِلَى الْعِنَايَةِ بِفُرُوعِ الْمَسَائِلِ وَجُزْئِيَّاتِهَا، فَأَسْهَرُوا لَيْلَهُمْ، وَأَضْنُوا نَهَارَهُمْ فِي قَتْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْجِدَالِ حَوْلَهَا، حَتَّى لَكَأَنَّهَا الدِّينُ كُلُّهُ، أَوْ أَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ مَسَائِلِ الدِّينِ، مَعَ أَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ سُنَّةً مِنَ السُّنَنِ، حَتَّى مَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا لَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ حَرَجٌ وَلَا تَثْرِيْبٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّبِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي دَقِيقِ الْأُمُورِ وَجَلِيلِهَا ».

قلتُ: إِذَا كَانَتْ النَّتِيْجَةُ هِيَ مَا سَطَّرَهُ أَحْيَرًا، فَلِمَاذَا الْإِعْتِرَاضُ، لَوْلَا الْحِرْصُ عَلَى تَشْوِيْهِ صُورَةِ السَّلْفِيِّينَ؟!

وَقَالَ فِي (ص ٤): « فَهَلْ تَرَى - يَا أَحْيَى مَثَلًا - أَنْ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ نَسْتُغْرِقَ وَقْتًا فِي الْحَدِيثِ عَنْ جُزْئِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ السُّنَنِ الْوَارِدَةِ فِي الصَّلَاةِ، كَالْحَدِيثِ عَنْ جَلْسَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ، أَوْ الْحَدِيثِ عَنِ التَّوَرُّكِ، أَوْ الْحَدِيثِ عَنْ صِفَةِ الْهَوِيِّ إِلَى السُّجُودِ: هَلْ يَسْجُدُ عَلَى يَدَيْهِ أَوْلاً أَوْ عَلَى رِجْلَيْهِ أَوْلاً؟! هَلْ تَرَى مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نَسْتُغْرِقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَنَقْتُلَهَا بِحَثٍّ وَنُؤَلِّفَ فِيهَا عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ، وَتَكُونَ هِيَ حَدِيثَنَا فِي مَجَالِ السُّنَنِ، وَهِيَ مَجَالٌ لِلْمُنَافَرَةِ وَالْمُنَافَسَةِ بَيْنَ الْأَقْرَانِ وَبَيْنَ الطُّلَّابِ!! ».

وَقَالَ فِي (ص ٢٣): « أَيْضًا هُنَاكَ قَضِيَّةُ الْإِسْتِغْلَالِ الدَّائِمِ بِالْفِرْعَانِيَّاتِ: قَدْ

يكون عندنا عشرون مسألة، وإن شئت فقل: ثلاثون، هي كل ما نتحدثُ عنها، خاصةً نحنُ طلبة العلم في مجالسنا الخاصة، لا يكادُ يخلو مجلسٌ من مجالسنا مثلاً عن الكلام عن جلسة الاستراحة: مستحبٌ أم مكروهٌ أم جائزٌ، وفي بعض الأقوال بأنها واجبةٌ، تحريكُ الأصبع في التشهد ربما أكثر من عشرين كتاب (كذا) ألف في هذه المسألة، وتفننَ الناسُ في تحريك الأصبع بالتشهد بشكلٍ لم يسبق له نظيرٌ، قضيةٌ وضع اليد في الصلاة: أين يضعها: على صدره أم تحت السرّة أم فوق السرّة؟ قضيةٌ الهويّ إلى السجود: هل يسجد على ركبتيه أم على يديه أولاً كما أسلفنا؟ مع أن ابن تيمية لما تكلم عن هذه المسألة - مسألة الهويّ على اليدين أو على الركبتين - قال: هذه من المسائل العويصة المشككة المختلفة، التي الأدلة فيها غير واضحة.

ولكنك تجدُ طالبَ العلم الصغيرِ أوّل ما يبدأ بالمسألة هذه، وليت المسألة تقفُ عند هذا الحدّ، قد يؤلّفُ فيها مصنّفاتٌ أحياناً، وليت الأمر يقفُ عند هذا الحدّ، بل قد تجدُ هذا الإنسان أصبحَ يعتبرُ هذه المسألة ميزاناً وفيصلاً بين الذي يتبع السنّة والذي لا يتبع السنّة، فالذي يُقدّم يديه هذا يتبع السنّة، والذي لا يُقدّم يديه هذا لا يتبع السنّة، الصلاة بالتعال مثلاً، قضية النّقاب بالنسبة للمرأة، التّسبيح باليمين أم بكلتا اليدين، صلاة التراويح خمس أو عشر أم أكثر أم أقل، هل يجهرُ بالذكر بعد الصلاة أم لا يجهرُ، قضية دخول الأطفال إلى المساجد، وما أشبه ذلك من المسائل المحدودة، هي أصبحتُ جلّ همتنا وحديثنا وكلامنا، وكلُّ طالبِ علمٍ أراد أن يجربَ خبرته وإمكانيته فإنه يختارُ بعضَ هذه المسائل، ويرجعُ إلى بعضِ الكُتب، ويجمعُ بعضَ ما قيلَ فيها ويكتبُ في ذلك مصنّفاً أو جزءاً حديثياً أو جزءاً فقهياً!! «.

وقال في (ص ١٨): « فمثلاً تجدُ جزئيات: أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم ، هل يجوزُ أخذُ الأجرة على تعليم القرآن الكريم أو لا يجوزُ؟! ». وقال: « فتجدُ أنه جدلٌ: هل يجوزُ قبولُ الإعانة والهدية من مُشرك أو أنه لا يجوزُ؟ وبالتالي نردُّ هذا، لا نقبله؛ باعتبار الأخذ بالأحوط وتغليب جانب الخطر، وبالتالي نفوت على المسلمين مصالحَ عظيمةً في مثل ذلك!! ». قلتُ: إذا فليأت على الدين كله فلينسخه!!

كان عليه - لولا هذا النفس (الإخواني) المعروف - أن يُعظمَ الدينَ وشعائره؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج ٣٢]، وقد كان أهلُ التقوى أصحابُ رسول الله ﷺ يُسهبون في الحديث عن هذه المسائل، وما سمعنا أن أحداً ضاقَ بها ذرعاً، ولا يزالُ أهلُ العلم يهتمون بها ويكتبون فيها، ويردون على المخالف فيها وصدورهم منشحة لم يتلمها عقدة حركية قط.

وقال في (ص ١٨): « مثلاً قضيةُ النفاس، وقضيةُ الحيض، وصارت مَضْحَكَةً يا أحباب!! هل تُريدُ أن نظلَّ مَضْحَكَةً للأُمَّم والشُعوب إلى يوم يُبعثون؟! نشغلُ أنفسنا بهذه الجزئيات، وبهذه الأمور، وبهذه القضايا الخيالية!! كأننا عجزنا عن مواجهة الواقع، وعجزنا عن معالجة الواقع، وعجزنا عن صياغة الواقع، وعجزنا عن النزول إلى الواقع!! فرضينا من الغنيمة بالإياب، وصارَ هُماً أن تُدندنَ حولَ القضايا التي تتشاطرُ فيها على الآخرين، ونستعرضُ فيها عضلاتنا الفكرية، ولكننا كمن يطحن في الهواء، أو كمن يحرث في البحر!! ». قلتُ: إنَّ مسألةَ الحيضِ والنفاسِ مسألةٌ قرآنيةٌ، تُتلى إلى يومِ القيامة، مهما ضاقتَ بها صدورُ الحركيين، وحجَلوا منها لضحكِ المستهزئين، قال الله ﷻ:

قلتُ: إنَّ مسألةَ الحيضِ والنفاسِ مسألةٌ قرآنيةٌ، تُتلى إلى يومِ القيامة، مهما ضاقتَ بها صدورُ الحركيين، وحجَلوا منها لضحكِ المستهزئين، قال الله ﷻ:

﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة ٢٢٢].

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة فأجابهم الله، وخلدها في كتابه، وبتلوها المصلي في محرابه، وما علمنا أنها كانت يوماً ما محل امتعاض عند أهل الإيمان، ولا كانت سبباً في تفهقهم إلى سفاسف الأمور، لولا الأهزام أمام سُخْرِيَةِ الكفار، حتى أضحى المسلم غير مسلم لما تأصل رسمه في كتاب الله، وتكرر بيانه وتفصيله في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يجوز أبداً أن يواجه حكم الله بمثل هذه الصيغة، ولو كان تحت ستار تنبيه (الغلاة في الجزئيات!!) على غلوهم، بل أخشى ما أحشاه أن يكون هذا من قبيل الاستهزاء بأحكام الله عز وجل، والأمر لله.

إن وجود هذه المسائل في كتب أهل الإسلام منقبة لهذا الدين ودليل على كماله؛ فقد روى مسلم (٢٦٢) عن سلمان رضي الله عنه قال: « قيل له، (وفي رواية له: قال لنا المشركون): قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة! قال: أجل، لقد هنا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم».

إنك بكلامك السابق - يا سلمان! - تناسى بالمشركين في كلامهم هذا، وهذا الذي صدر منهم إما أن يكون على سبيل الانبهار بكمال هذا الدين، فيكون اعترافاً صريحاً بذلك، وإما هو على سبيل الاستهزاء، فيكون الاعتراف ضمناً غير مقصود، والأول أغرب، والثاني أقرب؛ فقد روى أحمد وابن ماجه (٣١٦) عن سلمان رضي الله عنه في قصته السابقة أنه قال: « قال له بعض المشركين وهم يستهزئون... ».

ثم تأمل جواب سلمان الفارسي رضي الله عنه في عزة المؤمن المطمئن إلى شرع ربه عليه السلام، وقابلها باهزامية الشيخ سلمان العودة، الذي ضعف أمام المستهزئين؛ فبدلاً من أن يشمخ أنفة وعزةً بدين ربه، انبرى إلى أهل الإسلام، بل إلى صفوفهم: أهل الحديث، فقال: « هل تُريدُ أن نَظُلَّ مَضْحَكَةً لِلأُمَّمِ والشُّعُوبِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ؟! ».

فتأمل ما بين (السلمائين)، والأمر لله!

ثم عرج الشيخ سلمان العودة على بعض ما تباحته الصحابة رضي الله عنهم، واستنكره، فقال في (ص ٥): « فمثلاً سؤال: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء أم لم يره؟! ». «

إنَّ سلمانَ يَعْلَمُ أَنَّ الصَّحَابَةَ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَشَدَّدُوا عَلَى الْمُخَالَفِ فِيهَا، حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: « مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ » رواه مسلم، قالت هذا وهي تردُّ على مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الصَّحَابَةِ، كَمَا حَصَلَ ذَلِكَ مِنْ مَسْرُوقٍ - رَحِمَهُ اللهُ - حَيْثُ جَاءَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: « يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْظِرِيَنِي وَلَا تَعْجَلِيَنِي: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ اللَّيْلِيِّ ﴾ [التكوير ٢٣]، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةَ أُخْرَى ﴾ [النجم ١٣]؟! وفي رواية أنها قالت له: « سُبْحَانَ اللهِ! لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي لِمَا قُلْتَ ... »؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم لَمْ يَخْتَلِفُوا فِيهَا، كَمَا حَقَّقَهُ ابْنُ الْقَيْمِ، وَنَسَبَهُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ فِي رَدِّهِ، وَإِلَى شَيْخِهِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، انظُرْ « مَجْمُوعَ الْفَتَاوَى » (٥٠٧/٦-٥٠٨).

ثم لم يسلم المفسرون أيضاً وشراح الحديث من نقد سلمان، فقال بعد كلامه الأخير وهو يذكر جزئياته: « مثلاً: قضية النزاع في معاني بعض الآيات القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية!! ». «

ثم أعاد الكرّ على علماء الحديث، فقال مباشرة: « بل حتى النزاع في ثبوت بعض الأحاديث أو عدم ثبوتها!! قضية الكلام، ما يتكلم به أهل المنطق فيما يُسمى الجوهر الفردي، أو بقاء الأعراض، قضية فناء النار: هل تفتنى النار أو لا تفتنى؟! ». »

تأمل كلامه الأخير؛ فقد حشر مسألة عقديّة سلفيّة في مسائل علم الكلام التي كان السلف يُحاربها، والله المستعان.

ثم أعاد الكرّ من جديد على المشتغلين بالحديث بصيغة تهكميّة، فقال في (ص ١٥): « تجد أنّ طالب علم الحديث يهتم بالمصطلح وقراءة المصطلح ودراسته، وحفظ المتون فيه، ويتكلم عن دقائقه، ويتكلم عن الرجال وحفظ الرجال، والكلام فيهم: (هذا ثقة، وهذا ضعيف)، وربما يحفظ ذلك ويعتني به أشدّ العناية ويُسرف في ذلك، حتى أنّك (كذا) لو جئت لهذا الإنسان تسأله عن حديث: أصحيح أم ضعيف؟ قال: والله! ما أدري، أراجع لك أو أسأل أهل العلم، مع أنّه قضى ليله ونهاره في معرفة أمور المصطلح، وهي أمور فيها قضايا لا بدّ من معرفتها بكلّ تأكيد، وهي ضروريّة وأساسيّة لمن يدرس علم الحديث، لكن هناك قضايا ثانويّة، فمثلاً مسألة رواية الآباء عن الأبناء، أو رواية الأصغر عن الأكبر، وقضايا المسلسلات، أو بعض تفاصيل علم الإسناد، كلّها أمور ليست من القضايا التي لا بدّ منها، هي قضايا أقرب أحياناً إلى أن الاشتغال بها لا يكون مفيداً لطالب العلم، أو تكون فائدتها قليلة، ويكون من اشتغل به عن غيره مغبوناً!! ». »

قلت: لماذا أفراد المعتنين بالحديث بوصف الجهل، ثم التستّر بما سمّاه قضايا

ثانويّة؟! »

وقال في (ص ١٦): « مثال آخر: الاشتغال بوسائل الدعوة إلى الله تعالى والكلام حولها، عن حقيقة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، كم من الحُصومة ثارت حول مسألة التمثيل!! وقع في يدي سبعة كُتب تقريباً حول التمثيل، وربما أن هناك أشياء كثيرة لم أطلع عليها، خصومة حامية الوطيس بين حكم التمثيل: أحلال هو أم حرام!! أو تأتي مثل ذلك خصومة حامية الوطيس حول الأناشيد، وتجد أننا اشتغلنا ببعض الرسوم الدعوية عن حقيقة الدعوة، نجد أن المسألة عندنا ليست إخراج ممثلين أو مُنشدين، المسألة عندنا مسألة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، و الاشتغال بهذه الرسوم والقضايا تأييداً أو سلباً، أو إيجاباً أو سلباً، والمبالغة والإغراق فيها غالباً ما يعود على الأصل بالضرر!! ».

قلت: إن أهل الأتباع لرسول الله ﷺ يهتمهم أن يعرفوا حكم الله ﷻ في هذه المسائل التي هربها سلمان باسم (الوسائل)؛ لأنهم سمعوا الله يقول في وصف نبيه ﷺ: ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب ٤٦]، قال ابن تيمية كما في « مجموع فتاواه » (١٥/١٦١): « ودَعَوْتُهُ إِلَى اللَّهِ هِيَ بِإِذْنِهِ، لَمْ يَشْرَعْ دِينًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، »، ولأنهم سمعوا النبي ﷺ يقول: « مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » رواه مسلم، وعظّموها؛ لأنهم سمعوا الله يقول: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ [الحج ٣٠].

والحقيقة أن الشيخ سلمان أراد إجبار الناس على تقبل اختياراته الحركية في مسألتَي التمثيل والغناء المسمّى عنده بالأناشيد؛ لأنه من المستحيل أن تفرط (الحركة) فيهما ولو أجمع على المنع منهما أهل السموات والأرض، ولذلك قال بعده: « فالمقصود هو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وأي أسلوب تتحقق فيه الدعوة إلى الله، وليس فيه معارضة صريحة واضحة لكتاب الله أو لسنة

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فالأصلُ جوازُه، وعلى هذا الأصلِ يمشي الإنسانُ، إلا إذا تبين له أنَّهُ هناك ما يُعكِّرُ على هذا الأصلِ أو يُشكِّلُ عليه، فالمهمُّ أني لا أشتغلُ بالفرعِ أو بالوسيلةِ عن الهدفِ والغايةِ التي أعملُ من أجلها!!».

ونعى على المسلمين نوعيَّةَ أسئلتهم، فقال في (ص ٢٦): «وهنا أثيرُ قضيةٌ أن جماهيرَ المسلمين في كلِّ مكانٍ ربما أن (٩٠%) من أسئلتهم التي نقرأها أو نسمعها تتعلقُ بقضيةِ أحكامِ فقهيةٍ، فرعيةٍ، تفصيليةٍ!!».

إنَّ هذه الأسئلة التي انتقدتها الشيخُ سلمانُ على الناسِ اليومَ هي أسئلةُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فما هي معروضةٌ بينَ يديك:

- قال اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة ١٨٦].
- وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ﴾ [البقرة ١٨٩].
- وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ﴾ [البقرة ٢١٥].
- وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾ [البقرة ٢١٧].
- وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ﴾ [البقرة ٢١٩].
- وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوُ﴾ [البقرة ٢١٩].
- وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اللَّيْتِمَى قُلْ﴾ [البقرة ٢٢٠].
- وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ﴾ [البقرة ٢٢٢].
- وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ﴾ [المائدة ٤].
- وقال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلْ﴾ [الأنفال ١].
- وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ﴾ [الإسراء ٨٥].
- وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ﴾ [الكهف ٨٣].
- وقال ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾ [طه ١٠٥].

– وقال ﷺ: ﴿وَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ﴾ [النساء ١٢٧].

– وقال ﷺ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء ١٧٦].

هذه أسئلة المؤمنين يومئذ، ومن سوء حظ سلمان أن أكثرها كان عن أحكام فقهية فرعية تفصيلية، بما في ذلك آية الحيض، فما لسلمان يغفل عن القرآن؟!؟

هذا، وقد اقتصرنا هنا على ذكر الأسئلة التي صدرت من قبل الصحابة فقط: اتفاقاً أو احتمالاً، وأما ما اتفق على أنه من قبل الكفار، فلم أثبت، كمثل قوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف، والنازعات ٤٢].

ومن رام الاطلاع على أسئلتهم من السنة، فليرجع إلى ما كتبه ابن القيم – رحمه الله – في آخر كتابه «إعلام الموقعين»، ونظراً لطوله فقد اكتفيت هنا بالإشارة إليه، لكن الفائدة فيه أن الصحابة ﷺ كانوا أكثر ما يسألون إنما هو عما تضايق منه الشيخ سلمان، والله المستعان.

وتم فائدة أخرى، وهي أن الله ﷻ صدر أجوبته على هذه الأسئلة المعروضة آنفاً بـ قوله: ﴿قُلْ﴾، وهي أمر منه تعالى لنبيه ﷺ كي يجيب المستفتين، ولم يأت في شيء منها أمره له بالإعراض عن هذا النوع من الأسئلة التي يستنكف عنها الحركيون، فلماذا يُعرض الحركيون عن هذه الأسئلة؟! ولماذا ينهون عن مثلها، وقد كان الله يسمعها من أصحابها ولم ينههم عنها؟!؟

ولأريب أن الآية الأولى من هذه الآيات لم يُصدر جوابها بـ ﴿قُلْ﴾، بل هي مُستثناة من القاعدة؛ والسبب في ذلك أن المقام مقام توحيد؛ لأن الله قريب، فلا يحتاج سائله إلى من يُقرّبه منه، فلذلك حذفت الواسطة التي كانت بين الله وعباده، بل كان المحيب الله مباشرة، وإن كان الله في الأصل هو الذي

يُفْتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذِهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى اقْتَضَى الْمَقَامُ التَّسْبِيحَ عَلَيْهَا، وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهَا ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي « قَاعِدَةِ جَلِيلَةَ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ » (ص ٣٣٤ - ربيع)، وَأَمَّا الْفَائِدَةُ الَّتِي قَبْلَ هَذِهِ فَقَدْ اسْتَفَدْتُهَا مِنْهُ أَيْضاً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، حَيْثُ ذَكَرَهَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِشَارَةً، إِذَا فَقَدْ اجْتَمَعَ لَدَيْنَا ثَلَاثُ فَوَائِدَ:

الأولى: أَنَّ أَسْئَلَةَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَتْ تَدُورُ أَسْئَلَتُهُمْ حَوْلَ مَا يُسَمِّيهِ الْحَرَكَيونَ (جُزْئِيَّاتٍ) وَ(قُشُوراً).

والثانية: أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُجِيبَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ.

والثالثة: هِيَ فِي ذِكْرِ الْحِكْمَةِ مِنْ حَذْفِ لَفْظِ ﴿ قُلْ ﴾ مِنْ جَوَابِ آيَةِ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾، وَهَذِهِ ذَكَرْتُمَا عَرْضاً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِ كِتَابِهِ.

إِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا ذَوِي إِيمَانٍ قَوِيٍّ؛ فَلِذَلِكَ كَانُوا يُعْظَمُونَ الصَّغِيرَةَ وَالْكَبِيرَةَ، وَيَبْحَثُونَ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَضْحَكُ مِنْهَا الْحَرَكَيونَ الْيَوْمَ، بَلِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَعَامَّةُ النَّاسِ - الَّذِينَ ذَمَّهُمْ سَلْمَانُ أَنْفَاءً - بِفَطْرَتِهِمْ يُوَافِقُونَ الصَّحَابَةَ فِي ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الْمَرَاهِقِينَ السِّيَاسِيِّينَ يَتَضَاقِقُونَ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا تَكَلَّفُهُمْ جَهْدًا يُرِيدُونَ ادِّخَارَهُ لِمُوَاجَهَةِ السُّلْطَةِ الَّتِي لَا يُفَارِقُونَ بِأَبْهَاءِ!!

إِنَّهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُزَهَّدُ فِيهِ مُرْجئةُ (الإخوان المسلمين) فِي السُّنَّةِ، وَيَرْمُونَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا بِقَلَّةِ الْفَهْمِ وَسَدَاجَةِ التَّفْكِيرِ، يَخْرُجُ الشَّيْخُ سَلْمَانُ بِهَذَا التَّأْيِيدِ لَهُمْ وَمُخَاصِمَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ يَرَى بِجَلَاءِ تَقْصِيرِ النَّاسِ فِي الْعَمَلِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَوْ تَغَافَلْنَا فَرَعَمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ الْحِزْبِ، لَقُلْنَا: كَيْفَ سَاغَ لَهُ أَنْ يَرْتِنَ رَطَانَتَهُمْ لِيُسْتَعْلَلَ كَلَامُهُ لِمُصَالِحِهِمْ!!؟

إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُحَاوَلُ اللَّيَازَ بِقَوْلِهِ فِي (ص ٢٣): « وَأَنَا أُشِيرُ - حَتَّى يَكُونَ الْكَلَامُ وَاضِحاً - إِلَى أَنَّ الْإِهْتِمَامَ بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ لَا حَرَجَ فِيهِ، وَإِعْطَائُهَا (هَكَذَا)

حقها مَطْلُوبٌ، وأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، أنا أقولُ أُنِي (كذا) كغيري من طلبة العلم إذا مرّت هذه المسائلُ علينا في الدّرسِ دَرَسَناها وبجثناها، ونظرنا في الأدلّة، ورجعنا إلى كلامِ أهلِ العلم، وهناكُ كُتُبٌ ألفت في بعض ما ذكّرتُ من المسائل، كتبتها طلبةُ علمِ كبار، ومجتهدون وأخيارٌ وفُضلاءٌ ويُشكرون، والعبْدُ الفقيرُ مَن استفادَ ممّا كتبه، جزاهم اللهُ خيراً.

نحنُ لا نعترضُ على هذه الكُتُب، الشّيءُ الَّذِي نعترضُ عليه هو أن تُصبحَ هذه القضايا جُلَّ همّنا، بل كلّ همّنا، ومدارِ حديثنا، وملئِ مجالسنا، بل ملئِ قلوبنا وعقولنا!!!

إلى متى نظلُّ ندورُ، ثم ندورُ، ثم ندورُ في مثل هذه القضايا، ونتركُ القضايا الكبرى، قضايا الاعتقاد، قضايا الواقع، قضايا التّخلفِ العلمي، التّخلفِ التقني، التّخلفِ الاقتصادي، البَحْثُ عن مَوْضِعِ قَدَمِ هذه الأمةِ الإسلاميّة، إلى متى تظلُّ هذه القضايا مُهدّرةً، ونحنُ نشغلُ بغيرها من هذه القضايا الجزئية الفرعية؟!!!».

أقولُ: لا ينبغي للقاريء أن ينخدعَ بهذا؛ لأنَّ أقلَّ ما فيه أنّه تناقضٌ، وإلّا فإنَّ مَنْ يذكُرُ ما نقلته عن سلمان في كتابي «مدارك النّظر في السّياسة» (ص ٣٥٣ - ط. الرّابعة) من شريطه «حول الأحداث الجديدة» يبيّن مقصوده من قوله هنا: «قضايا الاعتقاد»؛ فقد قال: «فتأتي إلى خطيب، فتجدُ كأنه قد أصمَّ أذنيه ولم يسمع شيئاً؛ يتكلّم عن مَوْضِعِ بعيدٍ بالمرّة:

– إمّا أن يتكلّم تحت الأرض فيما يتعلّق بأحوال الآخرة والقبر والموت!
– وإمّا أن يتكلّم فوق السّماء، فيما يتعلّق بأُمُور الجنّة والنار والبعث والحساب وغيرها!!!

كلُّ هذه الأُمُورِ حقٌّ، والكلامُ فيها حقٌّ، لكن ينبغي أن الإنسان يستغلُّ

فرصة كَوْنِ النُّفُوسِ مُتَهَيِّئَةً لِلوَعْظِ وَالإِرْشَادِ وَالتَّوْجِيهِ، وَأَخْذِ الدُّرُوسِ وَالعِبَرِ مِنْ هَذِهِ الأَحْدَاثِ، وَيُطْمَئِنُّ النَّاسَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ، يَكُونُ مَصْدَرًا طُمَأْنِينَةً لِلنَّاسِ، مَصْدَرًا سَكِينَةً لِنُفُوسِهِمْ، يُحْيِي المَعَانِيَ الإِيمَانِيَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ - كَمَا ذَكَرْتُ - يَبِينُ لَهُمُ المَخَاطِرَ الَّتِي تَهْدِدُهُمْ، بِحَيْثُ يَكُونُ الكَلَامُ مُتَعَلِّقًا بِالوَاقِعِ!!!

أَمَّا أَنْ نَعِيشَ أَحْدَاثَ (كَذَا) مَوْلَمَةً تُحَرِّكُ قُلُوبَنَا جَمِيعًا، ثُمَّ نَأْتِي لِلْمُتَحَدِّثِ أَوْ الخَطِيبِ فَنَجِدُهُ يَتَكَلَّمُ فِي وَادٍ آخَرَ، فَهَذَا فِي الوَاقِعِ - يَعْنِي - ذُهُولٌ (كَذَا) وَغَيْبُوبَةٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ المُؤْمِنُ أَوْ العَالِمُ أَوْ الدَّاعِيَةُ ضَحِيَّتَهَا!!!».

إِذَا فَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةٌ (وَاقِعٌ) فَحَسْبُ، وَأَمَّا العَقِيدَةُ فَقَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَ إِلَى التَّرْكِيزِ عَلَى أَصُولِهَا، وَزَاحَمَهَا - (فَقِهِ الوَاقِعِ)!!

وَلَا أُرِيدُ هُنَا أَنْ أُعِيدَ التَّعْلِيقَ عَلَى هَذَا الكَلَامِ بِمِثْلِ مَا ذَكَرْتُهُ هُنَاكَ، إِلَّا أَنْ الجَدِيدَ فِي الأَمْرِ أَنِّي كُنْتُ خَائِفًا عَلَى الشَّيْخِ سَلْمَانَ مِمَّا قَالَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّيَاغَةَ التَّهْكُمِيَّةَ بِأَصُولِ العَقِيدَةِ: «تَحْتَ الأَرْضِ!!» وَ«فَوْقَ السَّمَاءِ!!» لَا يُمْكِنُ أَنْ تُصَدَّرَ مِنْ قَلْبِ مُؤْمِنٍ فِي حَالِ صَحْوِهِ!

ثُمَّ إِذَا بِي أَفَاجَأُ بِأَنْ أَجِدَ عِنْدَ الشَّيْخِ سَلْمَانَ نَفْسَهُ تَصْدِيقَ مَا قُلْتُ؛ فَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ «مِنْ أَخْلَاقِ الدَّاعِيَةِ» (ص ٥٨-٥٩): «فَتَجِدُ طَائِفَةً مِنَ المُسْلِمِينَ تَهْتَمُّ بِالإِسْلَامِ التَّعْبُدِيِّ، فَتُعْنَى بِقِيَامِ اللَّيْلِ وَكثْرَةِ الذِّكْرِ، وَقَدْ تُضَيِّفُ إِلَى ذَلِكَ بَعْضَ التَّرْتِيبَاتِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا فِي الشَّرْعِ، وَرَبَّمَا تَسَرَّبَ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ التَّصَوُّفِ العَجَمِيِّ الأَنْعَزَالِيِّ، حَتَّى لَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُهُمْ بِلَهْجَةِ المُسْرُورِ أَنْ أَحَدَ الجَوَاسِيسِ العَرَبِيِّينَ جَلَسَ مَعَهُمْ طَوِيلًا، ثُمَّ كَتَبَ عَنْهُمْ أَنْ هُوَ لَآءٍ لَا ضَيْرَ مِنْهُمْ؛ فَهَمُّ يَتَحَدَّثُونَ فِيهَا تَحْتَ الأَرْضِ، وَفِيهَا فَوْقَ السَّمَاءِ!!

تَبَارَكَ اللهُ!! فِي القَبْرِ وَالمَوْتِ وَالعَذَابِ وَالتَّعِيمِ، وَفِي اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالأَخْرَةِ!!!

أَمَا فَوْقَ الْأَرْضِ، فَلَا شَأْنَ لَهُمْ بِهِ!!!».

قلتُ: قد عرَفْتُ - أخي القاريء! - الآنَ أَنَّ الشَّيْخَ سلمانَ أخذَ هذا الانحرافَ من كافرٍ وردَّده تَرْدِيدَ المقرِّ، بل نقدَ به أهلَ السنَّةِ المركزيِّينَ على التَّوْحِيدِ الذي وصفه سلمانُ بـ « ما تحت الأرض، وما فوق السَّماءِ!! » والاستهزاءُ بالذِّينِ من كافرٍ مألوفٍ، لكن كيفَ خرجَ من في مُسلمٍ، بل من في داعيةٍ، بل من في...؟!!

إذا عُرِفَ السَّبَبُ، بطلَ العَجَبُ؛ لقد قضَى هؤلاءِ الدُّعاةُ زهرةَ حياتهم في تتبعِ الواقعِ، فما خرَّجوا منه إلا وهم يلغون لُغوَ أهلِهِ، ولا أشكُّ أنَّ هذا لو صدرَ من أميرٍ أو من ذي سلطانٍ لكانَ حديثَ جماعةِ الدُّكتورِ سفرٍ في بابِ (الكُفرِ البواحِ)!!

وإذا قلتُ: لقد ذكرَ « قضايا العقيدة »، كانَ الجوابُ: ارجعْ إلى الكتابِ المحالِ عليه أعلاه « الإغراق في الجزئيات »؛ لترى أَنَّهُ كلما تحدَّثَ عن العقيدة لا يكادُ يفسِّرُها إلا بالولاءِ والبراءِ، الأمرُ الذي يدلُّك على أنَّ حاجتهِ إلى العقيدة لا تتجاوزُ ما يخدمُ ذلكَ البابَ الذي سَمَّيتُ لك آنفاً، كيفَ لا (الولاءُ والبراءُ) هو أوسعُ بابٍ يُخرِجُ منه هؤلاءِ أمراءهم من الإسلامِ؟!!

ثمَّ جاءَ آخرُ يطعنُ على الفقهاءِ بسُخريَّةٍ إخوانيَّةٍ موروثَةٍ، وهو الشَّيْخُ عائضُ القرني، فبعدَ أن شهَّرَ قومٌ - لغرضٍ ما - (بتراجُعِهِ!!)، قامَ ليكتبَ من جديدٍ في أواخرِ ما أَلَّفَ، ألا وهو كتابه « كُونُوا رَبَّانِيَّينَ »، حيثُ قالَ في (ص ١٣٩): « في تلكَ السَّاعةِ التي جلسَ كثيرٌ من العُلَماءِ في صوامعهم، يَنحتونَ الأفكارَ لتخريجِ حاشيةِ الحاشيةِ على مُختصرِ المتنِ لشرحِ المؤلفِ، لا يَدرونَ ما حوَّلهم، ولا يَعلمونَ ما يدورُ في أَرْضِهِم، فكانَ أن خَلَ المَيِّدانُ لكلِّ مَنْ عنَّ له رأيٌ، أو اشتعلتْ في رأسِهِ فِكْرَةٌ...!!!».

قلتُ: إنَّ هذا الطُّعْنَ الجَارِحَ لأهلِ العِلْمِ لَا يُرَقَّعُهُ أَنْ يَعْقِدَ فِصْلًا فِي كِتَابِهِ
بعنوان: (لحومُ العُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ)؛ فَإِنَّ التَّنَاقُضَ سِمَةٌ مَجْرَبَةٌ عَلَيْهِ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ!

ثُمَّ إِنَّ جُلُوسَ العُلَمَاءِ فِي (صَوَامِعِهِمْ!)، مع سَلَامَةِ النَّاسِ مِنْ غَوَائِلِهِمْ خَيْرٌ
مِنَ الدِّمَاءِ الَّتِي تُهْدَرُهَا جَمَاعَاتُكُمْ فِي بِلَادِ المُسْلِمِينَ بِاسْمِ الجِهَادِ، ثُمَّ لَا يُسْمَعُ
مِنْكُمْ كَلِمَةٌ تَنْدِيدٌ، بَلْ يُقَابَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِالتَّأْيِيدِ!!

وَهَا أَنْتُمْ اليَوْمَ انتظَرْتُمْ وِفَاةَ العُلَمَاءِ لِتُخَالِفُوهُمْ فِي الفَتَاوَى الجِهَادِيَّةِ، الَّتِي
تَشْهَدُونَ بِأَنَّهَا (مَصِيرِيَّةٌ)، مِنْهَا:

- تَأْيِيدُكُمْ لِلْمُتَهَوِّرِينَ فِي المَظَاهِرَاتِ وَالمَسِيرَاتِ!
- وَتَأْيِيدُكُمْ لِلْمُتَهَوِّرِينَ فِي العَمَلِيَّاتِ الِانْتِحَارِيَّةِ!
- وَتَأْيِيدُكُمْ لِلْمُتَهَوِّرِينَ فِي التَّفَجِيرَاتِ العَمِيَاءِ!
- وَتَأْيِيدُكُمْ لِلْمُتَهَوِّرِينَ المُؤَيِّدِينَ (لِلْعَبَةِ!) أَطْفَالَ الحِجَارَةِ!
- وَتَأْيِيدُكُمْ لِلْمَادِيِّينَ مِنَ العَوَامِّ فِي تَحْرِيمِ التَّجَارَةِ مع أَهْلِ الكِتَابِ؛ بِاسْمِ
المُقَاتَعَةِ الِاِقْتِصَادِيَّةِ!

- وَإِفْتَاؤُكُمْ بِالجِهَادِ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنَ البِقَاعِ، قَامَ فِيهَا وَقَاعٌ وَقِرَاعٌ، غَيْرِ
مُرَاعِينَ فِي ذَلِكَ الشَّفَقَةَ عَلَى المُسْلِمِينَ فِي ضَعْفِهِمْ وَقَلَّةِ ذَاتِ اليَدِ!

كُلُّ هَذِهِ المُخَالَفَاتِ لِلْعُلَمَاءِ المُرْتَبِينَ قَدْ عَلِمْنَا مِنْكُمْ بَعْدَ بُرُوزِكُمْ فِي
وَسَائِلِ الإِعْلَامِ اليَوْمِ، وَالعَرِيبُ أَنَّكُمْ مِنْ حِينَ لآخِرَ تَكَرَّرُونَ أَنَّ الشَّيْخَ ابْنَ بَارِ
وَالشَّيْخَ ابْنَ عَثِيمِينَ وَأَمْثَالَهُمْ - رَحِمَهُمُ اللهُ - قَدْ زَكَّوْكُمْ، فَتُوهِمُونَ النَّاسَ
أَنَّكُمْ لَمْ تَخْرُجُوا عَنْ حِطِّ هَؤُلَاءِ (المَزْكِينَ!) لَكُمْ!!

وَأَغْرَبُ مِنْهُ هُوَ إِجْهَادُ أَنْفُسِكُمْ لِتَلْمِيعِ بَعْضِ المَبْتَدِعَةِ المُنْتَسِبِينَ إِلَى العِلْمِ؛
لِمُوَافَقَتِهِمْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الفَتَاوَى المِضْلَلَةَ، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ!!

إنكم بالأمس القريب تجرأتم على واقع الجزائر، وأفتيتم أهلها - غير مُبالين
بمراغمة أهل العلم - بما جرّ عليهم من ويلات إلى يوم الناس هذا، فذكرناكم
بما فيه بلاغ لكم، لكن يبدو أن محطة الاستقبال عندكم عقيم، ثم جئتم اليوم
تعيدون الكرة بعد أن (استرحتم!) من العلماء الذين كانوا يخالفونكم في
الفتاوى الجهادية، والله المستعان!

وبعد أن طبع كتابي هذا طبعته الأولى، وعقب هُجوم أمريكا على العراق
سنة (١٤٢٤هـ-)، خرج علينا الشيخ عائض بفكره الواضح في العلماء، وتقياً
السُّم صافياً في الطعن عليهم بما لم أكن أنتظره منه، وستجدّه - إن شاء الله -
في القسم الثاني من كتابي هذا.

والحقيقة أن هذه الكلمات خرجت من مدرسة واحدة، قال أبو قتادة في
« الجهاد والاجتهاد » (ص ٢٤٥-٢٤٦): « وعلى هذا فإن الفقيه لَن يكون
فقيهاً في ديننا، ولا يُسمى فقيهاً وعالماً، إلا إذا كان سياسياً بكل ما تحمل هذه
الكلمة من معنى ووقع على النفوس، وعلى الشباب المسلم أن يسقط من
حسه ومن احترامه من يقول: إن من السياسة ترك السياسة؛ لأنه حين
يكون كذلك - أي حين لا يكون سياسياً - لن يكون فقيهاً، بل يكون شيخ
جهل وتجهيل، وعلى مثل هؤلاء الشيوخ الجهلة يعتمد الطاغوت في إمرار باطله
على الناس، وفي إصباغ الشرعية على نفسه، فشيئوخنا كمخدرات
اليوت...!! ».

قلت: صاحب هذه المقولة التي يأمر المشبوه بإسقاطه هو الشيخ الألباني -
رحمه الله - رأساً، وبقية العلماء السلفيين تبعاً؛ لأنهم على موافقة السيرة النبوية
في ذلك، فإن النبي ﷺ لم يكن يشغل الناس بالسياسة إذ كان مُستضعفاً، ولا
كان يشغل بها عامتهم إذ كان قوياً ذا سلطان، وإنما كان يومئذ يخص بها

بعض أعيان أصحابه، كما هو معلوم من سيرته ﷺ، واشتغال الدعاة اليوم بالسياسة هو سبب نكساتهم، مهما توهموا أنهم مهتمون بحركات إخوانهم وسكناهم، أو أنهم على مستوى الأحداث...!!

ثم إن هذه المقالة التي نقلتها عن المشبوه هنا تبين للمخدوعين به مبلغ صدق ما يتظاهر لهم به من توقيير للشيخ الألباني.

وها هو يستمر في الطعن على العلماء قائلاً: « وإلا ففسروا لنا ماذا نسّمى هذا القطيع البهيمي الذي يتحلّق حول الطاغوت وقد زين الرؤوس بعمائم خربة، ولم ينس أن يُطلق شعرات الخديعة على لحيته، ولعله نسي أن يحلقها في ذلك اليوم لاضطرابه، ثم يخرج من عنده وهو يمدح ويثني ويُقسم الأيمان المغلظة على أن حاكمنا هو ولي الأمر الشرعي الذي يجب طاعته!!

أهكذا يصنع الفقه بأهله؟!

أم هكذا يكون العلماء؟! ».

إلى أن قال: « هؤلاء من العار على أهل ديننا بمكان، وإنه مما يُحجل منه أن يكونوا هم العلماء، ولو رضينا أن نُطلق عليهم وصف العلم والفقه لكان هذا شتماً وقذفاً لديننا؛ لأننا علمنا الناس أن عالم هذا الدين وفقية هذه الشريعة جاهل بالحياة، غبي بالزمن، ومن أجل ذلك، لأن نشتم هؤلاء القوم ونخرجهم من زمرة العلماء، خير ألف خير من أن نصبغ في أذهان الناس صورة قدرة عن الفقيه المسلم!!! ».

تشويه صارخ: يقول الشيخ سلمان العودة في كتابه « من أخلاق الداعية » (ص ٥٥): « وهناك من يقع في الخطأ المقابل، فيشتغل ببعض الكليات، ويقلل من شأن الجزئيات ».

قلتُ: لَا تَنخَدِعْ - أَخِي الْقَارِيءُ! - بِخَلَاوَةِ هَذَا الْكَلَامِ؛ فَإِنَّ آخِرَ الطَّعْمِ مُرٌّ؛ إِذْ قَالَ عَقَبَهُ: « يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَنَا سَلْفِي، وَعِنْدَمَا أَنْظُرُ إِلَى شَخْصِيَّةِ عَمْرٍ، أَنْظُرُ فِيهَا إِلَى عَمْرٍ الَّذِي نَشَرَ الْعَدْلَ بَيْنَ النَّاسِ، عَمْرٍ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: لَوْ عَثَرْتُ بَغْلَةً فِي الْعِرَاقِ لَشَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ سَائِلِي عَنْهَا: لِمَ لَمْ تُسَوِّ لَهَا الطَّرِيقَ يَا عَمْرٌ؟! »

ولستُ أَنْظُرُ إِلَى شَخْصِيَّةِ عَمْرٍ الَّذِي يَقْصُرُ ثَوْبَهُ وَيُطِيلُ لِحِيَتَهُ كَمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ بَعْضُ الصَّبِيِّينَ!!».

قلتُ: لِمَاذَا يَصِفُ سَلْمَانَ مُنْتَقِدَهُ بِـ « سَلْفِي »، مَعَ أَنَّ السَّلْفِيَّ لَا يَقُولُ هَذَا أَبَدًا؟!

هذه - في الحقيقة - أدهى مما مضى؛ إنها تشويهٌ للسلفيين لا غير، والكتابُ لم يُكْتَبْ إِلَّا لِهَذَا كَمَا رَأَيْتَ قَرِيبًا، وَالذَّوَابِينَ تُنْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ ﴾ [الأنبياء ٤٧]!

والحقيقةُ الأخرى أَنَّ اهْتِمَامَ هَذَا الْمُنْتَقِدِ مِنْ شَخْصِيَّةِ عَمْرٍ ﷺ بِالْجَانِبِ السِّيَاسِيِّ فَقَطْ - بِاسْمِ الْعَدْلِ - هُوَ دَعْوَةُ الشَّيْخِ سَلْمَانَ الْعُودَةَ تَمَامًا؛ تَعْرِيفًا بِوَلَاةِ الْأَمْرِ مِنْ جِهَةٍ، وَبِأَهْلِ الْعِلْمِ السَّلْفِيِّينَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ عَلَى زَعْمِ أَنَّ هَؤُلَاءَ لَا يَعْرِفُونَ الْجَوَانِبَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَوْهَا فِي الْوَلَاةِ!

والحقيقةُ الثالثةُ أَنَّ قَوْلَ هَذَا السِّيَاسِيِّ الْمُنْتَقِدِ: (أنا سلفي!)، لَيْسَ هُوَ إِلَّا سَلْمَانَ الْعُودَةَ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ سَلْمَانَ هُوَ الَّذِي يُرَكِّزُ عَلَى السِّيَاسَةِ فِي مُحَاضَرَاتِهِ، وَلَا يُحْشِدُ شَبَابَهُ لِحُدُومَةِ شَيْءٍ كَحَشْدِهِ لَهُمْ لِحُدُومَةِ السِّيَاسَةِ، وَكَيْ لَا يُقَالَ لَهُ بِحَقِّ: (يا إخواني! أو يا سروري!)، سَارَعَ لِيَمُوهَ بِقَوْلِهِ: أَنَا سَلْفِي!

فإذا هو كما قيل: جرّول يهجو نفسه!

وقد ذكرني هذا صنيع شيخه محمد سرور زين العابدين الذي سمي مجلته
السياسية المختصة بالطعن على الولاية باسم: « السنة »، مع أنه ليس فيها شيء
من السنة!!!

وهو ما فعل ذلك إلا تعريضا بعلماء السنة اليوم في محاربتهم للفرق؛ إذ
أراد أن يفهمهم أن السنة قديما كانت تتمثل في الرد على الفرق المعاصرة لهم،
وسموا كتبهم في الرد على المنحرفين عن العقيدة الصحيحة بـ (السنة)، كـ
« السنة » للإمام أحمد، ولابنه عبد الله، ولتلميذه الخلال، ولابن أبي عاصم،
ولابن نصر المروزي وغيرهم، وهذه الفرق قد توارت اليوم في زعمه، فينبغي
لمنشد السنة عنده أن ينبري للفرق المعاصرة التي لا يمثلها اليوم عنده إلا
الحكام!!!

فالخلاصة أن سلمان طعن بكلامه ذلك على السلفيين تصریحا، كما طعن
في كلامه الذي قبله على الدعوة السلفية تلميحا؛ حيث نعى عليهم تخصصهم
في علم الحديث وشوه صورته، وهو يدل دلالة واضحة عند من لم يُعممه
التعصب أنه لم يكتف بحياده وعدم انتمائه إلى الطائفة المنصورة التي كان ولا
يزال يفرق بينها وبين الفرقة الناجية، بل أضاف إليه التحذير منها اسما؛ ليقتل
في نفوس أتباعه الولاء الصحيح لها والغيرة على جناها، وإنا لله!

قال الإمام أحمد - رحمه الله - كما في « مناقب الإمام أحمد » لابن
الجوزي (ص ٢٤٧): « من عظم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله،
ومن حقرهم سقط من عين رسول الله؛ لأن أصحاب الحديث أحبار رسول
الله ﷺ ». »

أهل الكلام وأهل الرأي قد جهلوا عِلْمَ الْحَدِيثِ الَّذِي يَنْجُو بِهِ الرَّجُلُ
لو أَنَّهُمْ عَرَفُوا الْآثَارَ مَا انْحَرَفُوا عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا لَكِنَّهُمْ جَهَلُوا
قال أبو المظفر السمعاني في المصدر السابق (ص ٤٣-٤٥): « كل فريق
من المبتدعة إنما يدعي أن الذي يعتقدُه هو ما كان عليه رسولُ الله ﷺ؛ لأنهم
كلهم يدعون شريعة الإسلام، ملتزمون في شعائرها، يرون أن ما جاء به محمدٌ
ﷺ هو الحق، غير أن الطُّرُق تفرقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم
يأذن به الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسكُ بشريعة الإسلام، وأن
الحق الذي قام به رسولُ الله ﷺ هو الذي يعتقدُه ويتحلُّه، غير أن الله تعالى أبقى
أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا
دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين،
وأخذوا التابعون عن أصحاب رسول الله، وأخذوا أصحاب رسول الله عن
رسول الله، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله الناس من الدين المستقيم
والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر
الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطيرهم وآرائهم،
فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنة عرضوه على معيار
عقولهم، فإن استقام قلبوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا
إلى قبوله حرقوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق وزاغوا
عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم، تعالى الله عما
يصفون، وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من
قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطيرهم عرضوه على الكتاب والسنة؛
فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه وشكروا الله ﷻ؛ حيث أراهم ذلك ووقفهم

عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهما تَرَكَوا ما وقعَ لهم وأقبلوا على الكتابِ والسُّنة، ورجعوا بالتُّهمة على أنفسهم؛ فإنَّ الكتابَ والسُّنة لا يَهْدِيَانِ إِلَّا إلى الحقِّ، ورأيُ الإنسانِ قد يُرِي الحقَّ وقد يُرِي الباطلَ، وهذا معنى قولِ أبي سليمان الدَّاراني، وهو واحدُ زمانه في المَعْرِفَةِ: ما حَدَّثَنِي نَفْسِي بِشَيْءٍ إِلَّا طَلَبْتُ مِنْهَا شَاهِدِينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنِ اتَى بِمَا وَإِلَّا رَدَدْتُهُ فِي نَحْرِهِ، أَوْ كَلَامِ هَذَا مَعْنَاهُ «.

إلى أن قال في (ص ٥٢-٥٨): « فَإِنِ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكُمْ سَمَّيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَمَا نَرَاكُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا مُدَّعِينَ؛ لِأَنَّا وَجَدْنَا كُلَّ فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ تَنْتَحِلُ أَتْبَاعَ السُّنَّةِ، وَتَنْسِبُ مَنْ خَالَفَهَا إِلَى الْهَوَى، وَلَيْسَ عَلَى أَصْحَابِكُمْ مِنْهَا سِمَةٌ وَعَلَامَةٌ أَهْمُ أَهْلِهَا دُونَ مَنْ خَالَفَهَا مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ، فَكُلُّهَا فِي انْتِحَالِ هَذَا اللَّقَبِ شُرَكَاءُ مُتَكَافِئُونَ، وَلَسْتُمْ أَوْلَى بِهَذَا اللَّقَبِ إِلَّا أَنْ تَأْتُوا بِدَلَالَةٍ ظَاهِرَةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ مِنْ إِجْمَاعٍ أَوْ مَعْقُولٍ؟

الجوابُ: قولكم إنَّه لا يجوزُ لأحدٍ دَعْوَى إِلا بَيِّنَةً عَادِلَةً أَوْ دَلَالَةً ظَاهِرَةً مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُمَا لَنَا قَائِمَتَانِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنْنِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر ٧]، فَأَمَرْنَا بِاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا سَنَّ وَأَمَرَ وَنَهَى وَحَكَّمَ وَعَلَّمَ، وَقَالَ النَّبِيُّ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي)، وَقَالَ: (مَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) ...

فوجدنا سنَّته وعرفناها بهذه الآثارِ المشهورةِ التي رُوِيَتْ بِالْأَسَانِيدِ الصُّحَّاحِ الْمُتَّصِلَةِ الَّتِي نَقَلَهَا حُفَاطُ الْعُلَمَاءِ بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ، ثُمَّ نَظَرْنَا فَرَأَيْنَا فِرْقَةً أَصْحَابَ الْحَدِيثِ لَهَا أُطْلِبَ، وَفِيهَا أُرْغَبَ، وَلَهَا أُجْمِعَ، وَلِصِحَّاحِهَا أُتْبِعَ، فَعَلِمْنَا يَقِينًا أَهْمُ أَهْلِهَا دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْفِرَقِ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ كُلِّ حِرْفَةٍ أَوْ

صناعة ما لم يكن معه دلالة عليه من صناعته وآلة من آلاته، ثم ادعى تلك الصناعة كان في دعواه عند العامة مبطلاً، وفي المعقول عندهم متجهلاً، فإذا كانت معه آلات الصناعة والحرفة شهدت له تلك الآلات بصناعته، بل شهد له كل من عاينه قبل الاختبار، كما أنك إذا رأيت رجلاً قد فتح باب دكانه على بز^(١) علمت أنه بزاز وإن لم تختبره، وإذا فتح على تمر علمت أنه تمار، وإذا فتح على عطر علمت أنه عطار، وإذا رأيت بين يديه الكير^(٢) والسندان^(٣) والمطرقة علمت أنه حداد، وإذا رأيت بين يديه الإبرة والجلم^(٤) علمت أنه خياط، وكذلك صاحب كل صناعة إنما يستدل على صناعته بآلته، فيحكم بالمعينة من غير اختبار، ولو رأيت بين يدي نجار قدوماً ومنشاراً ومثقباً، وهو مستعد للعمل بها، ثم سميت خياطاً جهلت، وإذا رأيت بناءً معه آلة البنائين، ثم سميت حداداً جهلت، وكذلك من معه الكير والسندان ومنفخ إذا سميت بزازاً أو عطاراً جهلت، ولو قال صاحب التمر لصاحب العطر: أنا عطار، قال له: كذبت، بل أنا هو! وشهد له بذلك كل من أبصره من العامة، ثم كل صاحب صناعة وحرفة يفتخر بصناعته، ويستطيل بها، ويجالس أهلها، ولا يذمها، ورأينا أصحاب الحديث - رحمهم الله - قديماً وحديثاً هم الذين رحلوا في طلب هذه الآثار التي تدل على سنن رسول الله، فأخذوها من

(١) أي الثياب.

(٢) هو زق ينفخ فيه الحداد، كما في « القاموس المحيط ».

(٣) السندان: زبرة الحداد، كما في « المصباح المنير » مادة: زبر، والزبرة هي قطعة من الحديد ضخمة، كما في « العين » مادة: زرب.

(٤) هو من جلم الشيء، أي قطعه، والجلم كالمقراض وما يُجز به، كذا في « لسان العرب » باختصار في مادة جلم.

مَعَادِنَهَا، وَجَمَعُوهَا مِنْ مَظَانِّهَا، وَحَفَظُوهَا وَاعْتَبَطُوهَا بِهَا، وَدَعَا إِلَى اتِّبَاعِهَا، وَعَابُوا مَنْ خَالَفَهَا، وَكَثُرَتْ عِنْدَهُمْ وَفِي أَيْدِيهِمْ، حَتَّى اشْتَهَرُوا بِهَا كَمَا اشْتَهَرَ الْبَزَّازُ بِبَزِّهِ وَالتَّمَّارُ بِتَمْرِهِ وَالْعَطَّارُ بِعَطْرِهِ، ثُمَّ رَأَيْنَا أَقْوَامًا انْسَلَخُوا مِنْ حَفَظِهَا وَمَعْرِفَتِهَا، وَتَنَكَّبُوا اتِّبَاعَ أَصْحَابِهَا وَأَشْهَرِهَا، وَطَعَنُوا فِيهَا وَفِي مَنْ أَخَذَ بِهَا، وَزَهَّدُوا النَّاسَ فِي جَمْعِهَا وَنَشْرِهَا، وَضَرَبُوا لَهَا وَلِأَهْلِهَا أَسْوَأَ الْأَمْثَالِ، فَعَلِمْنَا بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَةِ وَالشَّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا وَفِي جَمْعِهَا وَحَفَظِهَا وَاتِّبَاعِهَا أَوْلَى بِهَا وَأَحَقُّ مِنْ سَائِرِ الْفِرَقِ الَّذِينَ تَنَكَّبُوا أَكْثَرَهَا، وَهِيَ الَّتِي تَحْكُمُ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ بِالْأَهْوَاءِ؛ لِأَنَّ الْإِتِّبَاعَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ هُوَ الْأَخْذُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي صَحَّتْ عَنْهُ عِنْدَ أَهْلِهَا وَنَقَلَتْهَا وَحَفَظَتْهَا، وَالْخُضُوعَ لَهَا وَالتَّسْلِيمَ لِأَمْرِ النَّبِيِّ فِيهَا تَقْلِيدَ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِتَقْلِيدِهِ وَالتَّيَمُّارَ بِأَمْرِهِ وَالتَّنَهَاءَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَوَجَدْنَا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ اسْتَبَدُّوا بِالْآرَاءِ وَالْمَعْقُولَاتِ بِمَعْزَلٍ عَنِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي هِيَ طَرِيقُ مَعْرِفَةِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَهَذَا الَّذِي قُلْنَا سَمَةً ظَاهِرَةً وَعَلَامَةً بَيِّنَةً تَشْهَدُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِاسْتِحْقَاقِهَا، وَعَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ - فِي تَرْكِهَا وَالْعُدُولِ عَنْهَا - بِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا إِلَى شَاهِدٍ أُبَيِّنَ مِنْ هَذَا، وَلَا إِلَى دَلِيلٍ أَضْوَأَ مِنْ هَذَا.»

قلتُ: تَأَمَّلْ هَذَا مَا أَحْسَنَهُ؛ فَإِنَّ الْمَوْلَفَ وَجَدَ هَذَا الْوَصْفَ الْأَخِيرَ عَلَامَةً عَلَى اسْتِحْقَاقِ أَهْلِهَا لِاسْمِ السُّنَّةِ وَانْفِرَادِهِمْ بِالْحَقِّ، يَدَّ أَنْ الشَّيْخَ سَلْمَانَ انْعَكَسَ الْفَهْمُ عِنْدَهُ؛ فَأَرَاهُ شَيْطَانُ الْحَرَكَةِ أَنَّ هَذَا تَقَوُّعٌ عَلَى جِزْءٍ مِنَ الدِّينِ، وَأَنَّهُ سَبِيلٌ مَهْلِكَةٌ، وَأَرَاهُ الْمُنْقَبَةَ مَثَلَةً، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ.

ثُمَّ انْطَلَقَ الْمَوْلَفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي بَيَانِ أَنَّ بَرُوزَ الْقَوْمِ فِي صُورَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ لَا يُغَيِّرُ مِنْ جَوْهَرِ دَعْوَتِهِمْ شَيْئًا، فَقَالَ: «فَإِنْ قَالُوا: إِنَّ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَ

الأهواء وأصحاب الآراء حُججاً من آثارِ رسول الله يَحْتَجُّونَ بِهَا، قُلْنَا: أَجَل، ولكن يَحْتَجُّ بِقَوْلِ التَّابِعِيِّ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ أَوْ بِحَدِيثِ مُرْسَلٍ ضَعِيفٍ عَلَى حَدِيثِ مَتَّصِلٍ قَوِيٍّ، وَمِنْ هُنَا امْتَاَزَ أَهْلُ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ عَنْ غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ السُّنَّةِ لَا يَأَلُو أَنْ يَتَّبِعَ مِنَ السُّنَنِ أَقْوَاهَا، وَمِنَ الشُّهُودِ عَلَيْهَا أَعْدَلُهَا وَأَنْقَاهَا، وَصَاحِبُ الْهَوَى كَالْعَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ عُودٍ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ، فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَاكِمَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الشُّهُودِ إِلَّا أَعْدَلُهَا وَأَنْقَاهَا، كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ شَاهِدًا عَلَى عَدَالَتِهِ، وَإِذَا غَمَضَ وَقَعَّ بِأَرْدَاهَا، كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى جَوْرِهِ، وَكَانَ الْمَتَّبِعُ لَا يَتَّبِعُ مِنَ الْآثَارِ إِلَّا مَا هُوَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَقْوَى، وَصَاحِبُ الْهَوَى لَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا يَهْوَى وَإِنْ كَانَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَوْهَاهَا، وَكُلُّ ذِي حِرْفَةٍ وَصِنَاعَةٍ مَوْسُومٌ بِصِنَاعَتِهِ، مَعْرُوفٌ بِآلَتِهِ، مَتَى أَعْوَزَتْهُ الْآلَةُ زَالَتْ عَنْهُ آيَةُ الصَّنَاعَةِ وَكَذَلِكَ سَمَاتُ أَهْلِ السُّنَنِ وَالْأَهْوَاءِ، وَفِي دُونَ مَا فَسَّرْنَاهُ مَا يَشْفِي، وَالْأَقْلُ مِنْ هَذَا يَكْفِي مَنْ كَانَ مَوْفِقًا، وَلِحَقِّهِ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالُوا: قَدْ كَثُرَتِ الْآثَارُ فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَاخْتَلَطَتْ عَلَيْهِمْ، قُلْنَا: مَا اخْتَلَطَتْ إِلَّا عَلَى الْجَاهِلِينَ بِهَا، فَأَمَّا الْعُلَمَاءُ بِهَا، فَاهُمْ يَنْتَقِدُونَهَا انْتِقَادَ الْجَهَابِذَةِ الدَّرَاهِمِ وَالِدَّنَانِيرِ، فَيُمَيِّزُونَ زِيُوفَهَا، وَيَأْخُذُونَ جِيَادَهَا، وَلَكِنْ دَخَلَ فِي غِمَارِ الرُّوَاةِ مَنْ وُسِمَ بِالْغَلَطِ فِي الْأَحَادِيثِ، فَلَا يَرُوجُ ذَلِكَ عَلَى جَهَابِذَةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَرُتُوتِ^(١) الْعُلَمَاءِ حَتَّى أَهْمَ عَدُّوا أَغَالِيَطَ مَنْ غَلَطَ فِي الْأَسَانِيدِ وَالْمُتُونِ، بَلْ تَرَاهُمْ يَعْدُونَ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كَمِّ حَدِيثِ غَلَطٍ، وَفِي كَمِّ حَرْفٍ حَرْفٍ، وَمَاذَا صَحَّفَ، فَإِذَا لَمْ تُرْجَعْ عَلَيْهِمْ أَغَالِيَطُ الرُّوَاةِ فِي الْأَسَانِيدِ

(١) الرُّتُوتُ: جَمْعُ رَتٍّ، وَهُوَ الرَّئِيسُ مِنَ الرِّجَالِ فِي الشَّرَفِ وَالْعَطَاءِ، وَجَمْعُهُ رُتُوتٌ، وَهَؤُلَاءِ رُتُوتُ الْبَلَدِ، كَذَا فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» مَادَّةُ: رَتَّ.

والمثون والحروف، فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة وتوليدهم الأحاديث، يقول بعض الناس: (إن بعض الزنادقة ادعى أنه وضع ألوفاً من الأحاديث، وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها!!)، وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب، يريد أن يهجن بهذه الدعوى الكاذبة صحاح أحاديث النبي وآثاره الصادقة، فيغلط جهال الناس بهذه الدعوى، وما احتج مبتدع في رد آثار رسول الله بحجة أوهى منها، ولا أشد استحالة من هذه الحجة، فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يسف في فيه الرماد، وينفى من بلاد الإسلام، فتدبر رحمك الله: أيجعل حكم من أفنى عمره في طلب آثار رسول الله شرقاً وغرباً، براً وبحراً، وارتحل في الحديث الواحد فراسخ، وأنهم أباه وأذناه في خبر يرويه عن النبي إذا كان موضع التهمة ولم يحابه في مقال ولا خطاب؛ غضباً لله وحميةً لدينه، ثم ألف الصحف والأجلاد في معرفة المحدثين وأسمائهم وأنسابهم، وقدر أعمارهم وذكر أعصارهم وشمائلهم وأخبارهم، وفصل بين الرديء والجيد، والصحيح والسقيم؛ حنقاً لله ورسوله، وغيره على الإسلام والسنة، ثم استعمل آثاره كلها، حتى فيما عدا العبادات من أكله وطعامه وشرابه، ونومه ويقظته، وقيامه وقعوده، ودخوله وخروجه، وجميع سيرته وسننه، حتى في خطراته ولحظاته، ثم دعا الناس إلى ذلك وحثهم عليه وتذبهم إلى استعماله وحبب إليهم ذلك بكل ما يمكنه، حتى في بذل ماله ونفسه، كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وآرائه وخواطره وهواجسه، ثم تراه يرد ما هو أوضح من الصبح من سنن رسول الله وأشهر من الشمس، برأيٍ دخيل، واستحسانٍ ذميم، وظنٍ فاسد، ونظرٍ مشوب بالهوى؟! فانظر - وفقك الله للحق - أي الفريقين أحق بأن ينسب إلى اتباع السنة

واستعمال الأثر: الفرقة الأولى أم الثانية؟

فإذا قضيتَ بين هذينَ بوافرٍ لُبِّكَ، وصحيحِ نظركِ، وثاقبِ فهمك، فليكنُ شكرُك لله على حسَبِ ما أراكِ من الحقِّ، ووفَّقك للصَّوابِ، وأهَمَّكَ من السَّدادِ، واختصَّكَ به من إصابةِ الحسنِ في القولِ والعملِ، فإذا كنتَ كذلكَ فقد ازدَدتَ يقيناً على يقينِ، وتَلَجاً على تَلَجٍ، وإصابةً على إصابةٍ، ومن الله التأييدَ والتسديدَ والإلهامَ والإعلامَ، وهو حسَبُ أهلِ السُّنة، وعليه توكلُّهم، ومنه معونتهم وتوفيقهم ونصرتهم، بمنه وفضله وعميمِ كرمه وطوله.»

المنتسبُ إلى الدعوةِ السَلَفِيَّةِ (يقتلُ!):

قال الشيخُ عائضُ القرنيُّ في شريطِ سمعيٍّ: « فرَّ من الحزبيَّة فرارك من الأسدِ: » « مَنْ أوجبَ على النَّاسِ أن يكونَ أحدهمَ إخوانياً أو تبليغياً أو سلفياً فإنه يُستتاب، فإن تابَ وإلا قتلُ !!! ».

قلتُ: هنيئاً للشيخِ عائضٍ بقتلِ جميعِ الأمةِ إذا؛ لأنَّ الأمةَ في غالبيتِها لئست إلا هذه الجماعاتُ!!

إنَّه لا يُستغربُ أن يقولَ مثلَ هذا أبو قتادة وأترابه، ولكن المُستغربُ أن يقوله من وُلد في بلدٍ سلفيٍّ، ويتنسبُ لعلماءِ سلفيينَ، ويقولُ: سماحةُ الوالدِ ابنِ باز، والعلامةُ الألبانيُّ قرينُ أحمدَ بنِ حنبلِ الشَّيباني...!

ماذا يقولُ عائضُ في قولِ ابنِ تيمية كما في « مجموع الفتاوى » (١٤٩/٤): « لا عيبَ على مَنْ أظهرَ مذهبَ السلفِ، وانتسبَ إليه، واعتزى إليه، بل يجبُ قبولُ ذلكَ منه بالاتِّفاق؛ فإنَّ مذهبَ السلفِ لا يكونُ إلا حقاً!؟ »

وكيفَ يستنكرُ عائضُ ضرورةَ كونِ المرءِ سلفياً، مع أن هذا الاستنكارَ هو

شِعَارُ أَهْلِ الْبِدْعِ؟! قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي «مَجْمُوعِهِ» أَيْضاً (١٥٥/٤): «فَلَمَّا كَانُوا أَبْعَدَ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّلْفِ كَانُوا أَشْهَرَ بِالْبِدْعَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ شِعَارَ أَهْلِ الْبِدْعِ هُوَ تَرْكُ اتِّحَالِ أَتْبَاعِ السَّلْفِ».

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» (٣٨٠/١٣): «فَالَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَافِظُ أَنْ يَكُونَ تَقِيًّا ذَكِيًّا، نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا، زَكِيًّا حَيًّا، سَلْفِيًّا...».

وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ الدَّارِقُطِيِّ (٤٥٧/١٦): «لَمْ يَدْخُلِ الرَّجُلُ أَبَدًا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا الْجِدَالِ، وَلَا خَاضَ فِي ذَلِكَ، بَلْ كَانَ سَلْفِيًّا».

وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي طَاهِرِ السَّلْفِيِّ (٦/٢١): «... فَالسَّلْفِيُّ مُسْتَفَادٌ مَعَ السَّلْفِيِّ بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ السَّلْفِ».

وَلَهُ كَلَامٌ كَثِيرٌ مِثْلَهُ، وَفِي «مَجْمُوعَةِ رَسَائِلِ لِإِصْلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ جَمِيلِ زَيْنُو (ص ١٦٢) أَنَّ الشَّيْخَ ابْنَ بَازٍ سَأَلَ عَنِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، فَقَالَ: «هُمْ السَّلْفِيُّونَ، وَكُلُّ مَنْ مَشَى عَلَى طَرِيقَةِ السَّلْفِ الصَّالِحِ».

وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ فِي «شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» (٥٤/١): «فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُمُ السَّلْفُ مُعْتَقِدًا، حَتَّى التَّأَخَّرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُ سَلْفِيٌّ».

بَعْدَ هَذِهِ التَّقْوِيلِ السَّرِيعَةِ، فَمَا هُوَ قَوْلُ الشَّيْخِ عَائِضٍ؟

وَمَا قِيَمَةُ إِنكَارِهِ السَّابِقِ؟! قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ: «لَا شَكَّ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْإِنْكَارِ - لَوْ كَانَ يَعْنِيهِ - يَلْزَمُ مِنْهُ التَّبَرُّؤُ مِنَ الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُنَا الصَّالِحُ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، كَمَا يُشِيرُ الْحَدِيثُ الْمَتَوَاتِرُ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، عَنْهُ ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى السَّلْفِ الصَّالِحِ، بَيْنَمَا لَوْ

تبراً من آية نسبة أخرى لم يمكن لأحدٍ من أهل العلم أن ينسبه إلى كُفْرٍ أو فسوق ...

وأما الذي يُنسبُ إلى السلفِ الصالحِ فإنه يتنسبُ إلى العصمةِ على وجهِ العمومِ، وقد ذكرَ النبي ﷺ من علاماتِ الفرقةِ النَّاجيةِ أنها تتمسكُ بما كانَ عليه رسولُ الله ﷺ، وما كانَ عليه أصحابُه، فمنَ تمسكَ بهم كانَ يقيناً على هُدًى من ربِّه ...

ولاشكَّ أنَّ التسميةَ الواضحةَ الجليَّةَ المميِّزةَ البيِّنةَ هي أن نقولَ: أنا مُسلمٌ، على الكتابِ والسُّنةِ، وعلى منهجِ سلفنا الصالحِ، وهي أن تقولَ باختصارٍ: أنا سلفيُّ»، من مجلَّة «الأصالة»، العدد (٩)، في (ص ٩٠)، بتاريخ: (١٥ شعبان ١٤١٦هـ).

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميَّة بالمملكة العربيَّة السُّعوديَّة، برقم (١٣٦١) (١٦٥/٢ - ١٦٦) أنه طُرِحَ السُّؤالُ الآتي: ما هي السلفيَّة، وما رأيكم فيها؟

فكانَ الجوابُ: «السلفيَّةُ نسبةٌ إلى السلفِ، والسلفُ هم صحابةُ رسولِ الله ﷺ وأئمةُ الهدى من أهلِ القرونِ الثلاثةِ الأولى ﷺ، الذينَ شهدَ لهم رسولُ الله ﷺ بالخيرِ في قوله: (خيرُ النَّاسِ قرني)، ثمَّ الذينَ يُلونهم، ثمَّ الذينَ يُلونهم، ثمَّ يجيءُ قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدهمِ يمينه، ويمينه شهادةُ) رواه الإمامُ أحمد في مسندهِ والبخاري ومسلم، والسلفيُّونَ جمْعُ سلفي، نسبةٌ إلى السلفِ، وقد تقدَّم معناه، وهم الذينَ ساروا على منهجِ السلفِ، من أتباعِ الكتابِ والسُّنةِ، والدعوةِ إليهما، والعملِ بهما، فكانوا بذلكَ أهلَ السُّنةِ والجماعةِ».

إنَّه لمن المصائبِ العظامِ أن يُحوجنا عائضٌ إلى هذا العَرَضِ، ونحنُ وإيَّاهِ في البلادِ السلفيَّةِ، لقد كُنَّا في غنى عنه لو كانَ الولاءُ لأهلِ السُّنةِ السلفيِّينِ

صحيحاً، ولكن القطيعة الحركية تأتي ذلك!!!

وتوجه هذه البلاد إلى إحياء سيرة سلفنا الصالح معلوم من خطاب قادتها، قال الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله: « يقولون: إننا وهابية، والحقيقة: إننا سلفيون محافظون على ديننا، نتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله »، من مجلة « السلفية »، العدد (٥)، في (ص ٢٠)، بتاريخ: (١٤٢٠-١٤٢١هـ).

هذه هي الدعوة التي قامت عليها هذه البلاد، ف ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف ٥٦].

لقد وقع هؤلاء فريسة دعوة (الإخوان المسلمين) الذين غزوا ديارهم بأفكار لم يكونوا يسمعون بها، وتلونوا بلونهم برهة من الزمن، وأعطوهم من ألسنتهم ما ليس في قلوبهم، حتى إذا ذلت لهم الطريق، وأنسوا من بلاد العربة الرفيق، استولدوا بنات أفكارهم في أوكارهم، فتخرج على أيديهم أشكال غريبة عن دعوة علمائهم، كهذين اللذين سبق ذكر شيء من إنتاجهما المصنوع على عين (الإخوان) في الطعن على الدعوة السلفية.

ولقد قرأت نظماً للشيخ عائض القرني في كتابه « لحن الخلود »، فما صدقت ما وجدت فيه من شركيات وبدع وضلالات حركية، لو جاز أن نراها في جميع البلاد الإسلامية، ما جاز أن نراها في بلاد التوحيد والسنة، ولكن زهد هؤلاء في التوحيد والسنة هو الذي أوقعهم فيما يناقض التوحيد والسنة، منها الدعوة إلى شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ والأمر بتقبيله، وطلب الشفاعة منه، وطلب النجاة يوم القيامة منه أيضاً، وتكفير من لا يشتغل بفقهِه الواقع، والاستخفاف بكتب الفقه، والتحريض على الخروج، وغيرها.

وقد سقت شيئاً منها في كتاب « مدارك النظر في السياسة »، فلا أعيدته،

كما سُقتُ هناكَ علاقةَ عائضٍ بحزبِ (الإخوان المسلمين)، وأشرتُ إلى تركيته العطرة لرؤوسهم، فلا تغترَّ بما قاله هنا فيهم وفي التبليغ؛ فإنَّ المقصودَ الأوَّلَ والأخيرَ بالطَّعن هو السلفيُّون، وإِنَّمَا جُئِن عن التَّصريحِ بهم وَحَدَّهم لِيَعْمَى على النَّاطِرِينَ الغرضُ المرميُّ؛ وإلَّا فَإِنَّ مَوْقفَهُ المُتمِّع من الجماعات معلومٌ!

وقد أرسل العلامة عبد العزيز بن باز رسالةً إلى الشَّيخِ عائضِ القرنيَّ يَسْتَتِيه فيها مما سبقَ ومن غيره، وكذلك فعلَ العلامةُ أحمد النجمي حفظه الله، وهو مرجع أهل الجنوب في الفتوى بالسُّعوديَّة، وانتقدَه بعلمٍ وغيره سلفيَّة في كتابه «الموردُ العذبُ الزُّلالُ فيما انتُقد على بعض المناهج الدَّعويَّة من العقائد والأعمال»، قال في (ص ٣٧): «هل تُذكر - يا شَيْخِ عائض! - أي قلتُ حينما مررتُ عليَّ في خيمتي بعَرَقاتٍ من حجِّ عام (١٤١٦هـ-)، وجرى بيننا النَّقاشُ حول بعض الأخطاء التي صدرت منك، واحتججتَ بهذه الحجَّة: أي أنك قُلتها (أي القصيدة) وأنت طالبٌ في المعهد، فقلتُ لك: ولمَ سمحتَ بطبَّعها ونشرها؟ فسكت!!»

والمهمُّ أن هذه الحجَّة ليست بحجَّة، فإذا كنتَ قُلتها قبل أن تكتملَ بِنيتك العلميَّة كان الواجب عليك أن تُعَدِّمها وأنت تعرفُ أنها خطأ؛ حتى لا يجدها بعضُ أبنائك فيعترَّ بها، والحقُّ أن نشرها يُدينك، والتَّوبَةُ تُجِبُّ ما قبلها.»

وقد أردتُ بهذا أن أُبيِّن للقراء أن هُجُومَ فرقة (الإخوان المسلمين) على بلاد التَّوْحِيد لِيُفسدوها كان قديماً، كما ترى من شهادة الشَّيخِ عائض هنا على أنَّه التَّمَّ ثُدَي الحركيِّين وهو في المستوى الثَّانوي، والأغربُ أنَّه لم يُفطم إلى يوم النَّاس هذا، و«محاوَراته الصَّحفيَّة» اليومَ ليست فطاماً؛ وإلَّا فما يمنعه من أن يكتُبَ كتاباً يُحذِّر فيه من الفكر الحركي الذي ورَّطه فيما ورَّطه فيه، ويُعلن خروجه من تَنظيمه، وقد تجرَّع مرَّ تغريمه؟!!

وأقدم منه ما كان يُذاع في الإذاعة السعودية من كتب سيد قطب، قال سيد قطب في كتابه «لماذا أعدموني؟» (ص ٧٧): «ومن نحو ستة أشهر وردت إلي رسالة مسجلة من دار الإذاعة السعودية، مرفق بها تحويل مبلغ (١٤٣ جنيهاً) على بنك بؤر سعيد، وذكر في الرسالة أن هذا المبلغ هو قيمة ما أذاعته الإذاعة السعودية من أحاديث مقتبسة من كتابي (في ظلال القرآن) في شهري شعبان ورمضان ١٣٨٥هـ، وكنت قد علمت أن الإذاعة السعودية تُذيع أحاديث مقتبسة من كتابي منذ سنوات، وأنها مستمرة في إذاعتها، فلما قررتُ هي مكافأة معينة عن فترة معينة، رأيتُ أن أطلبها بقيمة السابق واللاحق من الإذاعات، وهذا حقِّي طبعي كمؤلف».

قلت: لقد مكثتُ مدةً طويلةً والحيرة تُصاحبني من رجال نشأوا في بلاد التوحيد والسنة، يُدافعون عن سيد قطب وكتبه التي حوت بدعاً وضلالات غليظة كما سيأتي إن شاء الله؛ لأنه طبعي جداً أن يُدافع عنه بنو قومه المشاركون له في فكره، أمّا أن يتحوّل (أهل السنة!) أبواقاً له، فهذا أمرٌ عجب، لكن إذا عُرف السبب بطل العجب، والسبب ما بينته لك قريباً.

وتمّ أمرٌ آخر، وهو أن سيد قطب لم يُتبّ مما في «ظلاله» كما يُجهد بعضهم نفسه لإثبات ذلك؛ وإلاّ فما معنى طلبه أجره على ما كتب، كما نقلناه قريباً من «لماذا أعدموني؟»، وهو آخر ما كتب؟! وليس غريباً أن يطلب المؤلف أجره على تأليفه، لكن الغريب أن تُباع البدع والضلالات بأجرة، وقد قيل: أحشفاً وسوء كيلة!

إن كثيراً من علماء بلدك - يا عائض! - الذين زهدت فيهم يعلمون أحسن الموضوعات، وبأحسن بيان: بيان الكتاب والسنة، ولا يسألون عليه أجراً كما علمت وتعلم أنت، وشيخك في الحركة، يكتب بلا برّكة، ثم يسأل

على ذلك أجراً، فانظر ما بين الرجلين لتعلم قيمة ما أضعت!
ثم إنني تصفحتُ كتابَ القرني « المسك والعنبر في خطب المنبر »، فهالني
أن أجد جُلَّ خطبه ذات طابع ثوري، تقطر بالعبارات المحرّضة على الخروج،
بل وجدته قد حفظ كل العبارات التي كنا نسمعها من ثوار الجزائر ومصر في
حقّ دولهم، وانخذها هو علكة يعضّها في خطبه، وما درى أن تلك العلكة لو
زعم أنها تصلح لغير بلده، فإنها لا تصلح لبلده؛ لأنني رأيتُ - كما رأى هو
أيضاً إن أنصف - من إكرام المملكة لعلمائها ودعاها ما لم تره عيني في بلدٍ
آخر!

فأيقنتُ أنّ الرجل صوّر له تمثيليةً مصريّة حركيّة؛ لأنه تربى على أيدي
(إخوان) ذاك البلد وخرافيته، يُراد منها نقلُ صورة صراعاتها السياسيّة إلى بلد
آمنٍ موحدٍ سنّي، شعبه منسجمٌ مع ولاة أمره، الذين أكرموا الشيخ عائضاً
كغيره من الدعاة، فمكّنته من الخطابة والكتابة، وكذا المحاضرة في أيّ مكانٍ
شاء...

فكان من جزاء الرجل لدولته، أن توهّم مرض تلك المسرحيّة قد انتقل إلى
بلاده، وتصور دولته عدواً ملاحقاً له، وتخيّل السجون والقبور، وهو يغدو
ويروح بين القصور، فيا لتلك المعركة بلا تقع، ويا لذلك الضراب بلا وقع!
وإليك بعضاً مما وجدته في خطب الشيخ عائض القرني، مما دونه في
كتابه « المسك والعنبر »، فقد قال وهو يتحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
(١/٣٤): « قُتِلَ هذا العظيم ... والعظماء يُقتلون دائماً؛ لتعلم الأمة أنهم
عظماء، فتعيش على نهجهم، وتنظم من دمائهم نظاماً زكياً تحيا به، وتبني من
جماجمهم مكرّمات ما كان لها أن تُبنى، وتجعل من أشلائهم تحفاً تتحدّى بها
التاريخ!! ».

قلتُ: ولاَ ريبَ أنْ هذه اللّهجةَ معروفةٌ لدى القاريءِ الحصيف، إنْها لهجةٌ من لا يَعْرِفُ من سيرةِ الفاروقِ إلّا ما يُعَرِّضُ به عن سيرةِ وليِّ أمره؛ ليعرّفِ الناسَ فسادَ ما هم عليه من سُكُوتٍ عَن هذا الذي ينبغي (أنْ تُنظَمَ له دماءُ زكيةٌ لإسقاطه، وتُبنى المكرماتُ على الجماجم، وأنْ يتركوا أشلاءهم تُحَفَأُ للتاريخ!!!).

فانظُرْ كيف يدرسون سيرةَ العظماءِ العادلين، ولا تَكُنْ من المتغافلين!
إنهم لا يدرسونها ولا يُدرّسونها إلّا ليفهم الناسُ منها (المواجهة) التي يسميها الفقهاءُ (خروجاً)، وهم يُسمونها (مكرمةً ودماءً زكيةً وتحدياً للتاريخ!!).

وقبل أن يرميني (متصوِّح) بأنني أدخلُ في النوايا فاقراً تصريحه نفسه بذلك في قوله في (٣٥٦/١): «إنا نتحدّث عن عليّ بن أبي طالبٍ في هذا اليوم؛ لأنّه بطلُ المواجهة، ونحن نفتقرُ إلى المواجهة، لا نتحمّلُ المواجهة!!!
أُمَّةٌ سلّمت قيادها لغيرها، أُمَّةٌ سُحِقَتْ كرامتها؛ لأنّها لا تملك بطلاً للمواجهة!!!».

قلتُ: فهل آن (للمتصوِّح) أن يفهم مرادَ القرني من الكرامة التي أراد أن يبيّنَها على الجماجم هناك؟!
ثم تابع القرني خطبته معرّضاً بدولته وشعبه قائلاً: «أُمَّةٌ أصبحَ القرارُ بيدِ غيرها؛ لأنّها لا تقوى على المواجهة!!!».

وكونه لم يجد الأبطال، يدخل فيهم العلماءُ دخولاً أوّلياً؛ لأنّ العلماءَ أوّلِي النَّاسِ بالبطلاتِ والمكرماتِ، والشّيخُ عائضٌ يَعْلَمُ جيّداً الظنَّ السيِّءَ الذي يُكِنُّه شبابهُ خاصّةً لأهل العلم، فعلى أيِّ محلٍّ تقعُ هذه الخطبةُ عندهم؟!.

وقال أيضاً في (٣٤٨/١): «إنا نتحدث اليوم عن هذا البطل؛ لأننا في عصر نحتاج فيه إلى الأبطال فلا نجد لهم! نبحتُ عن أبطال المواجهة في الحرب والسلم فلا نجد لهم أثراً!!».

قلتُ: هذه خطبة الجمعة في بلاد الشيخ عائض القرني: البلاد السعودية الآمنة!

تُرى: يواجه من؟

فإن قال المؤيد المتستر بالصلاح والإصلاح: لعله يقصدُ بلاداً أخرى؟

قلنا: فأنتم فقهاء واقع، فكيف لا تنطلقون من الواقع؟!!

ثم أنتم ترمون غيركم - ممن لا يُشارككم في إثارة الفتن - بالجن، فلم حَبِنتم هنا عن التصريح بما في نفوسكم وأنتم أبطال المواجهة؟!!

فإمّا هو يقصدُ السعودية كما هو واضح جلي، فهو إذاً على رأي الخوارج والمعتزلة في الإثارة والخروج، وإمّا هو يقصدُ غيرها كما هو رأي (المتصوِّح المتغافل)، فأين فقهُ الشيخ للواقع؟! والله المستعان.

أمّا قولي: إنه يُعرِّض بدولته وشعبه فهذا أو أن بيانه، قال في (١٩٣/١): «لا يُبعث نبيٌّ إلا وقد هيأ الله طاعةً هناك يتربِّصُ به، ولا يحمل رائدٌ من رُواد الدعوة مبدأً إلا ويتهيأ له ظالمٌ يرصده ...»

قطعُ الضأن: الشعوب التي لا تفهمُ إلا الخبز، ولا تفهمُ إلا الأكل، ولا تفهمُ إلا ثقافة القدر والجيب والبطن، تُصَفَّق للطاغية، وتحتو على رأس الداعية، الشعوبُ المهلهلة المهترية المتهاككة من داخل...!!».

قلتُ: هذه الخطبة أيضاً ألقيتُ في بلاد الشيخ عائض!

قام الخطيبُ هنا بالطعن في شعبه وفي دولته؛ أمّا الشعبُ فهو عنده قطعُ

ضأن، ليس يُحسِنُ إِلَّا التَّصْفِيقَ لِلطَّاعِيَةِ وَاتِّبَاعَهُ، وليس له من دينِ سِوَى
اللَّهْتِ وراءَ ما يَدْخُلُ بطنه!!

وأما الدَّوْلَةُ فهي عنده طاعيةٌ، وإلاَّ فَمَنْ هو المقصودُ من كلامه آنفاً؟!
ثمَّ لم يَسَلِّمْ إِلَّا « رُوَاذُ الدَّعْوَةِ »، يعني نفسه وأمثاله ممن تفتنُّ لما عليه
الطَّاعِيَةُ!!

هكذا تُصوِّرُ هذه البلادُ، وعلى هذا التَّهْيِيجِ على سَفْكِ الدِّمَاءِ تُسْتَتَارُ
عواطفُ الحضورِ، فبأيِّ عقيدةٍ يخرجُ الشَّابُّ الممتلئُ حماساً من مسجد هذا
الخطيب؟!!

هذه الخُطْبُ لَا تُرَبِّي في نفوسِ الشُّعُوبِ إِلَّا الحَقْدَ على ولاةِ أُمُورهم، وهي
أكبرُ عاملٍ لِحَلِّ مَعَاقِدِ أُمُورهم.

على هذه الخُطْبُ يتربَّى المراهقونُ السِّيَاسِيُّونَ، وفي أوكارها يُفَرِّخُ الخوارجُ
المارقونَ، ولتجدنَّهم أحرصَ النَّاسِ على حياتها وتلميعِ أصحابها، والأمرُ اللهُ.
وكيفَ يكونُ تصوُّرُ من يعيشُ خارجَها؟!!

إنَّه لَا يتصوَّرُ إِلَّا السُّجُونَ والدِّمَاءَ، لَا سِيَّما عندَ المُبتدعةِ الحاقدينِ على
دعوةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ، الَّذِينَ يَطْرَبُونَ لِتصوِيرِ السُّعُودِيَّةِ
قاعدةً من قواعدِ أمريكا في جزيرةِ العَرَبِ، ولا يهتمُّهم في ذلكَ أدنى تحقُّقٍ، بل
لو جاءهم في ذلكَ خبرٌ من إعلامِ الكفارِ لصدَّقُوهُ بـ (نعم)، ووافَّقُوهُ بنهم!!

ولذلكَ بكى الشَّيْخُ عائضُ على استيلاءِ جَبَابِرَةِ على بلادِ نجدٍ في زَعَمِهِ،
وَالَّذِينَ حَوَّلُوا أَهْلَهَا - بَجْبُرُوْقِهِمْ - إلى يتامى ذَلِيلِينَ، حيثُ قَالَ في كتابه
« لحن الخلود » (ص ٤٦-٤٧):

فبَكَتْ لما رَأَتْ نَجْدًا وما دَمَعُهَا إِلَّا مَعَانٍ وَكَلَامًا

وقال أيضاً:

لَا تَحْدِثْنِي عَنِ الْعُمَرَانِ فِي أَرْضِكُمْ يَا صَاحِ وَالْأَهْلُ يَتَامَى
أَنَا لَا أَرْغَبُ سُكْنَى الْقَصْرِ مَا دَامَ قَلْبِي فِي حَتَّى الذُّلِّ مُسَامَا
وقال فيه أيضاً في (ص ٤٩):

لَا تَبِعْ ذِمَّتَكَ الْعُظْمَى وَلَوْ أَلْبَسُوكَ بِشْتًا ذَهَبِي

قلتُ: البِشْتُ: هو الرِّداءُ الذي يلبسه المرءُ فوقَ ثيابه، مفتوحٌ من قدام فتحاً كاملاً، اشتهر بلبسه ذوو الوجاهة من الأمراء والعلماء، وقد قال الشيخ عبد العزيز بن علي الحربي في كتابه: « ما هبَّ ودبَّ » (ص ٢٩): « وليس في (القاموس) ولا في (اللسان) ولا في العربية أصلاً لفظة (بِشْت) بكسر الباء»، وأنشد في (ص ٢٧):

وَلَيْسَ فِي الْقَامُوسِ وَاللِّسَانِ لَفْظَةُ (غُثْرَةٍ) وَلَا (الْفُسْتَانِ)
و(البِشْتِ) و(البُوتِ) كَذَا (الفَيْلَةُ) و(الْكَلْسُونِ) ثُمَّ (بُوتٌ) (بُوتَةٌ)
والمقصود أن الشيخ عائضاً ههنا يطعنُ على العلماء بأنهم باعوا ذمهم لولاة الأمر بـ « بِشْتِ ذَهَبِي »!!

وتأمل دعوته إلى الدماء في قوله في (ص ٥٦):

وَعَبِيدُ الْأَرْضِ لَا حَوْلَ لَهُمْ وَزَوَالُ الْمَلِكِ عَنْهُمْ فِي وَشَكِ
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ لَا تَحْفَلِ بَمَنْ يَرْفَعُ السَّوْطَ وَمَنْ يُلْقِي الشَّرْكَ
فَارْفَعِ الذُّلَّ وَلَا تَرْضَى الْخُضُوعَ لِرئيسٍ مُسْتَبِدٍّ أَوْ مَلِكِ
أَنْتَ كَالْبَيْرِ كَانَ لَا يُدْرَى بِهِ فَإِذَا ثَارَ تَلَطَّى وَاحْتَرَكَ
دَمَكَ الطُّهْرِيُّ لَا تَبْخَلْ بِهِ وَابْذُلِ النَّفْسَ بِسَاحِ الْمُعْتَرَكَ

هذه نماذج من خطب الشيخ عائض القرني ونظمه، هذه النماذج التي لا

يرى فيها قوم ما يُستنكر، مع أنها لو تليت على أصم لأهطع!
وأخيراً، فإن ما تركته أكثر بكثير مما سقته هنا، وهو يحاول تشويه صورة
العلماء، وأي علماء!!

كما يُحاول تشويه صورة ولي أمره، وإظهاره للناس على أنه
« دكتاتورى » متعطر، ولو كانت دولته « دكتاتورية » كما تفوح به هذه
الخطب الثورية، لما كان لمثله أن يرقى المنبر مجاهراً بلا تورية، أو يُراه لو قالها في
دولة الحجاج بيت ليلة واحدة!!

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام ١٥٢].

أبو قتادة يسقط العلماء ويذكر نفسه

لقد أجهد المشبوه نفسه لصرّف الناس عن علمائهم كما نقلته عنه آنفاً، وأجهد نفسه لربطهم بالثوار، وحذرهم من الإنصات إلى مخالفة المشايخ لهم، كقوله في خطبته تلك: « وخلاف المشايخ هذه الأيام هو أكبر حجة ومطية يمتطيها ضعيف النفس؛ ليتحلل من انتمائه للمجاهدين!! ».

هكذا يدعو المشبوه الأمة إلى الاستقلال عن العلماء، ويزعم أن رجوعهم إليهم هو أكبر حجة للضعفاء، والحقيقة أن أكبر حجتنا هو حجة الكتاب والسنة والحمد لله، وأما العلماء فمن توفيق الله أنهم أكدوا لنا صحة هذه الحجة؛ لأنهم أوتوا من العلم ما يجعلنا نتقاصر دونهم، لله درهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

وأما تزكية أبي قتادة نفسه ففي قوله في خطبته تلك: « من هذا الرجل الشجاع الذي يستطيع الآن أن يقف أمام دولة تأويه أو تحميه أو تعطيه لجوءاً، أن يقف مجاهراً: أنا أؤيد المجاهدين، أو أنا أؤيد أولئك حملة السلاح؟! من هذا الرجل الشجاع الذي يستطيع أن يقف هذا الموقف؟! لا! إلا من أقامه الله ﷻ برهاناً وبلاغاً على بقية البشر... وإنها طريق لا بد أن يسأل فيها الدماء...!! ».

النقد: لم يبق من هذه الكلمات إلا أن يُسمي نفسه، وهنا مربط الفرس، والهدف المنشود من كلماته تلك: أي أن يتخلص الناس من فتاوى أهل العلم؛ ليقلدوا رقابهم فتاوى هذا الشجاع، الذي رأى أنه آوى إلى (رُكن

شديدا!) : بريطانيا، يُبرجَمُ من وراء ديار الكُفْر، فيا لها من شجاعة نادرة!!
 إذاً فليست الشجاعة عنده في شيء إلا شجاعة متكفّف أموال بريطانيا،
 مستكنّ بنظام إيوائها، ومن صرّحها فليناد (الشجعان!)، وفي حرم ديمقراطيتها
 يعيش من يخالف قول رسول الله ﷺ: « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين
 أظهر المشركين » رواه الترمذي، وهو حسن!

إنّه أبو قتادة الذي قال عن نفسه: « أقامه الله ﷻ برهاناً وبلاغاً على بقية
 البشر »!!

فهل يجد العقلاء أقبح من هذه الصراحة في أن الرجل يدعو إلى نفسه؟!
 قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم ٣٢]،
 وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاث مهلكات، وثلاث
 منجيات، ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه،
 وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى،
 والعدل في الغضب والرضا » أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٥٨٤)
 وغيره، وحسنه الألباني في « الصحيحة » (١٨٠٢).

إنّ بلادك تلك - لندن - يُعجبها منك أن تتخذها قاعدة تنفث منها
 سمومك على بلاد الإسلام، ويرضيها أن تظلّ بلاد الإسلام تحت نار الفتنة،
 وعلى هذا فشجاعتك هذه تقدّم لها خدمة جليّة، فلتعطينّ لك ولأمثالك ألف
 بطاقة إيواء ولجوء و...!

ولتوفرنّ لك أظفارك التي قلمها لك أهل السنة، ولتربينّ لك أنيابك التي
 هتمها لك أهل السنة، ولتجبرنّ لك قرنيك اللذين هشمهما لك أهل السنة؛ ما
 دام الذي بينك وبينها شمّ وتقبيل، والذي بينك وبين بلاد الإسلام عَضُّ

وتقتيل!

فكيف لا ترضى عنك، وأنت خير من توطن مواطنها، وإن لم تكن
مواطنها؟!!

والله أعلم بحقيقة الحال، إلا أنه وعد فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا
تَحَدَّرُونَ﴾ [التوبة ٦٤]!

أما وضع الجزائر، فحقيقته أن الخارجين على الأمة بالسيف ليس فيهم
علماء، ورب السماء!

وإنما هي شهوة غصبيّة غازلها جهل بالنفس وتجهيل لأهل العلم، ممّا مكن
للروبيضة أن يولد، وبميلاد الروبيضة ادلهمت الفتن وتتابع الخطوب، وإنا لله!
إن الذي لم يسّم به مستواه العلمي إلى أن يهتدي إلى الحق في مثل هذه
المسألة، يكفيه أن يطّلع على أماراته؛ فإن من أمارات الخسران: عزّل العلماء
عن وظيفتهم وهم مُرابطون على تُغورها ولكن لا تُبصرون، واغتصابها منهم
بزعم تقصيرهم فيها، كما هو وصف الروبيضة الذي قال فيه رسول الله ﷺ:
« سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصدّق فيها الكاذب، ويُكذّب فيها
الصّادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين، وينطق فيها الروبيضة! »
قيل: وما الروبيضة؟ قال: الرَّجُلُ التّافه يتكلّم في أمر العامّة « رواه ابن ماجه،
وهو صحيح.

وقد كان السلف يرون رجوع الناس إليهم من الفتنة المعجّلة، من ذلك ما
حصل لسفيان بن عيينة - رحمه الله - أنّه لما توفي جمع من أهل العلم رجّع
الناس إليه، فلم يفرح بذلك ولا دعا الناس إليه كما هو شأن المشبوه هنا، بل
عده من الشقاء، فقد روى ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٥١/١)

بِسْنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي قَدَامَةَ السَّرْحَسِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ كَثِيرًا مَا يَرْتِي نَفْسَهُ يَقُولُ:

ذَهَبَ الزَّمَانُ فَصِرْتُ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّوِّدِ

وَفِي «تَارِيخِ نَيْسَابُورِ» لِعَبْدِ الْغَافِرِ الْفَارِسِيِّ كَمَا فِي «الْمُنْتَخَبِ مِنْ السِّيَاقِ لِتَارِيخِ نَيْسَابُورِ» (١٨٩) وَ«تَارِيخِ بَغْدَادِ» لِلْخَطِيبِ (١٧٧/٩-١٧٨) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْبَاهَلِيِّ يَقُولُ: «سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: كُنْتُ أُخْرَجُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَتَصَفَّحُ الْخَلْقَ، فَإِذَا رَأَيْتُ مَشِيخَةً وَكُهُولًا جَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ قَدْ اكَتَنَفَنِي هَؤُلَاءِ الصَّيِّانُ، ثُمَّ يُنْشَدُ:

حَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّوِّدِ

وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ نَجِيدِ الَّذِي فِي إِسْنَادِ «تَارِيخِ نَيْسَابُورِ» قَدْ وَثَّقَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمُنْتَظَمِ» (٢٤٩/١٤).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُعَلِّمِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى كِتَابِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: «أَيُّ صِرْتُ سَيِّدًا وَهُوَ الصَّوَابُ، أَيُّ أَنِّي لِحُلُوِّ الدِّيَارِ عَنْ مُسْتَحَقِّ السِّيَادَةِ صِرْتُ سَيِّدًا!»، وَبَوَّبَ لَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِقَوْلِهِ: «بَابُ فِي تَوَاضِعِ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَذَمِّهِ نَفْسَهُ».

هَذَا سُفْيَانُ الَّذِي كَانَ جَلَّةَ الْعُلَمَاءِ يَقْصِدُونَ مَجْلِسَهُ لَا يَتَكَلَّمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ (٥٠/١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ آدَمَ (الصَّدُوقِ) قَالَ «مَا رَأَيْتُ وَكَيْعًا عِنْدَ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَطُّ إِلَّا جَائِيًا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ سَاكِنًا لَا يَتَكَلَّمُ».

أبو قتادة يطعن على كبار العلماء بالسعودية

قال المشبوه في مجلة الأنصار، العدد (١٢٨)، في (ص٧)، بتاريخ: (٢٩ رجب ١٤١٦هـ): « لقد استطاعت الحكومة الطاغوتية السعودية أن تجند الكثير من المشايخ السلفيين في العالم عملاء لها يكتبون لها التقارير الأمنية عن نشاط الحركات الإسلامية، وهذه كذلك نتيجة سنيّة؛ فإنّ السلفي الذي يعتقد بإمامة عبد العزيز بن باز ومحمد بن صالح بن عثيمين واللحيدان والفوزان وربيع مدخلي، كائناً من كان هذا السلفي، ومن أي بلد كان، فإنه سيعتقد في النهاية بإمامة آل سعود؛ لأن مشايخه هؤلاء يديّنون بالولاء والطاعة لآل سعود، فإمام شيعي إمامي، وإمام ابن باز هو إمام السلفيين، ولذلك ففهد بن عبد العزيز هو إمام السلفيين في العالم أجمع...!! ».

قلت: تأمل هذا الأسلوب الخبيث الذي توصل به إلى الطعن على أهل السنة، إنه الآن يُسميهم ويقرضهم بالمقاريض، بعد أن طال صبره بالتقية والمعارض.

وتأمل أيضاً هذا الأسلوب الخبيث الذي أراد به التوصل إلى الطعن على السلفيين جميعاً؛ لأنه قال: « كائناً من كان هذا السلفي!! ».

وقال أيضاً في مقاله السابق: « وقد أصبح هؤلاء السلفيون عملاء مُرتزقة... فهذا النوع من السلفيين علينا أن نضعهم في صفّ العملاء المرتزقة، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم من غير جمجمة ولا تقية!! ».

وفي (ص٥) جعل العلماء « عُيوناً على المسلمين في مصلحة الطاغوت السعودي الخبيث!!»، كذا قال تحت عنوان: « من صميم المنهج!! ».

كلُّ هذا ليخلص إلى القول في (ص٧): « فالحذر الحذر من هذه السلفية

الخبثة!!

لَا سَبِيلَ إِلَى الطَّعْنِ عَلَى الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِإِمَامَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، مَا لَمْ يَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَوْجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُ بَيْعَةٌ لَوْلِيٍّ أَمْرَهُ، فَقَالَ: « مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حِجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٥١)، وَإِنْ وُجِدَ الذُّنُوبُ لَدَى السُّلْطَانِ لَا يُعَدُّ مُسَوِّغًا شَرْعِيًّا لِحُلُوعِ بَيْعَتِهِ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةً جَاهِلِيَّةً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٨٤٩).

وَإِنَّمَا تُنْقَضُ بَيْعَةُ السُّلْطَانِ إِذَا كَفَرَ كُفْرًا بَيْنًا صَرِيحًا لَيْسَ فِيهَا لَبْسٌ؛ فَعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ قَالَ: « دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةَ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالْعُلَمَاءُ هُمْ أَهْلٌ لِأَنَّ يَرَوْا ذَلِكَ الْكُفْرَ الْبَوَاحَ لَوْ وُجِدَ؛ لِأَنَّ الْعَالِمَ هُوَ الَّذِي يُمَيِّزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، لِذَلِكَ أَنْكَرَ اللَّهُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْعَالِمِ وَغَيْرِ الْعَالِمِ، فَقَالَ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا ﴾ [الزُّمَرُ ٩] ، فَلَا يَجُوزُ اتِّهَامُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعَمَالَةِ أَوْ الضَّلَالَةِ بِمَجَرَّدِ أَنْ فَتَاوَاهُمْ تَخَالِفُ أَهْوَاءَ النَّائِبِينَ عَلَى وُلاةِ أُمُورِهِمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمِ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي « صَحِيحِ الْجَامِعِ » (٥٤٤٣).

صورة المقال السابق

صميم المنهج

ويعتبر إلى الإهتمام بالأشروطة على العباد على المرحومين
 كما ويعتبر قبول ما دعا المدخلي وأمان السلفي من الاعتقاد
 : (وأشروطهم المسجلة في الله وما حفظته من كتابه
 وتفسير للمجتمع ليس بمخالفة عليكم) ومن له
 المحاضرة المسجلة : "اعتدوا بأولي الأعمار" وأيضا
 البلد إياكم وكفر النعمين" وغيرها لمضية الشيخ صالح بن
 تافع العثيمين . ولنا مغفلين ولكن كنا نتغافل . والبرهان إلى
 الله سبحانه . في شرط "فكروا إلى الله" . وكما - مطروح وكشف
 بفتاوى وغيرها للشيخ محمد هادي المدخلي . ورسالة إلى
 الشيخ سفر الحوالي وغيرها لمضية الشيخ الدكتور محمد أمين
 بن علي الحامص . إلى غير ذلك من الأشروطة والمعانيات
 النافعة والهامة التي أوردتها إلى الجمهور بتسجيلها ونشرها
 تسجيلات طبية بالمقابلة التبرية التي تضمنت كل دم وتشجيع
 لوقفتها القوية بمفردها أثناء أزمة الطلوع وإلى اليوم . وكشف
 من خلال الكتابة والتأليف . ليس له ذلك منهم مثل كتاب
 الشيخ ربيع للمدخلي مطبوع أقل السنة والجماعة في نقد
 الكتب والمراجع والفتاوى . وكذلك الأخر "أهل الحديث هم
 الطائفة المتصورة والفرقة الناجية" حوار مع سلمان بن فهد
 الصديقي في بيان الحجة على من يقولون بالجماعة
 وإخراج فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد
 في المنهج والافتكار مع سلمان الصديقي وسفر الحوالي . والذي
 تضمن جل أقوالهم المسجلة والسكتة التي أوردتها في المنهج
 لصالح مع الرد عليها وتقرير منهج الشيخ صالح فيها .
 كذلك كتاب "شقيقة للمهبة إلى الله تعالى" وما تضمنه
 من مزية العرب وتقرير مناهج الدعوات الإسلامية إلى الله
 سبحانه وإخراج الشيخ صالح الحارثي . ويخلص إلى
 لسائل : (إن من إعمار ولا الأضر والمسؤولين من أهل
 لشالين يشهرون في مخالفة وزارة الداخلية فيلزم
 حسن أن تتكلم أو ترفل أي أحد في مراكز جماعة
 بن حاله وبمقابلة أمره وولائه ومدى ثقته وصلاحه) ويخلص بقوة
 على ربط الجهاز الأمني في الدولة مع مشايخ أهل الولا . من
 مخالفة العكس وعلى المنظر من أهل العقيدة النبوية لما
 يهين السابحة التي لا تخفي على أحد . (حسب لفظه) بمقا
 شهي عرض التقرير الصادر من المجلس الإسلامي
 الداخلية لأحظ دولة سلامة في التصريح التطل المستور .
 لشدهم الأسم . وأولي العاريف والمعتمد الناقد
 كبر نايه بن عبد العزيز . وتحيا سلفية أهل الولا . ولن
 خرابي يعني النقاط المهمة على هذا التقرير أوجهها لهم :
 قولاً إن سابقهم في الولا . فتبينوا في شرحه سنينة لمن

التي يؤمنه آل سعود . أو يفرهم من الأتمة الكفرة المرتدين
 في كنفه كثيرة الجزائرين وليست
 في كنفه من مسجونين . والله هو اعتمد الرجل صحة ولا
 في كنفه أن يكفر حيناً لهم على المسلمين
 ولن يشجر بالإثم والنعم . ولها يتبين الخوض من هذا الشرع من
 الأفتكار

شأنها: لقد استطاعت الحكومة السعودية
 تجند الكثير من المشايخ السلفيين في كنفه ضلوا لها
 لها العقابير الأمنية عن نشاط الحركات الإيمانية
 نتيجة متينة : فإن السلفي الذي يعتقد بأمامة عبد العزيز
 باز ومحمد صالح . فشمسين والحياديان والقبوزان وربيح المدخلي
 كانوا من كان هذا السلفي من أي بلد كان . فإنه يستند
 النهاية بأمامة آل سعود . لأن مشايخه هؤلاء
 والطاعة لآل سعود . فقام شيخه إمامي
 إمام السلفيين . ولذلك فهد بن عبد العزيز هو
 في العالم أصبح لأنه هو الإمام الرسمي والتشريعي
 السلفية الجديدة . ومن ثم علينا أن لا نستغرب من وجود طائفة
 علم سلفيين من الجزائر ومن ليبيا ومن الأردن ومن حصر ومن
 سوريا ومن الهند وباكستان وغيرها من الدول عبيداً للإمام
 عدلاً بالناطقة الشخصية .

شأنها: إن هناك لافراً بين طالب العلم السلفي وبين
 العمل المرتزق . وقد أصبح هؤلاء السلفيون عملاً مرتزقة .
 على أفتاس هذه النظره علينا أن يتألمهم ونناظرهم لا على أساس
 الاختلاف في وجهه النظر . باختلاف المنهج . وعلينا أن
 نستعصر هذا التاريخ في السلفيين والمناظرة وهو مهم جداً . فهو
 اللوع من السلفيين على السلفيين في صف العمل المرتزق
 لهم بما كرم ولأنهم من علمهم في غير صحة ولا قيمة .
 ومن العزير ما يجب أن نكشف أمرها ونمنح مسرعتها عن طريق
 هؤلاء العلماء السلفيين . والأمثلة في الجواب كثيرة . ومن
 الشلير) مع وجود غيره فإن بين بني تضرير أوتى آخر للفتنة
 الدكتور أسان الحامص شيخ السلفيين وقدمت إلى
 العزير ومنه إلى ولي أمر السلفيين فهد بن عبد العزيز أكد
 شهادة على هذا .

فالميلو العطر من هذه البيئة الخبيثة . ونحن لم نستطع
 في هذه البيئة من كنفه بالأساس والجملة سواء كانوا
 أشخاص أم جمعيات ولكن لن يمدح الأخ من وجود أمارات
 ودلائل لمعرفة هذه الجماعات والشخصيات
 والحديث بقية إن شاء الله تعالى

صورة المقال الذي بعده

مع صميم المنهج

أدركته بنفسه شبيهة ، أو ما سمعته من أهل الولا . في الصفة النبوية أو من طلبة العلم السلفيين أهل الولا . وما أدركه غيره . من المختصين . مما أشرت اليه الكتب الكريمة . فالذاكرة تقرير مختارواي واضح . صميم ان قيمة الأعمال المتاحة حيث خلطت بينه وبينه من النعاة والمفكرين وجعلهم في تنظيم واحد بصورة عزلية جعلت التقرير أقرب إلى التقارير الصنفية التي تقوم بها المجلات الضخمة . لكن ما يهيجنا في هذا النفس المنكسر الذي بدأ يستيقظ في تونس هؤلاء الضحايا السلفيين حيث وصل بهم إلى هنا الأمر الخطير . وهو الإشتغال عيناً على المسلمين في معالجة الطوائف المعوقية الضيف .

أما كذا يتصور صاحب المذكرة (التقرير) التنظيم ورواه في لهو قد ولدت في سكرته حيث جعل في المصنف المصنف لهذا التنظيم قائما على سلسلة إحياء الدعوة لمحمد أحمد الراشد (اسمه الحقيقي عبد المنعم صالح العلي) وأثلا لا أستبعد أن يكون اعتقال عبد المنعم صالح العلي في الإزابة التي كان فيها هذا التقرير . كذلك في هذه المجلات التي كانت الحركة الإسلامية في المرحلة الأخيرة للمصنف المصنوعي . وكشأن الإضراب السلفيين في تلك المرحلة التي كانت في تونس . ويجعل من يعالج التنظيم في الجزيرة : الشيخ سفر الحوالي والشيخ بلمان البويدي وأحمد عبد المجيد . والمفكر علي حريشة . ومحمد لطيف ومحمود بن يوسف . وعلى التوالي : يوسف البشر . وعياض القرني ، وتاجر الصخر . وجمال بن حماد الجهني ، وسعد الغديب . ومحمد المسعري ، وهو يحرض الدولة في تشديد الإجراءات ضد اعتقالات التنظيم ومدح بعض الأفاضل الذين كانت لهم اليد في هذا التنظيم في حماية الوطنين الذين بدأ في وضع حد لفساد التعليم والاختراع . الذي يُصنف مكانت للعلماء . وأضر بعامة الناس والشباب . ولم تذكر ذلك المواقف الأبهامي الذي صدر في سنة كيار للعلماء نحو سلمان العودة وسفر الحوالي مع غيرهم ممن يسمون على منهجها العزيز ويوضح أكثر لكان في ذلك المنهج كبيراً . ويجعل التقرير الثاني في ذلك التنظيم هو فكر ومنهج قطب رحمه الله تعالى فيقول : (ذلك فإن المنهج وسائل المهادنة والفرافقة في تلك الممر ومنهج سيد قطب الذي نشره في كتبه المختلفة التي لا تزال لألسن تصدر في بلادنا حتى اليوم . وسان ضلالتهم وتصرفاتهم بعيدة عن المصنف الصحيحة التي كانت في ذلك المنهج التي ظهرت لها كل من حتمها وتبناها من أهل هذه أو غلغلة أو إغراء . ولعلهم أن فقد فكر ومنهج سيد قطب في الحقيقة فقد للفكر ومنهج التنظيم

وهذا المنهج التبرير بكثف وسائل الحزب القمري الخطير (استتت تقليدا) في الرضا والحقائق هي :

1 - توظيفه للحزب والانتابر . وتصب السخالي في الفساد . وعبارة للتدوير والتنظيم في الأسبوعية والتسوية . (وهو المقال (عصب الدولة) لا يستشعرون ولا يظلمون من أحد من المصنفين . خصوصا مشايخ المدينة النبوية . وخطبة العا الثقاتين أهل الولا . لأنه لا يخطأه أو المتدركة في ضوء ، به انهم يستمعون عن ذلك صراحة . أو يصرفون عنه بكافة الوسائل . وما يقوم به مركز الدعوة في المدينة منذ عام 1416 هـ . من عدم تعاونهم مع أيديها أو إعلان معارضتهم التوضيح دليل على ذلك ، ومن ذلك أن اللجنة دائما تقام به في مركز الدعوة في الرياض من محاولته منع فضيلة الشيخ قائل الحرمي من إلقاء محاضرات (أما إنها التصديحة) في أحد جوامع الرياض . والأخرى في مدينة المجمعة . إلى أن تدخل سماحة الشيخ عبد العزيز بن قاسم البركي بإعلان المحاضرة والموافقة على إعلان اللجنة

2 - إلقاء محاضرة في المدينة . والتفائل في المؤسسات العلم والسلك القضي في القول في المصنفين في سببهم من القضاة من يخافون هذا المنهج الحزبي أو من المشاكسين به من الواسل أو مناصب مختلفة . ويحجبون عن حقيقة سلطة القضاة . لتحقق بعد الأهداف الجزئية . مثل ما فعله أحد القضاة في المدينة التي من تهديد صاحب تسجيلات طيبة بدعوى نشره أشرطة تصب الضلال وتدعو الفرقة . وسمى له بعض الأشرطة التي منه رددوا الشيخ محمد الهادي المنطلي على الدكتور سفر الحوالي

فتوى ابي فتادة في قتل الخطباء والعلماء

الحقيقة أن هذا الفكر كداء الكلب، لا يجد صاحبه راحة في نفسه ولو أخذت نهمتها على رغبتها؛ لأنه بمثابة من يطفئ النار بالهشيم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» رواه أحمد (١٠٢/٤) وأبو داود (٤٥٩٧)، وهو صحيح.

وكما رأيت - أخي القاريء! - أن المشبوه قد كفر الحُكَّام، ثم لم يكتفِ بذلك حتى كفر جُندهم؛ بدعوى أنهم سياج للحُكَّام، ثم لم يكتفِ بذلك حتى دعا إلى تكفير العلماء والدعاة الذين ليسوا معه ولا مع جماعته، وما دام المشبوه لا يجرؤ في البداية على التصريح بحلِّ دمائهم، فإنه يفتري عليهم ليمهد لذلك، كأن يصفهم زوراً بأنهم ينصرون المبدلين للشريعة، فقد قال تحت عنوان: «فتاوى جهادية: فتوى خطيرة عظيمة الشأن في حكم الخطباء الذين دخلوا في نُصرة وتأييد المبدلين لشريعة الرحمن»!!

هذا عنوان مقاله في العدد (٩٢)، من مجلة الأنصار، في (ص ١١)، بتاريخ: (الخميس ١٣ من ذي القعدة ١٤١٥هـ).

صورة المقال السابق (ص ١١) منه

تعاون جهادكم

عليها من عليهما ما تشين ابي قتادة الفلمطيني

فتوى خطيرة ، عظيمة الشأن

في حكم الخطباء الذين دخلوا في عصية وتأييد والمبدئين لتريمه الرحمن

كتبتهما وعلق عليهما : الشيخ ابو قتادة الفلمطيني

المسألة : الخليل : خطيبهم الذي خطب لهم بعد صلواتهم يوم الجمعة كما نقل ، ولا يستعابون ، ويحرم عليه زوجته ، ولا يرث ولا يورث ، وماله في المشركين ، وتمسك أسبعت أولاده ، ويكون منبره للسليبي ، يفتق القلوب بجرته ، لأنه لم يبق له مال ، سوى مي مكاتبه ، والمسلمين ، ويعتقدون بالأداء ، ويرثون جالسه ، وأحكامها كلها أحكام الكفر ، على من عاب قولي أن يقول ، إظهارا للنعم ، ولم يكن أبداً ، وهو في اليوم قبلة ترحمه ، وإن كان بعد العزل أو بشي ، تنفذ لم تقبل ، ومن صلى يوماً خروفاً أصداً لظهور لرمها ، ثم لا يقيمها أمكنه الشروع ، ولا عذونه بكترة هيال ولا غيره .

ثم قال عياض : أبو بكر محمد الكبراني : من البرهان ، سئل عن أكثره بنو عبيد على القبول ، في دعوتهم أو يكفل ، قال : يغفل القتل ، ولا يملأ أحد بهذا إلا من كان أولادهم اليك قول أن يعرف أمرهم ، وأما بعد فقد وجب القرار ، ولا يغفل أحد بالهوى بعد إقامته لأن اللذم في مرضع يطلب من أعله لتقبل التراجع لا يجوز ، وإنما أقم فيها من العلماء ، والمؤمنين على الميمنة لهم ، يفتقوا المسلمون دعوتهم فيفتنونهم عن دينهم .

فتأ خطيبهم : >> وعلى هذا كان حيلة من حسود وظهاره : ربيع القطن

عاصروا الدولة العبيدية عندما كانت في الضرب من من حكامها ومن دخل معهم من الشايخ والقطباء الذين خطبوا على المنابر ، ودعوا لهم بالتوسل ، وأرقتوا الناس أنهم أئمة على وعد ، وأهم في دين الإسلام ، ولم يكفروا للمؤمنين مستبسلتهم ، وأهم في دين والشيطان ، وفي ترك التعلين عليهما ، وكان معنى الشبهة التي وردت في بعضهم بعد الفتن كما ذكرها القاضي عياض في كتابه ترميم المبادئ ، وترويض المسالك .

الفتوى

عند سؤاله القاضي للإمام حسبان بن عوف بن عياض النيسابوري عن سنة 444 هـ في كتابه : >> ترتيب المبادئ وترويض المسالك : سجله 7/ 274 >> وما يليها :

أبو بكر محمد بن عياض بن عوف بن عياض النيسابوري : أئمة عليهم من أبي محمد (١٦) من شيعته في كتابه رحمه الله . سئل عن فكرة عن خطبا ، في صعيد ، وأقول له : أنهم سفلة . فقال : أفس هؤلاء ، قالوا : أصل على عبدك التاتم وروثة الأرمين ؟ فقالوا : نعم . السال : لو أنتم لو أن خطيباً خطب فأتى على ذلك ويضرب ، فأجيب الله . ثم قلت : أبو جهل في الجنة ، أليكون كسائراً ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخطاكم أيضاً من أبي جهل .

قال عياض : >> وسئل النابودي عن

الاستدلال للرب العالمن خطيباً ، والسلام على الرسول الأمين وأهل الطهارة وأصحابه المجاهدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أنا بعد ، عندما على العلم ، وتكلمت الرويضة ، وغابت أعظم مسائل الإسلام ، وجلت الناس حقيقة التوحيد ، لعن الله الناس بأعظم بلا ، وأضد صفات ، بأن سأل الله عليهم شكلاً كفرة ، لوتوا عن دين الله من جميع أربابه ، فيذكر الشبهة ، ورواها القاضي عياض في كتابه ترويض المسالك ، والإفتاء على محمد صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا في دين المشركين فأطاعهم من كل وجه ، وصار لهم ردة ، ولا يبالونكم وطرائقهم من المطر بصفحة ، ولا يبهلون إلا من طمس الله بصيرته ، وسهل حقيقة التوحيد التي بعث به الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام ، ولا كبر الضمطان وأنها صفة بعينه وروحه ونفوسهم كبره وسلبوا من الضد ما يحصر بها الناس في حقيقة التوحيد ، وليس عليهم حقيقة الشرك حتى يولعهم فيه ، فقد تكلم بعضهم وزعم أن تكفير المشركين للشريعة أمر لم يصرفه الأوتار ، وليس هو من تنانيد الشرك ، العنينة التي أبان السلف التزم ، وهم من كان شركته خيراً من كراهته الله عز وجل المرتدين الذين كانوا الطواغيت الوجوهة هم معدنون لهذا الأمر ، وليس لهم صفة من الأئمة الهجلا ، حرماً تسوق في هذه الروايات فليسوا أئمة الأئمة الذين

صورة (ص ١٢) منه



صورة (ص ١٣) منه

فتاوى جهادية

3886 / 996 هـ - 1415 م
بأمر الله وصيبره الغنى عشر سنة
ظهرت عقيدة التزوير بأنه هو الإله
وللفكر تيار الإسلاميين لأنهم

أولاً : الأيديولوجية (وهم وركبت
الإسماعيلية الثورية)
والثانية : المهرة (وهم وركبت
الطائفة المستعجلة)
والثالثة : المصيرين كانوا خلال حكمهم نصر

يعرضون أيضاً الحرس أن لا يخالصوا
عقائد الكفر الظاهرة حتى يستقر لهم
ملكهم . بل في عهدهم ظهرت كثير من
البدع الدينية لسياسة حكمهم وتجاهلهم
الباطني منها : الاحتفال بالمولد النبوي
الشريف ، الاحتفال في الأعياد
الدينية كالنصف من شعبان وغير
عائشوا والأصالة على النبي صلى الله
عليه وسلم جهرا والاعتقاد ، والتكبير
في المناسبات ، هذه البدع وغيرها لمساعدة مشايخ
الطرق الصوفية استطاعوا إخضاع الناس
شكهم وتزوير حالهم على كثير من
المعقولة .

أما عقائدهم فهم يتزعمون علي بن
أبي طالب ثم باقي الأئمة عليهم آ من
المؤمنين إلى استئصال واستئصال

ويعتقدون فهم القدرة على التصرف في
الكون كله ثم من المعتقدات
بغيرها من الأبطال . « لا يقال طوبى
حي . ولا تنام ولا تحال ولا عقاله ولا
كامل ولا تلذ ولا تقابل ، لأنه مبدع
الحق القادر على السلام القائم التفاضل
ولا يقال له « لا » لأن كل ذات سائلة
للصفات » وهم يقصدون بالمبتدع
الغافل للصفات من العقل الأول . كما
ذكر الكرمانى في راحة البال وهو من
أهل كندة كقولهم « أولاد قاص غلر
طبعه أنت كفتهم الكاسرين .

وقد تكلم عنهم جماعة من أهل
العلم وكشفوا مستورهم الخبيث ومن
عزاه أبو الوليد بن رشد في كتابه
« التمهيد في الفقه » ، وهناك مجموعة
من الرجالهم ترجمها الشهرستاني في
كتابه « الملوك والتسل » عن عقيدتهم في
الإسماعيلية . وكثير من شدة الضيق
في كتاب « رسائل الخليل الصفا »
« التمهيد » ، وأنه القائل
بفهم شيعي الكمالهني في المغرب .
وقد أقرهم القرظي بكتاب « فضائح
الباطنية » .

وجماعة منهم لم يزلوا لا يكفون
بالشرقية وضربوها ، بل يرون أنها
مفسوخة بظهور النبي محمد بن إسماعيل
، فهو قائم الزمان ، وقد انتهى له علم
الأكبر ، ووقف على براطن الأفسوس

ويؤذونهم ، وهم لا يعملون بالشرعية
إلا بسبب الحاجة لرضاية مصالحهم عند
الجملة والنمسا . ، وليس على المعارف
المستخبر أن يعمل بها ، وأن الأهمية
الأنفقا ، لا تهيئة لهم عن الأهمية . الضمت
وقال لهم الشرس وهم الأهمية السبية)
أصحاب الشرائع إنما وجدوا لسياسة
الحامسة . وأن أنبيساء الإسماعيليين
(الطيب) ، الحكمة خاصة .

قاله كثر الظلمة الصوريين وخطيبناهم ، وسألو عن صفات التكفير ؟

في أهميتها الشطر والفقر المعقولة
لرأيت أن إجماع أهل العلم قد اتفق على
تكفير الصوريين ونظرياتهم ، وقد تعلق
حكم التكفير بملة خاصة .

أما كفر الصوريين فهو : قال الكوراني
« لا يعدون أهل الظهور بعد إقامته ،
لأن الأقسام في موقوف على الظهور
تعميل للشرائع لا يجوز » ، فالتأط
الذي كفروا من أجله هو تعميل الشريعة
التي أتت في العهد القادم إن شاء
الله تعالى .

(3) : تركت ترجمة الأعلام مخالفة
الرسائل الشيعية ص 118

**إن هؤلاء الجوارحيت الذين يعتقد الناس فيهم وجوب الطاعة من دون
الله فكيف لا . وهم يحلون ما حرم الله . ويحرمون ما أحل الله ويسعون
في الأرض فسادا بقولهم وقولهم وتأييدهم . ومن جادل عنهم أو
أنكر على من كفرهم . أو يرضى أن فعلهم هذا ولو كان باطلا فعلا
يخرجهم إلى الكفر . فأقبل أحوال هذا الجادل أنه فاسق . لأنه لا
يصلح دين الإسلام إلا بالبرائة من هؤلاء وتكفيرهم .**

الشيخ محمد بن عبد الرقيب . رحمه الله تعالى .
(الرسائل الشيعية ص 118)

وَلَا رَيْبَ أَنَّ كَلِمَةَ « نُصْرَةٌ » فِي هَذَا الْعِنَاوَانِ وَضَعَهَا عَمْدًا لِلتَّمْوِيهِ؛ حَتَّى يَفْهَمَهَا كُلُّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِهِ:

- فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى سَكُوتَ خَطِيبِ الْمَسْجِدِ عَنِ مَثَلِ الْوَلَاةِ نَصْرَةً لَهُمْ!
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى كَلَامَ الْخَطِيبِ عَنِ حُقُوقِ الْوَلَاةِ نَصْرَةً لَهُمْ!
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ عَدَمَ تَكْفِيرِ الْخَطِيبِ لِلْوَلَاةِ نَصْرَةً لَهُمْ!
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ تَحْذِيرَ الْخَطِيبِ مِنَ التَّكْفِيرِ نَصْرَةً لَهُمْ!
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ بَقَاءَ الْخَطِيبِ فِي وَظِيفَتِهِ نَصْرَةً لَهُمْ!
- وَمِنْهُمْ أَشْكَالٌ لَا تُحْصَى ...

فَكُلٌّ يُطَبِّقُ حُكْمَ تَكْفِيرِهِ لِلْخُطْبَاءِ بِحَسَبِ فَهْمِهِ لِهَذَا الْوَصْفِ، أَوْ بِحَسَبِ حَقْدِهِ عَلَى مَنْ يَحْرِصُ عَلَى تَكْفِيرِهِ مِنْهُمْ، فَتَأَمَّلْ!

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا قَرَأْتَ مَقَالَ الْمَشْبُوهَ هُنَا تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ يَعْنِي بِالْخُطْبَاءِ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ لَا يُوَافِقُونَهُ وَجَمَاعَتَهُ عَلَى تَكْفِيرِ الْحُكَّامِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ جَمِيعًا بِتَبْدِيلِ الشَّرِيعَةِ، لَا سِوَمَا وَهُوَ يُكْفِّرُهُمْ عَيْنًا، فَقَالَ: « وَصَارَ أَمْرُ رَدِّ هَوْلَاءِ الْحُكَّامِ وَطَوَائِفِهِمْ مِنَ الْمَعْلُومِ ضَرُورَةً، وَلَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَجَهَلَ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ الَّذِي بُعِثَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ وَأَتْبَاعُهُ وَجُنْدُهُ وَرَجُلُهُ يُنْشِئُ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنَ الشُّبُهَةِ مَا يَصْرِفُ بِهَا النَّاسَ عَنِ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَيُلْبَسُ عَلَيْهِمْ حَقِيقَةَ الشَّرْكِ حَتَّى يُوقِعَهُمْ فِيهِ، فَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُهُمْ وَزَعَمَ أَنَّ تَكْفِيرَ الْمُبَدِّلِينَ لِلشَّرِيعَةِ أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفْهُ الْأَوَائِلُ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ الرَّدِّ الصَّرِيحَةِ الَّتِي أَبَانَ السَّلْفُ أَمْرَهَا، وَزَعَمَ مَنْ كَانَ سَكُوتُهُ خَيْرًا مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ هَوْلَاءَ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا الطَّوَاغِيَتِ الْعَصْرِيَّةَ هُمْ مُحَدِّثُونَ لِهَذَا، وَلَيْسَ لَهُمْ سَلْفٌ مِنَ الْأُمَّةِ الْهُدَاةِ، فَإِنَّا نَسُوقُ فِي هَذِهِ

الورقات فتوى أطلقتها الأئمة الذين عاصروا الدولة العبيدية عندما كانت في المغرب في حق حكامها ومن دخل معهم من المشايخ والخطباء الذين خطبوا على المنابر، ودعوا لهم بالتوفيق...».

قلت: تلاحظ هنا أنه شبه الحكام الذين سبق أن ذكرت بعضهم ممن يكفرهم هو بالعبيدين، ومن العبت أن أحاول نفي هذا التشبيه؛ لأن شر البلية ما يضحك؛ وإلا فأين العبيدون الذين يجعلون الحاكم بأمر الله في رتبة الإله، ويلعنون أصحاب رسول الله ﷺ أولهم وآخرهم، هذا بعض ما لديهم، أين هؤلاء من هؤلاء الحكام اليوم الذين لا يحبُّ هو أن يُجرى عليهم التفصيل الذي عند أهل السنة والجماعة في المسألة أولاً، وفي أعيانهم ثانياً!

بل وأين الباطنية من هؤلاء الذين يُصرِّحون بأنهم من أهل السنة والجماعة كحكام البلاد الجزائرية والسعودية والأردن واليمن وغيرها...؟!.

قال الذهبي - رحمه الله - في « السير » (١٥٤/١٥): « وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد؛ لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه ».

دليل المشبوه على المسألة:

إن الذي شدَّ انتباهي عند قراءة فتواه هذه أنني وجدتها أفرغ من جيب مُفلس؛ لأنها خالية من أدلة القرآن والسنة!

فقلت: كيف يقول « فتوى خطيرة عظيمة الشأن ... »، ثم يدعها عارية من دليل السنة والقرآن؟!.

إن هؤلاء يكفرون الناس؛ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله في كلِّ بقاع الأرض في زعمهم، ثم لا تجد في فتواهم شيئاً مما أنزله الله: لا آية ولا حديثاً،

كيف تستقيم لهم هذه الدعوى؟!

كلُّ ما عندهم: قال فلان .. وقال فلان .. كما هو الشأن في كلِّ الصَّفحات الثلاث التي دوّن فيها المشبوهُ فتواه، من (ص ١١) إلى (ص ١٣)، ليس فيها إلاّ تحاكمه إلى الرّجال، وقد صورّتها قريباً!!

أهكذا تُستباح رقاب العلماء؟!

وقد مرّ بنا قريباً رَمِيه السلفيّين بالتقليد، فها هو يستيح الرقاب بمجرّد التقليد، ومن حفر حفراً لأخيه وقع فيه!

والفتاوى التي ضرب بها المثل لأهل السنّة هي في حقّ الباطنيّة، فكأنّ الرّجل يبحث عن أيّ شبه تُشبه ضلاله لِيُنزّل حكمها على أهل زمانه، وهاك نموذجاً ممّا استدلّ به، وهو أوّل فتوى نقلها في هذا العدد، قال: «سئل ابن عذرة عن خطباء بني عبّيد، وقيل لهم: إنهم سنيّة؟ فقال: أليس يقولون: اللهم صلّ على عبدك الحاكم ورثة الأرض؟ قالوا: نعم! قال: أرايتم لو أنّ خطيباً خطب فأتى على الله ورسوله فأحسن الثناء، ثمّ قال: أبو جهل في الجنة، أيكون كافراً؟ قالوا: نعم! قال: فالحاكم أشدّ من أبي جهل».

ثمّ قال: «قال عياض: وسئل الداودي عن المسألة، فقال: خطيبهم الذي يخطب لهم يدعو لهم يوم الجمعة كافرٌ يُقتل ولا يُستتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث ولا يُورث، وماله فيء للمسلمين... وأحكامه كلها أحكام كُفر». هذان نموذجان من الفتاوى التي تحاكم إليها المشبوه؛ لِيُرر ما فعله الغلاة من شردمته في قتلهم الدعاة في الجزائر، واختطاف الأئمة إلى غير رجعة، وتعذيبهم بأشدّ ما سمعت به الدنيا في عالم التعذيب والتّكيل، والله المستعان!

وتصديق ذلك أنّ المشبوه كتب مقالاً أراد أن يُرر فيه قتل جماعته

للشَّيخِ مُحَمَّدِ سَعِيدِ الوَثَّاسِ فِي الجَزَائِرِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ، فَأَحَالَ
القَارِيءَ عَلَيَّ فَتَوَاهُ هَذِهِ، وَقَالَ: « انظُرُ الفَتَوَى فِي كُفْرِ الخُطَبَاءِ وَالمَشَائِخِ
الَّذِينَ دَخَلُوا فِي نُصْرَةِ وَتَأْيِيدِ المَبْدِلِينَ لِشَرِيعَةِ الرَّحْمَنِ، بِتَعْلِيْقِي!!»، وَذَلِكَ فِي
العَدَدِ (١٣٢) مِنْ مَجَلَّتِهِ، فِي (ص ١٢)، وَالأَمْرُ لِلَّهِ!

إِذَا فَالِشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدٌ هُوَ عِنْدَهُ وَاحِدٌ مِمَّنْ اسْتَحَقَّ القَتْلَ؛ لِأَنَّهُ فِي حُكْمِ
الخُطَبَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي نُصْرَةِ المَبْدِلِينَ...!!
فَهَذَا التَّمثِيلُ الَّذِي مَثَّلَ بِهِ لِتَبْرِيرِ قَتْلِ الشَّيْخِ يُعْتَبَرُ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا لِفَتَوَاهِ
تِلْكَ، وَهُوَ الَّذِي هَدَانَا لِأَنَّ نَفْهَمَ مُرَادَهُ مِنْ فَتَوَاهِ.

صورة المقال السابق

من صميم المصنوع

سوي مع خطأ في السنج والراية وانحراف عن راية مسلمين ، اللهم لا .

سادساً ، هل يقتل الميتدع ؟

أما السندع بصفة مكفرة فلا خلاف في استحقاقه فإن لا قتله ، وأنا اعتقد بكونه من وقع راية الديمقراطية بحزب أو تنظيم في وضع مثل الجزائر ، فمن دعيا إلى عودة إلى الديمقراطية وحل الأزمة (كما يستحقها كثرة من طرف العولمة والسياسة الدولية الغربية لتألف والتعاقد الوطني فهو يقتل ولا شك المشايخ إن من مقدور عليه وبدون استغناء إن كان غير مقدور عليه في الجزائر) وخاصة أن أمثال هؤلاء دورهم الرئيسي هو عضواً على الجهاد وإعطاء فرصة للثورة الإطاحةوتجربة تنظيم وترتيب أوراقيها للجهاد على الإسلام وأهله .

أما الأشاعرة والخوارج والبربرية والشيعة الذين يعتقدون بعقيدة (عقدة الوجود) هؤلاء ، وإن كثر أهل العلم من معتقديهم كما كثر السلف

سائرين خلق القرآن (والأشاعرة) والأشاعرية لأن يعتقدون أن يقتل الميتدع من أجل أن

له هو المعنى الحقيقي القديم القائم لغات ولكن هذا كغيره من المصطلحات

مصطلحات والاشعار في الفقه لمستفيضة في الصدور ليس هو كلام الله تعالى) وكما كثر بعض أهل العلم الخوارج ، أتى الصواب

بمع تكفيرهم لأصنام بطول شرحها الآن ، وبالتالي لا نعلمون الآن ليدعونهم إلا إذا ماوسوا أعمالاً من منطلق قائدهم فكانت هذه الأعمال ليستوجب القتل وشرح ذلك :

أما الخوارج ، فقد قال أهل العلم المصنفين المرتدين تحت راية الخوارج وقالوا : نقاضل تحت راية من آمن بالله

شد من كبر بالله (أنظر الفتوى في كفر الخطايا ، والمشايخ الذين دخلوا في نصرة وتأييد المسلمين لشريعة الرحمن

تأيدتني) . مع عدم تأييدهم بالفتوى في حكمهم ما لو تنصروا ، لكن لو أن الخارجه ثارت به عقيدته التي تقتل

لمسلمين وإغياحة أمثالهم وأغرائهم فإنه يقتل ما فعل من القتل واستحلال الدم لا يستغنى ، ويقتل لنهاي إلى بدعة الخوارج وغيرها من البدع كما ذكر أهل العلم .

قائد المردة : لا يقتل المرء - لقوله بالإرجاء - حاله يدع إلى عقيدته . لكن يقتل إذا أمرت عقيدته مرفقاً باطلاً . فلو أن مروجها دخل في صف الطاغوتك المصدرة بكتف بسبب قوته إن هذا الطاغوت لم يستحل الحكم بشر ما أمر الله فإنه يقتل لدخوله في نصرة الطاغوت لا لقوله بعدم الإرجاء .

وهي مثل القاتل بعدم التكفير بترك الصلاة ، فإن القاتل بعدم التكفير بترك الصلاة لا يقتل ، بل يقتل بجملة أنه لم يكفر التكفير فهو كافر ، لأنه قال بعدم كفره بسبب تأويل سائق . لكن لو أن هذا المعتقد بعدم كفر تارك الصلاة ترك الصلاة واقعاً وفعلاً فإنه يجوز لمن اعتقد بكفر تارك الصلاة أن يكفروه ، مع عدم جواز تكفيره لسجرد معتقده غير الأولي .

فإننا نرى في الأشعري والصوفي لا يقتل في هذا الطور بل يجوز القتل تحت رايته ضد المرتدين فقد قاتل المسلمون تبعته راية صلاح المؤمنين الأيوبي

ضد الصليبيين وهو من أرسى الأشعري

أن يقتل الميتدع من أجل أن له هو المعنى الحقيقي القديم القائم لغات ولكن هذا كغيره من المصطلحات

مصطلحات والاشعار في الفقه لمستفيضة في الصدور ليس هو كلام الله تعالى) وكما كثر بعض أهل العلم الخوارج ، أتى الصواب

بمع تكفيرهم لأصنام بطول شرحها الآن ، وبالتالي لا نعلمون الآن ليدعونهم إلا إذا ماوسوا أعمالاً من منطلق قائدهم فكانت هذه الأعمال ليستوجب القتل وشرح ذلك :

أما الخوارج ، فقد قال أهل العلم المصنفين المرتدين تحت راية الخوارج وقالوا : نقاضل تحت راية من آمن بالله

شد من كبر بالله (أنظر الفتوى في كفر الخطايا ، والمشايخ الذين دخلوا في نصرة وتأييد المسلمين لشريعة الرحمن

تأيدتني) . مع عدم تأييدهم بالفتوى في حكمهم ما لو تنصروا ، لكن لو أن الخارجه ثارت به عقيدته التي تقتل

لمسلمين وإغياحة أمثالهم وأغرائهم فإنه يقتل ما فعل من القتل واستحلال الدم لا يستغنى ، ويقتل لنهاي إلى بدعة الخوارج وغيرها من البدع كما ذكر أهل العلم .

والحمد لله رب العالمين

وإذا كان المشبوه لا يخرج عن التقليد كما رأيت في خلوة فتواه الأخيرة من الدليل، فكيف يتهم غيره بالتقليد؟!

ويقول في مجلته الأنصار، العدد (١٣٤) وقد سبق تصويره، في (ص ٥)، بتاريخ: (الخميس ١٢ رمضان ١٤١٦هـ): «وقوم آخرون زعموا التمسك بالسنة وبفهم السلف الصالح، وأخرجوا الناس من تقليد الأوائل، ولكنهم لم يرووا من جرثومة التقليد، فأخرجوا الناس من تقليد الشافعي إلى تقليد ابن باز، ومن تقليد مالك إلى تقليد ابن عثيمين، ومن تقليد أحمد إلى تقليد الألباني، تُحاور الرجل منهم الساعة والساعتين، وترمي بوجهه الدليل تلوه الدليل فلا يجد في قلبه من الشر إلا أن يقول لك: ولكن الألباني يقول بغير ذلك!! ولكن ابن باز لم يقل هذا!! هل قال بهذا ابن عثيمين وابن باز والألباني؟! من قال بهذا؟!

ولو قلت له: (قال الأئمة العظام) لتعارض هذا القول في نفسه فيما يقول هؤلاء الذين اتخذهم آلهة من دون الله، ولا يقول ما يقولوا (كذا)، ولا يدين إلا بمذهبهم، وكأنهم أنبياء في هذا الزمان، وكان من مقت الله تعالى لهؤلاء القوم أن مسح الله قلوبهم وعقولهم؛ حيث جعلوا الإمامة - وهي أعلى المراتب وأشرفها في هذه الدنيا - من حق من مسح الله قلبه وأتى المكفرات العظيمة كآل سعود والملك حسين والقذافي وصدّام وآل الصباح، فانتسابهم للسلف لم يعلمهم التوحيد الذي يُوجب عليهم البراءة من كل طواغيت الأرض»!!!

وقد مرّ تصوير هذا العدد من مجلته.

النقد:

١- تأمل حنق الرجل على أهل العلم، والرّيق المسموم الذي يقطر به

لسانه تجاههم؛ بسبب مضايقة فتاوى أولئك الأكابر لهمجية هؤلاء الأصاغر.
وهذا سبيل جماعات التكفير اليوم مع هؤلاء المذكورين من العلماء،
ولذلك فبمجرد ما تُوفى هؤلاء اجتهد أولئك في التركيز على مسائل الإرجاء،
وأعطوها حجماً لا تستحقه؛ ليحولوا المعركة من حلبة الخوارج الحقيقية إلى
حلبة المرجئة شبه الوهمية، مع أن الفساد الذي حصل من جهة الفكر الإرجائي
لا يكاد يذكر إلى جنب الفساد الذي حصل من جهة الفكر الخارجي!
إن الموفق من جعله الله مرابطاً على الثغرين جميعاً: التكفير والإرجاء؛ لأن
كلاً منهما بدعة شنيعة، لكن يُنصف المنصفون: أي البدعتين أتبع؟ وأيهما
أشنع؟ وأي الساحتين أوسع؟
فإن عسر عليكم عد أحيائهم، فعُدوا أمواتهم؛ لأن إحصاء الأموات أيسر،
فانظروا أي المقبرتين أعمر؟

يُضاف إلى ما سبق أن بعض مسائل الإرجاء المعروضة اليوم - والتي أقاموا
عليها الولاء والبراء - مسائل نظرية، بل خيالية لا أرضية لها كما يُقال؛ لأن
أصحابها رموا بالإرجاء من لم يكفر تارك العمل، مع أنهم لم يثبتوا لنا مخلوقاً
يترك العمل كلياً، وإنه لعجب أن تقوم معركة ساخنة على مسألة خيالية، وأن
يقوم للولاء والبراء سوق على بضاعة لا رواج لها.

ويُضاف إليه أيضاً أن بدعة الإرجاء ألصق بأصحاب الحركة اليوم منهم
بغيرهم؛ أولئك الذين يستخفون بالتمسك بالسنة؛ فقد يصفون المتمسك بها
متمسكاً بالقشور! ويهوون من شأن البدع وأهلها، ويجهدون أنفسهم للستر
عليهم بتأويلاتهم المتكلفة، مع العلم أن البدعة شر من المعصية، كما هو معلوم
لدى من أطلع الله على آثار السلف في ذلك.

٢- إن الإمامة - أي مرتبة الخلافة التي دندن حولها صاحبُ هذا المقال في آخر كلامه - ليست أعلى المراتب ولا أشرفها، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا القيد بـ « هذه الدنيا » في كلامه المتقدم مُلغى لا معنى له، وإنما ذكره مراوغةً ومُتنفساً يلجأ إليه إذا قيل له: إنك وقعت فيما يدعيه الشيعة الروافض من الغلو في شأن الإمامة، كما نقل ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في « منهاج السنة » (٧٣/١ - ٧٤) أن ابن المطهر الرافضي قال: « فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة، اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، وهي مسألة الإمامة ... »، ثم ردَّ عليه بقوله (٧٥/١): « إن قول القائل: (إن مسألة الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين) كذبٌ بإجماع المسلمين سنيهم وشيعيهم، بل هذا كفر؛ فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة، وهذا معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام... »، إلى أن قال (٧٨/١): « الثاني: أن يُقال: الإيمان بالله ورسوله في كلِّ زمان ومكان أعظم من مسألة الإمامة، فلم تكن في وقت من الأوقات لا الأهم ولا الأشرف.

الثالث: أن يُقال: فقد كان يجبُ بيانها من النبي ﷺ لأُمَّته الباقين من بعده، كما بين لهم أمور الصلاة والزكاة والصيام والحج، وعين أمر الإيمان بالله وتوحيده واليوم الآخر، ومن المعلوم أنه ليس بيان مسألة الإمامة في الكتاب والسنة كبيان هذه الأصول... ».

وقال (٩٨/١): « وأيضاً فمن المعلوم أن أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين، ينبغي أن يكون ذكرها في كتاب الله أعظم من غيرها، وبيان الرسول لها أولى من بيان غيرها، والقرآن مملوءٌ بذكر توحيد الله، وذكر أسمائه وصفاته وآياته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقصاص والأمر

والنهي والحدود والفرائض، بخلاف الإمامة، فكيف يكون القرآن مملوءاً بغير الأهم والأشرف؟!». «.

قلت: وما دام أمر الخلافة قد غلّا فيه هذا وأمثاله إلى حدّ ما رأيت، فأبني أنقل هنا كلام ابن تيمية - رحمه الله - في ردّه على كلام الرافضي السابق، وهو ردّ على جميع الذين يستعظمون أمر الخلافة - التي هي حقّ بلا ريب - على استعظام التوحيد وأصوله وثمراته، قال في (١/١٠٦ - ١٠٩): « من جعل هذا - يريد الإمامة - من الإيمان إلا أهل الجهل والبهتان، وستكلم - إن شاء الله - على ما ذكره من ذلك.

والله تعالى وصف المؤمنين وأحوالهم، والنبي ﷺ قد فسّر الإيمان وذكر شعبه، ولم يذكر الله ولا رسوله الإمامة في أركان الإيمان، ففي الحديث الصحيح حديث جبريل لما أتى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال له: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت)، قال: (والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، ولم يذكر الإمامة.

قال: (والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، هذا الحديث متفق على صحته ... » .

ثم قال: « وهب أنا لا نحتج بالحديث، فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال ٢ - ٤].

فشهد لهؤلاء بالإيمان من غير ذكر للإمامة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات ١٥].

فجعلهم صادقين في الإيمان من غير ذكر للإمامة.

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ؕ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ؕ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة ١٧٧].

ولم يذكر الإمامة.

وقال تعالى: ﴿ التَّوْحِيدِ ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ [البقرة ١ - ٥].

فجعلهم مهتدين مفلحين ولم يذكر الإمامة.

سبحان الله! لو عرضَ هذا الكلامُ على هؤلاء الحركيين من غير تصريح باسم صاحبه لأوشكوا على رميه بالعلمنة، ولكن يمنعهم من ذلك جلاله اسم ابن تيمية وهيبته، كما كان يجبن كثير من هؤلاء على رمي العلامة ابن باز - رحمه الله - بالإرجاء في حياته، وإن كانوا يعتقدون ذلك فيه؛ لأنه لم يعطهم

مَا يُرِيدُونَ مِنْ تَكْفِيرٍ لِلْحُكَّامِ، فَلَمَّا تُوفِّي جَاؤُوا يَرَكُضُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ آثَرَ التَّلْمِيحَ، يَلْسَعُ إِذَا تَمَكَّنَ، فَإِذَا فُطِنَ لَهُ تَمَسَّكَنَ!

وَمِنْهُمْ مَنْ ظَاهَرَهُ صَمْتٌ، وَبَاطِنُهُ مَقْتٌ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [التوبة ٧٨].
وَمِنْهُمْ مَنْ صَرَخَ بِتَبْدِيعِهِ بِذَلِكَ، كَذَاكَ الْمَرَّاكِشِيِّ بُو النَّيْتِ^(١)!

(١) لأخي الفاضل شوقي بن عوَّاد العويسي رَدُّ عَلَيْهِ بِاسْمِ «رُجُومُ الْمُعْتَدِينَ عَلَيَّ الْعَقِيدَةِ السَّلَفِيَّةِ وَدُعَاةَا السَّلَفِيِّينَ»، سَدَّدَ اللَّهُ خَطَاهُ فِيهِ وَيَسَّرَ لَهُ إِتْمَامَهُ، وَالْغَرِيبُ أَنَّ كِتَابَ الْمَرَّاكِشِيِّ هَذَا طُبِعَ قَبْلَ سَنَوَاتٍ، وَرَمَى فِيهِ صَاحِبُهُ أُمَّةَ الْعَصْرِ: الْأَلْبَانِيِّ وَابْنَ بَازٍ وَابْنَ عُثَيْمِينَ بِالْإِرْجَاءِ، وَسَمَّاهُمُ الثَّلَاوِثَ، عَامَلَهُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ، فَلَمْ نَرَ مِنْ أَهْلِ (الْعَبْرَةِ!!) مِنَ الْمُتَظَاهِرِينَ بِالْإِهْتِمَامِ بِهَذَا الْبَابِ مَنْ تَحَرَّكَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ اجْتَهَدَ الشَّبَابُ الْمَتَسَمِّمُ بِدَاءِ التَّكْفِيرِ لِتَلْوِثِ الْبَيْئَةِ السَّلَفِيَّةِ بِمِثْلِ مَا ذُكِرَ، وَلَا يَزَالُ الصَّمْتُ مُحْيِمًا!!

وَلَأَخِي الْفَاضِلُ أَبِي رَوَاحَةَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّي الْيَمَانِيُّ نَظَّمَ حَافِلٌ بِذِكْرِ السُّنَّةِ وَمَا ثَرَّ أَهْلُهَا مِنْ أُمَّةِ الْعَصْرِ، ضَمَّنَهُ رِثَاءً طَيِّبًا بِعُنْوَانٍ: «النَّهْرُ الْعَرِيضُ فِي الذَّبِّ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْقَرِيضِ»، يَرِثِي فِيهِ جَمْعًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ تَوَفَّوْا فِي وَقْتٍ مُتَقَارِبٍ جَدًّا أَيَّ مِنْ حَوَالِي السُّنَّةِ الْعِشْرِينَ مِنْ هَذَا الْقَرْنِ، وَهَمُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمَّانٌ، وَالشَّيْخُ حَمَّادُ الْأَنْصَارِيِّ، وَالشَّيْخُ ابْنُ عُصُونَ، وَالشَّيْخُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي، وَالشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ، وَالشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِينَ، وَالشَّيْخُ بَدِيعُ الدِّينِ السُّنْدِيُّ، وَالشَّيْخُ مُقْبَلٌ وَغَيْرُهُمْ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَنْقَلُ مِنْهُ مَا يَأْتِي مَفْرَقًا (ص ٧٦-٨١):

وَلَا الْقَرِيضُ قَرِيضِي يَا ابْنَ الْجَارِ
 رَحَالَهَا وَتَوَلَّتْ حِينَ إِذْبَارِ
 فَدَمْعُهَا نَازِلٌ كَالْعَيْثِ مِذْرَارِ
 يُعْلُونَ سُنَّتَهُ فِي كُلِّ أَمْصَارِ
 وَالْيَوْمَ نَدْفَنُ شَيْخَ الْعَصْرِ وَالذَّارِ
 فَقَدْ رَضِيَتْ بِأُخْرَى جِوَرَةَ الْبَارِ
 وَذَابَ مِنْ فَقْدِكُمْ أَشْيَاخُ أَمْصَارِ
 سَدًّا مَنِيعًا فَصَارَتْ وَسَطُ غَوَارِ
 قَصِيرَةً فَانْتَوَى مِنْ رَدِّكَ النَّارِ
 أَهْلُ الْهَوَى؟ لَا وَرَبِّي الْخَالِقِ الْبَارِ
 وَنَهَجَهُ يُسْتَقَى مِنْ خَيْرِ مُخْتَارِ
 إِلَّا ابْنَ نُوحٍ بِسَيْفٍ مِنْهُ بَتَّارِ
 نِقَاشَ ذَلِكَ الْهَزْبِ الْعَاقِرِ الضَّارِ
 وَنَقْدَهُ لَا يُسَاوِي عَشْرَ مِعْشَارِ
 وَبَاعَهُ لَا يُسَاوِي شِيرَ مِعْوَارِ
 وَنَهَجَهُ خَارِجِيٌّ نَهَجَ حَزَّارِ

لَا التَّنْظُمُ نَظْمِي وَلَا الْأَشْعَارُ أَشْعَارِي
 فِي عَقْدِ عَشْرِينَ حَطَّتْ كُلُّ فَاجِعَةٍ
 فِي عَقْدِ عَشْرِينَ تَبْكِي الْعَيْنُ رَاضِيَةً
 عَلَى شُيُوخٍ لِهَدْيِ الْمُصْطَفَى نَشَرُوا
 إِذَا ابْنُ بَارٍ يَوْمِ الْأَمْسِ نَدْفُنُهُ
 يَا نَاصِرَ الدِّينِ إِنْ لَمْ تَرْضَ جِيرَتَنَا
 بَكَتْ عَلَيْكَ رِيَاضُ الْعِلْمِ دَامِعَةً
 كَمْ بِدْعَةٍ يَا إِمَامَ الْعَصْرِ كُنْتَ لَهَا
 كَمْ مَنَهَجٍ فَاسِدٍ صَيَّرَتْ قَامَتَهُ
 يَا نَاصِرَ الدِّينِ مَنْ يَبْكِيكَ رَائِعَةً
 فَلَيْسَ يَبْكِيكَ إِلَّا تَابِعٌ سَلْفًا
 وَمَنْ يَرُدُّ دُعَاةَ الْعَيِّ إِنْ نَعَقُوا
 وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ خِصْمٌ فِي مُنَاقَشَةٍ
 كَمْ بَاحِثٍ نَاقِدٍ فِي الشَّيْخِ حَطَّتَهُ
 يَسِيرٌ خَلْفَ ذَوِي الْأَهْوَاءِ مَجْتَهِدًا
 يَرْمِيهِ زُورًا بَدَا الْإِرْجَاءِ فِي سَفَهٍ
 وَمَا قَالَهُ أَيْضًا فِي (ص ٢٠٠):

ثم ذكر ابن تيمية - رحمه الله - شبهة السياسيين من الحركيين الذين يُركزون في أحاديثهم على الخلافة، فقال (١٠٩/١ - ١١٠): «فإن قيل: قد دخلت في عموم النصوص، أو هي من باب ما لا يتم الواجب إلا به، أو دل عليها نص آخر.

قيل: هذا كله لو صحَّ لكان غايته أن تكون من بعض فروع الدين، لا أن تكون من أركان الإيمان، فإن ركن الإيمان ما لا يحصل الإيمان إلا به كالشهادتين، فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلو كانت الإمامة ركناً في الإيمان لا يتم إيمان أحد إلا به لوجب أن يبين ذلك الرسول بياناً عاماً قاطعاً للعدر، كما بين الشهادتين والإيمان

في ذا شيوخ العلم والعرفان
فد نصوح ثابت الأركان
وذاكاؤه قد فاق في الرجحان
إذ صار مأخوذاً من القرآن
ومن اقتفاه بغابر الأزمان
من حفظه إذ كان ذا إتقان
فإذا له عينان لا تريان
هذا ابن باز عالم رباني
من خشية الخالق المتان
بعمالة وجهالة سيان
يوم القيامة في الورى بعيان

ثم اتجهت لأرض مكة قاصداً
حتى وصلت لدار شيخ عالم
ذي حنكة وسياسة شرعية
هذا وإن له لفقهاً ظاهراً
وكذاك من قول النبي محمد
فسألت من هذا وكلي دهشة
وعجبت لما أن نظرت بوجهه
وهنا أجابوني بصوت خافت
أو ما نظرت لدمعه متحدرًا
وصموك يا شيخ الجزيرة حبة
لكن سوقف كل عبد شاتم

بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، فكيف ونحن نعلم بالاضطرار من دينه أن الناس الذين دخلوا في دينه أفواجا لم يشترط على أحد منهم في الإيمان الإيمان بالإمامة لا مطلقاً ولا معيناً؟!».

إنَّ الحركيين اليوم خرجوا على الأمة بتقسيم جديد للتوحيد، فأضافوا توحيد الحاكمية إلى التقسيم المعروف، وهو كلمة حق في جملة لا في تقسيمه، ولكن أريد بها باطل؛ لأنهم أرادوا بذلك التخلص من مثل كلام ابن تيمية هذا في كون مسألة الإمامة من الفروع، وأرادوا بقسمتهم العقدية السابقة جعلها من الأصول، أي أرادوا انتشالها من وضعها في باب الأحكام العملية السلطانية، إلى وضع عقدي، فلذلك حرصوا على ألا تكون إلا قسماً مستقلاً من أقسام التوحيد!!

وأنا ما أردت بهذا مناقشتهم في هذا بقدر ما أردت بيان تلاعبهم في استعمال المصطلحات الشرعية لتلبس ما يريدون من المعاني، وإلا فالمسألة تحتاج إلى تفصيل، والتفصيل لا يصلح أن نستدرج إليه مع ذوي الأغراض...

ثم كيف جعل المشبوه الخلافة أشرف المراتب وأعلاها في الدنيا، مع أن العالم أعلى درجة من الحاكم، بل النبي ﷺ أعلاهم جميعاً لمقام النبوة؟! بل كم من نبي لم يستخلف في الأرض، فهل يكون قد حرم الشرف؟!!

قال ابن تيمية في «المنهاج» (١/٨٠): «إن النبي ﷺ لم يحب طاعته على الناس لكونه إماماً، بل لكونه رسول الله ﷺ إلى الناس، وهذا المعنى ثابت له حياً وميتاً...».

والحقيقة أنه ليس ثم فرق كبير بين معتقد الرافضة في الإمامة ومعتقد هؤلاء في الخلافة؛ لأن أولئك صرّحوا بلسان قائلهم، وهؤلاء صرّحوا بلسان حالهم، وقد قيل: لسان الحال أنطق من لسان المقال، والله المستعان.

وأعود للردّ على المشبوه في مقاله ذلك، فأقول:

٣- إنَّ الذينَ ذَكَرَ أَنَّهُ حَاوَرَهُمْ فَتَرَكُوا قَوْلَهُ لِقَوْلِ الْجِبَالِ الثَّلَاثَةِ الْأَيْمَةِ الثَّقَاتِ الْأَثْبَاتِ: ابن بَاز والألباني وابن عُثَيْمِينَ رَحِمَهُمُ اللهُ، أقول: قد أَحَسَّنُوا صِنْعًا، وَفَعَّلَهُمْ هَذَا هُوَ عَيْنَ الْحِكْمَةِ وَهُوَ سَبِيلُ الْعُقَلَاءِ أَتْبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ التَّقْلِيدِ الْمَذْمُومِ فِي شَيْءٍ؛ لِأَنَّ مَا حَاوَرَهُمْ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْجِهَادِ هُوَ مِنْ نَوَازِلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عِنْدَهَا بِالرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، بَلْ إِلَى أَهْلِ الْإِسْتِنْبَاطِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِمْ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء ٨٣]، وَقَدْ بَيَّنْتُ وَجْهَ اسْتِدْلَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي مَسَائِلِ النَّوَازِلِ، وَذَكَرْتُ لِذَلِكَ آثَارًا عَنِ السَّلَفِ فِي كِتَابِي: «مَدَارِكُ النَّظَرِ فِي السِّيَاسَةِ» فَلَا أَعِيدُهُ.

ولو كَانَ الْمَشْبُوهُ عَالِمًا فَتَرَكُوهُ لِأَوْلِيَاكَ الْمُجْتَهِدِينَ فَلَقَدْ أَحَسَّنُوا؛ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ اللهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَكَيْفَ وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ أَنَّهُ مَجْهُولٌ؟!

٤- فِي هَذَا النَّصِّ شَهَادَةٌ مِنَ الْمَشْبُوهِ عَلَى أَنْ جِهَادَهُ، بَلْ (جِهَادًا!!) أَصْحَابِهِ - أَمَّا هُوَ فَلَا يُجَاهِدُ!! - لَيْسَ بِجِهَادٍ شَرْعِيٍّ؛ لِأَنَّهُ شَهِدَ بِنَفْسِهِ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ - بَلِ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْعَصْرِ - يُخَالِفُونَهُ فِيهِ، وَفِي هَذَا عِبْرَةٌ لِلَّذِينَ لَا يَزَالُونَ يَشْكُونَ فِي رَأْيِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَشَهِدَ شَهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف ٢٦]!

٥- لَيْسَ فِي الْأَخْذِ بِأَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَتَرْكِ أَقْوَالِ هَذَا الْمَشْبُوهِ تَقْلِيدٌ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا خَيَّرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَجْهُولٍ فَلَنْ يَرْضَى بِهِمْ بَدِيلًا، كَيْفَ وَقَدْ صَحَّ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ».

أقولُ هَذَا عَلَى افْتِرَاضِ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الْمَذْكُورِينَ يُفْتَنُونَ بِغَيْرِ حُجَّةٍ، وَإِلَّا فَقَدْ

عودونا تنوير فتاواهم بحجة الكتاب والسنة، رحمهم الله.

٦_ لقد كفر المشبوه السلفيين بقسميهم: العلماء، وأتباعهم من طلبة العلم والعوام، فأما العلماء فقد كفرهم؛ لأنهم يرون إمامة بعض الحكام ولا يُشاركونه في تكفيره لهم، كما مر.

وأما طلبة العلم ومن يتبعهم من عوام؛ فلأنهم يُقلدون ابن باز والألباني وابن عثيمين رحمهم الله، حيث قال: « يقول هؤلاء الذين اتخذهم آلهة من دون الله!! ». »

وأصرح منه قوله السابق: « وصار أمر ردة هؤلاء الحكام وطوائفهم من المعلوم ضرورة، ولا يجهله إلا من طمس الله بصيرته وجعل حقيقة التوحيد...!! »

ومعلومٌ لديك - أخي القاريء! - أنه يقصدُ بـ « طوائفهم » العلماءَ والعامَّةَ الذين لا يؤيدونه، وقد مرَّ تصريحُه بذلك، وبأخ به في خطبته المشار إليها، وشبيهه به قوله في مجلة الأنصار، العدد (٩٠)، في (ص ١٢)، بتاريخ: (الخميس ٢٩ شوال ١٤١٥هـ)، الموافق لـ (٣٠/٣/١٩٩٥م): « ولذلك فليعلم أن نساءً وذريةً كل طائفة تُعامل مُعاملة الطائفة مُمتعة (كذا) بقوة وشوكة التي انتسبت إليها...!! ». »

صورة المقال السابق

فتاوى جهادية

السيد دليل أنه يجوز قتل الكفار إذا تمسكوا بالمشيخ . وقاس عليه غيره من ادوافي نحوها (54/4) .

قال صاحب الشرح الكبير : « إذا تترسوا في الحرب بالنساء ، والصبيان ، ومن لا يجوز قتله ، جاز رميهم ، وقصد المقاتلة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رماهم بالمشيخ ، ومهم النساء والصبيان ، ولأن كلف المسلمين عنهم يفتسي إلى تعطيل الجهاد ، لأنهم متى علموا ذلك ، تترسوا بهم عند خولهم ، وسواء كانت الحرب ملتزمة أو لا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتحتم بالرمي حال التمام الحرب » (الشرح الكبير لشمس الدين 402/10) .

وقد أجاز العلماء خرق السبلن وأغرامها ، وفيها مع المقاتلين من الكفار تسائهم وصبيانهم (انظر شرح السير الكبير 1447/4) .

جاء في شرح المنافع (المقتضى) : قال النووي : « ويجوز حصار الكفار في السبلن والفلج ، وإرسال الماء عليهم ، ورميهم بالنار ، ومخيق ، وتبييتهم في غفلة . قال الشارح : وما في معنى ذلك من عدم بيوتهم ، وقطع أمان عذهم ، وإلقاء حيات أو عقاب عليهم ، ولو كان فيهم نساء ، وصبيان » . (معنى المحتاج 223/4) .

بل يقول بعدما : وتظاهر كلامهم (لفظها ، الضافعية) أنه يجوز إتلانهم بما ذكر ، وإن قدرنا سيوم بعونه (انتهى) .
2 - الصورة الثانية : قتل النساء والأزوية قسدا ، وبما لهتك أعراض المسلمات وقتل المسلمين .

تبين لنا في الباب السابق جواز قتل الأزوية والنساء ، وتصل قتل الكفار المقاتلين . فهل يجوز قتل الأزوية والنساء وتصل لإحياء السلم ، ودفعاً لهتك عرض المسلمة ؟

من المعلوم قسداً أن إحياء المسلم أعظم شأناً من قتل الكافر ، فدفع المفسد وإبطالها خير من جلب المنافع ، وقتل المسلم مفسدة عظيمة ، وأما قتل الكافر

فمصلحة ، فإذا تدخلت مصلحة قتل أسارى الكفار ، مع مصلحة قتلهم بأسارى المسلمين ، وجب على المسلمين قسداً الأسارى المسلمين وذلك بإطلاق أسارى الكفار .

إذا تبين لنا هذا ، وعلماً سابقاً جواز قتل الأزوية والنساء وتصل قتل الرجال المقاتلة ، فإن من باب أولى جواز قتل هذه الأزوية وقتل النساء ، وتصل منع قتل المسلمين بل المجاهدين ، وبهتك أعراض المسلمات .

فمقيدة المسئلة أننا إن لم نستطع منع المرتدين من قتل أسارى المسلمين ، من مدنيين وغيرهم ، إلا بتهدية هؤلاء المرتدين بقتل قسائهم وأبنائهم فهو جائز إن لم يكن واجباً .

وكذلك إن لم نستطع منع المرتدين من انتهاك أعراض المسلمين ، والتعب بالنساء إلا بتهدية بهم بقتل تربيتهم وتسامح فهو جائز ولا شك إن لم يكن واجباً . إذ أن مصلحة إحياء المسلمين وحفظ أعراضهم أشد وأهم من التوصل إلى قتل المرتدين ، يتترسهم بنسائهم وأبنائهم ، وهي الحالة التي أجاز فيها الشرع قتل الأزوية والنساء نساء كما تقدم في حديث الصعب بن جشامة ، وقد جاء في الحديث : كما سيأتي - جواز الهجوم على الأزوية والنساء حتى ينفذ الكفار ويشتت أمرهم ، فتتوسع دائرة المعركة ، لتسهل هزيمتهم ، وذلك بجزمهم على أبنائهم ونسائهم ، وتفترقهم من أجل حمايتهم . . .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه في قصة الجاسوس الخزاعي الذي أرسله ليكتشف له شأن قريش وهو طابم العمرة وذلك في قصة العديسية ، فأخبره الجاسوس أن قريش جمعت له حلقاً بها من القديمين حول مكة لقتاله من وصحبه إن أسر على دخول مكة لزيارة البيت ، فأستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قائلًا : « أشيروا علي ، أتريد أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم ، فنصبيهم ، فإن علموا ، فعوا مؤذنين مصرويين ، وإن لم يجيئوا تكن

صفتنا تشتمها انه ، أم تريد أن نلهم البيت فمن صدنا منه قاتلناه » انتهى . هذا لفظ عبد الرزاق في مصنف . وقد رواه البخاري في صحيحه بالفاظه مقاربة .

ففي الحديث جواز انتهاك الأزوية والنساء وسيلة ضغط على المشركين لتوهم أمرهم ، وتفريق جمعهم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أراد الهجيم على النساء والأزوية حتى يلقى الحلفاء من حول قريش .

بهذا يتبين أن ما فعلته الجمامة الإسلامية المسلحة من تهديد ذرية ونساء المرتدين والقتل من أجل تخليط وطعنهم على النساء والمجاهدين والأخوان هو عمل شرعي لا شبهة فيه .

وتبقى مسئلة : قد يقول قائل : إن منج جماعات الجهاد هو تكثير الطائفة الطائفة ؟

فيستقال ههنا : إن جنس جهاد هؤلاء المرتدين ، هو جنس قتال الصحابة رضي الله عنهم المرتدين من أتباع مسيلمة ، وبانمي الزكاة ، وقد حائل الصحابة رضي الله عنهم هذه الطائفة ، معاملة المشركين ، أصحاب الشوكة والمنعة في إقامة العجة عليهم ، وذلك عن طريق البلاغ العام ، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله ذلك في تاريخه في المجلد الثاني عند خبر المرتدين ، فكون هذه الطائفة ممتعة ولها شوكة وقوة ، فإنها تعامل معاملة الكفرة المستعنين بشركه وقوة ، وحكمهم في كل أمر حكمهم ، بلا فارق ، إلا ما اشترطت أحكام المرتدين من أحكام الكفرة الأصليين ، وقد أثار

الإخسة المجاهدون في الجهاد النساء المرتدين ، بأن ألقوا بهم قد ارتقوا لوجه الفراق ، وأنه لا يجوز لها أن تمكن المرتد منها ، فإن رفضت لمحبها حكمه ، ومن أحكامها هو ما تقدم في هذا البحث . وقد اختلف أهل العلم قديماً في حكم نساء المرتدين ، أتسى أم لا ؟ وهذا له مقام آخر ، وذلك فليعلم أن نساء وخوة كل طائفة تعامل معاملة الطائفة مستنعة بقوة وبشوكة التي اتسبت إليها ، في الأحكام الشرعية ، إلا ما خصوا به بوزن اثنتان .

٧- تكفير الرعية بكفر راعيها هو مذهب الخوارج:

اعلم أن هذا الذي نقلته لك هنا من تكفير المشبوه للناس بكفر حاكمهم هو قول فرقة من فرق الخوارج، قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في « مقالات الإسلاميين » (١/١٩٤) وهو يعدد فرق الخوارج: « وقالت طائفة من البيهسية: إذا كفر الإمام كفرت الرعية، وقالت: الدار دار شرك، وأهلها جميعاً مشركون، وتركت الصلاة إلا خلفاً من تعرف، وذهبت إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال، واستحلت القتل والسبي على كل حال ».

قلت: كل هذه الأوصاف رأيتها في جماعات التكفير عندنا، مع ذلك زعم الحركيون أن السلفيين يحيون مذاهب ماتت، وينشئون قبوراً دَرَسَتْ، فأى الفريقين أحق بالجهل بالواقع إذا؟! عافانا الله من البغي.

٨- كيف يطمئن الناصح لنفسه إلى فتاوى المشبوه، وليس عنده إلا قال فلان .. وقال فلان ..؟!!

ثم إذا رجعنا إلى هذه الأقوال وجدنا الأمر فيها على قسمين:

- إما كذب على أصحابها، كما ستره في فصل: خياناته للأمانة العلمية.
- وإما تحريف للمعنى وتحميل لكلام العالم ما لا يحتمل، أو تنزيل لكلامه على غير محله، كما مر شيء منه، وسيأتي زيادة عليه إن شاء الله.

٩- لقد أخذ بكلامه شرذمته من الجزائريين وتركوا العلماء، فورطهم في قتل النساء والعجزة والصبيان وسائر المدنيين فضلاً عن العسكريين، ووجدوا أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه، وقرعوا سن نادم حتى لعن بعضهم نفسه! ولما أحس المشبوه ببشاعة الأمر وفداحة النتائج، وأن جاهه يكاد يسقط إلى غير هوض، سحب البساط من تحتهم، وانسل من بين أيديهم ليصفهم بـ

« الخوارج »، فقال في تصريحه المذكور لجريدة « الحياة »، وقد مرَّ تصويره: « أسحبُ تأييدي لهم! »، وقال: « انحرَفَت هذه الجماعةُ وسلكت خطأً هو خطُّ الخوارج!! »

قلتُ: وهل ورَّطهم في ذلك الخطَّ سواك؟! وسيأتي - إن شاء الله - في فصل « تناقضاته ».

١٠ - لقد تعرَّض المشبوهُ في أوَّل كلامه للمستبدلينَ شريعة الكفار بشريعة الله، وكفرهم بذلك، وأنا لا أريدُ أن أناقشه في هذا بقدر ما أريدُ أن أُبينَ للقاريء أن في عَرَض المسألة نفسها بهذه الصِّفة غلطاً بيِّناً، بل تغليطاً مقصوداً؛ وذلك بطرح السؤال الآتي: مَنْ الذي غيرَ الأحكامَ الشرعيَّة: أهُم الحُكَّامُ أم هو الاستعمار؟

إنَّ الذي يَطَّلِع على العَرَض السَّابِق يفهمُ أنَّ الحاكمَ الجزائريَّ استلمَ الحُكْمَ بعدَ الاستعمارِ وبلاده تُحكَم بالشرِعة الإسلاميَّة، فجاءَ وأقصاها، والحقيقةُ أنَّ هذا الوصفَ خلافُ واقعِ البلاد الإسلاميَّة؛ لأنَّ جُلَّ هذه البلاد كان قد استعمره الكافرُ، وبثَّ فيه ما بثَّ من أحكام كُفِّره، وغيرَ ما كان أمكنه من دين الله ﷻ، هذا هو الوصفُ الصَّحيح لِوَضْع أكثر بلاد المسلمين، بصرفِ النَّظَر عمَّا كان من كمال أتاتورك، وعلى هذا فالسؤالُ المطابق للواقع هو أن يُقال: ما حُكْم مَنْ أسندَ إليه إمارةُ بلدٍ لا يُحكَم فيه بشريعة الله في أكثر مناحي الحياة، ثمَّ هو لم يُغيِّر ذلكَ بعدَ خروجِ المُستعمر المُستبدل؟

فمَنْ عرض المسألة من أهل العدل على غير هذا التفصيل كان جاهلاً؛ لأنَّه أخبرَ بخلافِ الواقع، ومَنْ كفرَ هذا الحاكمَ بلا تفصيل كان ظالماً، ويوشك أن يُكفرَ النَّجاشي رحمه الله؛ لأنَّ هذا الأخير لم يُغيِّر الأحكامَ النَّصرانيَّة التي كان يحكم بها قبلَ إسلامه، قال ابنُ تيمية في « منهاج السنة » (١١٣/٥):

« والتجاشي ما كان يُمكنه أن يحكم بحكم القرآن؛ فإن قومه لا يُقرّونه على ذلك، وكثيراً ما يتولّى الرجلُ بين المسلمين والتّار قاضياً، بل وإماماً، وفي نفسه أمورٌ من العدل يريدُ أن يعمل بها، فلا يُمكنه ذلك، بل هناك مَنْ يمنعه ذلك، ولا يُكلف الله نفساً إلاّ وسعها » .

ولا نقولُ هذا محاماةً للمحرّفين لشريعة الله، ولكنه العدلُ الذي أمرنا به ولو مع المخالف؛ لأنّ الله قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ؕ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة ٨]، قال ابن تيمية - رحمه الله - في « منهاج السنة » (١/٥٤٧): « أهل السنة يُخبرون بالواقع ويأمرّون بالواجب، فيشهدون بما وقع، ويأمرّون بما أمر الله به ورسوله » .

إنّ وجودَ قوانينٍ وضعيّة في بلدٍ ما لا يحملنا على أن ننسب إلى أميره وضعها، بل ينبغي النظر في تاريخها لمعرفة واضعيها، ثم بعد تصوّر المسألة على حقيقتها يحكم المجتهدون من أهل العلم على أصحابها بما يدلُّ عليه الدليل؛ إذ الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوّره، وإنّما يغلط مَنْ يغلط في هذا الباب من ذوي المقاصد الحسنّة مَنْ لا يلاحظُ هذا، ويُغلط مَنْ يُغلط فيه من ذوي المقاصد السيّئة مَنْ لا يُحبُّ أن يلاحظَ هذا ويجهد في اللّعب بالمصطلحات، ولذلك تجدُّ الرّاسخين في العلم لا يتجاوبون مع أصحاب هذا الطّرح، بل يأخذون كلامهم بحذرٍ شديد، كما في أجوبة العلامة الألباني رحمه الله، وقد سمعتُ العلامة ابن باز - رحمه الله - في مناسبات شتى يُعترض عليه بمسألة الاستبدال هذه فلا يزيدُ على الجواب العامّ المعروف في كتب المتقدّمين على آية الحكم بغير ما أنزل الله، ومن أهل العلم مَنْ كان لا يُجيبُ على هذا السّؤال

إذا شَمَّ من صاحبه تعنتاً خارجياً، رأيتُ ذلك في جوابِ العلامة ابنِ عُثيمين - رحمه الله - مراراً، لا سيما في آخرِ حياته.

وهذا كله يدلُّ على فطنة نادرة عُرِفَ بها هذا الطرازُ من أهل العلم، ولذلك لم يرفع المبتدعة من التكفيريين رؤوسهم في حياة هؤلاء، ويُشبهه في الاحتراز من أغراض أهل البدع الدنيئة ما رواه ابنُ جرير في « تفسيره » (٢٥٣/١١ - شاكر) وابنُ أبي حاتم في « تفسيره » (٧٠٨٦ - الطيب) وأبو الشيخ في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٣٥٢/١ - ٣٥٣) بإسناد حسن، من طرق عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابنِ أزي، قال: جاءه رجلٌ من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام ١]، قال له: أليس الذين كفروا برّبهم يعدلون؟ قال: بلى! قال: فانصرف عنه الرجل، فقال له رجلٌ من القوم: يا ابنِ أزي! إن هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا؛ إنه رجلٌ من الخوارج! فقال: رُدّوه عليّ، فلما جاءه، قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهب ولا تضعها على غير حدّها!»، وابن أزي هنا هو سعيد بن عبد الرحمن بن أزي، كما صرّحت به روايةُ أبي الشيخ.

وروى ابنُ أبي حاتم أيضاً في « تفسيره » (٧٠٨٦ - الطيب) من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابنِ أزي عن عليّ، قال: « أتاه رجلٌ من الخوارج فقال له: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام ١]، أليس كذلك؟ قال: نعم! فانصرف عنه، ثم قال له عليّ: ارجع! ارجع! أي قل إنما أنزلت في أهل الكتاب؛ وهم الذين عدلوا برّبهم، يعني أهل الكتاب ».

وهذا إسنادٌ حسنٌ إن كان ابنُ أبزى هو عبد الرحمن والد سعيد المذكور؛ فإنه يروي عن عليٍّ عليه السلام، وكلاهما يروي عنه جعفرُ بنُ أبي المغيرة، وليس يبعد أن تقع القصةُ لابنِ أبزى كما في الرواية الأولى، ولعليٍّ بن أبي طالب كما في الرواية الثانية؛ لوجودِ داعيه في وقتِ عليٍّ عليه السلام، ويكونُ عليٌّ قد فطنَ لما وراءِ السؤال، قال المعلقان على تفسير ابن جرير: « وأراد السائلُ من الخوارج بسؤاله الاستدلالَ بالآيةِ على تكفيرِ أهلِ القبلةِ في أمرِ تحكيمِ عليٍّ بن أبي طالب، وذلك هو رأيُ الخوارج ».

هذا، وقد تعرّضتُ هنا لمسألة (الاستبدال)، ومن قبلها مسألة (ترك العمل) بهذه الطريقة؛ لأنني رأيتُ خلافاً كبيراً قامَ عليهما، وفتنة عريضة شغلت أهلَ الخير عن الخير، وقطعت أرحامُ أهلِ السنةِ بهما بعد مكر من ذوي الأغراض الفاسدة، وخاضَ فيهما بعضُ الأفاضل، مع أن الأولى نظرية أكثر منها عملية، والثانية خيالية أكثر منها واقعية كما مرّ، وقد وددنا أن لو صرفت هذه الجهود المضنية في غير هذا، ولكن الله يفعل ما يريد.

وقتل شيخ الأزهر أيضاً!

لا يزال هذا المشبوه يتبع خطوات الشيطان في غرور لا نظير له، وكلما رُسم له منها خيال تبعه، حتى جعل سبيل الخروج من المأزق متمثلاً في اغتيال كل عالم يُفتي بغير فتياه، قال في مجله الأنصار، العدد (٩٤)، في (ص ٥)، بتاريخ: (٢٧ من ذي القعدة ١٤١٥ هـ): « نعم! لو قُدر لرجل مسلم يحترم عقله أن يرى شيخ الأزهر وهو يتكلم في إحدى محطات التلفزيون لأيقن أنه لا نهض لأمتنا، ولا خروج من مأزقها حتى ترفع شعار: اقتلوا آخر حاكم مُرتدّ بأمعاء آخر قسيس خبيث!!!
قلت: هكذا حلولهم كلها دماء!!

وهنيئاً له رفع شعار الكفار، وهو قولهم: (اقتلوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)، بل حصر خروج أمة محمد ﷺ من مأزقها في رفع شعار الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وإنا لله!

وأقول للذين لا يزالون يرفضون نسبة هذه الدماء لهؤلاء: لعلكم تقولون: إن المشبوه من جند الدولة!

قلنا لهم: وكيف تُفسرون كون الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وغيرها تجعلها مرجعاً لها؟!!

هذا لسان القوم: إنهم يجعلون انتصار الجماعات الثائرة انتصاراً للإسلام، فإذا خذلوا بما يرتكبون من فظائع وجدوا السبيل إلى رمي غيرهم بها!

صورة المقال السابق

من صميم الصريح

في تعظيم هذا البرص الخبيث . فهذا حسن الترابي يعيش في مجتمع تغلقت فيه الصوفية إلى العجيب . ومع ذلك لم نسع منه كلمة واحدة بحسب قوله . بل ولا اهتم من قريب أو بعيد بحوائج الشريك التي تحكم في مجتمعه .

إزالة البصمة العاطفية في الإنسان المسلم ، وهي الجماعة المسلمة سالم يتحرر من هذه الصلخات الثلاثة فلن نخطو الخطوة الصالحة إلى أهدافنا ، وهذا يجعلنا نكرر العرة كل العرة أن جماعات اليهود ليست هي تلك الجماعات التي تحمل المصالح فقط . بل هي جماعات التجديد لشأن البشر من معالم هذا الدين ، وهي جماعات التجديد أي إعادة عبادة الإسلام إلى أصله الذي كان عليه في عهد نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم .

إن طرق البصمة كمشروع وحيد لإحياء الأمة ، لأن المهناد هو الإطار الذي يحرر المسلم من أهواء نفسه ومن مقلبات مجتمعه ومن اختراعات مناهج عبادة الأوثان . هذا هو الضامن لبروح التمرد على كل ما هو قديم من أبنائنا . فالمجاهد اليوم لن يكون كذلك إلا بعد أن يتحرر من سلطة الكهنوت القديسة على صدر الأمة باسم العلم والعلما . هذه السلطة التي تضرب بسيف الدين لكل من حاول أن يستختم عقلمه الذي طال الزمن عليه بالتضليل والإقصاء . نعم هذا الكهنوت الذي لم يتخرب عسرا ميا عند الصابرين برهبا نهم واليهود بأهبارهم . إن هذا الكهنوت من البشر وأقصد بهم طبقة الكهنوت من أزدل

خلق الله . وهو الجدار الأول الذي يمنع المسلم من استعمال حقه في استخدام عقلمه الذي كرمه الله به . وهو الجدار الأول الذي يمنع المسلم من تحرر إرادته في أن يتقدم الخطوة الأولى نحو أهداف الإسلام الصحيحة . نعم لو فتر لرجل مسلم يحترق عقلمه أن يرى شيخ الأزهر وهو يتكلم في إحدى محطات تلفزيون لايقن أنه لا نهض لأمتنا ، ولا خروج من خانقتها حتى ترفع شعار : اقتلوا آخر جناكم مرزوق باسمنا . آخر قسيس

طقن دور الصلخ ، وما في اكتشاف الغطاء مبكرا قبل غيره . لأنه الأخر بما أوتي من موهبة وكثافة . وعطاء الهوى . أي أن يشقى الصلخ في كل شيء . صحيح . ولكن دوره دور المرائد الذي لا يكذب أهله في تضليل نفسه ليكون وقودا لشعلة الصلخ في مشيخاتنا . أيضا أن يكون دور الصلخ هو إسباغ الشرعية على الفساد . وإطلاق عبارات الشيوخ المديح على الشر والفساد . فصولا تزيين والتجريف . وجريسة لا تعاد لها جريسة . وفي أعظم جرمها من الإطبل بالمختبرات . لأنه يسوق الرذائل تحت أسماء جميلة حسنة . وهذه الجريسة هي أول جريسة بدأها إبليس في الصابغ الإسكاني حين سسى شجرة المعصية شجرة الخلد . وملك لا يهلى . إن أمر من الأمة التفتت بحاجة إلى جوية تفتية . والتي قادة مخلصين . ليقيم إحياء الأمة على منوع صحيح مناسب . لأنها تمنع اليوم تعيش على مررب عال . ترقب مستقبلا تتناوشا

فيسه العصور من كل صائبة . هذا الاستعجال الذي حارب فيه الأعداء . أن يرسم فيه معالمه ليكون حسب سبب استه وسراه . وهو يملك أدوات التطبيع . وهو الذي يملك المال والقدرة . فمستند الآفة العسكرية الرهيبة . وغتله العديد من الاحتساسات التي يمكن أن يستعملها متى يريد . و فوق ذلك في أمتنا العربة الصالحة لهذه الاحتمالات الفكرية الهائلة .

أما صفة الصلخ ، فليس هناك من شيء يملكه نسوي الحق إن يردناه من شرائب الأثكار المنرفة . و غلبناه على جليلكم كما هو من يجرى يجر الإطبل والجريسة . ومن غير يجرى الأرباب الأثكار . و جليلكم يظل عربة الصلخ . وروح الجهاد . ونفس الجهاد . هذه العقيدة التي يهون أمامها الصواب . وتتصاغر في ربهها الجبال . هذه الروح التي تنطوي على حب السموت والترقبية فيما عند الله . والتفوق عن الدنيا والصنائر . والزمه في الدنيا . هذا النفس إن ملكناه أو تملكنا كنا أعاصير لا تبقى للكفر أثر . ولا للظلم وجودا .

وهذا العاجبه طمأن أن نطاق نقد الجهادية يتعد كل كلمة وكلمة . و تدرك ترولكي كل منافع . التفتت الطمأنات وتعود الأمة إلى سابق عهدها . عزاء . وتمكين . وريادة . والمسير . وهذه هي هاء الله تعالى .

تَبْرِيرُ أَبِي قَتَادَةَ قَتَلَ مُحَمَّدَ سَعِيدِ الْوَنَاسِ

الشيخ محمد سعيد الوناس - رحمه الله - كان من رؤوس (الإخوان المسلمين الإقليميين) في الجزائر، وبحكم ممارسته للدعوة، فقد حاول المشاركة مع بعض الأحزاب السياسية التي ظهرت بقوة في حدود سنة (١٤١٠هـ) تقريباً، مع أنه لم يكن مقتنعاً بدخول الإسلاميين في ذلك التيار السياسي مرحلياً لا منهجياً، فلم يشعر إلا وهو مع جبهة الإنقاذ الإسلامية التي حاربت من أول يوم وأهانت يوماً ما أمام الملأ، ثم تبوأ منها الصدارة بعد غياب شيوخها، هذا مع احتفاظه بفكره الذي كان لا ينسجم مع فكر الجبهة المذكورة.

وكان لدى الرجل نوع تعقل وروية، لكن الجبهة التي ألقته السياسة بين مخالها كانت عبارة عن خليط فكري لا يزيكبه إلا التهور، فلذلك لم يجد (اللغة السياسية!) المناسبة - على اختلاف رطاناتها - التي يُقنع بها الجميع، مع العلم بأن استعمال التعقل والروية يومها كان مرفوضاً عندهم بلا مراجعة!

وأيام الفتن سريعة الحركة، قليلة البركة، يجتمع في ساعاتها من سنوات، وتبدل فيها الأرض في اليوم مرّات ومرّات، ولذلك حين أصاب الرجل من الفتن ما أصابه، اختفى خوفاً على نفسه من السلطة، فإذا به يجد نفسه كمن فرّ من الذئب ليطرح بين فكي أسد، بين الجيش الإسلامي للإنقاذ والجماعة الإسلامية المسلحة.

فالجيش الإسلامي للإنقاذ كان يمارس العنف بسياسة، فالمسّ مسّ أرنب، والطبع طبع ثعلب، وأما الجماعة الإسلامية المسلحة فهي عرين غلاة التكفير، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، وأجهل من تكلم في دين الرحمن، غلاظ

أجلافٌ كأنَّ أَسْماعَهُمْ لَمْ يَطْرُقْهَا آيَةٌ رَحْمَةً، ولِأَسْبَابِ لَسْنَا الْآنَ بَصَدَدَهَا فَقَدْ قَتَلُوا الشَّيْخَ مُحَمَّدَ سَعِيدِ الوَثَّاسِ وَلَمْ يَشْعُرُوا بِأَدْنَى تَأْتُمْ، لَا سِيْمَا وَهُمْ يَقْرَءُونَ قَوْلَ صَاحِبِهِمْ أَبِي قَتَادَةَ: « مَنْ لَمْ يَنْدِفِعْ فِسَادَهُ إِلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ، وَإِنْ كَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ لَا يَسْتَحِقُّ بِهَا الْقَتْلَ !! »، من مجلة الأنصار، في عددها (١٣٢)، و(ص ١١)، بتاريخ: (٢٧ شعبان ١٤١٦ هـ).

إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لِهَذَا الْكَلَامِ الْأَخِيرِ حَظَّهُ مِنَ النَّظَرِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ، وَلَكِنَّ إِقَاءَهُ عَلَى مَسَامِعِ هَؤُلَاءِ هُوَ الْفِتْنَةُ؛ لِأَنَّ تَطْبِيقَهُ يَرْجِعُ إِلَى السُّلْطَانِ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ الْخَارِجِينَ، الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ سُلْطَةً، بَلْ مِنْ هَوَاهِمِ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُمْ مُخْتَفُونَ فِي الْكُهُوفِ وَالْجِبَالِ، أَكَلَهُمْ سَرَقَةٌ وَنَهَبٌ، وَقَتَلَهُمْ غَدْرٌ وَغَضَبٌ.

ولذلك ذكر ابن تيمية هذه القاعدة في رسالته « الحسبة »، كما في « مجموع الفتاوى » (١٠٨/٢٨)، وجعلها من واجبات السلطان، بل منع صاحب الحسبة نفسه من تطبيقها؛ مع أن موالي من قبل السلطان، فقال في (١٠٩/٢٨): « وليست هذه القاعدة المختصرة موضع ذلك؛ فإن المحتسب ليس له القتل والقطع ». »

فإذا كان هذا في حق المحتسب، فكيف هو في حق الخارج المنتهب؟! فانظر كم بين كلام الفقهاء وكلام السفهاء!!

صورة المقال السابق

من صميمه الفروع

عليه فلا يجوز قتله إلا إذا استوجب القتل
 من قاتل من أهل العلم بجزواز القتل تعزيراً كالعنفية
الحال الأولى : من لم يتدفع قساده إلا بالقتل قتل ولو
 كان يجرى به ضرورة لا يستحق بها القتل . قال ساروق لحظة
 تلبسه بالسرقة يجوز قتله إن لم يكن دفعه عن سرقة إلا
 بالقتل مع أن حد السرقة هو التطع وليس القتل . قال ابن
 تيمية : ومن لم يتدفع قساده إلا بالقتل قتل . مثل المبرق
 لجماعة المسلمين . والناهي إلى البدح في الدين قال تعالى
 من الليل فلكم كسبنا على رؤسنا من قبل أن نبعث
 قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فهناكما قتل
 الناس جميعاً ﴿ ... (109/28) .

القتال للكتابة : إذا حركت به التوبة أو التمسك . فمن
 عاد إلى نفس المحصنة التي حولج منها إما بالضرورة أو
 الحمد فللإمام فعله كالتزديق أو من شرب

الخير في الثالثة
 والبيان الذي أخرجه الجماعة لم يعدد
 لنا أحد هذه الأسباب . والله اعلم .
 كالتباعد القدر عليهم ، هنا مع
 العلم أي التمسك أن التمسك
 للجماعة أن تعرف عن التائبين وخاصة في
 هذه الظروف القاسية ويعالجهم باحتي طرق
 التشهير الأخرى ، ولكن هذا رأي والرأي
 ليس بملزم . وفي هذه الأمور إنما يمتحن أهل صاحب الشوكة
 وهو أشهر الجسامة لا أميناً التي من الناصحين أو
 المناصرين .

خاصة : زعم البعض أن الجماعة الإسلامية المسلحة إنما
 صلت قتهاها هذا العمل بسبب التوجه منهجها أو بسبب
 اختراقات طاغوتية تقيادتها فنقول : إن هذا القول ساقط
 باطل وليس يحتفل هذا العمل بحكم على من يروج الجماعة
 وإنما يحكم عليها بمجرد أفعالها واستقرار تدفقها للبراق
 وطريقة تعاملها مع . والجماعة وإلى الآن لمصر وأحمر
 واعلم من غيرها في هذا الباب ، فما هي مواقفها ومواقف
 غيرها ممن يعيد الطاغوت ويرفع ذاية الديمقراطية ، ويقنع
 باب التمسك مع المرتدين ويرفضي التغييرية التحريسية فهل
 يتعزى خطأ حال قتله مسلحاً . إن الخطأ ولم يكن له دليل

يكون خلفه ثمانية بسبيل إلى اللين لتستعيد الأمر
 (281/251257) .

قلو منا شيئاً إلى القول بخطأ هذا القول وأنه فعل
 عظيم فهل يجوز لنا أن نمنع من عدم القتل
 الجهادية هذه الزاية السلفية ؟
 الجواب يكفيه كل من قبله خصوصاً من كتب العنصر
 فالجماعة الإسلامية المسلحة لم يصد منها وإلى الآن إلا
 التسديد والقتل في إصابة الأبرياء وهو في الحقيقة
 رضي الله عنهم في قتالهم للمرتدين في الجزائر ، قالوا يجب
 هو علم الجماعة الناجمة بمتابعة حوى النفس في إبطال هذه
 الزاية وهذا المنهج . حال ابن تيمية : ومن علم منه الإجهاد
 المسائل فلا يجوز أن يذكر على وجه الدم والتائب له ، فإن
 الله ضرر له خطابه ، بل يجب لما فيه من التمسك بالتحري
 هو الائمة ومعرفة ، والجماعة أوجب الله من حقوقه من تمام
 ودعاء . وفي ذلك الجهاد (234) .
 ثالثاً : ماذا سمعت وأطعتم على
 طرق معالجة الآخرين بهذا الأمر أن
 الكسب منها لم يكن مؤثراً ،
 قد يفسدكم . إن كان له حوى وأرضيت
 بوصول هذا التمسك إلى قيادة
 الجماعة . إن كان له حوى وأرضيت
 إلى خطوات أخرى مما هو عليه
 وبما يفسدكم رأى فيها فرصة غنية
 بتصفية سيايات خاصة مع آخرين .

فليس هو بالناهي على محمد المصطفى إلا في حقها
 فيجوز لركوب الخلل والاعتداء على غيره وضلاله وبعضهم
 .. وبعضهم .. ويوم القيامة يحصل ما في الصدور .
 رابعاً : كانت هناك واقعة طويلة لقتل التائبين بين التهمة .
 وأن الرجل إن تاب بعد ما فعل فقتل الجماعة
 الإسلامية المسلحة التائبين ، فالقول وبإلله التوفيق :
 أن الرجل إذا تاب قبل القدرة عليه إن لم يصب حداً من
 حدود الله تعالى أو تاباً من قبله يستوجب القتل ثم أغتن
 توبته وأظهرها للناس لاخذ عليه بسبيل ، بل الواجب إنكاره
 وإطلاق سراحه وذلك تشجيعاً للآخرين على التوبة والإتابة
 (وللذكر فإن بعض أهل العلم كالأحناف وابن تيمية يرون
 للحاكم الحق في إسقاط الحد التائب إذا تاب الذي أخطأه
 تائباً تائباً) . هنا إذا كان مستعماً بقدرة وشوكة أما المقدم

وهَاكَ الْآنَ تَفْسِيرُ أَبِي قَتَادَةَ لِعَمَلِ جَمَاعَتِهِ:

١ — مَفْتِي الْجَمَاعَةِ يَعْتَرِفُ بِقَتْلِ جَمَاعَتِهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ سَعِيدٍ:

كَتَبَتِ الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُسَلَّحَةُ بَيَانًا تَعْتَرِفُ فِيهِ بَلْ تَفْتَحِرُ بِاِغْتِيَالِهَا الشَّيْخَ مُحَمَّدَ سَعِيدَ الْوَتَّاسِ، فَسَارَعَ أَبُو قَتَادَةَ إِلَى التَّسْذِيدِ وَالْمَقَارَبَةِ، فَقَالَ فِي مَجَلَّةِ الْأَنْصَارِ، الْعَدَدَ (١٣٢)، فِي (ص ١٠)، بِتَارِيخِ: (٢٧ شَعْبَانَ ١٤١٦ هـ):

« اَعْلَمُ - أَخِي الْمُسْلِمُ! - أَنَّ الْبَيَانَ الَّذِي أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ فِي الْعَدَدِ السَّابِقِ فِي نَشْرِيَةِ الْأَنْصَارِ قَدْ أَثَارَ الْكَثِيرَ مِنَ التَّسْأُولَاتِ حَوْلَ حَقِيقَةِ الْوَاقِعِ الَّذِي تَمَّ مُوجِبًا لِهَذَا الْبَيَانِ، وَهُوَ قَتْلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّعِيدِ وَصَاحِبِهِ عَبْدِ الرَّزَاقِ رَجَّامٍ وَبَعْضِ أَفْرَادِ تَنْظِيمِهِمُ الَّذِي كَشَفْتُ (الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُسَلَّحَةُ) عَنْهُ! »

قُلْتُ: إِذَا فَهُوَ اعْتِرَافٌ مِنَ الْجَمَاعَةِ نَفْسَهَا بِأَنَّهَا صَاحِبَةُ الْاِغْتِيَالِ، وَهَذَا تَقْطَعُ الْجَمَاعَةُ الطَّرِيقَ عَنِ أَوْلَئِكَ الْمُتَكَاسِبِينَ مِنَ السِّيَاسِيِّينَ الثَّوْرِيِّينَ الَّذِينَ يُبَرِّئُونَهَا مِنْهُ، وَيُلْصِقُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَمِثْلَهُ دَائِمًا بِالْمُنْخَابِرَاتِ ...!

صورة البيان السابق

من صحاح المنهج



(1) . عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله في الله عليه وسلم : «من نكس أُنْجاء ظهر الصبيء يره الله في الدنيا والآخرة» . رواه البيهقي في الصحيحين ج 7637/م ، وقال صاحب الجواهر في المستدرج : صحيح ، والصحيح أن قنينة التمسك البصري . وقد ضمن أبو يعلى أنه شاهد من حديث عمران بن حصون رضي عنه عند البيهقي .

(2) . عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ومن نكس يديه يوم القيامة كالعير التي لا يردني» . رواه أبو داود في سنن زنده صحيح .

قال صاحب المرقاة ، على نأوي وحده الله تعالى : المعنى نكس نفسه في الهلكة بتلك التسمية ، أي حيث أراد الرخصة والبراءة منه ، فيكون في حقيقته ينزل الأثم وهناك ما لا يظن كما لا

فيج البعير الذي من البشر يذنيه ، وقيل : شبهه بالبشر غير هالك . لأن من كان على غير العنز ظهر ذلك شبه نكسه بذب هذا البعير ، فكذا من نكس يذنيه لا يلص من الهلكة . وكذلك قوله لا يخلصهم عن البر الهلاك الذي وقعوا فيه . وأما ما رواه البيهقي للفضيلة ، عن أنس مرفوعاً : من نكس أخاه (الحديث) حصول على نصرة الحق وإن كان اللفظ متعلقاً (48/8) بجملة دار التفتك بعناية صدق العطار) .

علم أخي المسلم أن البيان الذي أطلعت عليه في عدد السابق في تسمية «الأنصار» ، قد أثار الكثير من تساؤلات حول حقيقة الواقع التي نرى فيها لهذا البيان وهو قتل الشيعي محمد المسجد . وقد أثار البيان هام وبعض أقراء تطهيرهم الذي كان من أخص

الإسلامية السليمة عنه ، وحتى يكون الأمر المسلم على بيته من هذا الأمر فباتي سناقش البيان من بعبوة شرعية خاصة والله أعلم .
أولاً : أعلم بحفظك الله تعالى أنه لا أحد فوق شرع الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم : «إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق السرقة تركوه ، وإذا سرق الصمغيتما فيها أقموا عليه الحد» . وأيم الله لو أن قاضية بنت محمد سرقت قطع محمد بن حنفية أرواه البخاري في مصنفه الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان من حديث عائشة رضي الله عنها) ، وعلى هذا فإنه ليس المسلم أن يقتل أمثال محمد الصعبد ممن عرفوا بالهدية المودة إلى الله تعالى . وليس محمد المسجد كمثل أحد . ولكن لا ينبغي التطهير بأحد من النظر المبرح لسياق القتل ، والبيان لم يوضح سبباً شافياً وقاطعاً لهذا القتل بل أبقى الكثير من الاحتمالات . فإذا تعاملنا مع البيان فقط فهذا صحتي . ولكن عتدي ما يجعل لقتله عنفاً . فمن أراد : علاقات مع طواغيت اجناس عن بلد كالتذافي وغيره ، أو سعی عاملاً للعبودية الديمقراطية في بلادنا كسراسة ، والله الحافظ والمصدق أني كذا خير ، وإن لم يكن لهم علم بصحيح ليدققوا بذلك .

تطهير العباد من وخشة أبي القناد
الخطأ ، والمضيق له أجرين ، وأثر الخطأ في الدماء لا يكاد يصل من جهاد ولا جهاد الصحابة رضي الله عنهم وهم أول الناس وأكثر المسلمين توفيقاً لإصابة الحق ، قال أبي تبعي رحمه الله تعالى : وهكذا أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه ما زال يستميل خائفاً ثم يغيب أهل الردة . وفي فسوح العسراة في القسم . وقد ذكر أبو بكر رضي عنه عن خالفه أنه كان يغيبها هرب ، فله بعد من أهدى . بل عاتبه في توطئة المصلحة على العقب في بقائه ، وإن غيره لم يكن يقوم مقامه لأن المولى الكبي إذا كان يغيبهم ليدخلوا الجاني فبقائه أن يكون خلفه ناك سبل إلى الشدة ، وإذا كان خلفه يميل إلى الشدة فبقائه

من أراد أن يفتح باب المصلح مع المرءيات والعلاقات مع
ويشتبه العلاقات مع
الواجب أمثال عن بلاده
وسعى إلى العودة
للمصير الطبية فإنه يقتل ولا
كرامة

٢- وحوش أبي قنادة مجتهدون (كاجتهاد الصحابة!) :

قال المشبوه في مقاله ذلك: « اعلم - حفظك الله تعالى - أن المجتهد له أجرٌ واحدٌ إن أخطأ، والمصيب له أجران، وأن الخطأ في الدماء لا يكاد يسلم منه جهادٌ، ولا جهاد الصحابة ﷺ ... »!!

قلت: انظر كيف يهون من شأن الدماء بمثل هذا التبرير السمج، الذي لا يمكن أن يفهم منه أتباعه إلا الاستمرار في الهجوم على الدماء، والله العاصم.
ثم أقول:

أ - من أين لهم أن قتالهم جهادٌ حتى يُفرِّعوا عنه ما ذكروه، فضلاً عن أن يُشبهوا أنفسهم بالصحابة؟!

ب - لو كان قتالهم جهاداً، وما وقع فيه وقع اجتهاداً، فمن أين لهم الاجتهاد وليس فيهم نصف عالم؟!

قال ابن تيمية - رحمه الله - في « الرد على الأحنائي » (ص ٩ - ١١):
« فإن من الناس من يكون عنده نوع من الدين مع جهل عظيم، فهؤلاء يتكلم أحدهم بلا علم فيخطئ، ويخبر عن الأمور بخلاف ما هي عليه خبراً غير مطابق، ومن تكلم في الدين بغير الاجتهاد المسوغ له الكلام وأخطأ فإنه كاذبٌ آثم؛ كما قاله النبي ﷺ في الحديث الذي في السنن عن بريدة عن النبي ﷺ أنه قال: « القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، رجلٌ قضى على جهل فهو في النار، ورجلٌ عرف الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجلٌ علم الحق فقضى به فهو في الجنة»، ثم قال في الرجل الأول: « فهو الذي يجهل - وإن لم يتعمد خلاف الحق - فهو في النار، بخلاف المجتهد الذي قال فيه النبي ﷺ: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد الحاكم

فأخطأ فله أجر» .

وقد فصلتُ القولَ في هذا في آخر كتابي «مدارك النظر في السياسة»، في فصل: «شبهتان والرد عليهما»، فليرجع إليه من شاء.

ج - ثم فرق كبير بين جهاد الصحابة وجهاد هؤلاء؛ لأن الصحابة يندمون على أخطائهم ولا يعودون إليها، وأما هؤلاء فمستمرون على ما هم عليه، فإذا دخلوا المضائق وسدت أمامهم المخارج نظروا في أعذار خیار أهل الأرض بعد الأنبياء، فتدثروا بها، وإن لم يندموا يوماً على فعالهم! وما أشبه هؤلاء باللصوص الفجرة الذين إذا ضبطوا قالوا: كان في مجتمع الصحابة لصوص!!

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) والطبراني في «مسند الشاميين» (١٣١١) والضياء في «المختارة» (٤١٦)، وهو صحيح.

قال خالد بن دهقان: «سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله (اعتبط بقتله)؟ قال: الذين يُقاتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم، فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله، يعني: من ذلك، قال أبو داود: وقال: فاعتبط: يصب دمه صباً». هكذا رواه أبو داود (٤٢٧١) وهو صحيح، ولا ريب أن هذا فعل من يُريق دماء الأبرياء وهو يحسب أنه يحسن صنعا!

وضبط بالعين أي «فاعتبط»، أي سر بقتله، والله المستعان.

د - كان جيش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتملاً على مجتهدين وعلماء يرجع إليهم، فيشملهم حينئذ حديث الأجر أو الأجرين المذكور آنفاً، وأما

هؤلاء المارقون فأتحدي جمعهم أن يُثبتوا لنا واحداً معهم يكون من أهل الاجتهاد، ولو كان في سرداب الرافضة! بل لو جمعت علومهم كلها في رجل واحد لما كوتوا رجلاً واحداً من علمائنا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وسيأتي زيادة بيان - إن شاء الله - في ردّ تعلقهم بالشيخ الغنيمان.

هـ - يفهم من كلام المشبوه هنا أنه يعترف بخطأ جماعته، وقد أراد إفهام القراء ذلك باستعماله هذا الأسلوب المرن، إلا أن الحقيقة خلاف ذلك، كما ستره قريباً - إن شاء الله - في تبريره هذه الجريمة وتصويبه الجماعة فيها، وإنما يستعمل هذه الطريقة لمخادعة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿مُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة ٩].

٣ - أبو قتادة يدافع عنهم مع اعترافه بأنه لا يدري سبب

فعلهم:

لقد كتبت جماعة أبي قتادة بياناً تفتخر فيه باغتيال الشيخ محمد سعيد ومن معه، لكنّ أبا قتادة لم يتبين السبب، وكتب مع ذلك في مقاله السابق - وتأمل البرودة التي يتكلم بها في الدماء - فقال: «والبيان لم يوضح سبباً شافياً وقاطعاً لهذا القتل، بل أبقى الكثير من الاحتمالات، فإذا تعاملنا مع البيان فقط فهذا مُعتقدي، لكن عندي ما يجعل لقتله عذراً وتأويلاً...»!!

ثم ساق بعض الاحتمالات، وذكر بعدها الحالات التي يجوز فيها الاغتيال، ثم عاد ليُعتَرِف - بعد دفاع مَرير عن جماعته - في الصّفحة التي تليها، فقال: «والبيان الذي أخرجته الجماعة لم يُحدّد لنا أحد هذه الأسباب»!!

وهذا اعتراف صريح منه بأنه يهرف بما لا يعرف، وبأنه ينصر من لا يعرف، فأين ذهب عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء ٣٦]؟!

وفيه شهادة صريحة منه على أن نُصرتَه لهذه الجماعة ليس إلا عصبية جاهلية؛ فأين ذهب عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزحرف ٨٦]!

وأنا أنقل هذا من قلم صاحبه؛ لأبين للمتعاطفين مع جماعته أننا نتعامل مع قوم يتكلمون في دماء المسلمين بعشوائية كاملة، ويلغون فيها بوحشية قاتلة، كفى الله المسلمين شرَّ هؤلاء المجرمين.

٤ — تفسير أبي قتادة لقتل الشيخ محمد سعيد الناس:

قال المشبوه في مقاله ذلك (ص ١٠): «اعلم - حفظك الله تعالى - أنه لا أحد فوق شرع الله تعالى؛ لقوله ﷺ: «إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيْمُ اللَّهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْنَا يَدَيَّهَا» رواه البخاري في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رُفِعَ إلى السلطان، من حديث عائشة رضي الله عنها.

على هذا، فإنه ليسوء المرء المسلم أن يُقتل أمثال محمد السعيد ممن عُرف بلاءه (كذا) في الدعوة إلى الله تعالى، وليس محمد السعيد ككل أحد، لكن لا ينبغي التهويل باسمه دون النظر المبصر لسبب القتل!!

قلت: هذه مقدمة قدمها ليقبل قوله الآتي في تصحيح ذلك العمل الإجرامي، فالله حسيبه.

وسبق أن نقلت من كلام المشبوه اعترافه بأنه لا يملك سبياً قاطعاً لتفسير قتل الشيخ محمد سعيد، وفي مقاله هذا نفسه اجتهد اجتهاداً بالغاً لتصحيح هذا العمل الإجرامي، بحيث تبقى جماعته بمنأى عن كل طعن، بل تأول كل ما

أورد عليها؛ حتى يُبرهن على أنها هي الطائفة المنصورة المعصومة.
وفي الوقت الذي يشهد فيه على نفسه بأنه لا يدري سبب القتل بالضبط،
فقد جعل يتأول لو حوشه حتى يدخل عملهم ذاك في عداد عمل الآدميين، بل
وفي عداد ما يأمر به شرع أرحم الراحمين!

وبسبب تهافته في تفسير هذه الوحشية، فقد تردّد جوابه بين إحدَى ثلاث:

— **تفسيره الأول:** اتّهام محمد سعيد بفتح باب الحوار مع الطواغيت،
وهذا يستلزم عنده القتل بلا كرامة، قال بعد مقاله السابق: « وليس محمد
سعيد ككل أحد، ولكن لا ينبغي التّهويش باسمه دون النظر المبصر لسبب
القتل، والبيان لم يوضّح سبباً شافياً قاطعاً لهذا القتل، بل أبقى الكثير من
الاحتمالات، فإذا تعاملنا مع البيان فقط فهذا معتقدي، ولكن عندي ما يجعل
لقتله عذراً وتأويلاً؛ فمن أراد أن يفتح باب الحوار مع الطواغيت أو ينشئ
علاقات مع طواغيت أجنب عن بلده كالقذافي وغيره، أو يسعى عاملاً
للعودة إلى الديمقراطية، فهذا حكمه القتل ولا كرامة، والله الحافظ والهادي
إلى كل خير، وإن لم يكن لهم عذرٌ صحيح فهم آثمون !!»

واعلم أنّه يقصد بقتله قتله كفراً، إلاّ أنّه جبن عن التصريح بذلك، لكنني
لا أفضحه إلاّ بقلمه؛ فقد قال في (ص ١٢) من مقاله ذلك: « وأنا أعتقد بكفر
من رفع راية الديمقراطية في حزب أو تنظيم في وضع مثل الجزائر، فمن دعا إلى
العودة إلى الديمقراطية وحلّ الأزمة كما يسمونها - كذباً وزوراً - عن طريق
العودة إلى البرلمان والتعددية الحزبية، وبالتآلف والتحالف الوطني فهو يقتل ردة
بعد استنابته إن كان مقدوراً عليه، وبدون استنابة إن كان غير مقدوراً عليه
(كذا) كما في الجزائر، وخاصةً أن أمثال هؤلاء دورهم الرئيسي هو القضاء
على الجهاد، وإعطاء فرصة للدولة الطاغوتية للاطمئنان وترتيب أوراقها للقضاء

على الإسلام وأهله «!!

قلت: لقد عمم الكلام هنا، مع أنه يدري بأن الشيخ محمد سعيد كان ممن ينحون هذا المنحى الديمقراطي، كما مر!

— تفسيره الثاني: أن محمد سعيد كان من المبتدعة عنده، ثم تاب بعد القدرة عليه، ومن كانت حاله كذلك جاز قتله عندهم؛ قال المشبوه في منشوره السابق (ص ١١): « كانت هناك وقفةً طويلةً لقتل التائبين من التهمة، وأن الرجل إن تاب فلا يحلُّ قتله، فكيف قتلت الجماعة الإسلامية المسلحة التائبين؟ ».

ثم أخذ يُجيب على هذا السؤال، محاولاً إخراجَه من الصبغة الإجرامية إلى الصبغة الفقهية المحمّية بـ (الخلاف السائغ!)، ثم قال: « والبيان الذي أخرجته الجماعة لم يُحدّد لنا أحد هذه الأسباب، وبالتّحقيق تبين أن التوبة كانت بعد القدرة عليهم، هذا مع العلم أنني أعتقد أن الأفضل أنه كان على الجماعة أن تغفو عن التائبين، وخاصة في هذا الظرف العصيب، ويُعالجهم بإحدى طرق التعزير الأخرى، ولكن هذا رأيي، والرأي غير مُلزم، وفي هذه الأمور إنّما يمضي أمرُ صاحب الشوكة، وهو أمير الجماعة، لا أمثالي من الناصحين المناصرين «!!!

قلت: إذا فإهدارُ دم الشيخ محمد سعيد دائرٌ عندهم بين فاضلٍ ومفضولٍ، وإلى الله تُرجع الأمور!

تَنَاقُضُ: قد مرّ نقلُ كلام المشبوه في أن الداعي إلى الرجوع للحلّ الديمقراطي يُعدُّ كافراً، ويُقتل بلا كرامة ولو تاب، إذا كانت توبته بعد القدرة

عليه، كما مرَّ أنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ سَعِيدٍ هُوَ - عِنْدَهُ - مِنْ هَذَا الصَّنْفِ، فَكَيْفَ كَانَ الْأَفْضَلَ عِنْدَهُ أَلَّا يُقْتَلَ؟!

— تَفْسِيرُهُ الثَّلَاثُ: أَنَّهُ قُتِلَ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ حَاوِلُ الْوَصُولِ إِلَى الْقِيَادَةِ وَتَغْيِيرِ مَنْهَجِهَا؛ قَالَ الْمَشْبُوهُ فِي (ص ١٢): « فَالْقَوْلُ إِنَّ الْجَمَاعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْمُسَلَّحَةَ قَتَلَتْ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ سَعِيدٍ وَعَبْدَ الرَّزَّاقِ رَجَّامًا؛ لِأَنَّهُمَا مُبْتَدِعَةٌ عَلَى عَقِيدَةِ الْأَشَاعِرَةِ قَوْلٌ يَنْقُصُهُ الدَّلِيلُ ».

ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى كَلَامِهِ هَذَا بِالْإِبْطَالِ، فَقَالَ: « نَعَمْ! يَجُوزُ لِلْأَمِيرِ السُّنِّيِّ السَّلْفِيِّ أَنْ يَقْتَلَ الْمُبْتَدِعَةَ إِذَا حَاوَلُوا الْوَصُولَ إِلَى الْقِيَادَةِ وَتَغْيِيرِ مَنْهَجِهَا؛ لِأَنَّ حَالَهُمْ حِينَئِذٍ أَشَدُّ مِنْ حَالَةِ الدَّاعِي إِلَى بَدْعَتِهِ، فَالْمُبْتَدِعَةُ هُنَا دُعَاةٌ وَزِيَادَةٌ!!! »

قَلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! شَرِيعَتُنَا تَدْرَأُ الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ، وَهَوْلَاءُ يَقْتُلُونَ بِأَدْنَى الشُّبُهَاتِ!

وَأَرْوَاحُ الرِّجَالِ تَتَرَدَّدُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ الْإِحْتِمَالِ وَالْبُهْتَانِ، وَتُزْهَقُ أَرْوَاحُهُمْ كَمَا تُزْهَقُ أَرْوَاحُ الْخُرَفَانِ!

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي « الْمُنْفَهَمِ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ » (٢٧/٥): « وَالِدَّمَاءُ أَحَقُّ مَا احْتِيطَ لَهَا؛ إِذَا الْأَصْلُ صَيَانَتُهَا فِي أَهْبِهَا، فَلَا نَسْتَبِيحُهَا إِلَّا بِأَمْرٍ بَيِّنٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ ».

قَلْتُ: قَدْ عَصَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِمَاءَ كَفَّارٍ تَابُوا بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ، فَالْإِطْلَاقُ السَّابِقُ يَقْيِدُهُ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ الْبُخَارِيِّ (٤٠١٩) وَمُسْلِمٍ (٩٥) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَنَّ الْمَقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو الْكَنْدِيَّ - وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَحْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَلْتُنَا، فَضْرَبَ إِحْدَى

يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: (أسلمتُ اللهُ)، أقتله - يا رسول الله! - بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: « لا تقتله، فقال: يا رسول الله! إنّه قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعد ما قطعها! فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله؛ فإن قتله فإنه بمنزلةك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال ».

قال النووي - رحمه الله - في « رياض الصالحين » (ص ١٨٦ - الألباني):
« ومعنى (إنّه بمنزلةك) أي: معصومُ الدّم، محكومٌ بإسلامه، ومعنى (إنك بمنزلة) أي: مباح الدّم بالقصاص لو رثته، لأنّه بمنزلة في الكفر، والله أعلم ».

نزكية أبي فتادة لجماعته بعد هذه الفظائع

قال المشبوه عند نهاية مقاله ذلك: « وفي الختام: إن الجماعة الإسلامية المسلحة بقيادة الشيخ أبو عبد الرحمن (كذا) أمين^(١) هي راية أهل السنة والجماعة على أرض الجزائر، ولا تسقط هذه الرؤية بالاحتمالات العقلية الجائزة، ولسنا بمغيّرين ذلك إلا بيّنة مثل عين الشمس، والله الموفق!! »

وقال أيضاً (ص ١١): « فالجماعة الإسلامية المسلحة لم يصدر منها - وإلى الآن - إلا التّسديد والمقاربة في إصابة الحقّ وتحريّ منهج الصحابة رضي الله عنهم في قتالهم للمرتدّين في الجزائر، فالواجب عدم إشاعة الفاحشة بمتابعة هوى النفس في إبطال هذه الرؤية وهذا المنهج!! »

قلت: وأي فاحشة أعظم من قوله: « فتوى عظيمة الشان في جواز قتل الذرية والنسوان ...!!؟ » وسيأتي إن شاء الله.

بهذا وذاك الذي سبق يتبين أنه لم تكن هذه المحاماة المتهاففة من أجل حماية روح مسلمة، وإنما كانت من أجل إحياء جماعة من الوحوش الضارية وبعث نفس جديد لإجرامها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَدِّلْ عَنِ الَّذِينَ يَحْتَنُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء ١٠٧].

أما كون وحوشه يتحرّون منهج الصحابة، فأتى لهم ذلك وهم من أجهل الخلق بدين الله، فكيف بمنهج الصحابة؟!

وهاك بعض ما كان عليه الصحابة من التورّع في الدماء والتحرّز من مواطن الفتن، أخرج البخاري (٦٨٦٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: « إن من

(١) هو جمال زيتوني، أمير الغلاة قبل أن يهلك.

وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفَكَ الدَّمَ الْحَرَامَ بَعِيرِ حَلِّهِ .
 وَأُخْرِجَ أَيْضاً (٤٥١٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ،
 فَقَالَا: « إِنَّ النَّاسَ ضَيَّعُوا، وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ
 تَخْرُجَ؟ فَقَالَ: يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي، فَقَالَا: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ
 حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ [البقرة ١٩٣]؟! فَقَالَ: قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً وَكَانَ الدِّينُ
 لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِعَيْرِ اللَّهِ! ».

وَأُخْرِجَ أَيْضاً (٤٦٥٠) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: « أَنْ رَجُلًا جَاءَهُ،
 فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَلَا تَسْمَعُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ وَإِنْ طَافِقَتَانِ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الحجرات ٩]، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ لَا تُقَاتِلَ كَمَا ذَكَرَ
 اللَّهُ فِي كِتَابِهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! أُعِيرَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَلَا أُقَاتِلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
 أُعِيرَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ﴾ إِلَى آخِرِهَا
 [النساء ٩٣]، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ [البقرة ١٩٣]،
 قَالَ ابْنُ عُمَرَ: قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ كَانَ الْإِسْلَامُ قَلِيلًا، فَكَانَ
 الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ؛ إِمَّا أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُوثِقُوهُ، حَتَّى كَثُرَ الْإِسْلَامُ فَلَمْ
 تَكُنْ فِتْنَةً، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يُوَافِقُهُ فِيمَا يَرِيدُ، قَالَ: فَمَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؟
 قَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا قَوْلِي فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؟ أَمَّا عُثْمَانُ، فَكَانَ اللَّهُ عَفَى عَنْهُ،
 فَكَرِهْتُمْ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ، فَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَتَنَهُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ:
 وَهَذِهِ ابْنَتُهُ أَوْ بِنْتُهُ حَيْثُ تَرَوْنَ! ».

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ (٤٥١٥) رَجَّحَهَا ابْنُ حَجَرٍ فِي « الْفَتْحِ » (٣١١/٨) بِلَفْظٍ:
 « هَذَا بَيْتُهُ حَيْثُ تَرَوْنَ ».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ (٣١٠/٨): « وَأَمَّا قَوْلُهُ: (فَمَا هُوَ قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ
 وَعُثْمَانَ؟)، فَيُؤَيِّدُ أَنَّ السَّائِلَ كَانَ مِنَ الْخَوَارِجِ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ الشَّيْخَيْنِ

ويحطون عثماناً وعليًّا.»

وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير قال: «خرج علينا أو إلينا ابنُ عمر، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتن؟ فقال: وهل تُدري ما الفتن؟ كان محمد ﷺ يُقاتل المشركين، وكان الدُّخول عليهم فتن، وليس كقتالكم على الملك.»

قلت: ولا ريب أن قتال هؤلاء اليوم هو على الملك، وإن بهرجوا بخلافه؛ لأنَّه من الصُّعوبة بمكان أن يشهد الإنسان على نفسه بأنَّه مُبتغي دنيا أو طالب مُلك، وقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر ٨]، وإنما يُعرف ذلك بقرائنه، ولو أرادوا بما فعلوا وجه الله لوقفوا عند حدوده، ولتعرَّفوا على الحقِّ فيه عن طريق أهلِه الذين هم العلماء، ولم يهجموا على الأرواح المعصومة لأدنى الشُّبه.

وقبل أن يعجلَ عليٌّ عَجَلٌ، فإني أنقلُ للقاريء الكَرِيم شهادةً عزيزةً من المشبوه نفسه، يشهدُ فيها على قتال هذه الجماعات، فقد قال في «الجهاد والاجتهاد» (ص ٣٠٥): «إنَّ الجهادَ في سبيلِ الله تعالى حركةٌ بشريةٌ، وحركةٌ من أجلِ السُّلطانِ والمُلكِ، ففيه تتداخلُ كلُّ انفعالاتِ الإنسان، ومن دَعَا للسَّيفِ أو حرَّضَ على السَّيفِ فلا ينتظر أن يُناقشه النَّاسُ ويحاربوه بالخطبِ الرَّتَّانَةِ والورقِ الصَّقِيلِ، بل عليه أن يحضِّرَ نفسه ليدُوقَ حرَّ السَّيفِ، هذه هي سنَّةُ الله تعالى!!».

قلت: هذه الشَّهادةُ الصَّريحةُ غريبةٌ، لكنَّها وقعت كما نقلتُ، وهي تأكيدٌ على أن الله هو الذي يُوفِّق أهلَ التَّوفيقِ للخير، وأنَّه هو الذي يخذلُ أهلَ الخذلانِ، والأمورُ لا تجري على سننِ الحيلِ والذِّكاءِ، ولكنَّ الله يحكُمُ ما يريدُ! والمتَّبِع لأصحابِ رسولِ الله ﷺ حقيقةً لا ادِّعاءً لا يختارُ لنفسه الدُّخولَ

في هذه الدماء التي أنتنت بها أرض الجزائر، بل يحقنها ما استطاع، ويتأسى في ذلك بالسيد الحسن بن علي رضي الله عنهما، فعن الحسن البصري قال: «استقبل - والله! - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إني لأرى كتائب لا تُؤلي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو! إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمر الناس؟ من لي بنسائهم، من لي بضيعتهم؟»، وذكر القصة إلى أن قال الحسن البصري: «ولقد سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر - والحسن بن علي إلى جنبه - وهو يُقبل على الناس مرةً وعليه أخرى، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخاري (٢٧٠٤).

وفي رواية للآجري في «الشريعة» (١٦٥٩) تعليقا، ومن طريقه عبد الغني المقدسي في «تحريم القتل» (١٢)، وإسماعيل الخطيبي في «تاريخه» كما في «الإصابة» لابن حجر (٧٢/٢)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣٤/١٣) قال الحسن (أي البصري): «فرأهم أمثال الجبال في الحديد، فقال: أضرب بين هؤلاء وهؤلاء في ملك من ملك الدنيا؟! لا حاجة لي فيه»، وهو صحيح بشواهده الكثيرة التي منها ما رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٦٤)، والآجري في «الشريعة» (١٦٦٠) بإسناد صحيح عن رياح بن الحارث قال: «اجتمع الناس إلى الحسن بن علي ﷺ بعد وفاة علي ﷺ، فخطبهم، فحمد الله ﷻ وأثنى عليه، ثم قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله ﷻ لو أقع، ما له من دافع، ولو كره الناس، وإني ما أحب أن ألي من أمر أمة محمد ﷺ ما يزن مثقال ذرة حبة خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد عرفت ما ينفعني مما يضرني، فالحقوا بطيبتكم».

هذا هو عملُ المصلحين، وهذا هو خوفُ المتورِّعين، على الرِّغم من أنَّهم بهذه المثابة من الاستحقاق، ولكن حُرمة المؤمنِ عَظيمةٌ، وليس من الحكمة أن يُصرَّ المرءُ على السَّعي لتَحقيق مَصْلحةٍ مَحْضَةٍ فيما يَتوَهَّم، وَيَغْفُل عن مَفْسَدَةٍ راجحةٍ مَحْدَقَةٍ به، والتي قد تُعطي نتيجةً معكوسةً غير متوقَّعة، كما قال الحسنُ ابنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما: « لو نظَّرتُم إلى ما بين جابرس إلى جابلق ما وجدتم رجلاً جدُّه نبيُّ غيبي وأخي، أرى أن تجتمعوا على معاوية، ﴿ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتْنَعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [الأنبياء ١١١]، قال معمر: معنى جابرس وجابلق: المشرق والمغرب » أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٨٠/١١) وأحمد في « فضائل الصحابة » (١٣٥٥) والطبراني (٨٧/٣) والآجري في « الشريعة » (١٦٦١) وغيرهم، وهو صحيحٌ، وأخرجه الحاكم (١٧٥/٣) بلفظ: « إنَّ أكيسَ الكيسِ التقي، وإنَّ أعجزَ العجزِ الفجور، وإنَّ هذا الأمرَ الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاويةٌ حقٌّ لامرئٍ، وكان أحقَّ بحقه مني، أو حقٌّ لي فتركته لمعاوية؛ إرادةً استِضلاعِ المسلمينَ وحَقنِ دِمائهم، ﴿ وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتْنَعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [الأنبياء ١١١]، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم.»

وفي هذا دليلٌ على سُقوطِ تعليلِ علي بن حجاج لما فعله الحسنُ رضيَ اللهُ عنه، فقد قال في « وجوب نُصرةِ المجاهدين » (ص ٢٩): « إنَّ الحسنَ عندما تنازلَ عن الخلافةِ لمعاويةَ لا على أنه أقرَّ الاغتصابَ؛ والدليلُ على ذلك ما قاله عندَ التنازلِ: (ما أردتُ بمصالحتي معاويةَ إلا أن أدفعَ عنكم القتلَ؛ عندما رأيتُ من تباطؤِ أصحابي عن الحرب)!!!».

قلتُ: ههنا ثلاثةُ أمور:

الأوَّلُ: رمى عليُّ بن حجاج في هذا التَّحليلِ الصَّحابيِّ معاويةَ رضيَ اللهُ عنه بالاغتصابَ، والكلامُ في معاويةَ كاتبِ الوحيِّ رضيَ اللهُ عنه دليلُ فسادٍ عندَ السَّلَفِ،

سيأتي - إن شاء الله - عند فصل علاقة المشبوه بسيد قطب.

والذي يشد الانتباه أنه حكم في كتابه كله على المعتصب بالقتل، بل وبدخول النار، من ذلك ما نقله عن الإخواني المر الخالدي في (ص ٣١) مُقرأ له على قوله: « إنَّ حُكْمَ اغْتِصَابِ السُّلْطَةِ هُوَ مُقَاتَلَةُ الْمُغْتَصِبِ بِالسَّلَاحِ قِتَالًا مُسْتَمِرًّا حَتَّى يُخْلَعَ، وَإِنْ قُتِلَ فَهُوَ فِي النَّارِ، هُوَ وَكُلُّ مَنْ يُقَاتِلُ مَعَهُ!!! ».

أهكذا يُعاملُ (السُّنِّيُّ!) صَاحِبَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمِينَهُ عَلَى الوَحْيِ!؟

وقد عَنونَ لفصلٍ من كتابه في (ص ٢٣) بقوله: « اغْتِصَابُ السُّلْطَةِ جَرِيمَةٌ يَحَارِبُهَا الإِسْلَامُ »، إِذَا فَقَدْ خُدِعَ أَهْلُ السُّنَّةِ حِينَ دَافَعُوا فِي عَقَائِدِهِمْ عَنِ مَجْرِمٍ وَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِهِ، بَلْ كَيْفَ خُدِعَ المُسْلِمُونَ الأَوَّلُونَ حِينَ وَكَلُوا أَمْرَ كِتَابَةِ الوَحْيِ إِلَى مَجْرِمٍ، وَإِنَّا لِلَّهِ!؟

ثم نقل مثله في الصفحة نفسها عن المؤدودي ومحمد الغزالي، وقد قيل:

وَفِي السَّمَاءِ طُيُورٌ اسْمُهَا بَقَعُ
إِنَّ الطُّيُورَ عَلَى أَشْكَالِهَا تَقَعُ!!

الثاني: أتى بقصة لا خطام لها ولا زمام كعادته، ثم بنى عليها ما يريد، وزعم أن الحسن رضي الله عنه ما منعه من قتال المسلمين إلا أنه لم يجد قوة، وصرح به في (ص ٣٠)، فقال: « ولو وجد قوة على المحاربة لفعل!! »، وهذا خلاف الروايات الصحيحة التي نقلتها من قبل؛ إذ فيها أن الحسن كان يملك جيشاً عرمرماً، كما في الرواية: « كتائب أمثال الجبال »، إلا أن الذي منعه من خوض المعركة هو حقن دماء المسلمين، كيف لا وهو الذي كان يُناصح أباه علياً رضي الله عنه بترك القتال في المعارك التي كانت بين المسلمين، رضي الله عن الجميع، وكان أبوه - بعد ندمه - يذكر هذه الحسنة لابنه، وهي روايات صحيحة مشهورة.

الثالث: إن ما جاء في الروايات الصحيحة التي سُقَّتْها صريحٌ في أن الحسن امتنع من دُخُولِ المعركة حَقْنًا لِدَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ جميعاً، سواء الذين معه، أو أولئك الذين يُخالفونه من أهل الشَّام، أمَّا علي بن حَاج فقد جاء برواية أُخرى لا خطامَ لها أيضاً ولا زِمَام، أثبتَ بها أن الحسن ما أرادَ بِحَقْنِ الدَّمَاءِ إِلَّا دَمَاءَ جَمَاعَتِهِ، فزَعَمَ في (ص ٢٩) أن الحسن ﷺ قال أيضاً: « فَصَالِحَتْ بَقِيَّةً عَلَيَّ شِيعَتَنَا خَاصَّةً مِنَ الْقَتْلِ، وَرَأَيْتُ دَفَعَ هَذِهِ الْحَرْبَ إِلَى يَوْمٍ مَا!! ».

وَمَا يُفْنِدُ دَعْوَى عَلِيِّ بْنِ حَاجٍ فِي أَنَّ الْحَسْنَ ﷺ لَمْ يَجِدْ مَن يُقَاتِلُ، مَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٧/٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ (أَيِ ابْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): « إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّكَ تَرِيدُ الْخِلَافَةَ؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَتْ جَمَاهِمُ الْعَرَبِ فِي يَدَيَّ يُحَارِبُونَ مَنْ حَارَبْتُ، وَيُسَالِمُونَ مَنْ سَالَمْتُ، فَتَرَكْتُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَحَقْنِ دَمَاءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ».

فهذا دليلٌ واضحٌ على أن الحسن ﷺ كَانَ يَمْلِكُ عِدَّةً بَشَرِيَّةً هَائِلَةً، أَمَّا عَلِيُّ بْنُ حَاجٍ فَقَدْ صَوَّرَ هَذَا الْمُصْلِحَ ﷺ رِيحَانَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّى إِرَاقَةَ دَمَاءِ مُسْلِمِي الشَّامِ، فَانظُرْ مَاذَا تَفْعَلُ السِّيَاسَةُ الْبَشَرِيَّةُ بِأَهْلِهَا؛ إِذْ تُحَوِّلُ الْآدَمِيَّ مِنْ رَجُلٍ سِيَاسِيٍّ إِلَى مَتَوَحِّشٍ دَمَوِيٍّ، لَا يَرُدُّهُ دِينٌ، وَلَا يَرُدُّهُ تَقْوَى، وَقَارِنُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا، قَالَ الْآجُرِّيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَقِبَ رَوَايَتِهِ الَّتِي سُقَّتْهَا أَعْلَاهُ: « انظُرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَمَيِّزُوا فِعْلَ الْحَسَنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ، أَخِ كَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ، ابْنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ مَهْجَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِي قَدْ حَوَى جَمِيعَ الشَّرَفِ، لَمَّا نَظَرَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَمُّ مُلْكٌ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا إِلَّا بَتَلَفِ الْأَنْفُسِ وَذَهَابِ الدِّينِ وَفِتْنَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ وَأُمُورٍ تُتَخَوَّفُ عَوَاقِبُهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، صَانَ دِينَهُ وَعَرَضَهُ، وَصَانَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَجِبْ بَلُوغَ مَا لَهُ فِيهِ حِظٌّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، فَتَرَكَ ذَلِكَ بَعْدَ

القدرة منه على ذلك؛ تنزيهاً منه لدينه، ولصلاح أمة محمد ﷺ، ولشرفه، وكيف لا يكون ذلك، وقد قال النبي ﷺ: (إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، وإنَّ اللهَ ﷻ يُصلِّحُ به بَيْنَ فِئتين عظيمَتين من المسلمين)، فكان كما قال النبي ﷺ، رضي الله عن الحسن والحسين وعن أبيهما وعن أمهما، ونفعنا بحبهم».

تنبيه: كان حقُّ كتاب علي بن حاج المسمَّى « وُجُوبُ نُصْرَةِ المجاهدين » أن يُسمَّى: « وُجُوبُ نُصْرَةِ الدِّيمُقْرَاطِيِّينَ »؛ فإنَّ صاحبه قرَّرَ مذهبهم بحماسةٍ منقطعةِ النَّظير، ودافعَ عن مبدئهم في أنَّ الحُكْمَ يَرْجِعُ إلى الشَّعبِ باستماتةٍ، كما في (ص ١٠، و ٢٣، و ٢٤، و ٢٥، و ٢٦، و ٢٩، و ٣٠، و ٣١، إلى آخر الكتاب)، فهذه الصَّفَحَاتُ، وذاك المدادُ الكثيرُ كلُّهُ مَهْرٌ للدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، كما طعنَ في الصَّحابةِ: مُعاويةَ وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاصِ ﷺ، إلى أن شبَّههم في (ص ٣٤، و ٣٥) بلجنةِ الحوارِ الوطَنيِّ الجزائريَّةِ، التي يُكفِّرُها هو نفسه!!

ولولا أنَّني في غير هذا الصَّدَدِ لبيَّنتُ فيه مواضعَ أُخرى من الضَّلَالِ، والله المستعان.

ومنَ نظرَ إلى حالِ هؤلاءِ الدُّعاةِ السِّيَاسِيِّينَ اليَومَ وجدهم صائرينَ في النَّهايةِ إلى تَكْفِيرِيِّينَ أو إلى ديمُقْرَاطِيِّينَ، فهل هذا علامةٌ على التَّوفيقِ أو هو علامةٌ على الخذلانِ؟!

ولو تأمَّلَ عليُّ بنُ حاجِ حاله: من أين بدأ وإلى أين انتهى لعرفَ الجوابَ؛ فإنَّ الرِّسولَ ﷺ يقولُ: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ » متفقٌ عليه، والله العاصِمُ!! ثمَّ أعودُ لأقولُ: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ وﷺ يَفْرُونَ من مَواطِنِ الفِتنِ والدِّماءِ، فعن حذيفة ﷺ قال: « إِنِّي لأَعْرِفُ رَجُلًا لا تَضُرُّهُ الفِتنَةُ: مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ، فَأَتِينَا المَدِينَةَ، فَإِذَا فُسطاطُ مَضْرُوبٌ، وَإِذَا فِيهِ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ

الأنصاري، فسألته، فقال: لا أستقر بمصر من أمصارهم حتى تنجلي هذه الفتنة عن جماعة المسلمين « رواه الحاكم (٤٣٤/٣)، وقال: « هذه فضيلة كبيرة بإسناد صحيح »، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

وقد كان عليٌّ عليه السلام يلوم محمد بن مسلمة على عدم مشاركته في قتال الفتنة المعروفة، فعن الحسن البصري قال: « إن عليًّا بعث إلى محمد بن مسلمة، فجيء به، فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع إلي ابن عمك - يعني النبي صلى الله عليه وآله - سيفاً، فقال: قاتل ما قوتل العدو، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً، فاعمد به إلى الصخرة، فاضرب بها، ثم الزم بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة، قال (أي عليٌّ): خلوا عنه « رواه أحمد (٢٢٥/٤) وابن أبي شيبة (٤٥٧/٧، ٤٥٢) والطبراني في « الأوسط » (١٢٨٩) وفي « الكبير » (٣٢/٦) وغيرهم، هو صحيح إن كان الحسن سمع من محمد بن مسلمة؛ لأنه عاصره وكان في بلدته بالمدينة، وإلا فهو حسن لكثرة طرقه.

فأنت ترى تورع الصحابة عن المشاركة في الدماء، على الرغم من أن الذين دعوهم إلى ذلك من أمثال ابن الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومعرفة المصيب من المخطيء في تلك القضايا كانت ممكنة، لكن شأن الدماء عظيم.

وقد قال مروان بن الحكم لابن عمر: « هلم أبايعك؛ لأنك سيد العرب وابن سيدها، فقال له ابن عمر: كيف أصنع بأهل المشرق؟ والله! ما أحبُّ أنها دانت لي سبعين سنة، وأنه قتل في سببي رجل واحد! فخرج مروان وهو يقول:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا «.

أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٦٩/٤) وابن أبي الدنيا في

« الإشراف في منازل الأشراف » (٧) وابن عساكر في « تاريخه » (١٨٥/٣١) وعبد الغني المقدسي في « تحريم القتل وتعظيمه » (٨٥)، وإسناده حسنٌ كما قال محققُ المَرَجِ الأخير.

هذا هو ورعُ أصحاب رسول الله ﷺ وخوفُهم من تَبَعَةِ الدِّمَاءِ، وقد كانوا يَتَّهَمُونَ خَيْرَةَ النَّاسِ في وقتهم بالتلبُّسِ بالدُّنْيَا إذا وجدوهم يُشاركون في الفتن ولو كانت باسم الجهاد، قال ابن تيمية - رحمه الله - في « منهاج السنة » (١٥٢/٥ - ١٥٣): « وبالجملَة العادةُ المعروفةُ أنَّ الخروجَ على وُلَاةِ الْأُمُورِ يكونُ لطلبِ ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتالٌ على الدُّنْيَا، ولهذا قال أبو برزة الأسلميُّ عن فتنة ابن الزُّبَيْرِ وفتنة القراء مع الحجاج وفتنة مروان بالشَّام: هُوَلَاءُ وهُوَلَاءُ وهُوَلَاءُ إِنَّمَا يُقَاتِلُونَ عَلَى الدُّنْيَا! ».

قلت: وقد روى هذا الأثرُ ابنُ سعدٍ في « الطبقات » (٣٠٠/٤) وأبو نُعيمٍ في « الحلية » (٣٢/٢ - ٣٣) بإسنادٍ قويٍّ عن أبي المنهال قال: « لَمَّا كَانَ زَمَنُ أَخْرَجِ ابْنِ زِيَادٍ وَثَبِ مَرْوَانَ بِالشَّامِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ، وَوَثِبَ الَّذِينَ كَانُوا يُدْعَوْنَ الْقُرَاءَ بِالْبَصْرَةِ، غَمَّ أَبِي غَمًّا، وَكَانَ يُثْنِي عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا، قَالَ: قَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِلَى أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ، وَإِذَا هُوَ فِي ظِلِّ عَلْوٍ لَهُ مِنْ قِصَبٍ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْشَأَ أَبِي يَسْتَطْعُمُهُ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: يَا أَبَا بَرَزَةَ! أَلَا تَرَى؟ قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمْتُ بِهِ أَنْ قَالَ: إِنِّي أَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قَرِيْشٍ، وَأَنْتُمْ - مَعْشَرَ الْعَرَبِ! - كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ جَهَالَتِكُمْ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَالضَّلَالَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ نَعَشَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ الْأَنْامِ، حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ، وَأَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، وَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّامِ -

والله! - إن يُقاتل إلا على الدنيا، وإن الذي حولكم الذين تدعونهم قراءكم - والله! - لن يُقاتلوا إلا على الدنيا، قال: فلما لم يدع أحداً، قال له أبي: بما تأمر إذا؟ قال: لا أرى خيراً للناس اليوم إلا عصابةً ملبدةً، خصّ البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم».

قلت: تأمل قوله: «إني أحتسب عند الله عبيك أني أصبحتُ ساخطاً على أحياء قريش»؛ فإن معناه أنه يتقرب إلى الله عبيك بسخطه على الذين دخلوا في هذا الأمر من الخروج، مع أن الخارجين ذوو قدرٍ وجلالة، والمخروج عليهم ذوو إفساد وصيالة، كالحجاج بن يوسف، فكيف لو رأى هؤلاء اليوم؟! والله وليُّ التوفيق.

ولذلك قال ابن تيمية - رحمه الله - في «منهاج السنة» (٤/٤٦٨): «وقتل الفتنة مثل قتال الجاهلية، لا تنضب مقاصد أهله واعتقاداتهم».

وكي لا يقول قائل: إن هذه الأحاديث والآثار ليست في بابنا؛ لأن قتال المشركين غير قتال المسلمين، فإني أنقل هنا قصةً في قتال المشركين استدلت بها الصحابيُّ على المنع من قتال المسلمين، وهي ما رواه مسلم (١٦٠) عن صفوان ابن محرز: «أن جندب بن عبد الله البجلي بعث إلى عسعر بن سلامة زمن فتنة ابن الزبير، فقال: اجمع لي نفراً من إخوانك حتى أحدثهم، فبعث رسولاً إليهم، فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برؤس أصفر، فقال: تحدثوا بما كنتم تحدثون به، حتى دار الحديث، فلما دار الحديث حسر البرنس عن رأسه، فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم^(١)، إن رسول الله ﷺ بعث بعثاً من

(١) قال التووي - رحمه الله - في شرحه: «فكذا وقع في جميع الأصول، وفيه إشكال من حيث إنه قال في أول الحديث: (بعث إلى عسعر، فقال: اجمع لي نفراً من

المسلمين إلى قومٍ من المشركين، وإِنَّهم التَّقَوُّا، فكان رجلٌ من المشركين إذا شاءَ أن يَقْصِدَ إلى رجلٍ من المسلمين قَصَدَ له فقتله، وإنَّ رجلاً من المسلمين قصدَ غَفْلته، قال: وكُنَّا نتحدَّثُ أَنَّهُ أسامةُ بن زيد، فلمَّا رفع عليه السِّيف، قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فقتله! فجاء البشيرُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فسأله فأخبره، حتى أخبره خبرَ الرَّجُلِ كيف صنع، فدعاه فسأله، فقال: لِمَ قتلته؟ فقال: يا رسول الله! أَوْجَعَ في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسَمَّى له نفراً، وإِنِّي حملتُ عليه، فلمَّا رأى السيفَ قال: لا إلهَ إلاَّ اللهُ! قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم! قال: كيف تصنعُ بـ (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) إذا جاءت يومَ القيامة؟! قال: يا رسول الله! استغفرُ لي، قال: وكيف تصنعُ بـ (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) إذا جاءت يومَ القيامة؟! قال: فجعل لا يزيدُه على أن يقول: كيف تصنعُ بـ (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) إذا جاءت يومَ القيامة؟! «.

قلت: تأمّل، فإنَّ القتالَ هنا مع ابنِ الزُّبير، ابنِ حواري رسول الله ﷺ، وقد بُويع له قبل خصمه، مع ذلك منعوا من الخروج معه، فأَيُّ حجةٍ أكبرُ من هذه يريدُ القومُ؟!

إخوانك حتى أحدثهم، ثم يقول بعده: أتيتكم ولا أريد أن أُخبركم، فيحتمل هذا الكلامُ وجهين:

أحدهما: أن تكونَ (لا) زائدة، كما في قول الله تعالى: ﴿لِعَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف ١٢].

والثاني: أن يكونَ على ظاهره: أتيتكم ولا أريد أن أُخبركم عن نبيكم ﷺ، بل أعظكم وأحدثكم بكلامٍ من عند نفسي، لكني الآن أزيدكم على ما كنتُ نويته، فأخبركم أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً، وذكر الحديث، والله أعلم.

فَنَوَى أَبِي قَتَادَةَ فِي قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ

وصف حالات الإجرام التي وقعت في الجزائر

قبل أن أخوض في الموضوع، أعرضُ على القارئ بعض الصور الإجرامية التي وقعت في الجزائر باسم الجهاد في سبيل الله؛ وذلك لأنه أكثر عوناً على فهم فتوى المشبوه، فأقول:

١- حصل أن اغتيل بعض رؤوس الكفر ممن يعلنون كفرهم، ولكن هذا النوع من الاغتيال يعدُّ من أندر ما وقع.

٢- حصل قتل بعض المسؤولين الذين ترى الجماعات القتالية كفرهم، وهذا في ندرته كسابقه.

٣- حصل قتل الشرطة وسائر أجهزة الأمن، وهذا كان منه العدد الكبير الذي لا يُحصر، بل يُقتلون يومياً كقتل الذباب، وجلُّ من قُتل من هؤلاء هم الذين لا يُقدِّمون من الأمر شيئاً ولا يُؤخِّرون، وإنما هم طلاب رزق لعيالهم. وقد قُتل هؤلاء على أساس أنهم داخلون في حكم طائفة حكّامهم، كما قُتلوا على أساس أنهم سياج للمسؤولين، كما قُتلوا على أساس إضعاف الدولة وإحداث النكايه فيها!

٤- محاولة اغتيال المسؤولين في الأوساط الشعبية، والغالب أنهم لا يُصيبونهم، وإنما تقع الإصابة على سائر الشعب المسلم الذي لا حماية له.

٥- قتل رجال الأمن أو المسؤولين بمن حولهم من مدنيين ونساء وأطفال وعجزة...

٦- غزو قرى المسلمين وتذبيح الجميع بلا تمييز، وهذا أيضاً حصل منه شيء كثير؛ على أساس تكفير الشعب بتكفير حكّامه، وأن الدار دار حرب،

أي - كما يقول المشبوه وأتباعه - كُفِرُ الحاكم وكُفِرَ طائفته التي هي الشعب؛ ولو لم تكن هذه الطائفة كافرةً لالتحقت بالثوار، وإذ لم تفعل فحكّمها حكمه، كذا هي فلسفتهم!

٧- اغتصابُ أموال التجّار والأغنياء لصالح مقاتليهم، فمن أعطى فهو آمن، ومن تردّد فغير ضامن، ومن قال: (كيف؟!)، أخذ السيف، وحصل من هذا عددٌ لا يحصى!

٨- وصورٌ أخرى لا تنضبط؛ وهذه هي حالة القتال غير المنضبط بالشرع، والله المستعان.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهليّة، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتله جاهليّة، ومن خرج على أمّي يضرب برّها وفاجرّها، ولا يتحاش من مؤمنها، ولا يفني لذي عهدٍ عهده، فليس منّي ولست منه » رواه مسلم (١٨٤٨).

ظروف الفتوى

قبل أن يعرض المشبوه فتواه، قدّم بكلمة تحت عنوان: « ظروف الفتوى ».

وهذه (الظروف) عبارة عن حكايات لألوان التعذيب التي تعرّض لها من ذكّرتهم هو في فلسطين وسوريا وروسيا ...

ومثاله قوله في مجلة الأنصار، العدد (٩٠)، في (ص ١٠)، بتاريخ: (٢٩ شوال ١٤١٥هـ): « هل نُحدثك - أخي القاريء! - عن وضع الأخوات في سجون البعثي...؟!»، ثم صور هناك بأن الأسارى في الجزائر يعيشون أسوأ أيامهم، ولذلك احتاجوا إلى فتواه لإنقاذهم مما هم فيه.

وهذا العرض العاطفي للمسائل الشرعية نفثة حركية معلومة؛ يلجأ أصحابها المفلسون من الحجّة الشرعية إلى الأسلوب الخطابي العاطفي، يلهبون به مشاعر الناس نحو ما يقع (لمجاهديهم!) من العقوبات، أو يلجؤون إلى طريقة القصص في حكاية بطولات رؤوسهم، فيقولون مثلاً: إن سيد قطب مات من أجل قضية الإسلام، أو إنه أعدم وهو رافع سبابة التوحيد...!

وما هي إلا حكايات من لغو البطولات، وفقه غريب مدهون بالعواطف العاصفات، يفتحون بها شهية الثورار، ويغلقون بها عقول الأعمار، حتى إذا استدرّوا عواطفهم، وأدمعوا أعينهم، أو جدوا لشبهاتهم أرضية لتحط رحالها ولا ترحل، وهناك يحرم على الفقه أن يدخل بقيوده، وعلى الشرع أن يتكلم بضوابطه، وإنما هي أهواء، تحت غطاء الولاء والبراء.

تنبيه مهم: الملاحظ ههنا أن المشبوه يريد الكلام عن ضرورة الجهاد في سبيل الله لإقامة الدولة الإسلامية؛ لأنه يُسمي الحكام « مُرتدّين » من هذا الباب.

وإذا كان جهادُه - كجهادِ مَنْ هُم على مشربِه - قائماً لهذا الغرض، فعلام حكاية هذه الشكايات المشار إليها أعلاه؟!

والمقصود ههنا تحرير سبب قيام هؤلاء على دولهم: أهو من أجل حماية جناب « الحاكمية »، أم هو من أجل حماية أنفسهم؟
وإذا قيل: إن الجهاد شرع من أجل هذا وهذا، قلنا: فبأي دافع بدأتُم، ولأي الغرضين خرجتُم؟

إنني نبتتُ على هذا؛ لأنَّ الغالب على هذه الحركات الدّمويّة والجهاديّة اليوم أنها لا تتحرّك نحو ما تسميه (جهاداً) إلا إذا أخذ على أيدي أفرادها.
وإنك لتجد الحكم بالشرعية معطّلاً في البلاد سنواتٍ طويلةً، فلا يتحرّكون للمواجهة إلا ما كان من حركة اللسان، فإذا حصل لبعض أفرادهم مكروهٌ جاءت الفتاوى في مشروعية الجهاد، بل في وجوبه، بل في الرمي بالتفاق لمن لا يرى ذلك! ولو حاول القاريء المنصف أن يتذكّر أوّل دافعٍ لخروج كلِّ مَنْ خرج في هذا العصر ومن قبله لوجد ذلك جلياً في أكثر البلاد.

وكم يُلبس الشيطانُ على هؤلاء؛ إذ يُلبس نيتهم لباس التقوى، ويُظهر لهم من أنفسهم أهم ما قاموا إلا لتحكيم الشريعة، ولكن أمارات تكذيب ذلك تُظهر على أعمالهم:

- إمّا بالانحراف عن سيرة الرسول ﷺ في طريقة النهي عن المنكر، وعدم

التَّحَاكُمُ إِلَى هَدْيِهِ فِي ذَلِكَ.

– وَإِنَّمَا بِالْإِسْتِجَابَةِ إِلَى نَوَازِعِ النَّفْسِ وَإِشْبَاعِ رَغْبَاتِهَا فِي الْإِنْتِصَارِ لَهَا مِنَ الظَّالِمِ، وَإِضْفَاءِ الصَّبْغَةِ الْجِهَادِيَّةِ عَلَيْهَا، فَيَظَلُّ أَحَدُهُمْ يُدَافِعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَعْرَكَةٍ ضَارِيَةٍ، وَلَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا الدَّفَاعُ عَنِ الدِّينِ!

وَقَدْ تَظْهَرُ نَوَايَاهُمْ أحياناً فِي لَحْنِ الْقَوْلِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ^{٣٠} وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ^{٣١} وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد ٣٠]، وَهَذَا هُوَ الَّذِي حَصَلَ لِلْمَشْبُوهِ هُنَا.

وَقَدْ يَتَفَلَّتُ مِنَ ألسِنَتِهِمْ أَلْفَاظٌ صَرِيحَةٌ، تُنَادِي عَلَى أَصْحَابِهَا بِالْفَضِيحَةِ، كَمَا حَصَلَ لِلشَّيْخِ سَلْمَانَ الْعُودَةَ فِي مُحَاضَرَةِ «مَهْرَجَانِ بُرَيْدَةَ»، حَيْثُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ كَمْ دَفَعْتُ الْجَزَائِرُ كَدْوَلَةَ، وَكَأَمَّةً؟ كَمْ دَفَعْتُ ثَمناً لِلْعُدْوَانِ عَلَى رِجَالِ الْإِسْلَامِ: عَلَى عَبَّاسِي مَدِينِي، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ حَاجٍ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ رُؤُوزِ الدَّعْوَةِ وَرُؤُوزِ الْإِسْلَامِ؟».

قُلْتُ: وَإِنْ عَجِبْتَ لِهَذِهِ الْفَلْتَةِ، فَاعْجَبْ لِجَوَابِهِ، حَيْثُ قَالَ: «فَقَطُّ عَشْرَةَ آلَافٍ قَتِيلٍ...!!».

إِنَّهُ تَصْرِيحٌ مِنْ سَلْمَانَ عَلَى أَنَّهُمْ مَاتُوا فِي سَبِيلِ رِجَالٍ...!

فَأَيْنَ إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ؟!

وَأَيْنَ الْجِهَادُ لِإِقَامَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ؟!

وَأَيْنَ الْجِهَادُ لِنَفْيِ الشِّرْكِ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ فِتْنَةً، فَقَالَ: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا

تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال ٣٩].

ولو كانت هذه التّضحيةُ مشروعَةً من أجل حماية الرّجال، فلماذا لم تحظْ قضيةُ الحاكميةِ بمثلها، وقد كان مُقتضيها قائماً قبل وجود هؤلاء (الرّجال)؟! أي لماذا لا يخرجون عند إقصاء الشريعة، وإنما يخرجون دائماً عقب الأخذ على أيدي رُموزهم؟! إن سَلَمان العودة يُريدُ إفهامَ مُريديه بضرورة التّفكير في إراقة الدماء في البلاد السُّعوديّة، لو حصلَ له ولأشكاله مَكْرُوهٌ؛ بدليلِ قوله في المحاضرة نفسها: « قضيتنا (أي في السُّعوديّة) أكبر من هذا البلدِ (أي الجزائر)، ولكن هذا البلدُ أيضاً من ضمن قضايانا!!! ». هكذا صراحةً، مع ذلك لا يزال قومٌ يستغفوننا بأنّ الرّجل لم يُحرّض على شيء!

هذا أمرٌ، وأمرٌ آخر: وهو ربُّطه الخروجِ بزمنِ العُدوانِ على أشخاصهم؛ كأنّ الشريعةَ ليست إلاّ لهم، وهم ليسوا إلاّ الشريعة! وإذا قيل: إنهم أودوا بسببِ دعوتهم إلى تحكيم الشريعة، قلنا: فلماذا لم يُفتوا بالخروجِ بمجرد إقامتهم الحجّة البيانيّة على منابرهم؟! لماذا يَمكثون سنواتٍ وهم يُزجرون على المنابر من غير خروجٍ، فإذا أودوا جادتْ أنفسهم به؟! أليس خروجهم من أجل الشريعةِ أولى من خروجهم من أجل أنفسهم؟! أقولُ هذا كلّهُ انطلاقاً من منطقتهم، وإلاّ فقد دلّ ما تروُن على أنّ جهادهم انقلب من حماية الدّعوة إلى طلبِ الحماية بالدّعوة، فتأمل!!!

وقد صرّح به المشبوه عند كلامه على الجماعة الإسلامية المصرية، فقال في حوارهِ مع جريدة الحياة: « إنَّ العملَ المسلَّحَ لدى الجماعةِ المصريَّةِ لم يكنُ أصلاً في منهجها، وإنما تطوُّراتُ الواقعِ - مثلُ اغتيالِ بعضِ قادتها - هي التي أدَّتْ بهم إلى دفعِ الصَّائلِ!! ».

وإذا كانت الجماعةُ المصريَّةُ تراجعتْ عن العملِ المسلَّحِ بسببِ ضَعْفِها، فهل يُشرَعُ للمستضعف أن يدفعَ عن نفسه صيالةَ الصَّائلِ، وهو يَعْلَمُ أنه عاجزٌ عما يترتَّبُ عليه؟

لقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُؤذَى ويُعتدى عليه وهو مستضعفٌ، فكيفَ كانَ ردُّه؟

لقد كانَ يمرُّ بآلِ ياسرٍ وهم يُؤذون، بل يُقتلون، فلا يزيدُ على قوله: « صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ »، وهو صحيحٌ كما قال العلامةُ الألباني في تعليقه على « فقه السيرة » (ص ١٠٣)، وقد أخرجه ابنُ سعد (٢٤٩/٣) والطبراني في « الأوسط » (١٥٠٨) والحاكم (٣٨٣/٣)، وأبو نُعيم في « معرفة الصحابة » (٦٦٦٤) والبيهقي في « الدلائل » (٢٨٢/٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧١/٤٣) من طُرُقٍ عن مُسلم بن إبراهيم عن هشامِ الدَّستوائي عن أبي الزُّبير عن جابر، إلاَّ أن ابنَ سعدَ أسقطَ الصَّحابيَّ، ويبدو أن الإسقاطَ منه؛ لأنَّ ابنَ عساكر رواه من طريقه بالإسقاطِ نفسه، أما بقيتهم فقد أثبتوه.

وهذا إسنادٌ صحيحٌ لولا عَنَعَةُ أبي الزُّبير.

وأخرجه ابنُ سعد أيضاً (٢٤٨/٣-٢٤٩) و(١٣٦/٤-١٣٧) وأحمد (٦٢/١) والحرث بن أبي أسامة كما في « بُغية الباحث » للهيثمي (١٠١٦) وأبو نعيم في « الحلية » (١٤٠/١) وفي « معرفة الصحابة » (٦٦٦٢) وأبو أحمد الحاكم وابن منده كما في « الإصابة » لابن حجر (٦٣٩/٦) من طريق سالم بن أبي الجعد عن عثمان بن عفان، وهذا انقطاع، وقد ضعف أيضاً بعد العزيز بن أبان، لكنه توبع عند أحمد وغيره، بل ذكر أبو نعيم في المصدر المذكور أنه قد جاء من طريق عبد الملك الجدي وأبي قطن وموسى بن إسماعيل المنقري في آخرين.

وأخرجه عنه أيضاً الطبراني في « الكبير » (٣٠٣/٢٤) وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٧٦٩٠) من طريق عبد الله بن الحرث وهو ابن نوفل، وقد روى عن عثمان، إلا أن الدارقطني قال في « العلل » (٣٩/٣): « والصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص ».

وفي « الإصابة » أيضاً أنه رواه أبو أحمد الحاكم من طريق عقيل عن الزهري عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه، فيكون من مراسلات صغار الصحابة، وهي حجة.

وفي « الإصابة » أيضاً أنه رواه الطبراني في « التفسير » من طريق أبي صالح عن ابن عباس نحوه.

وأخرجه ابن سعد (٢٤٩/٣) و(١٣٦/٤) أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦٦٦٣) بسند صحيح من طريق يوسف بن ماهك المكي، وكذا أحمد في « الزهد » كما في « الإصابة »، إلا أنه مُرسل.

وأخرجه أبو نُعيم في « معرفة الصحابة » (٧٦٨٩) بإسناده إلى محمد بن إسحاق بلاغاً، وكذا البيهقي في « الشعب » (٢٣٩/٢)، إلا أن محمد بن إسحاق قال: عن رجال من آل ياسر.

والحديث يتقوى بهذه الطرق بلا ريب.

ومعلوم أن النبي ﷺ كان يعمل يومها بالصبر ودفع السيئة بالحسنة؛ لأن الله تعالى قد قال له: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَآءِ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ [الأحقاف ٣٥]، وجعله شرطاً في نصر نبيه ﷺ، وبين له أنه لو شاء لأراه انتقامه من أعدائه، لكن مع الدفع بالتي هي أحسن، فقال له: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقٰتِدِرُونَ ﴾ [٥٦] أَدْفَعِ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون]، بل أمره بلزوم الصبر حتى لو لم ير الانتقام منهم في حياته ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ [غافر ٧٧]، والصبر هنا مع عدم الانتصار من الصائل دليل على صدق التمسك بالوحي والتجرد من نوازع النفس التي تميل إلى الانتصار؛ لأن الذي أمر بالجهاد في موطن، هو الذي أمر بالصبر في هذا الموطن، قال سبحانه: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٥٧﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٧﴾ [الزحرف].

ومما ينبغي التنبه له أن هذه الآيات مكيّة، فكان الصبر هو الترياق الناجع، بل قد كان الصبر على أذى أهل الكتاب والمشرّكين مأموراً به في المدينة أيضاً، إلى أن أمر الله تعالى بقتالهم، قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [ال عمران ١٨٦]، وقد روى البخاري في صحيحه (٤٥٦٦) عند هذه الآية حديثاً في ذلك عن أسامة بن زيد، وفيه: « وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشرّكين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصطبرون على الأذى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾ الآية، وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة ١٠٩]، وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرأ فقتل الله به صناديد كفار قريش ... ».

قلت: يريد من سؤقه الآية الأخيرة تتمتها؛ فإن فيها أمره تعالى بالعفو والصفح، وذلك هو قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾، كما نبّه عليه ابن حجر من رواية أبي نعيم في « المستخرج »، ثم قال (٢٣٢/٨-٢٣٣): « قوله: (حتى أذن الله فيهم) أي في قتالهم، أي فترك العفو عنهم، وليس المراد أنه تركه أصلاً، بل بالنسبة إلى ترك القتال أولاً ووقوعه آخرًا، وإلا فعفوه ﷻ عن كثير من

المشركين واليهود بالمن والفداء وصفحه عن المنافقين مشهوراً في الأحاديث
والسير».

بعد هذا الاستطراد يتبين أن إناطة المشبوه حكم حمل السلاح بدفع
الصائل ليس بشيء؛ لأنه إذا شهد على المسلمين اليوم بالضعف كما هو
مشاهد، فقد وجب على جماعته أتباع النبي ﷺ في ترك دفع الصائل أيام
الضعف، قال الله ﷻ: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ﴾ [النور ٥٤]، وباللغة التوفيق.

أبو قتادة يُفتي بقتل النساء والأطفال!

لَا رَيْبَ أَنَّ الْمَشْبُوهَ قَدْ أَفْتَى بِجَوَازِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ فِي الْجَزَائِرِ!!
 لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْعَدَدِ (٩٠) مِنْ مَجْلَدِ الْأَنْصَارِ، وَلِبِشَاعَةِ مَا فِيهَا فَقَدْ رَدَّ
 عَلَيْهِ مِنْ جَمَاعَتِهِ أَقْوَامٌ، بَلْ إِنَّ أَنْصَارَهُ الْيَوْمَ لَا يُعْطُونَكَ هَذِهِ الْفَتْوَى؛ خَجَلًا مِمَّا
 فِيهَا، مَعَ أَنَّهَا حِينَ نَزَلَتْ الْأَسْوَاقُ نَزَلَتْ سَافِرَةً بِلَا جَلْبَابٍ، حَتَّى إِذَا تَفَرَّتْ
 مِنْهَا الطَّبَاعُ، وَنَبَتْ عَنْهَا الْأَسْمَاعُ، تَوَارَتْ بِحِجَابٍ!
 وَلَسْتُ أُسْتَعْرَبُ أَنْ يُفْتِيَ أَبُو قَتَادَةَ بِهَذِهِ الشَّنَاعَةِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ مَشْبُوهٌ، وَإِنَّمَا
 الْمُسْتَعْرَبُ كَيْفَ وَجَدَتْ فِتْوَاهُ عَقْلًا بَشَرِيًّا يَقْبَلُهَا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ عَقْلًا
 مُسْلِمًا!؟

فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٣٠١٤) وَمُسْلِمٍ (١٧٤٤) بِالْفَاظِ مُقَابِرَةً، مِنْ
 حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ
 وَالصَّبِيَّانِ ».

وَصَحَّ عِنْدَ مَالِكٍ فِي « الْمَوْطَأِ » وَعِنْدَ غَيْرِهِ أَنَّ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ بَعَثَ
 جِيوشًا إِلَى الشَّامِ، وَقَالَ: « لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا صَبِيًّا وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا
 تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مَثْمَرًا، وَلَا تُخْرِبَنَّ عَامِرًا ... ».

وَعَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ قَالَ: « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَغَزَوْتُ مَعَهُ، فَأَصَبْتُ
 ظَهْرَ أَفْضَلِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ حَتَّى قَتَلُوا الْوُلْدَانَ، وَقَالَ مَرَّةً: الذُّرِّيَّةُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ جَاوَزَهُمُ الْقَتْلُ الْيَوْمَ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ!؟
 فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا هُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ خِيَارَكُمْ
 أَبْنَاءَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، قَالَ: كُلُّ

نَسْمَةٌ تُؤَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبْوَاهَا يُهَوِّدَانَهَا
وَيُنَصِّرَانَهَا « أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٣٥/٣) وَالِدَارِمِيُّ (٢٢٣/٢) وَالْحَاكِمُ
(١٢٣/٢) وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَكَذَا الْأَلْبَانِيُّ فِي
« السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ » (٤٠٢).

وَالْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْمَشْبُوهَ قَدْ سَاقَ فِي فَتَوَاهِ مِثْلَ هَذِهِ النُّصُوصِ تَحْتَ
عَنْوَانِ « بَابِ عَدَمِ جَوَازِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالذَّرِّيَّةِ » فِي (ص ١١) مِنْ مَقَالِهِ الْمَذْكُورِ،
ثُمَّ كَرَّرَ عَلَيْهَا بِالْإِبْطَالِ فِي الصَّفْحَةِ نَفْسَهَا تَحْتَ عَنْوَانِ « بَابِ جَوَازِ قَتْلِ النِّسَاءِ
وَالذَّرِّيَّةِ لِمَقَاصِدِ شَرْعِيَّةٍ!! »، بِحَيْثُ لَا يُصْبِحُ لِأَحَادِيثِ الْبَابِ السَّابِقِ مَعْنَى وَلَا
وُجُودَ، فَهُوَ عَلَى هَذَا كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٤٦]،
وَكَتْمَانُهُ الْحَقَّ هُنَا بِمِثَابَةِ كِتْمَانِ الْمُؤَوَّلَةِ لِلْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ لِلنُّصُوصِ.

صورة المقال السابق

فتاوى جهادية

في جملة نشاطات التنشيط من الإخوة والجهاديين ، تدخل الكلاب المسمومة بيت أحد الأخيار ، رجل المشهور بالودع والشهامة ، فلما يكون من الكلاب المسمومة إلا أن وصلوا هذه الأفع ، ثم جردوا وجعته من ثيابها وهو ينتظر ، ثم وهي تصرخ بأعلى صوتها ، تتعاقب عليها الكلاب الواحدة تلو الأخر ، وبعد تركها ، تصاب الأخت بعقدة العياء ، فتعثر عن الطعام والشرب ، فتجبر على الطعام والشرب ، ولكنها بعد شهر مزلت حتى ماتت . (تصور نفسك أخي المجاهد أنت ذلك الثلج) .

كتاب مسلم يسمن مع جماعة من إخوانه ، ويقدم له وإخوانه كل يوم طعاما مساندا وتوشا . ومن كرم أصحابه تسمن في هذا البلد المنكوب أن الطعام في السانديتش يكون لهما ، عش الأفع يوما على خبزته ، فاصطدمت أسنانه بعظم ، أراد أن يخرج العظم فإذا هو اصعب دمي ، فإذا هم يتكلمون لعسوم إخوانهم القتل من المساجين .

مجم المرتبون ، الكلاب المسمومة على بيت أحد المجاهدين ، ويطوره في ناحية البيت ، ثم قاموا بالتحصن أهله وأمه وأخته ، وبعد أن لحق بالمجاهدين في الجبل ، حاول جهادا أن ينال الشهادة ، لكن قدر الله عليه بإصابته بالجوخ ، كانت أسيق ، فإياه لم يستطع أن يتحمل فواجه تلك اللحظات القوية .

اكتشف العلوانيت في روسيا قروا ، في منفيها - ماعا - مادة قروية ، إذا دخلت جسم الإنسان أصيب بالمرض المؤدي إلى الموت ، فلما كان منهم إلا أن جردوا هذه الفسورة على المساجين المسلمين في سجونهم - سجون الصراغيت الحرب - كان الأفع يربط على حنورة القروين ، ثم يبدا المرتبون بتعريض القرو عليه ، حسنتي ياوط بالأفع ، ثم يتسرك الأفع في الشمس ، وهو يصرخ ، وتكرر العمالية بعد 3 ، 4 مرات يموت الأفع . هذه الصور وأمثالها ، مما لا يفتر على بال إنسان ، هي التي يمارسها

المرتبون على نسائنا ، وبناتنا ، وأخواننا ، ومن لا يعرف هذه الصور واستألفا فلن يتصور المهنعة التي ستجني بشهيد المجاهدين بقتل نساء وذرية المرتدين **والآن إلى البحث**
باب عسدم جواز قتل النساء والذرية :

1- روى الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « وجدت امرأة مخضرة في بعض سنازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان » [1744]

2- روى أبو داود في سننه بسند صحيح عن رياح بن الربيع رضي الله عنه . قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فرائ الناس مجتمعين على شيء ، لبعث رجلا فقال : انظر علام اجتمع هؤلاء ؟ فجاء فقال : على امرأة قتيل ! قال : ما كانت هذه لتقاتل ! قال : وعلى المقدمة خالد بن الوليد . قال فيمت رجلا فقال : قل لخالك لا يقتل امرأة ولا صبيف » (السيف هو الأجير) [ج رقم 2869] . وهناك أحاديث أخرى غيرها .
باب جواز قتل النساء والذرية لمقاصد شرعية :

أ- دل الحديث الثاني في الباب السابق أن عنة عدم جواز قتل المرأة ، أنها ليست من أهل القتال وذلك لفرضه صلى الله عليه وسلم . « ما كانت لتقاتل ، فأتا إذا كانت مقاتلة فهي تقاتل كثيرا . قال ابن حجر : « فإن مفهومه أنها لو قتلت لقتل » [فتح الباري 148/6] .

ب- دل النووي : « قوله نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان ، أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث ، وتعميم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا ، فإن قاتلوا ، حال جهادهم العلماء : يقتلون » [شرح مسلم 324/7] . وقال الكاساسي في « بدائع الصنائع » : « كل من لم يكن من أهل القتال ، لا

يحل قتله إلا إذا قاتل حليفة أو معض ، بالرائ والطاعة والتخريض وأشباه ذلك » [101/7]

2- إذا بيت المسلمون الأعداء ، فلم يستنصرهموا إجابة الرجال إلا بقتل الذرية والنساء :

روى الإمام البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه عن الصمب بن جثام قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذري من المشركين ، يبغضون فيصيدون من نساءهم وذريهم ؟ فقال : هم منهم . هذا لفظ مسلم . ولفظ البخاري : تستل عن أهل الذك ، يبغضون من المشركين فيصاب من نساءهم وذريهم ؟ قال : هم منهم » .

قال النووي : « وهذا الحديث الذي ذكرناه من جواز بياتهم ، وقتل النساء والصبيان في البيات ، ومذهب مالك وأبي حنيفة والجمهور » [شرح مسلم 325/7] .

فالحديث يدل على جواز قتل الذرية والنساء إذا تعرض الكفار بهم . قال صاحب الشرح الكبير على المفتي : « إذا تترسوا في الصرب بالنساء ، والصبيان ، ومن لا يجوز قتله ، جاز ومعهم ، ويقسمه انفسانلة » [الشرح الكبير 402/10] .

أ- ظروف المسألة الحادثة مع المجاهدين اليوم :

لقتل الذرية والنساء في واقع الجهاد اليوم يقع في صورتين :
1- الأولى وهي أن يرمى المرتدون بالك فيها مواد متفجرة تقتلهم هم وأبنائهم ونساءهم ، وهذه حالة ذكرت في كتب أهل الفتن بالجواز ، وهي داخلة نصا في مسالك البيات المتقدمة ، وقد رمى الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الصائف بالجنح قال ابن عابدين : « والجنح آلة ترمى بها أمسجاة الكبار . وقد تركت اليوم للإسختنا عنها بالمدافع العادة (المشيا 344/3) . ولي مسيل السلام للصنعا في تعليقه على حديث نصب الجنح على أهل الطائف قال : « وفي

لقد أفتى المشبوه بمخالفة هذه النصوص، وشرع لغلظ الأكباد في الجزائر أن يذبحوا النساء وفلذات الأكباد، وذلك في العدد (٩٠) من مجلة الأنصار، في (ص ١٠)، بتاريخ: (الخميس ٢٩ شوال ١٤١٥هـ)، الموافق لـ (٣٠ مارس ١٩٩٥م)، تحت عنوان: « فتوى خطيرة الشأن حول جواز قتل الذرية والنسوان ذرءاً لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان !! »

وكان ممّا قال فيها في (ص ١٢): « بهذا يتبيّن أنّ ما فعلته الجماعة الإسلامية المسلّحة من تهديد ذريّة ونساء المرتدّين بالقتل؛ من أجل تخفيف وطأهم على النساء والمساجين والإخوان، هو عمل شرعيّ لا شبهة فيه!! »، وقد تقدّم تصويرُ هذا المقال الأخير، وأمّا الذي قبله فهذه صورته:

صورة المقال السابق

فتاوى جهادية

صورة المقال السابق

جواز قتل الذرية والنسوان درءاً لخطر هتك الأعراس وقتل الإخوان

الشيخ أبو قتادة الفلسطيني

مثل هذه الأمور حديث الليل لهذه الكلاب المسورة، فهي فاكهة مجالسهم، وسمير أحاديثهم، وليست هذه صورة شاذة لليلة أو ليلتين، ثم ليست هي ممن تقع من واحد أو اثنين، بل هي السنة الجارية، لكل الليالي، ولا غلب هذه الطائفة من شرطة وجيش، رمايشها، وهذه الطائفة لخبثها، ودناءة خلقها،

وحجارة منبثها، علمت أن أمر الأعراس من أشد ما ينكر في نفس إخواننا، ثم هو جانب لا يقوم الأخ له، بل هو مما يجعله يفكر آلاف المرات قبل أن يشارك إخوانه في عملية، أو أن يفكر في الانضمام إليهم، فعندما علموا هذا تشبثوا له واعتصموا به واكثروا منه، ويقاربه ما فعل اليهود في فلسطين عندما أرادوا طرد الفلسطينيين من أرضهم، فأنهم أقاموا بين الناس أن اليهود ينتهكون الأعراس، ولشدة هذا الأمر على نفوس الناس لما كان منهم إلا أن تركوا قرابهم وأرضهم هرباً من مقلد العرض، وهذا ما اعترف به منكم بيّن في كتاب «الشمس» والذي ترجم تحت عنوان «الإرهاب» فقد اعترف فيه أن قسماً من الأعراس قد فُقدت كثيراً في نهج جيش الفلسطينيين من قرابهم، وما هو الكفر بعيد كرتة في اليوسنة والهرسك، ويعيد كرتة على أرض الجزائر المسنة.

هل تحسدك أخي القاري عن وضع الإخوات المسلمات في سجون البعثي الكافر حافظ الأسد إبان الثورة الجهادية، وكيف كانت حالتهن في سجون البعثيين؟ هل تصورت نفسك أخي القاري، المسلم في هذا الرضع

فياب رأ جبهه في تملك باب الإجتماع على قتال المرتد الممنوع صاحب الشركة، حتى يقتل أو يقن، إلى الإسلام من جديد، لخطابنا مهنا مع من أمن أن هذه الطوائف، طوائف ربة وكفر، وأنها في القتال تعامل معاملة الكفار المرتدين كما بسطها أهل العلم في كتبهم، والله الموفق.

البحث الأول:

1- جواز قتل الذرية والنسوان درءاً لخطر هتك الأعراس وقتل الإخوان.

ظسروف الفقتسوي

إن من يقع من المرتدين على أمية الإسلام يقبل الإسلام، وهو منسأ لا يخطر على بال، ولم يمر منه في حقب التاريخ السابقة، وهو سيء فوق طائفة الواصفين، فإن المرء، مهما بلغت قوة بيانه، أن يستطيع أن يقدم صورة تنقل الواقع أو تقاربه، فكيف يستطيع الواصف أن ينقل لك شمور الأخ المسلم، المستلمة رجولة وشهامة، بل هو ممن يبذل نفسه وخيسته من أجل كلمة على سرخته وشرفه، ثم هو يرجع إلى بيته ليجد أن هذه الكلاب المسورة، من شرطة وجيش، قد سرّوا على بيته وأهله، فاولغوا في عرضه حتى الثمالة، فطمعوا بشرف أمه وأخته ونرجسته وابنته، وتعاقبوا عليهم الواحد تلو الآخر، سكارى حتى الثمالة، وكان من تمام سعارهم أن جعلوا هذه الأعراس مجالا لفتنة وتشلية فيما بينهم على خطوط الهاتف أو الانلاستيكي، فهذا كلب مسور، وحش ذئبي سافل وذبل، يفخر أمام أصحابه أنه فضّل اللية بكارة أخذت عقيلة شامرة، وآخر مته ويوزيد عليه، يفخر بمد مضاعف، وهكذا، وصارت

الدممد لله رب العالمين، والعللة والسلام على نبي الرحمة والمحنة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا البحث شامل لثلاثين من مسائل الجهاد، وهما:

1- جواز قتل الذرية والنسوان درءاً لخطر هتك الأعراس وقتل الإخوان.
2- جواز المحليات الإستشهادية، وأنها ليست وقتل النفس.

وسبب بحث هاتين المسألتين هنا، هو ما وقع من الجهاديين في الجزائر، من القسيام بهذه الأعمال، ثم رفع به عن المصالحين رأس الخلاف لهاتين المسألتين، حيث ظن من لا خبرة له أن ما قام به المجاهدون في الجزائر ليس له وجه شرعي، وهو مخالف لتدين من كل وجه، فأحببت أن يطع المحب المخالف، وكذلك المؤيد على دليل ما قام به الإخوة، ليطمئن بال المعيين، أن ما وقع من المجاهدين هو عمل شرعي، ولا ينكر عليهم، والخطاب هنا هو لمن آمن واعتقد أن جهاد هذه الطوائف الحاكمة لبلادنا هو تحت باب قتال المرتدين وجهادهم، وأن ما وقع في عصر الصحابة من قتال مسلمة وسجاج ومن معها هو نفس قتال المجاهدين في الجزائر لطائفة الردة الحاكمة، وأن سفرجهما واحد لا يفتوق في تغير أو تلمس، وإنما من لا يعترف بجهاد هذه الطوائف بسبب عدم ثبوت الردة عنده، فهذا باب إزالة الجبل عنده في أبحاث كتب التوحيد والإيمان، ليدهمها حق اللهم ليخرج من جهله بحقيقة التوحيد الذي يعت به جميع الأنبياء، والرسلين، وأما من أقر بنبوت الردة في حق هؤلاء الحكام ثم توقف في جهادهم،

قلتُ: هل يبقى - مع هذا التصريح - مجالٌ لعُشَّاق الثورات ومُذمِّي الفتن أن يقولوا: إنَّ اتِّهامَ الإسلاميين بقتل هؤلاء أمرٌ مرفوض؛ لأنَّه - عندهم دائماً - هو من فعلِ المخابرات؟! -

فإمَّا أن يَنْزِعُوا عن ولأئهم الباردِ لهذه الجماعات؛ لأنَّ الدليلَ الحسيَّ بين أيديهم كما ترى، وإمَّا أن يَشْهَدُوا على (مجاهديهم هؤلاء!) بأنَّ فتاواهم يُجَهِّزُها لهم رجالُ المخابرات كهذا المشبوه، إن كانت أخلاقهم تُسْتَسْهِلُ التُّهْمَ، وأحلاهما مرُّ!!

ثم لم يكتفِ المشبوهُ بفتوى بنانه، حتَّى ضمَّ إليها فتوى بيانه، وذلك في خطبته التي أشرنا إليها، فقد قال: «هل يجوزُ للمسلمين في الحرب أن يقتلوا النساءَ ويقتلوا الأطفال؟ والأطفالُ - كما تعلمون - على الفطرة، الأطفالُ على الفطرة، لا يلحق عليهم وصفُ كفرٍ ولا إسلام، بل على الصَّحيحِ أطفالُ المشركين إذا ماتوا أتهم في الجنة ...

إذا كان أهلُ العلم قد أجازوا في مسألة الترس، أي التترس، كما أفتى الإمام مالك، وأقرَّها عليه أهل العلم، قالوا: إذا كان قد تترس الكفارُ بمسلمين أسراء، جاء الكفارُ أسروا جماعةً من المسلمين ووضعوهم في صدر الجيش، مسلمين، فماذا نصنع؟ ماذا نصنع؟ لا نصلُ إلى الكفار حتى نقتل المسلمين، قال: يُقتل المسلمون (كذا) الذين تترس بهم الكفار، فإذا كان مسلمين (كذا)، ومجمع على عدم جواز قتلهم، أنَّه لا يُقتل الكفار حتى يُقتل المسلمون (كذا)، ومع ذلك أجازوا قتل المسلمين، إذا كان في ذلك مصلحةٌ للوصول إلى الكفار، الله ﷻ قال: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الحشر ٥]، أجاز الشارعُ قطعَ الشجر الذي فهمي عنه في حديث أبي بكر ﷺ، وهو يُوصي جيشَ أسامة: لا تقطعوا شجراً، ولا تقتلوا وليداً، وستجدون

أقواماً قد فَحَصُوا رؤوسَهُم في الصَّوامع فلا تُقربوهم، ومع ذلك فقد أجاز الشَّارِعُ قطعَ الشَّجر من أجل المصلحة.

فهل قَتَلَ أولئك النَّساء والأطفال؛ حتَّى لا يُدفع الشرُّ عن المسلمين عن المسلمات الذين يَفْجُر بهم أولئك الكفَّار المرتدُّون إلَّا بِقتل أبنائهم والتَّهديد بهم؟! هل هذه المسألة؟ دَعْنِي أقول لكم: أَلَا يَبقى فيها شُبْهَةٌ قويَّةٌ بجوازها؟! أَلَا يَبقى شُبْهَةٌ قويَّةٌ بجواز الوُصول إليها؟! ..

ثمَّ اصطنعَ أريحيَّةٌ في الخلاف الذي نَسَّجَه بِنَفْسِه، فقال: « فَمَن اهتدى من قَوْلِه إلى أَنه جائزٌ (حَتْمًا!!) فَنَعَمَ ما قال!!
ومَن قال غيرَ جائزٍ فَنَعَمَ ما قال!! ».

قلت: نعوذُ بالله من التَّلَاعِبِ بأرواحِ المُؤمنين!

وإنا لله وإنا إليه راجعون!

أمرٌ فظيِعٌ يَقتُسرُ لِسَماعِه الجلدُ البشريُّ من أيِّ دين كان، وتشمئزُّ له النَّفوسُ، وأعتقدُ أن لغةَ هذه الفتوى لا تُفهمُ إلَّا في بريَّةِ الوُحُوشِ!

قال اللهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة 74].

فتوى قَدِّمها صاحبُها في صيغةِ سُؤال، وجعلَ يُلَوِّذُ بتغيير صياغتها، ويبحثُ لها عن العباراتِ المُناسبةِ تخفيفاً لوَطَّئها، لعلَّها تكونُ متنفساً لسُلُوها، وإن لم تكن حدًّا لبلوِّها؛ لأنَّه لا يقولُ بها إلَّا مَنْ انسلخَ من طبيعتهِ البشريَّةِ، ولم يكن للرحمةِ محلٌّ من قلبه، قال رسولُ اللهِ ﷺ: « خابَ عبدٌ وخسرَ لم

يَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ « رواه الدُّوَلَابِيُّ فِي « الْكُنَى » (١٧٣/١) وَغَيْرُهُ، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي « السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ » (٤٥٦).

وقد كان لفتواه هذه في الجزائر زهم من لحوم الصبيان الذين جرى على أعناقهم الغضة البريئة خناجر الخوارج، وهم يجأرون إلى الله، وليس الخبر كالمعاينة!

والحدود تُدْرَأُ بالشبهات، وهؤلاء يقتلون أصحاب الفطرة بالشبهات!
نعوذ بالله من فقد الحياء!!

هذه شهادة من صاحبها على نفسه، بل على طائفته، نحتفظ لكم بها للتاريخ، وقبل ذلك كله ما هو مُدَوَّنٌ فِي صَحِيفَةِ الْعَبْدِ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، الَّذِي قَالَ: ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٦﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [مرم]، وَقَالَ: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٧٨﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٧٩﴾ ﴾ [القمر ٥٢ - ٥٣].

وَلْيَمْسِكْ أُولَئِكَ الْمُحَامُونَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ عُشَاقُ الْفِتَنِ وَالثَّوَرَاتِ عَنْ قَوْلِهِمْ: لَا يَجُوزُ أَنْ نَنْسَبَ شَيْئًا مِنَ الْجَازِرِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ [النجم ٢٣].

نعم! لقد جاءهم من ربهم الهدى؛ لأن الله أنطق هذا المفتي - مفتي الوحوش! - حتى اعترف بأنه صاحب هذه المقالة، وأن وحوش الجزائر هم منفذو تلك الضلالة، فأى شهادة أكبر من الإقرار، وقد قيل: الإقرار سيد الأدلة؟!

ولقد جعل غليظ الكبد مسألة الترس نظير مسألتنا هذه، وهذا أمر لا

يُطَاق؛ لِأَنَّ صُورَةَ التَّتَرُّسِ هِيَ أَنْ يَحْتَمِيَ الْكُفَّارُ بِالْحُصُونِ وَفِيهَا أُسْرَى مُسْلِمُونَ، أَوْ أَنْ يَجْعَلُوا هَوْلَاءَ فِي الْمَقْدَمَةِ كَالدَّرْعِ لَهُمْ، بَحِيثٌ يَأْتِي الرَّمْيُ عَلَيْهِمْ لِأَعْلَى الْكُفَّارِ.

أَقُولُ: اسْأَلُوا أَهْلَ الْجَزَائِرِ: مَتَى أُخْرِجَتِ الدَّوْلَةُ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ لِتَجْعَلَهُمْ تَرْسًا لَهَا ضِدًّا مُقَاتَلِيهَا؟!

اسْأَلُوهُمْ جَمِيعًا حَتَّى الْمَتَعَصِّبِينَ لِأَوْلَيْكَ الثُّوَارِ!!

فَهَذَا أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَيَّ أَنَّ الرَّجُلَ صَاحِبُ هَوَى، وَإِلَّا فَمَا مَحَلُّ مَسْأَلَةِ التَّتَرُّسِ فِي بَابِ اسْتِحْلَالِهِمْ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالْأَبْرِيَاءِ عُمُومًا؟!

هَذَا لَا يُفَسِّرُهُ لَنَا إِلَّا قَوْلُ رَبَّنَا ﷻ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران ٧]، وَاللَّهُ الْعَاصِمُ.

تَنْبِيهِ: نَفَى أَبُو قَتَادَةَ عَنِ صِبْيَانِ الْمُسْلِمِينَ وَصَفَ (الإسلام) بِقَوْلِهِ السَّابِقِ: « وَالْأَطْفَالَ - كَمَا تَعْلَمُونَ - عَلَى الْفِطْرَةِ، الْأَطْفَالَ عَلَى الْفِطْرَةِ، لَا يَلْحَقُ عَلَيْهِمْ وَصْفٌ كُفْرٌ وَلَا إِسْلَامٌ!! ».

وَلَعَلَّ الْقَارِيَّ قَدْ أَدْرَكَ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ سَبَبَ نَفْيِهِ عَنْهُمْ وَصَفَ الْإِسْلَامَ؛ إِنَّهُ أَرَادَ الْوَصُولَ إِلَى اسْتِحْلَالِ دِمَائِهِمْ كَمَا مَرَّ، وَلَا بَدَّ حِينَئِذٍ مِنْ وَصْفِهِ يَرْفَعُ بِهِ عَنْهُمْ هَيْبَةً « حُرْمَةُ الْمُسْلِمِ وَدَمِهِ »!

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي « شَرْحِ حَدِيثِ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ » (ص ٣٨): « وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) ^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: (عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ)، فَالْقَلْبُ مَخْلُوقٌ حَنِيفًا، مَفْطُورٌ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ دُونَ مَا سِوَاهُ... ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٥٨) وَمُسْلِمٌ (٢٦٥٨).

وهذه الرواية « على فطرة الإسلام » رواها ابن حبان (١٣٢) والطبراني (٢٨٣/١) من حديث الأسود بن سريع، وهي رافعة للخلاف، أفيقول رسول الله ﷺ: « على فطرة الإسلام »، وتقول أنت: لا كفر ولا إسلام!؟

وفي رواية عند مسلم (٢٦٥٨) بلفظ: « ما من مولود يُولد إلا على هذه الملة »، وانظر « مجموع فتاوى ابن تيمية » (٣٤٥/١٦)، والمشبوه على علم بها؛ فإنه رآها في تعليقه على « معارج القبول » لحافظ الحكمي رحمه الله (٩١/١)، وأشار هناك إلى رواية البخاري، وفيها تصريح ابن شهاب الزهري بـ « فطرة الإسلام »، حيث قال رحمه الله: « يُصلى على كل مولود متوفى وإن كان لغية^(١)؛ من أجل أنه وُلد على فطرة الإسلام... ».

فلماذا سكت عن اختيار المؤلف الحكمي الذي نقل عن ابن كثير أن الفطرة هي الإسلام عند تحقيقه لـ « معارج القبول » (٩١/١)، ثم جعل هنا صبيان المسلمين في منزلة بين المنزلتين!؟

وأغرب من هذا أن الشيخ حافظاً الحكمي - رحمه الله - ساق في الصفحة نفسها حديثاً جمع بين وصف الدريرة بالفطرة وبين تحريم قتلهم، ولكن ذلك كله لم ينفع محققه، فنعود بالله من علم لا ينفع.

قال ابن حجر في « فتح الباري » (١١١/١١): « وقوله: (على الفطرة) أي على الدين القويم ملة إبراهيم؛ فإنه عليه السلام أسلم واستسلم، قال الله تعالى عنه: ﴿ جَاء رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات ٨٤]، وقال عنه: ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْوَالِدِينَ ﴾ [البقرة ١٣١]، وقال: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ [الصافات ١٠٣]، وكذلك قال الخطابي في شرحه على السنن، أي فسّر الفطرة بـ (دين الإسلام).

(١) أي من زنا.

ومما يقوي ما ذهب إليه هؤلاء أن أبا هريرة رضي الله عنه حين روى هذا الحديث، قال: « اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم ٣٠] »، وذلك في رواية البخاري ومسلم التي تقدمت الإشارة إليها، فكلمة (فطرة الله) هي إضافة مدح، وقد أمر الله نبيه ﷺ بلزومها، فعلم أنها الإسلام، كما في « فتح الباري » (٢٤٨/٣)، وقال البخاري - رحمه الله - في « صحيحه » (٥١٢/٨): « والفطرة الإسلام »، ثم ساق الحديث، ولذلك قال شارح « العقيدة الطحاوية » (ص ٨٣ - ٨٤ / الألباني): « ولا يقال: إن معناه يؤلد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شركاً كما قال بعضهم؛ لما تلونا^(١)، ولقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (خَلَقْتُ عِبَادِي حَنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ) الحديث^(٢)، وفي الحديث المتقدم ما يدل على ذلك؛ حيث قال: (يُهَوِّدَانَهُ أَوْ يُنَصِّرَانَهُ أَوْ يمجِّسانَهُ)، ولم يقل: ويُسَلِّمانَهُ، وفي رواية: (يُولَدُ عَلَى الْمِلَّةِ)، وفي أُخْرَى: (عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ) ».

وقد حكى ابن القيم في « أحكام أهل الذمة » (٥٧٢/٢) وابن حجر في « فتح الباري » (٢٤٩/٣) عن محمد بن نصر أن آخر قولي أحمد أن المراد بالفطرة الإسلام، ومنها رواية عند الخلال في « الجامع / أهل الملل والرذة » (٢٨)، فسّر فيها أحمد الفطرة بالدين، وقال ابن تيمية - رحمه الله - كما في « مجموع فتاواه » (١٠ / ١٣٤): « والقلب إنما خلق لأجل حبّ الله تعالى، وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده، كما قال النبي ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ

(١) يُرِيدُ الْآيَةَ السَّابِقَةَ مَعَ غَيْرِهَا تَمَّ فِي مَعْنَاهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه.

على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ أخرجه البخاري ومسلم، فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله، محباً له، عابداً له وحده، لكن تفسد فطرته من مرضه، كأبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، وهذه كلها تغير فطرته التي فطره عليها.

ولست أقصد هنا الكلام عما قيل في معنى الفطرة؛ لأن العبرة من هذا كله هي بيان أن الرجل أراد الوصول إلى دماء صبيان المسلمين، فنفى عنهم وصف الإسلام إذا ولدوا كما سبق، وبيان أنه قد يحقق من الكتب السلفية ما يؤهم به أنه مؤمن بما فيها، لكنه ينقض ذلك كله في واقع دعوته.

أما ما قيل في معنى الفطرة، فقد جاء فيه روايات، منها ما هو على معنى أن كل مولود يولد على الفطرة، ومنها ما هو على معنى العهد الذي أخذ على ذرية آدم في عالم الدر، كما رواه أبو داود عن حماد بن سلمة كما في « فتح الباري » (٢٤٩/١١)، ومنها ما هو على معنى ما كتب على الإنسان في أم الكتاب من الشقاوة والسعادة، كما نقل الخلال عن أحمد في « الجامع / أهل الملل والرذة » (٣١-٣٣)، لكن نص ابن القيم على أنه قوله الأول كما في « أحكام أهل الذمة » (٥٧٣ / ٢)، وإن كان ابن تيمية قد حقق أن لا منافاة بين هذا القول والقول المختار أولاً، انظر « مجموع فتاواه » (٢٤٦/٤)، وثم أقوال يمكنك مراجعتها في « فتح الباري » (٢٤٩/١١) و« مجموعة الرسائل الكبرى » لابن تيمية (٣٣٣/٢).

لكن « أشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو

المعروف عند عامة السلف»، كما في «فتح الباري» (٢٤٨/١١).
وهذا واحدٌ من الأدلة التي تدلُّ على أن ادعاء هؤلاء القوم الانتساب إلى
السلف في عقيدتهم أو تحقيق ما كتبوه في ذلك إنما هو مجرد دعوى لا حقيقة
لها، والله المستعان.

ثم تأمل ما رواه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠) وأبو داود (٥٠٤٦)
والترمذي (٣٥٧٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ:
« إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك
الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجأتُ
ظَهري إليك؛ رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنتُ
بكتابك الذي أنزلت، ونبئتُ الذي أرسلت؛ فإن متَّ متَّ على الفطرة،
فاجعلْهُنَّ آخرَ ما تقول، فقلتُ أستذكركُهنَّ: وبرسولِكَ الذي أرسلت، قال:
لا! ونبئتُ الذي أرسلت ».

قلت: فما معنى الفطرة ههنا عند المشبوه؟

أفتكون هذه الجملُ العقديَّةُ العظيمة هي غير الإسلام على زعمه في خطبته

تلك؟!

تَفْصِيلُ الْفِتْنَى

بدأ المشبوه عَرَضَ فتواه بقوله في مجلة الأنصار، العدد (٩٠)، في (ص ١٠)، بتاريخ: (٢٩ شوال ١٤١٥هـ-)، وقد تقدم تصويره: « هذا البحث شامل لمسألتين من مسائل الجهاد، هما:

١- جواز قتل الذرية والنسوان درءاً لخطر هتك الأعراس وقتل

الإخوان!!

٢- جواز العمليات الاستشهادية، وأنها ليست بقتل النفس^(١)!

وسببُ بحث هاتين المسألتين هنا، هو ما وقع من المجاهدين في الجزائر، من القيام بهذه الأعمال، ثم رفع بعض المخالفين رأس الخلاف لهاتين المسألتين؛ حيث ظن من لا خبرة له أن ما قام به المجاهدون في الجزائر ليس له وجه شرعي، وهو مخالف للدين من كل وجه، فأحبيت أن يطالع المحب المخالف، وكذلك المؤيد، على دليل ما قام به الإخوة؛ ليطمئن بال المحبين، أن ما وقع من المجاهدين هو عمل شرعي، ولا ينكر عليهم، والخطاب هنا هو لمن آمن واعترف أن جهاد هذه الطوائف الحاكمة لبلادنا هو تحت باب قتال المرتدين

(١) هذه من نوازل هذه الأيام وإن كانت مطروقة عند المتقدمين، إلا أن تطبيقها على واقع البلاد الإسلامية يحتاج إلى العالم المجتهد، مع ذلك فقد هجم عليها الأحداث الأعمار فأتوا بالعجائب، ولا بأس من أن أرشد القاريء للرجوع إلى شريط سمعي بعنوان « فتاوى العلماء في الاغتيالات والتفجيرات والعمليات الانتحارية والاعتصامات والقنوت » لمجموعة من أهل العلم الأكابر، منهم ابن باز والألباني وابن عثيمين وصالح الأطرم وصالح الفوزان وعبد العزيز آل الشيخ وغيرهم، تسجيلات دار ابن رجب للإنتاج والتوزيع بالمدينة، فاستمع إليه؛ لتفرق بين العالم والحالم.

وجهادهم، وأن ما وقع في عصر الصحابة من قتال مسيلمة وسجاح ومن معها هو نفس قتال المجاهدين في الجزائر لطائفة الردة الحاكمة، وأن مخرجهما واحد، لا يفترق في نكير أو قطمير!!».

النقد: يُستفاد من مقدمة المشبوه فائدتان:

الأولى: اعترافه بقتل (مجاهديه) في الجزائر للذرية والنساء، هذه الحقيقة المرة التي يتفانى لإنكارها الحركيون على بكره أبيهم، ويجهدون أنفسهم لإلصاقها كلها بالمخابرات؛ حتى تبرأ ساحتهم مما كسبت أيديهم، وقد اجتمع على هذا الرأي الديمويون والثوريون والسياسيون والمرتبون المترددون، وهم الذين مدّوا في أجل الفتنة مع الأسف.

ولعل في اعتراف مفتي هذه الجماعة بما سبق إنهاء للخلاف، فعلام يُصرُّ أهل الفتن على تزكية أولئك لولا أنهم يُشاركونهم في الفكر على تقية وجبن، فإن لم يكونوا على فكرهم فليَنطِقُوا بعلم، وإلا فليَسْكُتُوا بحلم، والله يقول: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء ١٠٥]!؟

والثانية: أن قتال هؤلاء للشعب الجزائري كان منطلقاً فيه من أساس تكفيره؛ لأن المشبوه قد صرح بأن قتال هؤلاء للحكام ولطائفهم - التي هي الشعب - كقتال الصحابة لمسيلمة الكذاب وسجاح ومن معهما، فأبي صراحة أكبر من هذه؟!!

وأسأل ههنا القاريء المنصف: ما رأيك فيمن يعتبر الشعب الجزائري المسلم بمثابة من كان مؤمناً بمسيلمة الكذاب المدعي للنبوّة؟

ثم إن المشبوه قد أوضح رأيه هذا بقوله فيما تقدّم تصويره من مجلته (ص ١٢): «وَبَقِيَ مسألة: قد يقول قائل: إن منهج جماعات الجهاد هو تكفير

الطَّائِفَةُ، فَهَلْ تَدْخُلُ نِسَاءُ الْمُرْتَدِّينَ فِي مَسْمَى الطَّائِفَةِ؟ فَيَقَالُ هُنَا: إِنَّ جِنْسَ جِهَادِ هَؤُلَاءِ الْمُرْتَدِّينَ هُوَ جِنْسُ قِتَالِ الصَّحَابَةِ ﷺ لِلْمُرْتَدِّينَ مِنْ أَتْبَاعِ مُسَيْلِمَةَ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ، وَقَدْ عَامَلَ الصَّحَابَةُ ﷺ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُعَامَلَةَ الْمُشْرِكِينَ، أَصْحَابِ الشُّوْكَةِ وَالْمَنْعَةِ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ الْبَلَاغِ الْعَامِّ، فَقَدْ رَوَى الطَّبْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ذَلِكَ فِي تَارِيخِهِ، فِي الْمَجْلَدِ الثَّانِي عِنْدَ خَبَرِ الْمُرْتَدِّينَ، فَكُونُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مَمْتَنَعَةٍ، وَلِهَا شُوْكَةٌ وَقُوَّةٌ، فَإِنَّمَا تُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْكُفْرَةِ الْمَمْتَنَعِينَ بِشُوْكَةٍ وَقُوَّةٍ، وَحُكْمِكُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ حُكْمُهُمْ بِلَا فَرْقٍ، إِلَّا مَا افْتَرَقَتْ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّينَ عَنْ أَحْكَامِ الْكُفْرَةِ الْأَصْلِيِّينَ!!

وَقَدْ أَنْذَرَ الْإِخْوَةَ الْمَجَاهِدُونَ فِي الْجَزَائِرِ نِسَاءَ الْمُرْتَدِّينَ بِأَنْ أَرْوَاجَهُنَّ قَدْ ارْتَدَّوْا، فَوَجَبَ الْفِرَاقُ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهَا أَنْ تُمَكَّنَ الْمُرْتَدَّ مِنْهَا، فَإِنْ رَفَضَتْ فَحُكْمُهَا حُكْمُهَا!!

وَمِنْ أَحْكَامِهَا هُوَ مَا تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْبَحْثِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ قَدِيمًا فِي حُكْمِ نِسَاءِ الْمُرْتَدِّينَ: أُنْسَبِيٌّ أَمْ لَا؟

وَهَذَا لَهُ مَقَامٌ آخَرٌ!!

وَلِذَلِكَ فَلْيُعْلَمَ أَنَّ نِسَاءَ وَذَرِيَّةَ كُلِّ طَائِفَةٍ تُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الطَّائِفَةِ مَمْتَنَعَةٍ (كَذَا) بِقُوَّةٍ وَشُوْكَةٍ الَّتِي انْتَسَبَتْ إِلَيْهَا، فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، إِلَّا مَا خُصُّوا بِهِ دُونَ الْمَقَاتِلَةِ!! «.

النقد: هُنَا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ:

١- إِنَّ الَّذِي يَقْرَأُ لَهُ هَذَا يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْمَسْئُولِينَ فِي الْجَزَائِرِ لَا يُفَارِقُونَ نِسَاءَهُمْ، فَلِذَلِكَ اضْطَرَّتْ جَمَاعَتُهُ إِلَى اغْتِيَالِهِمْ بِنِسَائِهِمْ، وَهَذَا كَذِبٌ فِي تَصْوِيرِ

المسألة؛ لأنَّ المسؤولين يَعْدُونَ وَيَرُوحُونَ إِلَى وِطَائِفِهِمْ، بل هم في أكثر الحالات مُفَارِقُونَ لِأَهْلِيهِمْ؛ خوفاً من أن يُبَاعَتُوا في بيوتهم مع مَنْ فِيهَا. ثمَّ إِنَّ الأَمْرَ هُنَا لَا يَتِمُّثَلُّ فِي قَتْلِ النِّسَاءِ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ بِحُجَّةِ عَدَمِ تَزْوِجِهِمْ عَنْهُمْ، كَمَا يَحَاوُلُ أَنْ يُوهَمَنَا هَذَا المَشْبُوهُ.

كلاً! بل إِنَّ الأَمْرَ يَتِمُّثَلُّ فِي قَتْلِ النِّسَاءِ وَالدُّرِّيَّةِ بِمَعزِلٍ عَنِ أَوْلِيائِهِم المَرَادِ اغْتِيَابَهُمْ أَصْلاً، بل قَصْدُهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ وَاخْتِطَافَهُمْ حَيْثُ وَجَدُوهُمْ، وَقَدْ صرَّحَ بِذَلِكَ هُوَ نَفْسُهُ، فَقَالَ فِي مَقَالِهِ السَّابِقِ (ص ١٢): « بهذا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَا فَعَلْتَهُ الجَمَاعَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المُسَلَّحَةُ مِنْ تَهْدِيدِ ذُرِّيَّةِ وَنِسَاءِ المَرْتَدِّينَ بِالقَتْلِ؛ مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ وَطَأْتِهِمْ عَلَى النِّسَاءِ وَالمَسَاجِينِ وَالإِخْوَانِ، هُوَ عَمَلٌ شَرْعِيٌّ لَا شُبُهَةَ فِيهِ!! ».

٢_ لو فَرَضْنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ المَكْفَرِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا كَفَّارًا حَقِيقَةً، فَعَلَى أَيِّ أَسَاسٍ تُقْتَلُ نِسَاؤُهُمْ بَعْدَ إِنذَارِهِنَّ كَمَا قَالَ؟! إِنَّ هَذَا لِلدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ المُؤْمِنَةَ لَوْ عَاشَتْ وَقَتَّهُمْ لِأَعْمَلُوا فِيهَا السَّيْفِ؛ لِأَنَّ لَمْ تُفَارِقْ زَوْجَهَا الكَافِرَ، مَعَ أَنَّ اللهَ مَدَحَهَا وَجَعَلَهَا مَضْرِبَ المَثَلِ لِلَّذِينَ آمَنُوا، فَقَالَ: ﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحریم ١١]!

٣_ إِذَا كَانَ حُكْمُ نِسَاءِ المَسْئُولِينَ وَذُرِّيَّتِهِمْ هُوَ القَتْلُ، فَمَا بَالُ سَائِرِ

الشُّعْبِ؟!!

أَي مَّا دَامُوا يَقْتُلُونَ النِّسَاءَ لِأَنَّهُنَّ لَا يُفَارِقْنَ أَزْوَاجَهُنَّ الْمُرْتَدِّينَ عِنْدَ الْمَشْبُوهِ،
فَمَا بِهِمْ يَقْتُلُونَ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ؟!

والجوابُ أن هذا المشبوه ومُرِيدِهِ يُكْفِرُونَ الشَّعْبَ، فَلِذَلِكَ اسْتَبَاحُوا دَمَهُ،
وَلَيْسَ الْأَمْرُ قَاصِرًا عَلَى نِسَاءِ الْمَسْئُولِينَ وَذَرِيَّتِهِمْ، وَقَدْ مَضَى بَعْضُ مَا يَدُلُّ
عَلَيْهِ، وَأَزِيدُ هُنَا مِنْ أَدَلَّتِهِمْ قَوْلَ الْمَشْبُوهِ فِي مَقَالِهِ السَّابِقِ (ص ١١)، تَحْتَ
عِنَاوَانِ: بَابُ جَوَازِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالذَّرِّيَّةِ لِمَقَاصِدِ شَرْعِيَّةٍ: « إِذَا بَيَّتَ الْمُسْلِمُونَ
الْأَعْدَاءَ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِصَابَةَ الرَّجَالِ إِلَّا بِقَتْلِ الذَّرِّيَّةِ وَالنِّسَاءِ: رَوَى الْبُخَارِيُّ
فِي صَحِيحِهِ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ ^(١) قَالَ: (سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ
عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيِّتُونَ، فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ؟ فَقَالَ: هُمْ
مِنْهُمْ)، هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ، وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: (فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيِّتُونَ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ، فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيهِمْ؟ قَالَ: هُمْ مِنْهُمْ) ^(٢)... فَالْحَدِيثُ
يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ قَتْلِ الذَّرِّيَّةِ وَالنِّسَاءِ إِذَا تَرَسَّ الْكُفَّارُ بِهِمْ! ».

(١) هَكَذَا هُوَ عِنْدَهُ، وَالصَّوَابُ « جَثَامَةَ »، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَتَشْدِيدِ التَّاءِ.

(٢) قَالَ الصَّنْعَائِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي « سُبُلِ السَّلَامِ » (٤/١٠١-١٠٢): « التَّبْيِيتُ:
الْإِغَارَةُ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيْلِ عَلَى غَفْلَةٍ مَعَ اخْتِلَاطِهِمْ بِصِبْيَانِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، فَيُصَابُ النِّسَاءُ
وَالصِّبْيَانُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِقَتْلِهِمْ ابْتِدَاءً، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَّانٍ مِنْ حَدِيثِ
الصَّعْبِ، وَزَادَ فِيهِ: (ثُمَّ هَمِيَ عَنْهُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ)، وَهِيَ مُدْرَجَةٌ فِي حَدِيثِ الصَّعْبِ، وَفِي
سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ زِيَادَةٌ فِي آخِرِهِ، قَالَ سَفِيَانٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ هَمِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، يُؤَيِّدُ أَنَّ التَّنْهِيَّ فِي
حُنَيْنٍ مَا فِي الْبُخَارِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِأَحَدِهِمْ:
(الْحَقُّ خَالِدًا، فَقُلْ لَهُ: لَا تَقْتُلْ ذَرِيَّةً وَلَا عَسِيفًا)...

وَيَدُلُّ لَهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانٍ عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا
حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ: أَنْقَتْلَهُمْ مَعَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَإِنَّهُمْ

قلت: إن الحديث جاء جواباً على سؤال حول الذراري من المشركين،
والمشبهه طبقه على ذراري المسلمين، فأين عقول تابعيه؟!

ومثله قوله في المقال نفسه: « لقتل الذرية والنساء في واقع الجهاد اليوم يقع في صورتين: الأولى: وهي أن يرمى المرتدون بالآلات فيها مواد متفجرة تقتلهم هم وأبناؤهم ونساؤهم، وهذه حالة ذكرت في كتب أهل العلم بالجواز، وهي داخلة نصاً في مسألة البيات المتقدمة، وقد رمى الصحابة مع رسول الله ﷺ أهل الطائف بالمنجنيق... ».

قلت: إن أهل الطائف كانوا كفاراً حين حاصرهم رسول الله ﷺ، فكيف يُقاس عليهم الشعب الجزائري المسلم؟!

ولذلك لما ذكر الشافعي - رحمه الله - جواز تبييت المشركين، نبه أبو بكر الحازمي في « الاعتبار في التاسخ والمنسوخ من الآثار » (ص ٤٩٧) على معناه، فقال: « ومعنى قوله: (منهم) أنهم يجمعون خصلتين: أن ليس لهم حكم الإيمان الذي يمنع به الدم، ولا حكم دار الإيمان الذي يمنع به الغارة على الدار ».

أما الشعب الجزائري فشعب مسلم، وداره دار إسلام، فكيف نزلت عليهم أحكام الكفار؟!

منهم، ثم نهي عن قتلهم يوم حنين»، وصححه الألباني في « صحيح موارد الظمان » (١٣٨٠).

ولذلك بوب أبو عوانة في « مسنده » (٢٢٢/٤) بقوله: « بيان الخير المبيح بيات المشركين والغارة عليهم بالليل وقتلهم وإن أصيب في قتلهم نساؤهم وصبياتهم حتى قتلوا معهم، والدليل على أن نهي عن قتل النساء والصبيان هو المتأخر، وعلى أن السنة في ترك الغارة بالليل حتى يصبح، وعلى أنه لا يجوز حرق القرية التي فيها مسلم أو الغارة أو نصب المنجنيق عليها ».

قال البخاريُّ في « صحَّيحه » في باب قتل الخوارج والمُلاحدين بعدَ إقامة الحجَّة عليهم: « وكان ابنُ عمر يراهم شرارَ خلقِ الله؛ وقال: إِنَّهم انطلقوا إلى آياتِ نزلتِ في الكفار فجعلوها على المؤمنينَ »، قال ابنُ حجر في « الفتح » (٢٨٦/١٢): « وصلَّه الطَّبْرِيُّ في مُسندِ عليٍّ من (تهديبِ الآثار) من طريقِ بَكيرِ بنِ الأشجِّ ... »، ثمَّ قال: « وسنَّده صحيحٌ ».

فهذا واحدٌ من الأدلَّة الواضحة على أنَّ الرَّجُلَ كمريديه يكفرون الشعب، مع أنَّ قصَّة رَمي أهلِ الطائف بالمنجنيق لم ترد بسندٍ صحيح، وإنما رواها أبو داود في « مراسيله » والواقدي في « مغازيه » (٩٢٧/٣) وابن هشام في « سيرته » (٤٨٣/٢)، قال الصَّنْعاني - رحمه الله - في « سُبُل السَّلام » (١١١/٤): « أخرجهُ أبو داود في المراسيل ورجاله ثقاتٌ، ووصلَّه العُقيلي بإسنادٍ ضعيفٍ عن عليٍّ عليه السلام، وأخرجهُ الترمذي عن ثورٍ رآويه عن مكحول، ولم يذكر مكحولاً، فكان من قسم المُعْضَلِ ».

وهذا كلُّه يَعلمه المشبوه؛ لأنَّه نقلَ عن الصَّنْعاني بعضَ كلامه من هذه الصَّفحة نفسها، ولكنَّه أغمضَ العَيْنينِ جميعاً عن ضَعْفِ الرَّوَايةِ!
هذه الرَّوَايةُ المُرسَلَةُ هي عندَ أبي داود في « مراسيله » (٣٢١ - الزَّهراني).

أمَّا رِوَايةُ التَّرمِذي فَهي عنده في (٩٤/٥)، وهي على إعضالها فإنَّ فيها عمر بن هارون عن ثور، وعمرٌ هذا قالَ فيه الحافظُ في « التَّقريب »: « متروكٌ، وكان حافظاً »، ورواها أيضاً ابنُ سعد في « الطبقات » (١٥٩/٢) ومن طريقه ابنُ الجوزي في « المنتظم » (٣٤١/٣) من طريق الثوري عن ثور عن مكحول مرسلَةً، وقد أعلَّها ابنُ الملقن كما في « خلاصة البدر المنير » (٣٤٥/٢) والزَّيلعي في « نَصْب الرِّاية » (١٠٤/٤) والمباركفوري في « تحفة الأحوذي » (٣٧/٨).

وأما رواية العُقَيْلي فهي عنده في « الضعفاء » (٢٤٣/٢) عن عليٍّ موصولةً، لكن فيها عبد الله بن خراش عن العوّام بن حوشب، قال البخاريُّ في « التاريخ الكبير » (٨٠/٥): « عبد الله بن خراش عن العوّام بن حوشب مُنكر الحديث »، وهي عند الحسن الرّاهمزمزي في « المحدث الفاصل » (ص ٣١٦-٣١٧)، قال: حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، قال: سمعتُ عليَّ ابنَ المدني يقول: « جلستُ إلى عبد الله بن خراش وأنا حدّث، فسمعتُه يقول: حدّثنا العوّام عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عليٍّ (أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَصَبَ المنجنيقَ على أهل الطّائف)، فعلمتُ أنَّه كذابٌ! ».

وفي سنن البيهقي الكبرى (٨٤/٩) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي عبيدة ﷺ « أن رسول الله ﷺ حاصر أهل الطائف ونصب عليهم المنجنيق سبعة عشر يوماً، قال أبو قلابة: وكان يُنكر عليه هذا الحديث، قال الشيخُ رحمه الله: فكأنه كان ينكرُ عليه وصلَّ إسناده، ويحتملُ أنَّه إنما أنكرَ رميهم يومئذ بالمجانيق؛ فقد روى أبو داود في (المراسيل) عن أبي صالح عن أبي إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يحيى هو ابن أبي كثير قال: حاصرهم رسولُ الله ﷺ شهراً، قلتُ: فبلغك أنَّه رماهم بالمجانيق؟ فأنكر ذلك، وقال: ما يعرفُ هذا ».

هذه الرواية هي في « مراسيل أبي داود » (٣٢٢- الزهراني).

وأياً كان أمرُ إسناده الرواية، وأياً كان خلافُ أهل العلم في المسألة، فإنني لا أقفُ طويلاً عند هذا؛ لأنَّ الصُّور التي تعرّض لها المشبوهة لا تمتُّ بصلّة إلى واقع البلاد الجزائرية؛ فإنَّ أهل الجزائر ليسوا كفاراً حتى يُقاسوا على أهل الطائف يومئذٍ أو على المشركين الذين بيّتهم النَّبيُّ ﷺ، ومما يُبين لك أيضاً خروج المشبوهة في بحثه هذا عن حقيقة الأمر، أنَّه تكلم عن ترس العدو بالنساء

والذرية، وليس ثم ترس قط؛ إذ لم يُعرف أن الدولة تترست يوماً بالنساء والذرية.

كما تكلم عن اعتصام العدو مع شعبه بحصن، ولا وجود لهذه الصورة بالجزائر، فلماذا كان في هذا العرض غاشاً، كما كان في استدلاله خارجاً عن محل النزاع، وقد سبق قريباً أن بينت الصور الإجرامية التي وقعت في الجزائر، وأن المشبوه لم يوفق للجواب عن واحدة منها، وإنما أتى بصور مغشوشة عن الوضع في الجزائر، ونزل عليها أحكامه الوحشية، وهو فيها إما جاهل بواقع ما يُفتي فيه، وإما عارف به ولكنه كاذب في وصفه.

قياس منكوس

لَا يَزَالُ الْمَشْبُوهُ يُتَابَعُ أَدَلَّتْهُ فِي جَوَازِ قَتْلِ الذَّرِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَالنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ، فَيَقُولُ فِي مَقَالِهِ السَّابِقِ (ص ١٢): « الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: قَتْلُ النِّسَاءِ وَالذَّرِيَّةِ قَصْدًا؛ دَفْعًا لِهَتِّكَ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمَاتِ وَقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ. تَبَيَّنَ لَنَا فِي الْبَابِ السَّابِقِ جَوَازُ قَتْلِ الذَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ تَوْصِيلاً لِقَتْلِ الْكُفَّارِ الْمُقَاتِلِينَ، فَهَلْ يَجُوزُ قَتْلُ الذَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ تَوْصِيلاً لِأَحْيَاءِ الْمُسْلِمِ وَدَفْعًا لِهَتِّكَ عَرَضِ الْمُسْلِمَةِ؟

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ إِحْيَاءَ الْمُسْلِمِ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ قَتْلِ الْكَافِرِ، فَدَفَعُ الْمَفَاسِدِ وَإِبْطَالُهَا خَيْرٌ مِنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ، وَقَتْلُ الْمُسْلِمِ مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَمَّا قَتْلُ الْكَافِرِ فَمَصْلِحَةٌ، فَإِذَا تَدَافَعَتِ مَصْلِحَةٌ قَتْلِ أَسَارِي الْكُفَّارِ مَعَ مَصْلِحَةِ فِدَائِهِمْ بِأَسَارِي الْمُسْلِمِينَ، وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِدَاءُ الْأَسَارِي الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِإِطْلَاقِ أَسَارِي الْكُفَّارِ.

إِذَا تَبَيَّنَ لَنَا هَذَا، وَعَلِمْنَا سَابِقًا جَوَازَ قَتْلِ الذَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ تَوْصِيلاً لِقَتْلِ الرِّجَالِ الْمُقَاتِلَةِ، فَإِنَّ مِنْ بَابِ أَوْلَى جَوَازِ قَتْلِ هَذِهِ الذَّرِيَّةِ وَقَتْلِ النِّسَاءِ تَوْصِيلاً لِمَنْعِ قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ، بَلِ الْمُجَاهِدِينَ وَهَتِّكَ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمَاتِ!! «.

قَلْتُ: يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الدَّوْلَةَ الْجَزَائِرِيَّةَ تَقْتُلُ الْمَسْجُونِينَ مِنْ جَمَاعَتِهِ وَتَنْتَهِكُ أَعْرَاضَ نِسَائِهِمْ، فَلِذَلِكَ رَأَى أَنَّ فِي قَتْلِهِ لِنِسَاءِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَذَرَارِيهِمْ تَوْقِيفًا لِعَمَلِيَّةِ قَتْلِ الْمَسْجُونِينَ وَانْتِهَاكِ أَعْرَاضِهِمْ!

ثم قال: « فحقيقة المسألة أننا إن لم نستطع منع المرتدين من قتل أسارى المسلمين - من مدنيين وغيرهم - إلاّ بتهديد هؤلاء المرتدين بقتل نسائهم وأبنائهم فهو جائز، إن لم يكن واجبا!!

وكذلك إن لم نستطع منع المرتدين من انتهاك أعراض المسلمين، والتلعب بالنساء إلاّ بتهديدهم بقتل ذريتهم ونسائهم فهو جائز ولا شك، إن لم يكن واجبا؛ إذ أن مصلحة إحياء المسلمين وحفظ أعراضهم أشد وأهم من التوصل إلى قتل المرتدين بتترسهم بنسائهم وأبنائهم!!!».

النقد:

١- لقد مرّ بنا أن التترس المذكور لا وجود له في واقع الجزائر، فهو تنزيل حُكْم على غير محلّ.

٢- إذا كان أولئك يقتلون مجاهديهم ويتهكون أعراض نسائهم، فما ذنب نساء أولئك القتلة وذرائعهم؟

أليس الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوِّمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة ٨].

ولو جاز هنا ردّ السيئة بمثلها فليكن بقتل الذين باشرُوا القتل، لا بقتل الأبرياء من النساء والذرية، قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة ١٩٠].

وذلك لأنّ في مجاوزته إسرافاً لا يحبّه الله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۚ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء ٣٣].

هَذَا لَوْ كَانَ الْقَتْلُ قَتْلَ أَوْلَادٍ مُشْرِكِينَ وَنِسَاءٍ مُشْرِكَاتٍ، فَكَيْفَ وَهُوَ قَتْلٌ
لِمُسْلِمِينَ وَمُسْلِمَاتٍ؟!

وَلِذَلِكَ رَوَى أَحْمَدُ (٤٣٥/٣) وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ
قَالَ: « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَغَزَوْتُ مَعَهُ، فَأَصَبْتُ ظَهَرَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ،
حَتَّى قَتَلُوا الْوَالِدَانَ، وَقَالَ مَرَّةً: الذَّرِيَّةُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ
قَوْمٍ جَاوَزَهُمُ الْقَتْلُ الْيَوْمَ حَتَّى قَتَلُوا الذَّرِيَّةَ؟! فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا
هُمْ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا لَأَنْ
تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، أَلَا لَأَنْ تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً، قَالَ: كُلُّ نَسْمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى
يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا، فَأَبْوَاهَا يُهَوِّدَانَهَا وَيُنَصِّرَانَهَا » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٣٥/٣)
وَالِدَارِمِيُّ (٢٢٣/٢) وَالْحَاكِمُ (١٢٣/٢) وَغَيْرُهُمْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ
الذَّهَبِيُّ، وَكَذَا الْأَلْبَانِيُّ فِي « السُّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ » (٤٠٢).

فَعَلَى هَذَا، لَا يَجُوزُ قَتْلُ النِّسَاءِ وَالْوَالِدَانَ بِهَذِهِ الذَّرِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفِ الْأَمْرُ
عِنْدَ حَدِّ مُقَابَلَةِ السَّيِّئَةِ بِمِثْلِهَا، وَإِنَّمَا تَعَدَّاهُ إِلَى الْعُدْوَانِ وَالْمَجَاوِزَةِ لِحُدُودِ اللَّهِ؛ فَمَنْ
قَتَلَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْتَلَ بِكَ وَلَدُهُ أَوْ امْرَأَتُهُ أَوْ أَحَدٌ مِنْ أَقْرَابِهِ، فَهَذَا انْتِقَامٌ غَيْرُ
مَشْرُوعٍ، بَلْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكْرَهَ عَلَى قَتْلِ نَفْسٍ مَعْصُومَةٍ لَمْ يَجْزُ لَهُ
تَنْفِيذُهُ، وَلَمْ يَكُنْ الْإِكْرَاهُ عُذْرًا شَرْعِيًّا فِي هَذَا.

٣_ كَانَ عَلَيْهِمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يُقَابِلُوا الْقَتْلَ بِالْقَتْلِ أَلَّا يَقْتُلُوا إِلَّا الَّذِينَ

بِأَشْرُوهُ دُونَ سَائِرِ الْمَسْئُولِينَ، فَبِأَيِّ حَقٍّ اسْتَبَاحُوا دِمَاءَ الْجَمِيعِ؟!

وَلَوْ تَذَرَعُوا بِأَنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ تَمْيِيزِ الْمَسْئُولِ الْمُبَاشِرِ لِلْقَتْلِ عَنْ غَيْرِهِ، فَلَجَّؤُوا
إِلَى قَتْلِ الْجَمِيعِ، لَقُلْنَا: هَذَا ظَلَمٌ ذَرِيعٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَحْمِيلُ أَحَدٍ خَطَأً غَيْرَهُ؛

لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام ١٦٤].

وَمَا عَجَزُوا عَنْ قَتْلِ الْمَسْئُولِينَ لِحُجُورِهِمْ إِلَى الضَّعْفَاءِ مِنْ أَقَارِبِهِمْ: النَّسْوَانِ وَالْوَالِدَانِ، فَقَتَلُوا مَنْ ظَفَرُوا بِهِ، فَكَانَ ظُلْمًا مُضَاعَفًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ. فَأَيْنَ عَدْلُهُمْ وَهُمْ يُطَالِبُونَ حُكَّامَهُمْ بِدَوْلَةِ الْعَدْلِ؟!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة ٤٤].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٠٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْمُهْدَاةِ وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَتَفَرُّوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتِي رَجُلٍ كُلَّهُمْ رَامَ، فَاقْتَصَّوْا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلَّهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَثْرِبُ، فَاقْتَصَّوْا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمُ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوْا إِلَى فَدَدٍ^(١)، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: أَنْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ الْأَمِيرِ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ! لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ حُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ وَابْنُ دَثَنَةَ وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَأَوْتَقَوْهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ: هَذَا أَوَّلُ الْعَدْرِ، وَاللَّهِ! لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لِأَسْوَأَ

(١) أَي الرَّايَةِ الْمَشْرِفَةِ.

يريدُ القتلى، وجرّوه وعالجوه على أن يصحبهم، فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيّب
وابنِ دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيّباً بنو الحارث بن عامر
ابن نوفل بن عبد مناف^(١)، وكان خبيّب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر،
فلبت خبيّب عندهم أسيراً، فأخبرني عبّيدُ الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته
أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحدّ بها^(٢)، فأعارته، فأخذ ابناً لي
وأنا غافلة حتى أتاه، قالت: فوجدته مُجلّسه على فخذه والموسى بيده، ففرغت
فرعة عرّفها خبيّب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك،
والله! ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيّب، والله! لقد وجدته يوماً يأكل من
قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إنّه
لرزق من الله رزقه خبيّباً، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحلّ قال لهم
خبيّب: ذروني أرّكع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنّوا أن ما بي جزع لظولتُها،
اللهمّ أحصهم عدداً.

ولستُ أبالي حين أُقتلُ مُسلماً
على أيّ شقّ كان لله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يُبارك على أوصالِ شلو مُمزع^(٣)
فقتله ابن الحارث، فكان خبيّب هو سنّ الركعتين لكل امرئٍ مُسلمٍ قتل
صبراً، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أُصيب، فأخبر النبي ﷺ أصحابه
خبرهم وما أُصيبوا، وبعث ناس من كفّار قريش إلى عاصم حين حدّثوا أنّه قتل
ليؤتوا بشيء منه يُعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث

(١) أي أنّهم اشتروا خبيّباً.

(٢) أي ليحلق بها عانته.

(٣) أي أعضاء جسّد يُقطع.

على عاصمٍ مثل الظلَّة من الدَّبر^(١) فحَمَّتَه من رَسولهم فلم يَقْدروا على أن يَقْطَعوا من لحمه شيئاً.»

فأنت ترى أن خبيثاً ﷺ أخذ مظلوماً، ثم غدر به، ثم علم أنه مقتول، ثم مكَّنه الله من صبيٍّ لقوم أسروه بغير حق، فلم يحمله ذلك على قتله، قال ابن حجر - رحمه الله - في «الفتح» (٣٨٤/٧): «وفيه الوفاء للمُشركين

بالعهد والتورع عن قتل أولادهم»، فأين المشبوه من هذا الخلق الرفيع؟!

٤- هذه الفتوى مبنية على الظن؛ وذلك أن امتناع الدولة من قتل المسجونين من (مجاهديهم!) بمثل التهديد السابق مجرد تصور، فكيف يُبنى على الظن استباحة دماء أمة مسلمة معصومة الدم يقيناً؟!

قال الله تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام ١٤٨].

والحقيقة أن هذه الفتوى تدلُّ على أن صاحبها أحدُ رجلين :

- إما أنه سخيْفُ التفكير، ضَعيفُ العقل؛ إذ تَوَهَّم أنه - بقتله النساء والأطفال - يستطيع أن يَضْغَط على عدوِّه حتى يَكْفَهه عما هو فيه، وقد دلت التجربة وشهد التاريخُ على أن ذلك يزيدُه طغياناً وعُتُوًّا في الأرض وإتخانا في جراح المسلمين، وقد قيل:

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به
إلا الحماقةَ أَعْيَت من يُداويها

(١) أي مثل السحابة من الزنابير، وقيل: ذكور النحل؛ لتحميه من أن يُقطع شيء من جسده.

- وإما أنه محتالٌ يحتجُّ بأيِّ شيءٍ للوصول إلى مراده، والسترِ على جماعته، ولو باستخفافِ عقولِ قرَّائه!

وإذا كانت نتيجةُ هذا الفعل هي أن يزدادَ صاحبُ الطُّغيان طغياناً، فإنَّ صاحبه يَرجعُ مَوْزوراً، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام ١٠٨].

٥- إذا نظرنا إلى واقعِ البلادِ الجزائريَّة، وجدنا أنَّ عددَ المقتولين من نساءِ المسؤولين المرتدِّين - عندهم! - وأطفالهم قليلٌ جدًّا، لا تُحدثُ نكايَّة، ولا تصلحُ لحكايَّة، وإنما حصلَ الاغتيالُ الأكبرُ لنساءِ الشَّعبِ وأطفالهم، الأمرُ الَّذي يدلُّك - أخي القاريء! - على أنَّ هذه الفتوى عبارةٌ عن ذرٍّ للرَّمادِ في العيون، والأمرُ لله!

٦- ما هي نسبةُ المقتولين في السُّجون من قِبَلِ النَّظامِ إلى نسبةِ المقتولين من الذُّريَّة والنِّسوان من قِبَلِ الثُّوراء؟

والجوابُ معروفٌ؛ لأنَّ عددَ من قُتل من الأسارى محصورٌ بالنِّسبة لما يُقابلهم، ولكن لا يُعقل أن يقولَ عاقلٌ: (اقتلوا من شئتُم من الذُّريَّة والنِّسوان؛ حتى تتحرَّرَ البقيةُ الباقيةُ من الإخوان)؛ فهذا اعتداءٌ وإسرافٌ، قال اللهُ تعالى:

﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ [الإسراء

[٣٣].

٧- إنَّ في كلامِ المشبوهِ إيهاماً بأنَّ كلَّ من يُسجنُ يُقتل، وهذا غيرُ صحيحٍ، بل قتلُه أمرٌ ظنيٌّ؛ لأنَّه قد يعاقبُ بلا قتل، وقد يُحكمُ عليه بالإعدامِ ولا يُنفذُ فيه، وقد يُطلقُ سراحه، بل قد حصلَ لآلافٍ منهم ذلك كما هو معلوم،

فكيف يُبني تجويزُ قتلِ شعبٍ وترويعِ المستضعفين من النساء والولدان على أمرٍ ظني؟!؟

وبأيِّ حقٍّ تُذبحُ شرائحُ واسعة من الشعبِ يقيناً؛ لظنِّ أن فلاناً وفلاناً سيقتلون؟!؟

وإذا قُتل فلانٌ وفلانٌ، فبأيِّ عدلٍ يُقابل ذلك بغزو قريةٍ كلها؟!؟

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن أعظم الناس فريةً لرجلٍ هاجى رجلاً فهجى القبيلة بأسرها، ورجلٌ انتفى من أبيه وزنى أمه » أخرجَه ابنُ ماجه، وصحَّحه الألبانيُّ في « الصحَّحة » (٧٦٣).
والحقيقةُ أن هذه الفتوى نُزلت على غير محلِّها؛ لأنَّ الكلام هنا منصَّبٌ على حكم غزو القرى وتذبيح أهلها جميعاً بلا تمييز، كما فعلته الجماعةُ الإسلاميَّةُ المسلَّحةُ بالجزائر يقيناً بلا ريب، وليس هو من التترسُّ أو تبييت المشركين كما مرَّ.

وأما تحويلُ المسألة من هذه الصُّورة إلى صورةٍ تذيب عائلات المرتدِّين، فهو من اختراع المشبوه؛ لأنَّه لا واقع لها، إذ الذين قُتلوا من هؤلاء قليلٌ جداً بالنسبة إلى الغزو الوحشيِّ الجماعي.

ونحنُ لا نرى قتلَ هؤلاءِ ولا هؤلاءِ، ولكنني أحببتُ بيانَ الظلمِ الواضحِ عند مَنْ يُنادي برَفَعِ الظلمِ ورَفَضِ الضَّيمِ.

ثمَّ إنَّ توقُّفَ (المرتدِّين!) عن قتلِ المساجين إذا هُدِّدوا بقتلِ أهلهم أمرٌ ظنيُّ، وقتلِ نساءِ (المرتدِّين!) أيضاً أمرٌ ظنيُّ؛ لأنهم لا يصلون إليهم غالباً، فكانت الفتوى ظناً في ظنِّ، مع ذلك استحلَّت بها الدِّماءُ المعصومة، والأمرُ لله!

٨ - لقد قال المشبوهُ قولاً أبطلَ به فتواه من حيث لا يشعر، وذلك حين قال فيما سبق: « من المعلوم شرعاً أنّ إحياء المسلم أعظمُ شأنًا من قتل الكافر؛ فدفعُ المفساد وإبطالها خيرٌ من جلبِ المنافع، وقتلُ المسلم مفسدةٌ عظيمةٌ، وأمّا قتلُ الكافر فمصلحةٌ...!! ». »

قلت: وإذا أردنا أن نطرّد هذه القاعدة، قلنا: لا يجوزُ قتلُ المسلمين الذين تترسُّ بهم الكفار توصلًا إلى قتل الكفار؛ لأنَّ « مصلحة إحياء المسلم أعظمُ شأنًا من قتل الكافر » كما قال هو، إذا عادت قاعدته عليه بالإبطال، فتأمل! وليس من شأنٍ ههنا تبينُ حكم التترسُّ وما إليه، لكن الشأن في تبين تهافتِ أقوال هذا المشبوه، وأنَّ آخرها كفيلاً بنقض أولها، وهذا هو حال المتعلمين، الذين يستقلون بالفتيا، ولا يرفعون رأساً بعلم العلماء، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

ومما يوضح خطورة استباحة دماء النساء والولدان ما رواه ابن سَعْد في « الطبقات » (٩١/٢) والواقدي في « المغازي » (٣٩٤، ٣٩٢/١) وابن هشام في « السيرة » (٢٧٥/٢) أبو عوانة في « مسنده » (٢٢١/٤)، (٢٢٣-٢٢٢) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣٤-٣٣/٤) في قصة إرسال النبي ﷺ بعض أصحابه إلى أبي رافع اليهودي لقتله، وقد كان يؤدي النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه: « ... ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجلُ مناً يرفعُ عليها سيفه، ثم يذكرُ نهي رسول الله ﷺ فيكفُّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليلٍ ». »

قال ابن تيمية في « الصَّارم المسلول » (٢٥٨/٢) بعد هذه القصة: « وإنما ذكرنا هذا رفعا لوهم من قد يظنُّ أن قتل النساء كان مباحاً عام الفتح ثم حرم بعد ذلك، وإلا فلا ريب عند أهل العلم أن قتل النساء لم يكن مباحاً قط؛ فإن آيات القتال وترتيب نزولها كلها دليل على أن قتل النساء لم يكن جائزاً، هذا مع أن أولئك النساء اللاتي كنَّ في حصن ابن أبي الحقيق إذ ذاك لم يكن يطمع هؤلاء النَّفَرُ في استرقاقهنَّ، بل هنَّ ممتنعات عند أهل خيبر قبل فتحها بمدَّة، مع أن المرأة قد صاحت، وخافوا الشرَّ بصوتها، ثم أمسكوا عن قتلها لرجائهم أن ينكفَّ شرُّها بالتهويل عليها ».

فهذه قصة امرأة كافرة امتنع أصحاب رسول الله ﷺ من إصابة دَمِها، على الرَّغم من إحراجها لهم، ولذلك بَوَّبَ لها أبو عوانة في « مُسنده » (٢٢٠/٤) بقوله: « بيان حَظَرِ قَتْلِ النِّسَاءِ والصِّبْيَانِ فِي دَارِ الحَرْبِ والعَزْوِ ».

أبو قتادة يُعيدُ حجةَ ابن الأزرَقِ الخارِجِي!

نافعُ بنُ الأزرَقِ الحَنَفِي أبو رَاشِدِ الخارِجِي، خَرَجَ بالبَصْرَةَ في أَيامِ عبدِ اللهِ ابنِ الزُّبَيْرِ، كما في الخَطَطِ للمَقْرِيزِي (٣٥٤/٢).

قال البَلَاذِرِيُّ في «جَمَلٍ من أنسابِ قُرَيْشٍ» (١٤٦/٧): «وكتبَ نافعٌ إلى مَنْ بالبَصْرَةَ من الحُرُورِيَّةِ يَدْعُوهم إلى الجِهَادِ ... فلَمَّا أتاهم الكتابُ قال أبو بِيهَسِ هَيْصَمُ بنُ جَابِرِ الضَّبْعِيِّ بقَوْلِهِ: في أن الدَّارَ دارُ كُفْرٍ، والاسْتِعْرَاضِ (أي القَتْلِ) مباحٌ، وإن أُصِيبَ الأَطْفَالُ فلا حَرَجَ على مَنْ أصابهم!!»

قلتُ: ها هو مذهبُ صاحبِ مَقالَتِنَا كما مرَّ، فَقَدَ قالَ بأنَّ ديارَ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ كُلُّها ديارُ كُفْرٍ؛ لأنَّ حُكَّامَها كُفَّارٌ عنده، وقالَ بإباحةِ القَتْلِ وإن أُصِيبَ الأَطْفَالُ والنِّساءُ، ومنه قولُهُ في مجلَّةِ الأنصارِ، العدد (٩٠)، في (ص ١٠)، بتاريخ: (٢٩ شوال ١٤١٥هـ)، الموافق لـ (٣٠/٣/١٩٩٥م) وقد تقدَّم تصويرُهُ: «والخطابُ هنا لمن آمَنَ واعترفَ أنَّ جهادَ هذه الطوائفِ الحاكمةِ لبلادنا هو تحتَ بابِ قِتالِ المرتدِّينَ وجهادهم، وأنَّ ما وقعَ في عصرِ الصَّحابةِ من قِتالِ مُسَيْلِمَةَ وسَجَّاحٍ ومن معهما هو نفسُ قِتالِ المجاهدينَ في الجزائرِ لطائفةِ الرِّدَّةِ الحاكمةِ، وأنَّ مخرَجَهُما واحدٌ، لا يفترقُ في نَقيرٍ أو قَطْميرٍ!».

وقالَ فيه أيضاً (ص ١١): «أنَّ يُرمَى المرتدُّونَ بِآلاتٍ فيها موادُّ مُتفجِّرةٌ تُقتلهم هم وأبناؤهم ونساؤهم، وهذه حالةٌ ذُكرتْ في كُتُبِ أهلِ العِلْمِ بالجواز!!».

قلتُ: هذا واحدٌ من الأدلَّةِ على أنَّهم يُقاتلونَ المجتمعاتِ الإسلاميَّةَ حُكَّاماً ومُحكومينَ على أساسِ تَكفيرهم.

وقد كان الأزارقة يقتلون أطفال مخالفيهم حتى لا يكثر سوادهم، قال العسكري في « الأوائل » (ص ٣٦٧): « ثم تأول نافع بن الأزرق قول الله تعالى: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝۱۶ ﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا ۝۱۷ ﴾ [نوح ٢٦-٢٧]، تأول هذه الآية على أن قتل الأطفال وبقر النساء على الأجنة حلال، فلما أظهر ذلك فارقهُ طائفة من أصحابه ثم قُتل ... « !!

وانظر « الكامل » للمبرد (٢/٢٨٤ - ٢٨٥، ٢٨٨)، وكتاب « جمل من الأنساب » للبلاذري (٧/١٤٤)، وقارن بينها وبين قول المشبوه في خطبته المشار إليها: « فهل قتل أولئك النساء والأطفال - حتى لا يدفع الشر عن المسلمين، عن المسلمات - الذين يفجر بهم أولئك الكفار المرتدون إلا بقتل أبنائهم والتهديد بهم؟! هل هذه المسألة؟ دعني أقول لكم: ألا يبقى فيها شبهة قوية بجوازها؟! ألا يبقى شبهة قوية بجواز الوصول إليها؟! ».

إذا فهو يقتلهم حتى لا يفجر بهم الذين سُمّاهم: كفاراً مرتدّين!!

ولهذا لما أراد ابن الأزرق أن يستدلّ لقتله الأطفال بقصة الخضر مع الغلام، بين له ابن عباس بأن ذلك جائز إذا كان يُميّز الطفل الذي يصير مؤمناً من الذي يموت كافراً؛ وذلك على سبيل التعجيز له، ففي صحيح مسلم (١٨١٢) أن ابن عباس رضي الله عنه قال له: « وسألت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل من صبيان المشركين أحداً؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل منهم أحداً، وأنت فلا تقتل منهم أحداً، إلا أن تكون تعلم منهم ما علم الخضر من الغلام حين قتله! »، وفي رواية: « وتُميّز المؤمن؛ فتقتل الكافر وتدع المؤمن!! »، قال ابن القيم - رحمه الله - في « أحكام أهل الذمة » (٢/٥٧٧): « فإذا رأيت الصَّغير بين أبوين مسلمين حكمت له بحكم الإسلام في الموارث والصلاة

وكلُّ أحكامِ المسلمين، ولم يعتدَّ بفعلِ الخضر؛ وذلك لأنه كانَ مخصوصاً
بذلك لما علّمه اللهُ من العلمِ الخفيِّ، فانتَهَى إلى أمرِ اللهِ في قتله.»

ومما ينبغي التَّنبيهُ له أنَّ حُجَّةَ ابنِ عباسِ هذه هيَ نَفْسُها التي نَتَلُوها على
المشبوهِ؛ لأنَّ ابنَ الأزرقِ استحلَّ دماءَ الأطفالِ إذا أُصيبوا في القتالِ كما مرَّ في
أوَّلِ هذا البابِ، وكذلك قال المشبوهُ، وقد مرَّ، فتأمَّلْ كيفَ تشابَهَت قُلُوبُهُم!

أبو قتادة يجيز

قتل النساء والأطفال قصداً ولو لم يُقاتلوا

لم يقف إجرام المشبوه عند حدٍّ جواز قتل النساء والأطفال من غير قصد إذا اختلطوا بالعدو، بل تعداه إلى جواز تقصُّد قتلهم رأساً؛ طلباً للضغط على الجيش بذلك، قال في مقاله السابق (ص ١٢): « وقد جاء في الحديث - كما سيأتي - جواز الهجوم على الذرية والنساء؛ حتى ينخذل الكفار ويتشتت أمرهم، فتتوسع دائرة المعركة، فتسهل هزيمتهم؛ وذلك يجزعههم على أبنائهم ونسائهم، وبتفرُّقهم من أجل حمايتهم، فقد روى البخاري في صحيحه في قصة الجاسوس الخزاعي الذي أرسله ليكتشف له شأن قريش، وهو قادمٌ للعمرة، وذلك في قصة الحديبية، فأخبره الجاسوس أن قريش (كذا) جمعت له حلفاءها من المقيمين حول مكة لزيارة البيت، فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه قائلاً: (أشيروا عليّ: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فُنصبيهم؛ فإن قعدوا قعدوا موثورين محروبين، وإن لم يجيئوا تكن عنقاً قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت، فمن صدنا قائلناه؟) انتهى، هذا لفظ عبد الرزاق في مُصنِّفه، وقد رواه البخاري في صحيحه بألفاظٍ مُقاربة، ففي الحديث جواز اتِّخاذ الذرية والنساء وسيلةً لضغط على المشركين لتوهين أمرهم وتفريق جمعهم؛ فإنَّ النبي ﷺ أراد الهجوم على النساء والذرية حتى يُفَرِّق الحلفاء من حول قريش.

بهذا يتبين أن ما فعلته (الجماعة الإسلامية المسلحة) من تهديد ذرية ونساء المرتدِّين بالقتل من أجل تخفيف وطأهم على النساء والمساجين والإخوان هو عملٌ شرعيٌّ لا شبهة فيه!!!».

النقد:

١ - هذا ظلمٌ بين، في كلامٍ لَيْنٍ؛ وإلاً فلا أدري لماذا عدل هنا عن التعبير بالقتل إلى التعبير بـ « التَّهْدِيدِ » فقط، وقد صرَّح في بحثه كله بأن الجماعة المذكورة قامت بالغزو الجماعي لديار المسلمين؟!!

٢ - أين هي شرعية الجهاد في الجزائر حتى يُبنى عليها هذه الفروع الإجرامية؟!!

وَيَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْبَحْثُ فُرُوعٌ أُخْرَى يُدْنِدُنُ حَوْلَهَا الْيَوْمَ (الجهاديون!) من غير مُرَاعَاةٍ لِأَصْلِ الْمَسْأَلَةِ، وَمِنْ هَذِهِ الْفُرُوعِ قَوْلُهُمْ:

- هل الاغتيالات جائزة؟ فيجيبون بلا مُعَانَاةٍ: لَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِاِغْتِيَالِ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ الْيَهُودِيِّ!

- هل يجوزُ تفجيرُ البلاد الكافرة وقد يكونُ فيهمُ مُسْلِمُونَ؟ فيجيبون بلا مُبَالَاةٍ: قَدْ رَمَى النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ بِلا تَمِيِزٍ!

- هل العمليّات الانتحاريّة جائزة؟ فيجيبون بلا مُرَاعَاةٍ: قَدْ اقْتَحَمَ الْبِرَاءُ بْنُ مَالِكٍ عَسْكَرَ الْعَدُوِّ!

- بَلْ وَصَلَ بِهِمُ الضَّلَالُ إِلَى الْقَوْلِ بِجَوَازِ اخْتِلَاسِ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ وَسَبْيِ نِسَائِهِمْ؛ اسْتِدْلَالًا بِفِعْلِ أَبِي بَصِيرٍ ﷺ لَمَّا كَانَ يُغَيِّرُ عَلَى قَوَافِلِ قُرَيْشٍ!!!

وَالْجَوَابُ الْجَامِعُ لِهَذِهِ الْفُرُوعِ يُعَلِّمُ مِنَ الْجَوَابِ عَلَى السُّؤَالِ الْآتِي: مَتَى كَانَتِ الْاِغْتِيَالَاتُ وَالْعَمَلِيَّاتُ الْفِدَائِيَّةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا: أْبَعَدَ مَشْرُوعِيَّةُ الْجِهَادِ أَمْ قَبْلَهُ؟

وَمَتَى كَانَ أَبُو بَصِيرٍ يُغَيِّرُ عَلَى الْقَوَافِلِ: أْبَعَدَ مَشْرُوعِيَّةُ الْجِهَادِ أَمْ قَبْلَهُ؟ وَبِتَعْبِيرٍ آخَرَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ مُسْتَضْعَفٌ فِي

مكة؟

والجواب معروفٌ عند مَنْ لديه أدنى اطلاعٍ على سيرة الرسول ﷺ وجهاده، ولا أظنُّ عاقلاً يتصورُ المسلمين اليومَ أقوياءَ وهم يستوردون الإبرة من عدوِّهم، واللهُ المُستعان.

بل إنَّك لتسألُ هذه الجماعاتِ التَّكفيريةَ: لماذا تعيشونَ في بلاد الكُفْر؟ فيجيبونك بقولهم: لأننا مُستضعفونَ في بلادنا .. لا نجدُ حريتنا .. لا نعبُدُ اللهَ على راحتنا...

إذاً فهي شهادةٌ منهم على أنَّهم مُستضعفونَ، بل ستجدُ - فيما يأتي إن شاء الله - شهادةَ المشبوه على نفسه بأنَّه خرجَ من بلده؛ لأنَّه عجزَ عن الجهادِ فيها!! والحقُّ أنَّ هذه المسائلَ مبنيةٌ على أصلٍ مشروعٍ القتال؛ لأنَّ القتالَ إذا شرعَ تفرَّعَ عنه ما سبقَ إقداماً أو إحجاماً، فلا تتباحثُ مع أصحابِ هذا الطَّرْحِ مسائلهم تلكَ إلاَّ بعدَ تصحيحِ أصلها؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ - الذي أخذتَ عنه أحكامُ الجهاد - لم يكن يغتالُ أو يُفجرُ أو يُجيزُ العمليَّاتِ الانتحاريةَ أيامَ الاستضعافِ.

ونسألُ أولئك أيضاً: كيفَ يتصرَّفُ المسلمُ تجاهَ مَنْ يُؤذيه إذا كان مُستضعفاً، بل تجاهَ مَنْ يُؤذي اللهَ ﷻ ورسوله ﷺ؟

الجوابُ: قال ابنُ تيمية - رحمه الله - في « الصَّارمِ المُسئِلِ » (٤١٣/٢): « فَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَرْضٍ هُوَ فِيهَا مُسْتَضْعَفٌ، أَوْ فِي وَقْتٍ هُوَ فِيهَا مُسْتَضْعَفٌ، فَلْيَعْمَلْ بِآيَةِ الصَّبْرِ وَالصَّفْحِ عَمَّنْ يُؤْذِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمَشْرِكِينَ... ».

فدلَّ هذا على أنَّ آياتِ القتالِ تكونُ ناسخةً لآياتِ الصَّبْرِ عندَ وجودِ القوَّةِ،

وليسَت ناسِخةً لها مُطلقاً، ولذلك قال بعد كلامه هذا مباشرةً: « وأما أهلُ القوَّة فإنَّما يَعْمَلُونَ بآيةِ قتالِ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزِيَةَ عَن يَدِ وَهْمِ صَاغِرُونَ ».

وَإِذَا سَأَلْتَ عَنِ الدَّلِيلِ، أَجَابَكَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ نَفْسُهُ بِقَوْلِهِ فِي المِصْدَرِ السَّابِقِ (٢/٢٠٨): « الرَّابِعُ: أَنَّ المِسلِمِينَ كَانُوا مُتَوَعِّينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَفِي أَوَائِلِ الهِجْرَةِ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ بِالْقِتَالِ، وَكَانَ قَتْلُ الكُفَّارِ حِينَئِذٍ مُحَرَّمًا، وَهُوَ مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ﴾ [النساء ٧٧] ».

قُلْتُ: هَا أَنْتَ الْآنَ - أَخِي الْقَارِيءُ! - بَيْنَ عِلْمٍ وَدَلِيلٍ، وَمَنْ فَضَّلَ اللهُ عَلَيْكَ أَنْ وَفَّقَ لَكَ هَذَا الرَّاسِخَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَصْغِحْ لِلْعِلْمِ، وَأذْعَنْ لِلدَّلِيلِ، وَاعْرِفْ لِأَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ قَدْرَهُمْ، وَأَنَا أَكْرَرُ هَذَا دَائِمًا لِيَرَسِخَ؛ وَلِأَنَّهُ خِلَاصَةُ الكَلَامِ فِي مِبَاحِثِ الجِهَادِ، وَإِنْ رُمْتَ تَفْسِيرَ ذَلِكَ زِدْتِكَ مِنْ كَلَامِهِ قَوْلَهُ عَقِبَهُ مِبَاشِرَةً: « وَلِهَذَا أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ نَزَلَ بِالْإِبَاحَةِ، بِقَوْلِهِ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ ﴾ [الحج ٣٩]، وَهَذَا مِنَ الْعِلْمِ الْعَامِّ بَيْنَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَبُعِيدَهَا مُنْعَوًّا عَنِ ابْتِدَاءِ القِتَالِ وَالْقِتَالِ، وَلِهَذَا قَالَ لِلْأَنْصَارِ الَّذِينَ بَايَعُوهُ لَيْلَةَ العَقَبَةِ لَمَّا اسْتَأْذَنُوهُ فِي أَنْ يَمِيلُوا عَلَى أَهْلِ مَنَى: (إِنَّهُ لَمْ يُؤْذَنَ لِي فِي القِتَالِ)^(١)، وَكَانَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ

(١) عَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: « كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبِرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَبَاعَ القَوْمُ، فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ العَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتِ سَمْعَتِهِ قَطُّ: يَا أَهْلَ الجِبَابِجِ! هَلْ لَكُمْ فِي مُدْمَمِ وَالصَّبَاةِ مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللهِ، هَذَا أَرْبُ العَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَرْيَبِ،

اسْمَعُ عَدُوَّ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ! لِأَفْرَغَنَّ لَكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْفَضُوا (أَيِ اذْهَبُوا وَتَفَرَّقُوا) إِلَى رِحَالِكُمْ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عِبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ! لَنْ شِئْتَ لَنْمِيلَنَّ غَدًا عَلَى أَهْلِ مَنَى بِأَسْيَافِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ تُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ، قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى مَضَاجِعِنَا، فَمَنَّا عَلَيْهَا حَتَّى أَصْبَحْنَا...» أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيَرَةِ» (٢٩٧/٢) وَابْنُ سَعْدٍ (٢٢٣/١) وَأَحْمَدُ (٤٦١/٣) وَالْفَاكَهِيُّ فِي «تَارِيخِ مَكَّةَ» (٢٣٨/٤) وَابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَارِيخِهِ» (٤٦٤-٤٦٥/٢) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ الثُّبُوتِ» (٤٤٤-٤٤٩/٢)، وَهُوَ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ مَعْبَدَ بْنَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ تَابِعَهُ جَمْعٌ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ.

وَفِي «مَعْجَمِ مَا اسْتُعْجِمَ» لِلْبَكْرِيِّ (٣٦١/١) فِي مَعْنَى الْجَبَابِجِ: «قَالَ الْحَرَبِيُّ: هِيَ مَنَازِلُ مَنَى»، وَفِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» لِابْنِ قُتَيْبَةَ (١٧٩/٢): «قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَلَا أَحْسَبُهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْكُرُوشَ (أَيِ كُرُوشَ الْأَضْحَى) تُلْقَى فِيهِ أَيَّامَ الْحَجِّ، وَالْكُرُوشُ يُقَالُ لَهَا الْجَبَابِجُ، وَاحِدُهَا جَبَجِبَةٌ يَفْتَحُ الْجَيْمَيْنِ، فَسُمِّيَ الْمَكَانُ بِهَا لِكَثْرَتِهَا فِيهِ».

وَفِي «الْمَعْجَمِ» أَيْضًا (ص ٣٦٢) عَنِ الْحَرَبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «وَالجَبَابِجُ: الْمُسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِحَزُونَةٍ»، وَكَذَلِكَ هِيَ أَرْضُ مَنَى. وَأَمَّا كَلِمَةُ (مَذْمَمٌ) فَإِنَّ مَعْنَاهَا الْمُبَالِغَةُ فِي الدَّمِّ، يَقْصِدُونَ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ، قَالَ ابْنُ حَجَرَ فِي «الْفَتْحِ» (٥٥٨/٦): «كَانَ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ كِرَاهِيَتِهِمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ لَا يُسْمَوْنَ بِاسْمِهِ الدَّلَّ عَلَى الْمَذْحِ، فَيَعْدِلُونَ إِلَى ضِدِّهِ، فَيَقُولُونَ: مُذَمَّمٌ!». وَأَمَّا الصَّبَاةُ، فَإِنَّهُ جَمْعُ الصَّبَائِ خُفِّفَتْ هَمْزُهُ، وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ، وَيَقْصِدُونَ بِذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ، انْظُرْ «لِسَانَ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: صِبَاءٌ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَحْرِصُ عَلَى اسْتِفْزَازِ الْكُفَّارِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، إِذَا كَانَ هَوْلًا ضَعْفًا، وَأَنَّهُ يَفْرَحُ لِتَحَرُّكِ الْمُسْلِمِينَ لِمُوَاجَهَةِ عَدُوِّهِمْ فِي وَقْتِ الضَّعْفِ إِذَا اسْتَفْزَرُوا بِتَعْدِيبٍ وَنَحْوِهِ؛ كَيْ لَا يَتِمَكَّنُوا مِنَ التَّقْوِيِّ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ لِأَنَّ السَّلْمَ يَخْدُمُ الدَّعْوَةَ خِدْمَةً عَظِيمَةً، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَبُولِ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاحَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلْيَتَأَمَّلْ هَذَا الْمُتَعَجِّلُونَ الْمُتَحَمِّسُونَ لِرَدِّ

لم يُؤمروا بالقتال، كَنُوحٍ وَهُودٍ وَصَالِحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى، بل كَأَكْثَرِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ
لأنبياءِ بني إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا هَاجَرَ لَمْ يُقَاتِلْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِ
أَحَدٍ مِنْ رُؤُوسِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَجْمَعُونَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَلَا مِنْ
غَيْرِهِمْ.»

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْلَ بِمَشْرُوعِيَّةِ الْجِهَادِ أَوْ عَدَمِهِ غَيْرُ مَتْرُوكٍ لِلْمَجَاهِلِ، بَلْ وَلَا
لِلثَّقَاتِ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، بَلْ جَعَلَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
خَاصًّا بِخَوَاصِّهِمْ، فَقَدْ قَالَ فِي « مِنْهَاجِ السُّنَّةِ » (٤/٥٠٤): « وَفِي الْجُمْلَةِ
فَالْبَحْثُ فِي هَذِهِ الدَّقَائِقِ مِنْ وَظِيفَةِ خَوَاصِّ أَهْلِ الْعِلْمِ »، فَأَيُّ عَارٍ يَلْحَقُ مَنْ
اسْتَجَابَ لِذَلِكَ وَهُوَ يَسْمَعُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ ﴾ [النساء ٨٣]!؟

وهذا الجوابُ كافٍ في حقيقته لتوقيف مُباحثة تلك المسائل مع صاحبها، مع
ذلك فَإِنِّي أَتَنَفَّلُ بِالْأَجُوبَةِ الْآتِيَةِ:

اسْتَفْزَازَ الْأَعْدَاءِ؛ مَتَوَهِّمِينَ أَنَّ مُوَاجَهَتَهُمْ - فِي هَذَا الظَّرْفِ - تَكْفُ شَرِّهِمْ أَوْ تُخَفِّفُهُ
أَوْ تُثَبِّتُ وُجُودَهُمْ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِمُ الْعَصْرِي، مَعَ أَنَّ الْوَاقِعَ يُكْذِبُ ذَلِكَ.
وَقَدْ كَانَ وَجُودُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي حَفِظَ اللَّهُ بِهَا تِلْكَ
الْعُصْبَةَ الْمُؤْمَنَةَ ﷺ؛ يَدْفَعُ عَنْهُمْ - بِحِكْمَتِهِ - الْحِمَاسَةَ الرَّائِدَةَ، وَلِذَلِكَ لَمَّا صَدَّقَ
الْمُشْرِكُونَ الشَّيْطَانَ إِذْ صَاحَ بِهِمْ، أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَوَجَدُوهُمْ نَائِمِينَ،
فَنَامَتِ الْفِتْنَةُ، وَحُفِظَتِ الْعُصْبَةُ الْمُؤْمَنَةُ، وَلَوْ حَصَلَ مِثْلُ هَذَا الْاسْتَفْزَازِ الشَّيْطَانِيِّ لَبَنِي
جَلَدَتْنَا الْيَوْمَ لِأَقْرَبِ عَيْنِ الشَّيْطَانَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَصْحَابًا لَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ،
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا كُنَّا فِي عَزٍّ وَنَحْنُ مُشْرِكُونَ، فَلَمَّا آمَنَّا صَرِينَا أَذْلَةً، فَقَالَ:
« إِنِّي أَمَرْتُ بِالْعَفْوِ، فَلَا تُقَاتِلُوا » رَوَاهُ التَّسَائِي وَهُوَ صَحِيحٌ.

٣_ من العجائب أن يقيس المشبوه النساء المسلمات والأطفال المسلمين على النساء الكافرات والأطفال الكفار، وهذا دأبه في كل ما تجرأ فيه على هؤلاء الأبرياء، والله تعالى يقول: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص ٢٨].

٤_ لا بد أن لا ينسى القاريء أن المشبوه استدلل بهذه القصة لتسويغ قتل النساء والأطفال في الجزائر، مع أنه ليس في شيء من روايات الحديث أنه ﷺ أراد قتل هؤلاء النساء والأطفال كما أوهم المشبوه، وإنما هو السببي فقط، ولذلك قال ابن حجر عند شرحه (٣٥٢/٥): « وفيه أشياء تتعلق بالجهاد، منها جواز سبي ذراري الكفار إذا انفردوا عن المقاتلة، ولو كان قبل القتال ». والفرق بين القتل والسبي كالفرق بين الموت والحياة.

٥_ أن في الرواية بياناً لسبب استحقاق هؤلاء لهذه العقوبة، وهو أنهم كانوا تمالؤوا مع كفار قريش على حرب النبي ﷺ وأصحابه، كما في رواية البخاري (٤١٧٨، ٤١٧٩) وعبد الرزاق (٩٧٢٠) وأحمد (٣٢٨/٤) واللفظ له، وابن حبان (٤٨٧٢) والطبراني (١٣/٢) والبيهقي (١٧١/٧) و(١٠٩/١٠) وغيرهم، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - يُصدّق كل منهما حديث صاحبه - قالاً: « خرج النبي ﷺ زمان الحديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله ﷺ الهدى وأشعره، وأحرّم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريب من عسفان أتاه عينه الخزاعي، فقال: إني قد تركت كعب

ابن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش^(١)، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ: أترون أن غيل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؛ فإن قعدوا قعدوا موثورين محروبين^(٢)، وإن يحنون تكن عنقاً قطعها الله، أو ترون أن تؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم يا نبي الله! إنما جئنا مُعتمرين ولم نجئ نقاتل أحداً، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: فرؤحوا إذاً».

قال ابن تيمية - رحمه الله - في « منهاج السنة » (٣٩١/٨): « ففي الحُدَيْبِيَّة لما شاورهم علي أن يُغِير علي ذرِيَّة الذين أعانوا قريشاً أو يذهب إلى البيت، فمن صدّه قاتله»، وقال ابن حجر في « الفتح » (٣٣٤/٥): « المراد أنه ﷺ استشار أصحابه: هل يخالف الذين نصرنا قريشاً إلى مواضعهم فيسبوا أهلهم؛ فإن جاؤوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم وانفرد هو وأصحابه بقريش، وذلك المراد بقوله: (تكن عنقاً قطعها الله)، فأشار عليه أبو بكر الصديق بترك القتال والاستمرار على ما خرَج له من العُمرة حتى يكون بدء القتال منهم، فرجع إلى رأيه».

(١) قال ابن تيمية في « منهاج السنة » (٤٠٧/٨-٤٠٨): « الأحابيش: وهي الجماعات المستجمعة من قبائل، والتجيش: التجمع».

(٢) قال السُّنْدِي في شرحه على « المسند » كما في طبعة الرسالة (٢٥٤/٣١): « موثورين: أي منفردين عن الأهل والمال، محروبين: أي مسلوبين منهوبي الأموال والعيال».

وَحْشِيَّةُ الْأَكْبَادِ الْغَلِيظَةِ:

قَتَلَ وَالِدَيْهِ لِأَنَّهِنَّ كَانَا يَنْوِيَانِ تَرْوِيحَ أُخْتِهِ مِنْ شُرْطِيٍّ!!
 لَا يَزَالُ التَّسَلُّسُلُ الْإِجْرَامِيُّ بِأَعْدَاءِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ مُمْتَدًّا الْجَبَلُ إِلَى دَمِ آخِرِ
 آدَمِيٍّ تَصَلُّهُ أَيْدِيهِمْ، فَقَدْ نَشَرَتْ مَجَلَّةُ الْأَنْصَارِ، فِي عَدَدِهَا (١٤٧)، فِي (ص ٤)،
 بتاريخ: (الخميس ١٤ من ذي الحجة ١٤١٦هـ)، الْمُوَافِقُ لـ (٢/٥/١٩٩٦م) صُورَةَ مَقَالٍ مِنْ مَجَلَّةِ الْقِتَالِ، الَّتِي تُصَدِّرُهَا الْجَمَاعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُسَلَّحَةُ
 بِالْجَزَائِرِ، فِي عَدَدِهَا (٣٢)، وَهِيَ التَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ، تَحْتَ عُنْوَانٍ:
 « كَلِمَةُ الْعَدَدِ: هَكَذَا لَيْكُنَ الْجِهَادُ .. إِحْيَاءُ لِسِيرَةِ السَّلَفِ!!»، وَيَقْصِدُونَ
 بِذَلِكَ قَتْلَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى أَسَاسِ (الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ!) كَمَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِمْ
 غُلُوبُهُمْ، وَكَانَ مِمَّا قَالُوهُ: « لَقَدْ وَصَلَ أَفْرَادُ الْجَمَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى دَرَجَةِ نَحْمَدُ
 اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهَا بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ وَأَعْوَانِهِمْ، حَتَّى لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ؛
 وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِ فَهْمِهِمْ لِعَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَالتَّشْبِيهِ بِسِيرَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم،
 فَإِنَّ بَعْضَ عَمَلِيَّاتِ أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ فِي تَطْبِيقِ حُكْمِ اللَّهِ فِي الْمُرْتَدِّينَ وَأَعْوَانِهِمْ
 كَانَتْ ضِدًّا لِآبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، فَفِي بَوْقَرَّةٍ^(١) قَامَ شَابٌّ مِنْ أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ
 بِتَطْبِيقِ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَالِدَيْهِ؛ بَعْدَ مَا رَفَضَا حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ
 بِقَبُولِهِمَا بِتَرْوِيحِ أُخْتِهِ إِلَى رَجُلٍ مَلِيشِيٍّ!!!

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَا فِيْنَا سِيرَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا
 يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا
 آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
 وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

(١) منطقة قرية من عاصمة الجزائر.

رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿المجادلة ٢٢﴾.

فهذه خيراتُ الجهاد، وهذه هي آثارُ نعمةِ الله تعالى على عباده إن سلكوا
سبيلَ الأوائِلِ في اتِّباعِ الكتابِ والسُّنَّةِ !!! «.

صورة البيان السابق

تلخية العدد

كفداً ليكن الجهاد ..
إحياء أسيرة السلف

بعد أن بقي الصف وتميزت المسلمون وبدأت تظهر بوادر معركة حفاق القرى والمدن ، وخلصها إلى نصرته
المجاهدين أو دخولهم في دين الطاغوت وانضمامهم إلى الطغشيات فمن المعركة على أرض الجرائر تزداد قوة وخبرة ،
والأحداث التي يعيشها جنود الإسلام في الجماعة الإسلامية المسلحة تليق بهذا الأمر بصورة جلية واضحة ، وهي
متحققة حقيقة عند من عاينها أو من آمن بالجهاد وأثاره الطيبة على حياة المسلمين . ويستحق في عالم الضراقات في
أزمان المرجفين وأصحاب المذاب البهيمية .. بالجهاد بكرم الله أرقام ويرفع درجاتهم ويكشف مكنونات قلوبهم بسمة
الخير وأهل ، والجهاد ورجاله ..

ففي منطقة بوقرة منذ الطاغوت ، أهل البلدة بالجلاء لأنه سوق صلب المجاهدين . وكان فيمن همد سيقاً طامناً في السن
وزوجه قاضي الخروج والانصياع لأوامرهم وأجابه بنفسه الواثق بصوب ما عليه أهل الجهاد وأن المرف معهم رحمة من
الله تعالى ، قال الشيخ : « لا أن أخرج بل إن شاء الله أموت في وسط الرجال » .

بعد أن تصف الطاغوت المنطقة بصواريخ قرانيا لينة العيد وصيبتها كان هذا الشيخ فيمن له ربه هو وزوجه . وقد
قتل الطاغوت مجموعة من المسلمين العزل ومنهم 14 طفلاً صغيراً كانوا يلعبون بأرضة بيوتهم ، وأثت امرأة عجوز .. قلعة
الله على الظالمين ورحم الله المسلمين .

- وفي الجنوب ، وفي الصحراء - كانت معركة وأي معركة فقد كمن أسود الإسلام ثلاث مشاهدات للطاغوت المرقد وبعد أن
جلت المعركة عن نصر الله لعباده كانت آثارها تروية من آثار بدر الكبرى فقد قتل السجامون خمسين جندياً من جنود
الفاشيت وبنمو ما شاء الله لهم من الفاتح . فلا تامة أعين الجبهة ، وهي معارك لو رجعت عند الأرائل لسجلها في
قواريرهم وأيامهم ، فبين أهل الإسلام .

- أما تفاصيل خبر الجائرة والذي تقدم ذكره في عهد القتال المتدقيق فقد قتل في الجائرة عقيد وهو أجنبي مرند وقد
تشرعت كتية المساعدة التابعة للجماعة بتحصين ثمارها وأصايب غيرها . وقد أصيبت طائرة أخرى ولجنت إلى الفرار ونزلت
قرباً اضطراباً ، وقد أطلق الطاغوت المرقد كل الطرق المؤدية إلى الصحراء .

- لقد وصل أفراد الجماعة الإسلامية المسلحة إلى درجة حمد الله تعالى عليها بالجائرة من المرتدين وأعدائهم حتى لو
كانوا أباهم وأخوتهم وما ذلك إلا بسبب فهمهم لعقيدة السلف الصالح والتشبه بسيادة الصحابة رضي الله عنهم . فإن
بعض عمليات أفراد الجماعة في تطبيق حكم الله في المرتدين وأعدائهم كانت ضد أبائهم وأخوانهم ، وهي بوقرة قام شباب
من أفراد الجماعة بتطبيق حكم الله تعالى في وأبويه بعدما رفضا حكم الله تعالى وذلك بقولهما تزويج أخته إلى رجل
عاشقي ، فاحمد لله الذي أحيا لنا سيرة سلف الأئمة الصالح « لا نجد لوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يأتون من
خارج الله ويؤمنون به وما علوا أبائهم أو إبنائهم أو أخوتهم أو عشيرتهم (ولكنه كتب في قلوبهم الأيمان واليهم
ببؤر منه وبخلافهم حنك تجدي من نعمتها الأنهار فإلهين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله أولئك
حزب الله هم المحلبسون » .

منه في خيرات الجهاد وهذه هي آثار نعمة الله تعالى على عباده إن سلكتوا سبيل الأرائل في اتباع حدي الكتاب
والسنة .



إنَّ دافعَ هذه الفَرْحة التي غَمَرَت أصحابَ هذه القلوب الحجرية هو الولاءُ والبراءُ كما يتوهَّمونه، وقد مرَّ بنا نقلُ تَرْكِيَةِ أَبِي قَتَادَةَ لثَوْرَةَ هَوْلَاءِ حينَ قال في خُطْبَتِهِ: « الجِهَادُ الواضِحُ أَنَّ الجَزائِرِيَّ يَقْتُلُ الجَزائِرِيَّ! لماذا يَقْتُلُهُ؟ لأنَّ هَذَا جُنْدُ اللَّهِ، وهَوْلَاءُ جُنْدُ الطَّاغُوتِ! أَرَأَيْتُمْ في هَذَا الوَقْتِ جِهَاداً بِمِثْلِ هَذَا الوُضُوحِ؟! ». »

إنَّ أيَّ عَسْكَرِيٍّ يُعَدُّ عِنْدَهُمْ كَافِراً، وَمِنْ ثَمَّ حَرْمُ تَزْوِيجِ المَرَأَةِ مِنْهُ، وَمَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ عِنْدَهُمْ وَأَرَادَ أَنْ يُحْيِيَ (سيرة السَّلَفِ!) قَتْلَ وَالِدِيهِ إِذَا خَالَفاً هَذَا الحُكْمَ، كما تَرَى!

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « أَوْ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرِّحْمَةَ؟! » متفق عليه.

والحقيقةُ أنَّ بعضَ الخَوارجِ أخَفُّ ضَرراً مِنْ هَوْلَاءِ الأَجْلَافِ، فقد ذَكَرَ الإمامُ أبو الحَسَنِ الأشْعَرِيَّ في « مَقالاتِ الإِسْلامِيِّينَ » (١/١٨٩) عَنِ الضَّحَّاكِيَّةِ - فرقةُ مِنَ الخَوارجِ - أَنَّهُم: « أَجَازُوا أَنْ يُزَوِّجُوا المَرَأَةَ المُسَلِمَةَ عِنْدَهُمْ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِمْ فِي دارِ التَّقِيَّةِ، كما يَسَعُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ المَرَأَةَ المُسَلِمَةَ عِنْدَهُمْ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِمْ فِي دارِ التَّقِيَّةِ، فَأَمَّا فِي دارِ العِلانِيَّةِ - وقد جازَ حُكْمُهُمْ فِيها - فَإِنَّهُمْ لا يَسْتَحِلُّونَ ذَلِكَ فِيها! »

لماذا يغزون قرى المسلمين في الجزائر؟

جاء في المقال السابق قولهم في أوله: « بعد أن نُقِيَ الصَّف، وتمايزت الصُّفوفُ، وبدأت تظهر بوادرُ معرفة حقائق القرى والمدن، وخلصها إلى نُصرة المجاهدين أو دخولهم في دين الطَّاغُوت، وانضمامهم إلى الميليشيات، فإنَّ المعركة على أرض الجزائر تزدادُ قوَّةً وضراوةً...!! ».

النقد:

١- هذا وصفٌ صريحٌ من الجماعة الإسلامية المسلحة لمدن الجزائر وقراها، فهي عندهم إما معهم فأهلها مسلمون، وإما هي لم تنضم إليهم فأهلها كافرون!! وأما وصفهم القرى والمدن بأنها انضمت إلى الميليشيات فهذا تهويلٌ بالباطل؛ لأنه لم يُعرف أن القرى كانت تُقاتل مع عساكر الدولة! فتأمل هذه الكذبة؛ لتعلم مبلغ ديانة هؤلاء الذين يتشدقون كثيراً بدولة الإسلام، ودولة الإسلام تنزّه عن الكذب، لا سيما إذا كان وراء ذلك استحلال ما حرّم الله من الدماء والأعراض. ثم هي مراوغةٌ وتقيّة، وما داموا يُسندون ظهورهم إلى التقيّة فليس لنا معهم حيلة، كما قيل:

مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُولُ لُفَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

والحقيقة المرّة أنّهم انطلقوا في ذلك من مذهب أسلافهم أزارقة الخوارج، قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في « المقالات » (١/١٧٤): « وزعمت الأزارقة أن من أقام في دار الكفر فكافرٌ، لا يسعه إلا الخروج ». ثم لو قاتلت هذه القرى أولئك الوحوش للدفاع عن نفسها لما كان لأحد عليهم سبيل؛ فإنَّ الرسول ﷺ قال: « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ

دون أهله فهو شهيدٌ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيدٌ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيدٌ» رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ٥٧)، وبعض فقراته في الصحيحين.

ولقائل أن يقول: نحن نخرج على هؤلاء السلاطين دفاعاً عن أموالنا وأنفسنا انطلاقاً من هذا الحديث، والجواب: أن السلطان مستثنى ههنا؛ للتصريح المتواترة في الأمر بالصبر عليهم في ذلك، قال ابن المنذر - رحمه الله - في «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» (ص ٤٠٧): «والذي عليه عوام أهل العلم، أن للرجل أن يُقاتل عن نفسه وماله وأهله إذا أُريدَ ظمماً؛ للأخبار التي رويت عن النبي ﷺ أنه قال: (من قُتل دون ماله فهو شهيدٌ)، لم يخص وقتاً دون وقت، ولا حالاً دون حال إلا السلطان؛ فإن كل من نحفظ عنهم من علماء أهل الحديث كالمجمعين على أنه من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومُحاربتة أنه لا يُحاربُه، ولا يخرج عليه للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم، وترك قتالهم والخروج عليهم ما أقاموا الصلاة».

٢- من ذلك الوصف، انطلقوا يغزون القرى غزواً جماعياً، وهم يرون أن الصُّفوف متميزة، إذا فلا يحتاجون إلى تمييزها، وأنهم حين أبادوا قرى كاملة إنما أبادوا كفاراً!

فهل يسوغ - بعد شهادة القوم على أنفسهم - أن يُبرؤوا مما يفتخرون به من جرائم؟! من جرائم؟!

فيا لله العجب من قوم وقفوا يُوعدون ويصدون عن سبيل الله، لا يرون فاعلاً لهذه الجرائم سوى المخابرات، وهم يقرؤون معنا هذا الاعتراف من صاحب الجريمة نفسه!!

يقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء ١٣٥].

أقوال العلماء في حُكْمِ قَتْلِهِمْ

اعترافه بأن العلماء لم يذكروا قتال الثوار بالجزائر

إن من محاسن الشريعة الإسلامية أن الله تعالى حافظ دينه من كل تحريف، وأن نصوص الكتاب والسنة التي أنزلها الله على قلب رسوله ﷺ من أول يوم هي نفسها التي بين أيدينا اليوم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر ٩]، وأن الله تعالى انتخب لهذه الشريعة فرسانها يدفعون عنها العاديات في كل زمان؛ لقول رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » الحديث متفق عليه، وقد اتفقت كلمة أهل العلم على أن هذه الطائفة هي علماء الأمة أتباع الأثر، الذين هم أعرف الناس بهدي المصطفى ﷺ، قال أحمد بن حنبل رحمه الله: « إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟! » رواه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص ٢) بإسناد صحيح، وكذا قال علي بن المديني ويزيد بن هارون وعبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهم، وقال البخاري ومالك رحمهما الله: « هم أهل العلم »، ولا منافاة بينهما؛ لأن أهل العلم عندهم هم أصحاب الحديث؛ إذ لا يعلم أنه كان لمالك والبخاري من درس سوى « حدثنا... »، ولذلك جمع بينهما الحافظ أحمد بن سنان - رحمه الله - فقال: « هم أهل العلم وأصحاب الآثار »، راجع « السلسلة الصحيحة » للألباني عند الحديث (٢٧٠).

وأنا أعلم أن هؤلاء الثوار المشار إليهم أعلاه يُفسرون الطائفة المنصورة بـ « المقاتلين »؛ لشبهه أوردوها على بعض الروايات توهموها حجة، وسأفصل الرد عليهم في كتاب مستقل إن شاء الله.

ولما كان الأمر كذلك وجب على كل مسلم أن يرجع إلى العلماء فيما جهله من دينه؛ لأن الله يقول: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل

[٤٣]، ولا سيما إذا كان الأمرُ نازلةً نزلتْ بالمسلمين فإنه لا بدُّ من أن يرجع فيها إلى علماء زمانه؛ لأنَّ الله يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَمِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء ٨٣].

ونحن لَمَّا رجعنا إلى علماء زماننا - الذين يتنكبُّهم أصحابُ الأهواء - وجدنا كلمتهم واحدةً في المسألة الجزائرية، وقد كنتُ جمعْتُها في كتابي: «فتاوى العلماء الأكابر فيما أُهدر من دماء في الجزائر»، وها أنا ذا أُجترئُ منها ما يأتي:

- سئل فضيلةُ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - عن حُكم الذين خرجوا على الحكومة الجزائرية فقال: «فنحن ذكرنا دائماً وأبداً بأنَّ الخروج على الحُكَّام - لو كانوا من المقطوع بكفرهم .. لو كانوا من المقطوع بكفرهم - أنَّ الخروج عليهم ليس مشروعاً إطلاقاً ... إنَّ ما يقع سواءً في الجزائر أو في مصر، هذا خلافُ الإسلام».

وقال - رحمه الله - في جوابه عن القتال القائم في الجزائر: «نحن نؤيِّدُ كلَّ مَنْ يدَّعو إلى الرَّدِّ على هؤلاء الخارجين على الحُكَّام، والذين يحُثُّون المسلمين على الخروج على الحُكَّام»، انظر مصدر هذه الفتاوى في الكتاب المذكور قبلُ.

كما سئل أيضاً عمَّن يُقاتلون الدولة المصرية حتى تحُكم بما أنزل الله، فيُقتلون؟ فقال: «ليس فيهم مَنْ يصحُّ أن يُقال فيه: إنه شهيدٌ»، من شريط سمعي لـ «سلسلة الهدى والنور» رقم (١/٤٧٠)، وعلَّ ذلك بكون هؤلاء الخارجين قد خالفوا سيرة الرسول ﷺ في دعوته وجهاده.

- وقال فضيلةُ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «إن كان أحدٌ من الدُّعاة في الجزائر قال عني: قلت لهم: يغتالون الشرطة أو يستعملون السَّلاح

في الدعوة إلى الله هذا غلطٌ ليس بصحيح، بل هو كذبٌ... الدَّعوةُ إلى الله كما كان النبي ﷺ وأصحابه في مكة المكرمة قبل أن يكون لهم سلطانٌ، ما كانوا يدعون الناس بالسلاح، يدعون الناس بالآيات القرآنية والكلام الطيب والأسلوب الحسن؛ لأنَّ هذا أقرب إلى الصَّلاح وأقرب إلى قبول الحقِّ، أمَّا الدَّعوة بالاعتيالات أو بالقتل أو بالضرب فليس هذا من سنة النبي ﷺ ولا من سنة أصحابه...».

- وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عما يأتي:

هل كذلك أنكم قُلتُم باستمرارِ المواجهة ضدَّ النظام بالجزائر؟

فأجاب بقوله: « ما قلنا بشيء من ذلك، قال السائل: في اشتداد هذه المضايقات هل تُشرع الهجرة إلى بلاد الكفر؟ قال الشيخ: الواجب الصبر؛ لأنَّ البلاد بلادُ إسلام، يُنادى بها للصَّلوات وتُقام فيها الجمعة والجماعات، فالواجب الصبر حتى يأتي اللهُ بأمره.».

بل أمر كلَّ حاملٍ سلاح في الجزائر بالقائه، وشدَّد النكير عليه حتى حمَّله مسئولية الدماء والأعراض والأموال المنتهكة هناك، فقال: « نرى أنه يجبُ عليهم وضعُ السلاح وإلقاء السلام، وإلا فكلُّ ما يترتبُ على بقائهم من قتلٍ ونهب أموالٍ واغتصابِ نساءٍ فإنَّهم مسئولون عنه أمامَ الله ﷻ، والواجبُ عليهم الرجوع.».

هذا القولُ هو قولُ سائر العلماء السلفيين، أمثال أصحاب الفضيلة: الشيخ حمَّاد الأنصاري رحمه الله، والشيخ محمد السبيل الرئيس العام لشؤون الحرمين، والشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ صالح السدَّان، والشيخ أحمد النجمي، والشيخ زيد المدخلي، وغيرهم من أهل العلم، وهم - حفظهم الله جميعاً - القومُ لا يشقى بهم جليسُهم إن

شاء الله.

فهؤلاء هم العلماء السلفيون، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ يُحِبُّهُمْ وَمَنْ يُغْضُهُمْ، فَأَيُّ سَلْفِيَّةٍ هَذِهِ الَّتِي يَدَّعِيهَا أَبُو قَتَادَةَ وَمَنْ شَايَعَهُ مِنْ مَتَهَوِّرِي الشَّبَابِ؟! ويا أيُّها العقلاء! أتذرون هؤلاء العلماء الذين لهم في العلم مقامٌ معلومٌ إلى قول رجلٍ مشبوهٍ؟! ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾؟! [البقرة ٦١]، فبأيِّ علمٍ استخفَّ عقولكم؟! وقد رحمكم ربكم بأن أجرى الحقَّ على لسانه، حين شهدَ بنفسه على فتنة

الجزائر بأنَّها لم تحظْ بتزكية أهل العلم، فقد قالَ في الخطبة المشار إليها: «المجاهدون — إلى الآن — الذين يُقاتلون طوائفَ الرِّدَّةِ لَمْ يَأْخُذُوا الْإِذْنَ الشَّرْعِيَّ مِنَ الْمَشَايخِ وَالْعُلَمَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَشَايخَ — بِكُلِّ صِرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ — لِأَنَّ مَشَايخَنَا وَعُلَمَاءَنَا، لِأَنَّهُمْ أَتْبَاعُ حُكَّامِنَا! وَلَا يَقُولُوا (كَذَا) إِلَّا مَا يَقُولُ الْحُكَّامُ! عِنْدَمَا يُطَلِّبُ مِنْهُمْ مِنْ حُكَّامِنَا يَعْطُونَهَا، وَإِلَى الْآنَ حُكَّامِنَا لَا يَرْضَوْنَ (كَذَا) عَنِ أَوْلِيائِكَ الْمَجَاهِدِينَ!!».

أقول: لو لم يكن في إبطال الجهاد المدَّعى في الجزائر إلا هذا لكفى ذوي العقول السليمة، لكنني أحشى أن يكون أمرُ أتباعه كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف ٥٤]!

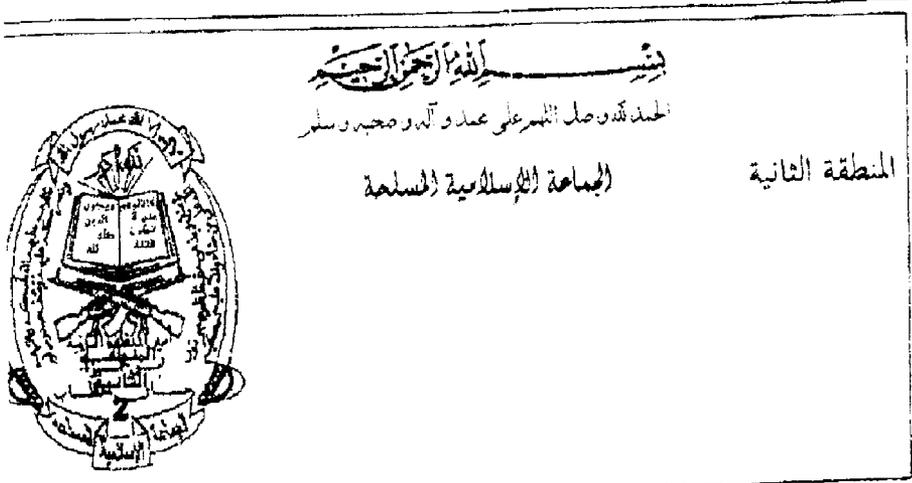
ولقد قرأتُ مقالاً لرجلٍ تكتى — (أبي اليقظان)، وعرفَ نفسه بـ (عُضُو) الهيئة الشرعية للمنطقة الثانية) أي من الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر كما هو على طرَّة مقالته الذي بتاريخ: (الأحد ١٢ صفر ١٤١٩هـ)، وبعنوان: «التعقيبُ الحسنُ على أجوبة الشيخ علي حسن»، يردُّ فيه على الشيخ علي حسن عبد الحميد، فكان ممَّا انتقدهُ على الشيخ أن أوردَ قولَ الشيخ علي حفظه اللهُ: «فكيف يجوزُ أن تكون هذه الفتنة العمياء شاملةً لأولئك، شاملة

لهؤلاء النساء والشيوخ والأطفال بغير دين وبغير بينة، وبغير فتوى ممن هم أكابر في علمهم وأكابر في دينهم، إلا من أولئك الأفراد الذين ليسوا في العير ولا في النفير؟!».

فقال المومى إليه أعلاه: «أما قوله: (... وبغير فتوى ممن هم أكابر...)، فأقول: إن كان المقصودُ بذلك فتوى على الاعتداء على الشعب والنساء، فليس هناك فتوى: لا من بريطانيا، ولا من غيرها؛ أقولُ هذا حتى لا نُظلم الناس، وأبو قتادة يستنكر ذلك، وقد سمعتُ له شريطاً في هذا، وإنما هي فعلُ الاستخباراتِ وبعضِ الجهلة من التكفير والهجرة!!

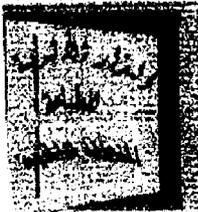
وإن كان المقصودُ أنه لا فتوى على الجهاد من علماء أكابر، فأقول: هذا خطأ؛ فإنَّ للشيخ عبد الله العنيمان — حفظه الله — شريطاً أفتى فيه بالجهاد في الجزائر، وذلك سنة (٩٤) أو (٩٥) — أي السنة الميلادية — فيما أذكر، والله أعلم.».

صورة غلاف المنشور



التعقيب الحسن على أجوبة الشيخ علي بن حسن

بِقَلَمِ أَبِي الْيَقْتَانَ
عضو الهيئة الشرعية للمنطقة الثانية



صدرت الرسالة : يوم الأحد 12 صفر 1419 هجري

صورة المقال السابق

❁ أما قوله: "...وبغير فتوى من هم أكابر... فأقول: إن كان المقصود بذلك فتوى على الإعتداء على الشعب و النساء... فليس هناك فتوى، لا من بريطانيا و لا من غيرها — أقول هذا حتى لا نظلم الناس — و أبو قتادة يستنكر ذلك و قد سمعت له شريطاً في هذا، و إنما هي فعل الإستخبارات و بعض الجهلة من التكفير و المحجرة.

و إن كان المقصود أنه لا فتوى على الجهاد من علماء أكار، فأقول: هذا خطأ، فإن للشيخ عبد الله الغنيمان — حفظه الله — شريطاً أفنى فيه بالجهاد في الجزائر و ذلك سنة 94 أو 95 فيما أذكر، و الله أعلم .

و الشيخ عبد الله هو من العلماء المعروفين في البلاد السعودية، و هذا فضلاً عن الدعاة الكبار و بعض المكاترة السلفيين. والله الأمر من قبل و من بعد.

و أما العلامة الألباني — حفظه الله — فهو و إن لم يفت بالجهاد فإنه يعالج ذلك بأننا غير مستعدين، و لم يعالج ذلك بوجود (طبيين) في النظام، و قد سمعنا له عدة أشرطة في ذلك و الله أعلم، و الآن لقد أتت إخواننا السافيون إستعدادهم لمواجهة المرتدين، و الحمد لله رب العالمين. و قد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأأنفال 60) و سأفصل ذلك في رسالة: "سد الكوة...".



❁ قال السائل: "... و نحن في طريقنا إلى هذه الهدنة نسأل الله سبحانه و تعالى أن يخرجنا منها! " اهـ .

قلت: آمين، اللهم أخرجهم من هذه الهدنة!!
ولعل السائل غير مقتنع بما يفعل، فهو كثير التلون، و لذلك نطق لسانه بالحق المبين فالحق بالجاهدين .

❁ قال السائل: "... جماعة الخوارج قد يقصدون هذا الشعب الأعزل فيذبحون منه

قلتُ: لي على هذا التعقيبِ تعقبات، هي:

١- إنَّ أبا اليقظانَ يَنفي وجودَ فتوى من بريطانيا - بل ومن غيرها - في مشروعية الاعتداء على الشَّعب والنِّساء، وقد نقلتُ لك - أخي القاريء! - نصَّ الفتوى في ذلك، فما قيمة إنكارك - يا أبا اليقظان! - لو كنتَ يقظاناً؟!
٢- وأغربُ ما رأيتُ له هنا: إثباته استنكارَ أبي قتادة لهذه الفتوى وهو

صاحبها!!

وقد صرَّح بها في خطبته كما سبق، ودونها بقلمه في مجلته « الأنصار » في عددها (٩٠)، في (ص ١٠)، بتاريخ: (٢٩ شوال ١٤١٥هـ)، بعنوان: « فتوى كبيرة الشأن حول جواز قتل الذرية والنِّسوان درءاً لخطر هتك الأعراض وقتل الإخوان!!! »

وقد صدرت هذه الفتوى - التي سبقَ تصويرها هنا - سنة (١٤١٥هـ)، وأبو اليقظان استيقظَ في سنة (١٤١٩هـ) فكتب مقالَه هذا، فهل يُعقل أن تخفى عليه هذه الفتوى طيلة أربع سنين، وقد كانوا أنشطَ ما كانوا في إراقة الدماء؟!

وإذا كانت جماعةُ أبي اليقظان من حين صدور الفتوى إلى هذا اليوم وهي تُزهق الأرواحَ بشهادة مجلَّة مفتيها كما سبق، فأين كان أبو اليقظان؟!
٣ - لقد ذكرَ هذا المتعقبُ أنَّه سمعَ أبا قتادة يستنكرُ الاعتداءَ على الشَّعب والنِّساء!

وبناءً على ما سبق، فلا بدَّ من أن يكونَ أحدهما كاذباً، إمَّا أبو قتادة في استنكاره، وقد فضَّحه لسانه وقلمه، وإمَّا هو أبو اليقظان في نسبته الاستنكارَ إلى أبي قتادة، وقد خائنه يقظته أحوج ما يكونُ إلى يقظة!

وإذا كانت الجماعة المسلّحة لا تُرضى أن يُنسب الكذبُ إلى (عضوها الشرعي!) فلترضَ إذاً بنسبة الكذب إلى (شيخها الشرعي!)، وهذه هي مصيبة المصائب؛ حين تعتمد (جماعةً مجاهدةً لإقامة دولة الإسلام!) على الفتاوى الكواذب!!

وتم احتمال آخر نذكره من باب حُسن الظنّ بل من باب التغافل، وهو أن يكون لأبي قتادة رأيان في المسألة: قولٌ خاصٌّ بمن يقبله من الغلاة، وقولٌ خاصٌّ بمن لا يقبله من المتظاهرين بالاعتدال!

وعلى هذا، فنحن هنئُ الجماعتين جميعاً بمفتيهم مُزدوج المذهب، بل تُلاثي المذهب؛ لأنه زادَ (جبهة الإنقاذ) فضمّها إليه كما سبق، ومعلومٌ أن (جبهة الإنقاذ) غير (الجماعة الإسلامية المسلّحة)، وغير (المتسلفين!) زوراً كأمثال صاحب هذا المقال!

ولو استزيد أبو قتادة من قبل جماعة أُخرى لرادهم، بدليل أنه ذكر في خطبته هذه أنه يُقاتل مع جميع الخارجين حتى لو كانوا خوارج إباضية، بل أزارقة كما سيأتي نقله عنه - إن شاء الله - في القسم الثاني من هذا الكتاب!!

٤ - لقد اعترف صاحبُ التعقيب بوجود اعتداء على الشعب والنساء من قبل (بعض الجهلة من التكفير والهجرة) على حدّ تعبيره، وهؤلاء هم أصحابُ أبي قتادة، كما نصّ عليه هذا الأخير في خطبته!

وإذا كان كلٌّ من هؤلاء وأولئك ينسبون الرجل إليهم، ويبرأ بعضهم من بعض، فلمن يكون أبو قتادة حقيقةً؟!!

٥ - أخبر صاحبُ التعقيب بوجود فتوى للشيخ العُنيان؛ يُسلِّك جهاده من فتوى الأصغر إلى فتوى الأكبر حتى تجوز دماؤهم القنطرة، وقد أرّخها

متردداً بين سنة (١٩٩٤م) وسنة (١٩٩٥م)، وهذا التاريخ وحده كافٍ للحكم على جهاد هذه الجماعة بأنه بُني على شرارة شباب لا على نظر أهل العلم؛ لأنَّ خُروجهم كان قبل ميلادِ الفتوى المنسوبة للشيخ، أي أن ادّعاءه أن قتالهم كان مبنياً على غرار فتوى لعالم كذب؛ لأنه ممّا لا يُرتاب فيه أن قتال هؤلاء الثوّار كان قبل ذلك، بل سمعتُ قبل ذلك بثلاث سنوات تقريباً من استحلّ منهم دمَ رئيسِ الجمهوريّة في خطابٍ عليّ وعساكرُ الرئيسِ يسمعون، في ساحة الإضراب المشهور، ساحة أوّل ماي بعاصمة الجزائر، ودعا إلى حمل السلاح، فالتحق منهم من التحق بركبهم المشؤوم! فكيف يزعم إذاً أن جهادهم كان تابعا لفتوى أهل العلم؟!

لذلك ينبغي لهذه الجماعة أن تعترف - والصدق محمود العاقبة - بأنَّ خُروجها كان من نفسها لا من فتوى هيئة شرعية من أهل العلم، وأن الأمر كان بعيداً عن تدبير أهل العلم، وإتّما فُتّش عن (الفتوى الشرعية!) بعد أن وجدوا أنفسهم وحدهم، فأرادوا بذلك برقعة وجه خارجيتهم!

وكم أجهدنا أنفسنا يومها لإيصال فتاوى أهل العلم إليهم، إلا أن القوم كانوا في نشوة وغرور.

٦- أنقلُها هنا فتوى الشيخ عبد الله العُيُمان - وفقه الله للخير - في المسألة نفسها، وهي في هذه السنة سنة (١٤٢١هـ)، في مجلسين مختلفين، في أحدهما فتوى شفوية وهي مُسجّلة، وفي الآخر فتوى شفوية وكتابتها.

أمّا في المجلس الأوّل، فقد سئل الشيخُ عمّا يتناقله بعضُ الجزائريين من أنه أفتاهم بحمل السلاح في وجه دولتهم؟

فأجاب - وفقه الله للخير - بقوله:

« بسم الله الرحمن الرحيم، بلغني أن في الجزائر من يقول أني قد أفتيتُ بجواز الخروج على المسلمين، وبالتالي فأقول: إن هذا افتراء وبهتان، وأنا أبرأ إلى الله من ذلك، وأعلن بأن هذا لا يجوز؛ لأن قتال المسلمين من أكبر المحرمات، وأن قتل مسلم بلا حق أعظم عند الله من زوال السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٩٣].

كما أنه لا يجوز الخروج على الإمام المسلم ولو ظلم وأخذ المال؛ لأن الأحاديث الكثيرة جاءت عن النبي ﷺ بالتحذير من ذلك، ولما يترتب على هذا من المفساد وسفك الدماء ونهب الأموال والتعرض لأعراض المسلمين، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قاله عبد الله بن محمد الغنيمان في اليوم (٤/٥/١٤٢١هـ)، وصلى الله وسلم على نبينا محمد « شريط سمعي.

وأما في الثاني، فهذا نص السؤال:

إلى فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان حفظه الله ورعاه:

لقد استند بعض من حمل السلاح وخرج في الجزائر على الحكام على فتواكم بأنه يجوز الخروج في الجزائر ومحاربة الحكام ومن والأهم من الشعب، مع العلم أن الجزائر حاكماً ومحكوماً مسلمون، ويؤدون الصلوات الخمس وباقي أركان الإسلام.

فهل هذه الفتوى صحيحة منكم؟ وماذا نصيحتكم لهؤلاء الذين يحملون السلاح، مع العلم أن الحكومة جعلت مصلحة عامة بين الشعب الجزائري

والعفو الشامل على جميع من استسلم ووضع السلاح؟
فأجاب بقوله:

« الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

وبعد، فإذا كان الأمر كما ذكر، فالذي أرى أنه متعين على من يحمل السلاح أن يلقه ويسعى بالمصالحة، وما تدعو إليه الحكومة من المسالمة، ثم الدعوة إلى الله تعالى عن طريق التفاهم مع الحكومة، وأرى في مثل هذه الحال أنه لا يجوز الخروج وحمل السلاح؛ لما يترتب عليه من المفسد من سفك دماء المسلمين وإخافتهم وإخافة الطرق وغير ذلك من المفسد الكبيرة، وقد ذكر العلماء أن من قواعد الإسلام احتمال المفسد القليلة لدفع ما هو أعظم مفسدة، ثم إن حمل السلاح والخروج في مثل ما ذكر لا يأتي إلا بما لا تُحمد عقباه.

أسأله تعالى أن يوفقنا وإخواننا لما فيه خير الدنيا والآخرة، وأن يدفع عنا جميعاً ما فيه إضراراً على المسلمين.

قاله وكتبه عبد الله بن محمد الغنيمان، في (١٤٢١/١١/١٩) هـ.

توقيع الشيخ.

صورة فتوى الشيخ عبد الله الغنيان لأهل الجزائر

Abdullah B. Mohd. Al-Ghuneiman
Prof. Mohd. Moeque's Teacher
Medina Munawerah
Propaganda College
Islamic League



عبد الله بن محمد الغنيان
المدرس في مسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
كلية الدعوة - الجامعة الاسلامية

تاريخ
DATE

إلى فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيان حفظه الله ورحمته
لقد استند بعض من حمل السلاح وخرج في الجزائر على الحكام
على فتواكم بأنه يجوز الخروج في الجزائر معارضة الحكام وسد ولائهم
من الشعب مع العلم أن الجزائر حاكماً وملكاً مسكوناً
ويعودون الطوائف المنسوبة ويطبقون الإسلام
الذي تعلمون الفتوى صحيحة منكم . وماذا نصيحتكم لهذا
عامة بين الشعب الجزائري والعنف جعلت مصالحة
من استسلم ووضع السلاح .
الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه
وبعد فاذا كان الأمر كما ذكر فالله أرى أنه فتيت على من حمل السلاح أن
يلقيه ويسعى بالمصالحة وما ندعوا اليه الحكومة من المسألة ثم الدعوة
إلى الله تعالى عن طريق التفاهم مع الحكومة وأرى في مثل هذه الحال
أنه لا يجوز الخروج وحمل السلاح لما يترتب عليه من المفاسد
من سفك دماء المسلمين وإحراقهم وإخافة الأطراف وغيره
ذلك من المفاسد الكبيرة وقد ذكر العلماء أن من قواعد الإسلام
احتمال المفاسد القليلة لدفع ما هو أعظم مفاسد ثم إن حمل
السلاح والخروج في مثل ما ذكر له بأي الأجزاء لا تجوز عقابها
سأل تعالى أن يوفقنا وأخواننا لما فيه خير الدنيا والآخرة
يدفع عنا جميعا ما فيه أضرار على المسلمين قاله وكتبه عبد الله بن
محمد الغنيان في ١٩/١١/١٤٢١ طه عبد محمد الغنيان

إذا كان قد ثبت لديكم أن الشيخ يدعوكم إلى وضع السلاح في آخر ما أفتى به، فما قيمة قولكم: « فإن للشيخ عبد الله الغنيمان - حفظه الله - شريطاً أفتى فيه بالجهاد في الجزائر... »؟!
فها هنا ثلاثة أمور:

الأول: أنهم نسبوا إلى الشيخ الفتوى بالخروج، وأنا أعلم بأنهم لا يزالون مُصرين على هذا.

الثاني: أن الشيخ يكذبهم في نسبة هذه الفتوى إليه.
وأنا لا يهمني كثيراً تتبع هذه الحكاية بقدر ما يهمني أن ينتهبوا إلى مال كلامهم في الاتكاء على ما ينسبون للشيخ؛ لأن النتيجة - بعد استسماح الشيخ - تكون كما يأتي:

- إما كذبهم، فالنتيجة إذاً وخيمة.
- وإما صدقهم، فالنتيجة أشد؛ لأنهم يُجرِّثون بذلك الناس على أن يطعنوا على الشيوخ الذين ينتسبون إليهم، بل يُجرِّثون الأحزاب العلمانية على الإسلام؛ على أساس أن شيوخ المسلمين كذبة، فبأي شيء تُدينهم وأحلاهما مر؟!!

ثم هل يُعقل أن يقوم جهاداً أو أن تُشاد دولة الإسلام على الفري، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس ٨١]، والله المستعان.

الثالث: أنه لو سلمنا بوجود هذه الفتوى، فقد وُلد خروجهم قبل أن تولد؛ بدليل ما سبق بيانه قريباً، وهذا وحده يُبين للعاقل أنهم أتباع هوى.

فبان حينئذ صدق مقولة الشيخ علي حسن فيهم، وهو أن جهادهم لا يُزكّيه العلماء، كما بان صدق مقولة مفتيهم - وهو كذوب - التي سبق

نقلها، أَلَا وهي قوله: « المجاهدون - إلى الآن - الذين يُقاتلون طوائف الردّة لم يأخذوا الإذن الشرعي من المشايخ والعلماء ». »

تنبيه مهم:

لقد انتبه بعض الثوّار في الجزائر إلى أنّ ثورة لا يُزيكها أهل العلم لا تجد لها أتباعاً، بل إنّ أتباعها أنفسهم يُوشك أن تضعف ثقتهم بمصداقية قتالهم، فلذلك جعلوا يبحثون عند أهل العلم المعاصرين عما يُشبه ما هم عليه، فيا فرحتهم وهو يعثرون على شريط لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله، قد حسبوه لهم وهو عليهم؛ وذلك لسببين:

الأول: أنّ الشيخ - حفظه الله - قد نصّ في الشريط نفسه على أنّ خروجهم غير مشروع.

والثاني: أنّ تاريخ الشريط كان في سنة (١٤١٧هـ)، وهم خرجوا قبل ذلك بخمس سنين على أقصى تقدير، فقد قالت الجماعة السلفية للدعوة والقتال في رسالتها إلى أبي بصير كما في « إرشاد ذوي البصائر من مجاهدي أهل الجزائر لما في هذه المرحلة من مخاطر » (ص ١)، حيث جاء في نصّ خطابهم قولهم: «... فإنّ البداية كانت عام ١٤١٢هـ، وكانت على (منهج صحيح وفق الكتاب والسنة والمنهج السلفي!!)، وكان هناك طلبة علم كثيرون، منهم من قُتل رحمهم الله، ومنهم من أُسر، وبدها بهم بدأت بؤادر الغلو والزيغ تظهر، وكان ذلك جلياً عام ١٤١٧هـ عند مقتل أحمينا أبي عبد الرحمن جمال زيتوني رحمه الله، الذي كان أميراً للجماعة آنذاك ». »

ولا يفوتني أنّ أنبه على أنّ عثورهم على شريط الشيخ كان بعد سنوات من تاريخه المثبت أعلاه، فهل يصدق على قتالهم أنّه بُني على فتوى الشيخ؟!

فَلْيَكُنِ الْإِنصَافُ إِذَا شَعَرَهُمْ، وَلْيَكُنِ الصِّدْقُ دِتَارَهُمْ.
 وَهَذَا أَنَا ذَا أُخْرِجُ مِنَ الْخِلَافِ، فَلَأَنْتُقُلَنَّ عَنْ مَعَالِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِ مَا
 ادَّعَوْهُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ بَيِّنٌ أَنَّهُ حَمْدٌ لِلْعُلَمَاءِ صَنِيعِهِمْ فِي كَفِّ الْجَزَائِرِيِّينَ عَنْ
 مُوَاصِلَةِ قِتَالِهِمْ الْيَوْمَ، فَقَدْ قَالَ لِحَلَّةٍ « الدَّعْوَةُ » السُّعُودِيَّةِ، فِي عِدِّهَا
 (١٨٢٧)، فِي (ص ٢٣)، بِتَارِيخِ: (١٠ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٢ هـ): « بَعْضُ
 الْجَزَائِرِيِّينَ رَمَوْا السَّلَاحَ وَتَرَكُوا الْقِتَالَ بَعْدَ فِتَاوَى عُلَمَائِنَا الْأَجْلَاءِ ». «
 الْخُلَاصَةُ أَنَّهُ لَا قَائِلَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْخُرُوجِ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ثَوَارُ الْجَزَائِرِ.

صورة المقال السابق

من النسخ ان تقول لا، وايضا ليس سهلا ان تلبس بالشيء وفق تنظيم معين، وغدا معاليه سبحانه لتتخذ ملس ممنون في عجلة الدعوة بضرورة مد جسور الصلة والتعاون بين النحلة وشرائح المجتمع المختلفة للتعريف بتأسيسه واصدار تبيان الخلفاء، حيث قال معاليه لا بد ان يحرص من يتولى امره التوسعة سواء في مجلس الإدارة او التحرير على توسيع النطاق بالتأسيس خصوصا طلبة العلم والتخصصيين والمفتحين في أي مجال، لان سعة الدعوة لتجميع وقت ضروبها وريتم منبجها، فتتجه الرصد التي يؤدي الرسالة دون قصور ودون إثارة لأن من ينظر إليها الآن يجدها متحكمة مشددة بغير ضيق راع من استنادة والمختصين، الرضى الشايق فيها معارضة، المتحقق الصفيحة، معقدة، وفيها حركة طيبة وتطور يسر، وكنتا لتساؤل لماذا

**اقول لفريد زمان لمو أن نظما منا
التعليبي هي كنها تقول لها التمشج
تمسرة عسرة لماذا بل التمشج الملايين
كلنا ازداد المزمع من العلم توسيع أفقها
وأفراد مواطن الخلفاء بين العلماء
الدعوة تريد من يعملها لا من نعملها**

الإنترنت يكون مبعث الحوار والمناقشة وطرح الآراء في مجالات شرعية ودعوية مختلفة تحت مظلة مؤسسة المدونة الإسلامية واستثمار الجهد من هذه الآراء ونشره.

فلان معالي العزيز هنا اقتراح جبه مضي كان هناك إشراك غير ذلك ويشير النقاش اتجاهات ماضية... لأن التمسح لفي الحقيقة يعني حتى أسس الحوار هو ما كان يسميه أقدمون الجدل والمناظرة حول قضية حتى يرسل فيها إلى الحق، وأول أسس الحوار أنه لا بد أن يكون عنده وهي والتي أن يكون حلقة من ربطها بكلام الله عز وجل في وقت لم يرد في أي من أتمن أن الشيطان يتوع في وقتنا هذا، ومن أردت أن يفسر في الجوانب فيشرح وأما أحسن ما يجد ولو موجود، فلا بد من بالصحيح لأن الكلمة الشايق هي الدليل في الأن لغيره وآثاره والقاسم بالمتن...

في عود قردة يرحل من نفسه لأنه لو سلطنا على...

حضاري
في هذه في الحوار، أن يكون عددا حتى يعملك تكسب الآخر، وتكون التمسح من اللقاءات سواء كانت في بعض القضايا أو غير الإنترنت، العادي هو الذي يكسبه، إذا صدر عنه علم، رؤية واسعة، وكان قسما لا يفسد.

أدعية التمسح

عناظرة يتضحنا سوال موجه من الدكتور محمد بن سليمان الأحمد أستاذ الإعلام بجامعة الشك...

معالي الوزير، ملاحظ أن بعض الأدعية التي تقولها بعض الأئمة في المناسبات أو في خطب الجمعة أدعية مبالغ فيها، أعتادها وتجد انشغال من الماديين وبعضها يتحرب للخرب ويفضل فيه مباحات وحضرة وتبويرا... راقى حنة ويتخا... قال معالي الوزير: الرصد لنا كثير وكبير والقيام للمنظمة الحالية السعة إلا تظهر كن أنتمامنا وأما يظهر ما يقع الناس ويكون محل التناقض، ومقر هذه الأدعية بعبارة سران في لقاء لنا مع الفطيان والأعداء، هذه أدعية غير مشروعة لا يجوز أن يطمع بذلك هذا الدعاء الذي مثلا يقولون فيه: اللهم املكنا اليوم، والحمد لله الذي جعلنا من التمسح اليوم يوما سونا، وقد يصل لأحد أن يؤمن عليه لأن هذا الدعاء مخالف لمقتضى سنة، لأن دعاء، حيث أجرى حكمه وأخبرنا بأن يهرق وبصبري، سيشرك من زعم أن نسيج آية السلام وسيد الشجره الجليل غير دعوتهم بأنهم يمسحوا الآن وأن يبدأوا الآن تخالف أمر الله الكوني وقدره الذي أخرجنا به وهذه قد نمر مخالفة مقدرة بعد أنتم به، كيف تدعو والله - من ودلا - سيجزيهم وأخبرنا في الكتاب والسنة أنهم سيموتون إلى وقت كذا، ثم يظهر بالاستثمار العدم لهم الآن هذا خلاف

خاتم الكلمة

في هذه معالي الوزير، كنت في واحد الذكر الكلمة المصنوع والتمسح، على التمسح والمناظرة، ولما إتفا فرصة لقاء زمارة التمسح بعد لقاءنا هذا المبيد، فأخبرنا عن شأنه أنه إن كنته التمسح التمسح للتمسح في أجم التمسح التي يديرها من هنا وهناك، وتضع مدعية التمسح والتمسح، وقد كنته المزمع أخرى لاستناد المزمع التمسح، وأن التمسح وجب الاجتهاد واستناد التمسح، لأن التمسح والإمامة

أخبرنا مع معالي الوزير، ثم بدأ حديث استناد التمسح الفعالة والتمسح والأكاديميون والتمسح، ثم بدأ في التمسح

موقفنا على الإنترنت

وكانت الملاحظة الأولى من فضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن زيد أستاذ القاضي من الرصد على حد قول إمكانية طرح سؤال معالي تالي مؤسسة الدعوة في

ما يتروكنا كن التمسح؟ التمسح يتصور منها على ما كانته غير، وجسب لو كانت هناك استمارات على جسد وبعثان والتمسح، ومن واجبا أن توسع التمسحها وشمسي فيها، الرؤية الإسلامية الفاضلة، أي يجب أن يربط مستورها في التطوير، مثلا في سعة أن مقالات ولكن ميدان التمسح في ضعف سعة التمسحيين التمسح أو الاجتماعي أو التمسح أو الإسلامي عمومًا، في سبل أمثال فيز التمسح الإسلامية، التي التمسح من أسباب التمسح سبب أمثال حيث تال تربطها التمسح بنم رشيد وفيها عتاد كثيرة لبعض التمسح، بين التمسح بإهداء الجثة وكخاصة مع الأقران، لا التمسح به ولكن وأحد سببا لا بد أن يطمع التمسح لا أن يلقي بالتلافة على الآخرين هذا لا يتم ولا يطمع، إن الدعوة تريد من يطمعها ولا تريد من تسمعه، التمسح، ربي، الله تحمل أماسا كثيرين وشم مثل طوبى والتمسح السبر بهم، هناك من يحتجون التمسح ويسيدون بها ويهشون بها، ولذلك هم الذين يحتاجون إلى تأييد رال نصورة.

بعض الجزائريين رموا السلاح وتو كوا القتال بعد فتاوى علمائنا الأجلة

بلادنا متميزة ومتعددة في اتصالات السياسة ولكن لا تبذل في معتقدنا والتمسحنا بتحكيم الشريعة



— وأما قول المتعقب في رسالته المذكورة آنفاً: « وأما العلامة الألباني حفظه الله، فهو وإن لم يُفت بالجهاد، فإنه يُعلل ذلك بأننا غير مُستعدين، ولم يُعلل ذلك بوجود طبيين في النظام، وقد سمعنا له عدّة أشرطة في ذلك والله أعلم، والآن لقد أثبت إخواننا (السلفيون!) استعدادهم لمواجهة المرتدين، والحمد لله رب العالمين...!! ».

أقول: ههنا ملاحظتان:

الأولى: قوله: « المرتدين » يفهم منه أن الشيخ الألباني يُسلم لهم بذلك، فليثبتوه؛ وإلا فهي مغالطة مكشوفة، أما أنا فقد نقلتُ عنه — رحمه الله — في كتاب « فتاوى العلماء الأكابر فيما أُهدر من دماء في الجزائر » (ص ٨١-٨٢) أنه يخالفهم في هذا التكفير، بل هم يعلمون أن الشيخ يُخاصمهم — أول ما يُخاصمهم — في هذا الوصف: أي الوصف بالردة، فكيف يُوافقهم على الحكم الذي توصلوا إليه؟!!

والثانية: أين الدليل على أن الشيخ — رحمه الله — كان يُعلل نهيهم عن الخروج بعدم الاستعداد فقط؟!!

لماذا لم ينقل أبو اليقظان كلام الشيخ في ذلك لو كان صادقاً، مع أنه يدعي أنه في عدّة أشرطة؟!!

إذاً، فالمتعقب بنى حكمه على هاتين المقدمتين الباطلتين.

بل كل هذا لا يصح عن الشيخ، وقد بينته في الكتاب المسَمَّى آنفاً، ورأيت بعضه قريباً، والشيخ — رحمه الله — لم يُعلّق الحكم على وجود الاستعداد أو عدمه فقط، كيف وهو يشهد بأن الدولة مسلمة، وإنما كان يتنزّل مع السائل الذي زعم أن الدولة كافرة، فبيّن له الشيخ أنه لو فرَضنا أنها

كذلك فأنتم غير مُستعدين للخروج من جهة القوة بقسميها: القسم الإيماني،
والقسم المادي.

وما أنا ذا أنقل لكم كلمة مختصرة مما كان الشيخ يقوله، ففي شريط
سمعي برقم: (١/٨٣٠) من «تسجيلات الهدى والنور»، قال الشيخ رحمه
الله: «فنحن ذكرنا دائماً وأبداً بأن الخروج على الحكام - لو كانوا من
المقطوع بكفرهم، لو كانوا من المقطوع بكفرهم - أن الخروج عليهم ليس
مَشروعاً إطلاقاً؛ ذلك لأن هذا الخروج إذا كان ولا بدَّ يَنْبغي أن يكون
خروجاً قائماً على الشرع، كالصلاة التي قلنا آنفاً إنها يَنْبغي أن تكون قائمة
على الطهارة، وهي الوضوء، ونحن نحتج في مثل هذه المسألة بمثل قوله تبارك
وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١].

إنَّ الدَّورَ الذي يَمُرُّ به المسلمون اليوم من تحكُّم بعض الحكام - وعلى
افتراض أنهم أو أن كُفَرهم كفرٌ جليٌّ واضحٌ ككُفر المشركين تماماً، إذا
افترضنا هذه الفرضية - فنقول: إنَّ الوَضْعَ الَّذِي يعيشه المسلمون بأن يكونوا
محكومين من هؤلاء الحكام - ونُقل: (الكفار) مجارةً لجماعة التَّكفير لفظاً لا
مَعنى؛ لأنَّ لنا في ذلك التَّفصيل المعروف - فنقول: إنَّ الحياةَ الَّتِي يحياها
المسلمون اليوم تحت حُكم هؤلاء الحكام لا يخرُجُ عن الحياة الَّتِي حياها رسولُ
الله عليه الصلاةُ وعلى آله وسلَّم، وأصحابه الكرام فيما يُسمَّى في عُرف أهل
العلم: بالعصر المكيِّ.»

فثبتَ هنا أنَّ الشيخَ لا يُوافقُ هؤلاء الخارجين على التَّكفير، كما لا
يُوافقهم على الخروج، ولقد كان السَّؤالُ عن الجزائر كما هو معلومٌ من أوَّل
الشريط، بل عن أوضاع الجزائر الَّتِي تحدَّث عنها أبو اليقظان بالضبط، ولذلك
كان من كلام الشيخ فيه أيضاً أنه قال: «فجوابنا واضحٌ جداً أن ما يقعُ

الجزائر وفي مصر وغيرها هو سابق لأوانه أولاً، ومخالف لأحكام الشريعة غايةً وأسلوباً ثانياً.»

وأنا ذكرت هنا مسألة التكفير؛ لأن الشيخ يشترط الكفر البواح للقول بمشروعية الخروج، كما هو معلوم من مذهب أهل السنة، فقد قال صراحةً بعد أن ذكر بعض المذاهب التي تمنع من الخروج على أئمة الجور: «هؤلاء - في هذه المسألة - اتفقوا جميعاً على أنه لا يجوز الخروج على الحكام مهما ظلموا ومهما جنوا، وما دام أنهم يريدون الإسلام ويُقيمون الصلاة للأئمة المسلمين وفي أنفسهم أيضاً.

لذلك فهذه الجماعات التي تعلنُ كتابةً ومحاضرةً الخروجَ على الحكام، هؤلاء في نقدي أنا أولاً: جهلةٌ بحكم الشرع؛ لأن الرسول ﷺ تواترت عنه الأحاديثُ في طاعة الحكام إلا في معصية الله؛ كما قال في حديث البخاري: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(١)، وفي أحاديث أخرى أنه تجب طاعتهم ولو ظلموك، ولو ضربوا ظهرَكَ ما لم تروا كفراً...»، انظر هذه الفتوى في الكتاب المذكور (ص ٩٠ - ١٠٠).

كما أنني نقلتُ هناك نصَّ فتوى الشيخ - رحمه الله - التي يزعمُ الثوارُ أنهم اعتمدوها، وبانَ منها أنه لا تعلق لهم بشيءٍ منها، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ.

(١) الحديث صحيحٌ، لكنَّه هذا اللفظ عند غير البخاري، وإنما رواه أحمد (٤/٤٢٦)، (٤٢٧، ٤٣٦)، و(٦٦/٥)، كما قال هو نفسه - رحمه الله - في «السلسلة الصحيحة» (١٧٩ - ١٨٠)، وأمَّا الذي عند البخاري (٧٢٥٧) فهو بلفظ: «لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف».

ثم لو فرضنا أن الشيخ نهاهم عن الخروج لتوهمه أنهم غير مستعدين فقط، وهم في الحقيقة على أتم استعداد من حيث القوة كما يزعمون، أفلا يكون من التصحح أن يعرضوا ما لديهم على الشيخ؟! لا أن يعرضوا عنه فرحين بما أوتوا من حماسة، معتمدين على أمثالهم، ينفث بعضهم في روع بعض زخرف القول غروراً، مع أن أمثالهم لا يشاورون حاضرين، ولا ينتظرون غائبين!

ورحم الله جيلاً كان أهله لا يتقدمون فيه بين أيدي أهل العلم، ففي «السيرة» للذهبي (٤٢٠/٨) أنه سئل عبد الله بن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: «إنا نهيينا أن نتكلم عند أكابرنا».

ألا ليت هؤلاء لم يستجيبوا للشيطان حين استفزهم للخروج عن فتاوى العلماء قبل أن يخرجوا على الأمة بما خرجوا به؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة مع أكابركم» رواه ابن حبان (٥٥٩) والحاكم (٦٢/١) وأبو نعيم (١٧١/٨-١٧٢)، وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في «الصحيحة» (١٧٧٨).

فالإخلاصة الأولى: أن التحدث عن الاستعداد للخروج قبل إثبات كفر المخروج عليهم دليل على أن أصحابه لم يعرفوا مذهب أهل السنة في هذا الباب بعد.

والإخلاصة الثانية: أنه يكون قد بان بهذا كله أنه ليس للقوم فتوى يعتمدونها، بل قد تبرأ من خروجهم كل عالم يشار إليه بالفتوى، فما الذي يمنعكم - معشر المقاتلين! - من أن ترجعوا إلى العلماء وتريحوا ضمائرهم، وتكفوا هذه الفتنة عن ذوي بلدتكم، وتحرروا المسألة من جديد بعلم وتأصيل ورجوع صادق إلى العلماء إن كنتم تشكون في نقولاتنا؟

فافعلوا هذا مع تواضعٍ لأهل الدليل، وتعقلٍ وتؤدة، واعلموا أنه إن فاتكم فيها الصواب، فلا يفوتكم منها المآب، أما تخشون أن يتخطفكم الموت وأنتم على هذه الحال؟!!

واحذروا التسويف؛ فإن لديكم الآن أدلة من الكتاب والسنة، وأقوالاً لأئمة السنة، مجتمعة على تخطتكم، يقابلها شبه لا تناهضها، ولا تقوى عليها؛ لأن أحسن أحوالها أنها محتملة، فلا تتركوا المتيقن للمُحتمل؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ» أخرجهُ الترمذي، وهو صحيح.

وعلى مثل الشمس فاشهدوا في هذه القضايا العظيمة؛ كي تُعذروا إلى ربكم في أعراض المسلمين وأموالهم ودمائهم؛ لأن الله يقول: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزحرف ٨٦].

وَلَا يَكْبُرُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُتُوبُوا؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَذَكَّرْتُمْ مَصِيرَكُمْ غَدًا: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] هان عليكم مقولة الخلق فيكم، وكان همكم الأكبر مغفرة الحق سبحانه لكم، كما قال خليل الرحمن ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء ٨٢].

٨- لقد أتهمتم الشيخ - رحمه الله - بعدم درأيته عن استعدادكم للخروج، فقد مضى على خروجكم ما يقارب عشر سنوات والأمر يزداد سوءاً، فالجماعة تفرق، والصف يتمزق، ولا يراق إلا دماء الأبرياء، وسبيل الخير تعطل، وسبيل الشر تقوى وتشكل.

فمتى كان الناس يتحدثون في الجزائر عن البعث النصرائي من جديد قبل زمن خروجكم؟!!

ومتى كانت شركيات الطُّرُق الصُّوفية من رَسْمِيَّاتِ البلادِ ورُسومها قبل
خروجكم؟!

ومتى كان الزِّنا على مرأى ومَسْمَعٍ من مسلمي الجزائر قبل ذلك؟!
ومتى كان الجزائريُّ يَتَقَمَّمُ الفَضَالَاتِ لِيَضْمَنَ العَيْشَ لِعِياله؟!
وهل خُلِعَ حجابُ المرأةِ بصفةٍ مُذهلةٍ إلاَّ عقبَ خروجكم؟!
وهل انتعشت النِّزعاتُ العِرقِيَّةُ الممزَّقةُ لأوصالِ أُمَّةٍ واحدةٍ إلاَّ بنزغاتكم؟!
فهل أيقنتم الآن أنكم كُنتم واهمين، وأنَّ الشَّيخَ كانَ على عِلْمٍ بَعْدَمِ
استعدادكم؟

فإن لم تفهموا اليومَ فاعلموا أنكم لن تفهموا بعدَ اليومِ أبداً، وصدقَ اللهُ إذ
يقول: ﴿ يَعْذِبُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء ١٢٠].

وفي « أخبار ابن المزرع » (٦) كما في كتاب « نَوَادِرِ الرِّسَائِلِ »
لإبراهيم صالح، أنشد بعضهم:

دَهْتَنَا أُمُورٌ تُشِيبُ الوَلِيدَ	وَيَحْدُلُ فِيهَا الصَّدِيقَ الصَّدِيقُ
قَتَالَ مُبِيدٌ وَسَيْفٌ عَنِيدٌ	وَجُوعٌ شَدِيدٌ وَخَوْفٌ وَضِيقُ
وَدَاعِي الصَّبَاحِ يُطِيلُ الصِّيَاحَ:	السَّلَاحَ السَّلَاحَ فَمَا يَسْتَفِيقُ
فِبِاللَّهِ نَبْلُغُ مَا نَرْتَجِي	وبِاللَّهِ نَدْفَعُ مَا لَا نُطِيقُ

ولَا بدَّ أن أنقلَ أيضاً كلامَ الشَّيخِ الَّذِي هو من أواخرِ ما تكلمَ به عن
وَضَعِ الخَارِجِينَ فِي الجزائرِ؛ حتى لَا يَبْقَى أَحَدٌ يَتَعَلَّلُ بِشَيْءٍ، قالَ - رَحِمَهُ اللهُ -
فِي « السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ » عِنْدَ تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْحَدِيثِ (٣٤١٨)، الَّذِي أَخْرَجَهُ
البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ: « بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ
فِي العُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ

الأمر أهله؛ إلا أن تروا كُفراً بواحا، عندكم من الله فيه بُرهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»، قال: « واليوم والتاريخ يُعيد نفسه كما يقولون، فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلا قليلاً، ورأوا أن الحكم لا يحكمون بما أنزل الله إلا قليلاً، فرأوا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقهاء والحكمة منهم، بل ركبوا رؤوسهم، وأثاروا فتناً عمياء، وسفكوا الدماء، في مصر، وسوريا، والجزائر، وقبل ذلك فتنة الحرم المكي، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح الذي جرى عليه عمل المسلمين سلفاً وخلفاً إلا الخوارج.

ولما كان يغلب على الظن أن في أولئك الشباب من هو مخلص يبتغي وجه الله، ولكنه شبه له الأمر أو غرر به؛ فأنا أريد أن أوجه إليهم نصيحة وتذكراً، يتعرفون بها خطأهم، ولعلهم يهتدون.

فأقول: من المعلوم أن ما أمر به المسلم من الأحكام منوط بالاستطاعة؛ حتى ما كان من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران ٩٧]، وهذا من الوضوح بمكان فلا يحتاج إلى تفصيل، والذي يحتاج إلى تفصيل؛ إنما هو التذكير بحقيقتين اثنتين:

الأولى: أن قتال أعداء الله - من أي نوع كان - يتطلب تربية النفس على الخضوع لأحكام الله واتباعها؛ كما قال ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله) (الصحيحه) (٥٤٩).

والأخرى: أن ذلك يتطلب الإعداد المادي والسلاح الحربي؛ الذي ينكأ أعداء الله؛ فإن الله أمر به المؤمنين^(١)، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال ٦٠].
والإحلال بذلك مع الاستطاعة؛ إنما هو من صفات المنافقين، ولذلك قال فيهم رب العالمين: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة ٤٦].

وأنا أعتقد جازماً أن هذا الإعداد المادي لا يستطيع اليوم القيام به جماعة من المؤمنين دون علم من حكامهم كما هو معلوم، وعليه؛ فقتال أعداء الله من جماعة ما سبق لأوانه، كما كان الأمر في العهد المكي، ولذلك؛ لم يؤمروا به إلا في العهد المدني؛ وهذا هو مقتضى النص الرباني: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦].

وعليه فإنني أنصح الشباب المتحمس للجهاد، والمخلص حقاً لرب العباد: أن يلتفتوا لإصلاح الداخل، وتأجيل الاهتمام بالخارج الذي لا حيلة فيه، وهذا يتطلب عملاً دؤوباً، وزمناً طويلاً؛ لتحقيق ما أُسميه بـ (التصفية والتربية)؛ فإن القيام بهذا لا ينهض به إلا جماعة من العلماء الأصفياء، والمربين الأتقياء، فما أقلهم في هذا الزمان، وبخاصة في الجماعات التي تخرج على الحكام!

وقد ينكر بعضهم ضرورة هذه التصفية، كما هو واقع بعض الأحزاب الإسلامية، وقد يزعم بعضهم أنه قد انتهى دورها، فانحرفوا إلى العمل السياسي أو الجهاد، وأعرضوا عن الاهتمام بالتصفية والتربية، وكلهم واهمون في ذلك، فكم من مخالفات شرعية تقع منهم جميعاً بسبب الإحلال

(١) في الأصل المطبوع: «أمر به أمير المؤمنين»، ولعل كلمة «أمير» مقحمة.

بواجب التَّصْفِيَّةِ، وَرُكُوبِهِمْ إِلَى التَّقْلِيدِ وَالتَّلْفِيقِ، الَّذِي بِهِ يَسْتَحْلُونَ كَثِيرًا مِّمَّا حَرَّمَ اللَّهُ!

وهذا هو المثال: الخروجُ على الحُكَّامِ، ولو لم يصدُرْ منهم الكُفْرُ البَوَاحِ. وختاماً أقول: نحنُ لا نُنكِرُ أن يكونَ هناكَ بعضُ الحُكَّامِ يجبُ الخروجُ عليهم؛ كذاك الذي كانَ أنكرَ شرعيَّةَ صِيامِ رَمَضَانَ، والأضاحي في عيد الأضحى، وغير ذلكَ ممَّا هو معلومٌ من الدينِ بالضرورة، فهؤلاءُ يجبُ قتالُهم بنصِّ الحديثِ، ولكن بشرطِ الاستِطاعةِ كما تقدَّم.

لكن مجاهدةَ اليهودِ المحتلينِ للأرضِ المقدَّسةِ، والسَّافكينِ لدماءِ المسلمينِ أوجبُ من قتالِ مثلِ ذلكِ الحاكمِ من وجوهِ كثيرةٍ، لا مجالَ الآنَ لبيانها، من أهمِّها أن جندَ ذلكِ الحاكمِ من إخواننا المسلمينِ، وقد يكونُ جمهورُهم - أو على الأقلِّ الكثيرُ منهم - عنه غيرَ راضين، فلماذا لا يجاهدُ هؤلاءُ الشَّبابُ المتحمَّسُ اليهودَ، بدلَ مجاهدتهم لبعضِ حُكَّامِ المسلمينِ؟!

أظنُّ أن سيكونُ جوابُهم عدمُ الاستِطاعةِ بالمعنى المشروحِ سابقاً، والجوابُ هو جوابنا، والواقعُ يؤكِّدُ ذلكَ، بدليلِ أن خروجهم - معَ تعذُّرِ إمكانه - لم يُثمر شيئاً سوى سفكِ الدِّماءِ سُدًى! والمثالُ - معَ الأسفِ الشديدِ - لا يزالُ ماثلاً في الجزائرِ، فهل من مدَّكر؟! «.

تَغَيَّرَتِ البِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَلَوْنُ الأَرْضِ مُعَبَّرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَقَلَّ بَشاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحِ

تنبيه آخر: لما تيقن بعضهم أن أهلَ العلمِ يخالفونهم فيما هم فيه، وقفوا حيارى حتى جاءهم الغوثُ من الشَّيطانِ، فخوفهم من الرجوعِ عمَّا هم

فيه، وزين لهم أعمالهم بدعوى أنه لا يُشترط أن تُؤخذ الفتوى عن العلماء الأحياء، بل تكفي موافقة الأموات لهم!!

وفي هذا التزيين تكذيب لقول رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ » الحديث متفق عليه؛ لأنه يفهم من صنيعهم أنّهم ما تركوا علم الأحياء لعلم الأموات إلاّ لأنّهم وجدوا العلماء الأحياء بعلم الأموات أمواتاً، وهذا يستلزم بدهة خلوّ الأرض من ناطق بالحجّة، وانطِماس معالم الدّين، والله المستعان.

ثمّ إنّ المسألة من مسائل النّوازل، وتنزيل الأدلّة عليها يحتاج إلى أهله، والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

تناقض: إنّهم في الوقت الذي يقولون: إنّنا نعملُ بفتوى الأموات من أهل العلم كابن تيمية مثلاً، فإنّهم يردّون علماء عصرهم بدعوى أن هؤلاء غير مطلّعين على واقعهم، كذاك الذي زعم أن الشّيخ الألباني لا يدري أنّهم على استعداد للمواجهة...!

فقولُ لهم: هل جاءكم ابن تيمية - رحمه الله - فأخبركم أنّكم على استعداد؟!!

وقد ذكرني هؤلاء بمدّع في محكمة، قيل له: من شهودك؟ قال: « فلان وفلان، لكنّهم غائبون وأنا أنوب عنهم!»، كما قال إياس بن معاوية لرجل: « إنّ أردت الخصومة فعليك بصالح السّدوسي، وتدري ما يقول لك؟ يقول لك: اجحد ما عليك، وادّع ما ليس لك، واستشهد الغيب!!!»، انظر « تهذيب التهذيب » لابن حجر (١/١٩٧).

فهذا هو منطق هؤلاء؛ إذ يُحيلوننا على الغيب من أهل العلم، مع أن منهم
شهوداً أحياء، فانظر إلى آثار تلبس إبليس، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ
أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس ٦٢].

طعن في الصحابة

من أجل تزكية ثورة الثائرين!

لقد حصل من الثوار الجزائريين أنواع من الإجرام لا يحصيه إلا الله، من قتلٍ بغير حقٍّ، وتنكيلٍ ببني آدمٍ وتمثيلٍ، وعُدوانٍ على أعراض النّسوان، ووحشيةٍ في الهجوم على أرواح العجزة والولدان...!!

همجيةٌ لا نظير لها إلا أن تُقرنَ بهمجية التّار ومن شابههم، حاول المتظاهرون بالغيرة والاعتدال إصاق كل شيء بالمخبرات، كما هي عادتهم عند الفشل، ومعلوم أن كل شيء لا تفسير له عندهم فإن ظهر المخبرات له حمال، ومن تناقضهم وجورهم في آن واحد، أنهم يعترفون أحياناً بأن ثوارهم قاموا بشيء من هذا؛ وذلك إذا لم يكن في عملهم بشاعة ظاهرة، فهناك يُسارعون إلى الافتخار (بمجاهديهم!)، وأما إذا كان فيه بشاعة، فإنهم يُسارعون إلى رمي المخبرات به، ولو كانوا لا يعرفون شيئاً عن مصدر هذه العمليّات، وإنما لهم الحلوى، ولغيرهم المرء!!

لكن أبا قتادة يرفض ذلك؛ لأنه يعرف أصحابه الذين يقومون بمثل ما ذكر، بل هو مُستبشرٌ بحالهم التي ارتقت بهم إلى الوصول لتحقيق هذه الأعمال الجهادية في زعمه؛ لأنه يتقرب إلى الله بها!

فجاء يرفع عنهم اللوم، ويدفع عن أعمالهم الضييم، فقرن فظائعهم بأخطاء الصحابة، بل زعم أن أخطاء الصحابة في جهادهم تبلغ المجلّدات ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف ٥].

قال في خطبته المشار إليها: « ولو أردتُ أن أذكرَ لكم المثالبَ التي وقعت في حركة الجهاد والتي قام بها أصحابُ رسول الله ﷺ لألف منها المجلدات؛ لأنها حركة، وفيها الاجتهادُ الواسعُ، فهل علمتم شيئاً من فعل أبي بكر مع مرتدِّ حرّقه بالنار، أبو بكر حرق رجلاً بالنار، وهناك حديثُ الرسول ﷺ يقول: (لا يُعذبُ بالنار إلا ربهما)؟ لكن هل هذا أسقطَ شرعيةَ قتال أبي بكرٍ للمرتدِّين؟! خالد ﷺ قتل أكثرَ من ثلاثة آلاف رجلاً (كذا!!) خطأً من بني جذيمة اجتهاداً حتى أراد عمرُ أن يُعاقب خالد (كذا)، لكن أبا بكر ﷺ رفض أن يُعاقبه؛ لأنها حركة بشريةٌ وحركة جهاد، جهاد فيها دماءٌ وأشلاءٌ، لا بدُّ أن يقع فيها مثلُ هذا! ولذلك لمَّا تولى عمرُ بن الخطاب إمارةَ المسلمين بعد خلافة أبي بكر ﷺ عزل خالد (كذا)، ثم تندّم في آخر حياته لمّا مات خالد، وقال: (رحم الله أبا بكر؛ لقد كان أعلمَ منِّي بالرجال)، فكون خالد وقع في خطأ شرعيٍّ لا يسلبُ خالد (كذا) شرعيةَ جهاده، وكذلك أسامةُ بن زيد، عندما قتل الرجلَ الذي قال لا إله إلا الله، قال له رسولُ الله: (أقتلته بعد ما قال...؟!)، قال: إنَّما قالها تأوُّلاً، قال: (هلاً شققتَ عن قلبه؟!)، وما زال يُعنفه... هذه حركةٌ بشريةٌ، فيها دماءٌ وأشلاءٌ!! فيها جهودٌ وتضحيات!! ».

النقد:

١ - إذا كانت أخطاء الصحابة في قتل النفس بغير حق لا يفني بها إلا المجلدات، فهو يعني أنهم ﷺ كانوا يتلاعبون بأرواح بني آدم، وحاشاهم! أين هذه المجلدات، وهذا المشبوه الطاعن في أصحاب رسول الله ﷺ لم يذكر إلا ثلاث وقائع؟!!

٢- إنَّ جهادَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ كان جهاداً شرعياً، بل هو أشرفُ جهادِ سُمع به في هذه الأمة، فمن من العلماءِ أضفى الشرعيةَ على جهادِكم؟! وقد قيل: أثبت العرشَ ثم انقش!

٣- إنَّ الأخطاءَ التي وقعَ فيها بعضُ الصحابةِ كانتْ عن اجتهادِ منهم، فأين اجتهادُ من يقتحم قريةً ويسلبُ أهلها، ثم يذبُّهم على بكرة أبيهم، لا يتحاشى شيخاً ولا امرأةً ولا رضيعاً؟! أين اجتهادُ من يُفخِّخ سيارَةَ بالمنفجراتِ في طريقِ أهلِ اللثاسِ، بل بالمسلمين، أو في محلٍّ عُمومي؟! أين اجتهادُ من يدخل على بيتِ مُسلمٍ ويذبح فيه الشابَّ الذي لم يتجاوز عمرَ العشرين؛ وليس له ذنبٌ سوى أنَّه طلب لأداء الخِدمة العسْكريةَ فاستجاب طوعاً أو كرهاً؟! أين اجتهادُ من يقلعُ العيونَ ويُجدِّع الأنوفَ ويقطع الشِّفاه...؟! أين اجتهادُ من رأى حلَّ دمِ أبيه وأمه، مُنطلقاً من مبدأ (الولاء والبراء)؟! أين اجتهادُ من حوَّل الحرائرَ من المُسلِّماتِ سبياً؟! أيُّ ذنب ارتكب التاجرُ حتى استحقَّ القتلُ؛ حينَ رفضَ أن يُسلِّم لهم أمواله؟! أين الاجتهادُ هنا في إزهاق رُوحه؟! أين اجتهادُ من استباحَ دماءَ الشعبِ بحجةِ مشاركته في جريمة الانتخاب؟! ﴿ قُلْ ءَآلَهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس ٥٩]؟! هذه الجرائمُ لم تقعِ إبانَ الحركةِ القتاليةِ اجتهاداً طارئاً على غيرِ مثالِ سابقٍ، ولكنها وقعتْ بعد الفتوى التي يُسمونها زوراً (شرعية!).

هذه الجرائم استباحتموها على مكتب الفتوى بعد غياب التقوى، كالذي عند المشبوه بلندن، قبل أن تستيحوها على أرض (حركة الجهاد!)، فلا يقال حينئذ: إنها طرأت عليهم في ميدان القتال؛ لأنهم بيتوها قبل دخول المعارك، وهي فتاوى لقنوها مراغمة لفتاوى أهل العلم.

هذه الجرائم لم تقع على أرض (حركة الجهاد!) فلتة، ولكنها وقعت على أرض الغلو الذميم، فما أتعسكم وما أضل سعيكم حين تفترون على جهاد الصحابة ما افتريتموه وتشبهون أنفسكم بهم!!

٥- إن أخطاء من أخطأ من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانت على غير اختيار منهم، أما فظائعكم فإنكم ارتكبتموها وترتكبونها وأنتم في سعة من وقت، وبعد تقدير وسوء تدبير.

ومثاله ما فعله أسامة بن زيد رضي الله عنهما، فإنه لم يكن له خيار في قتل المشرك أو تركه، فهما فرصتان لا ثالث لهما، والوقت كان أضيق ما يكون، بحيث لا يسعه أن يدع المشرك بعد أن نطق بكلمة الإسلام ليستشير أو يستفتي، مع ذلك عنفه رسول الله ﷺ كل ذلك التعنيف المشهور، وهو حبه

ﷺ.

قتل أسامة بن زيد رضي الله عنهما رجلاً من المشركين بعد أن نطق هذا بكلمة الإسلام وهو في المعركة، فقال له رسول الله ﷺ: «أقال: لا إله إلا الله؟»

فقال أسامة: يا رسول الله! إنما قالها خوفاً من السلاح.

قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟! «.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: « يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله!؟ »

قلت: يا رسول الله! إنما كان متعوذاً.

فقال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله!؟

فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم!! « رواه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (١٥٨، ١٥٩). فتأمل:

أ- إن النبي ﷺ لم يمنعه كون القاتل هو حبه أسامة من تعنيفه، وتعظيم الجناية في عينيه، خلافاً للمستخفين بدماء المسلمين، مع أن أسامة ﷺ كان متأولاً قاصداً نصره الدين، مقاتلاً رجلاً من المشركين، لم ينطق بكلمة (لا إله إلا الله) إلا تحت بارقة السيف.

كل القرائن توحى بأنه لم يرد بكلمة التوحيد إلا حقن دمه، لا سيما وأنه مشرك من أصله، مع ذلك حرم رسول الله ﷺ قتله، بل عنف حبه هذا التعنيف الذي لم يُعهد عنه مثله ﷺ، حتى تمنى أسامة أنه لم يعرف الإسلام قبل هذه الحادثة، فأين هم الذين يعرفون لكلمة (لا إله إلا الله) حرمتها!؟

وعلى هذا، فمن كان متأسباً برسول الله ﷺ فلا يُعاملن هذه الجماعات المقاتلة كما لم يُعامل رسول الله ﷺ حبه أسامة ﷺ، مع أن ما بينه وبينهم من الفرق ما لا يخفى.

قال ابن التين: « في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد، وقال القرطبي: في تكريره ذلك والإعراض عن

قَبُولِ الْعُذْرِ زَجْرٌ شَدِيدٌ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ»، من « فَتْحِ الْبَارِي » لابن حَجَرٍ (١٩٥/١٢ - ١٩٦).

ب - إِنَّ الرَّجُلَ الْمَقْتُولَ لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا وَلَا كَانَ مُسَالِمًا، وَلَكِنَّهُ جَاءَ مَقَاتِلًا، بَلْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَدَدًا، بَلْ كَادَ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ جُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « ... فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ ... » رواه مسلم (١٦٠).

وبعد أن ذكر قتل أسامة له، قال له رسولُ الله ﷺ: « لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فقال: يا رسولَ الله! أَوْجَعُ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمِّي نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السِّيفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ! قال رسولُ الله ﷺ: أَقْتَلْتَهُ؟

قال: نعم!

قال: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِ— (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

قال: يا رسولَ الله! اسْتَغْفِرُ لِي.

قال: وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِ— (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! فَجَعَلَ لَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِ— (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟! « رواه مسلم (١٦٠).

هذا في حقِّ مشرِكٍ آذَى الْمُسْلِمِينَ بِسَيْفِهِ وَقَاتَلَهُمْ، فَكَيْفَ يَقْتُلُ مُسْلِمًا قَدْ يَكُونُ مُصَلِّيًا مَزَكِيًّا صَوَّامًا، كُلُّ ذَنْبِهِ أَنَّهُ شَرَطِيٌّ أَوْ عَسْكَرِيٌّ؟!

فكَيْفَ يَقْتُلُ شَعْبٌ مُسْلِمٍ لَيْسَ فِيهِ أَقْلِيَّاتٌ تُذَكَّرُ مِنْ نَصَارَى أَوْ يَهُودٍ؟!

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشَدَّ قَسْوَةَ الْقُلُوبِ!

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: « إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدّم الحرام بغير حله » رواه البخاري (٦٨٦٣).

فكيف - مع هذا كله - يدعي مستحلّو دماء الشرطة أن قتالهم نظيف، ثم هم يعيشون بالأموال المسروقة والمغتصبة من أهلها عنوة، ويزهقون أرواح العساكر المسلمين ويذروهم يتشحطون في دمائهم وأهلوهم ينظرون؟! - إن أسامة بن زيد رضي الله عنهما وقع فيما وقع فيه، ولم يسبق له أن عرف حكم ما وقع فيه، ولا كان لديه واقعة تُشبهها فيقيس عليها حالته، فكان لا بدّ من اجتهاده، وكان لا بدّ من وقوع أحد أمرين: إمّا قتل الرجل أو تركه.

إذا فالفرص التي لديه محدودة جدًّا، ولا سيما وهو في معركة، وقد وجد بين يديه مشركاً شجاعاً ومقاتلاً قوياً، لم يقدر عليه غيره.

كل هذه القرائن لم تشفع له عند رسول الله ﷺ، حتى قال فيه ما قال، فكيف يكون قول رسول الله ﷺ لقوم عرفوا حكم أهل العلم المسبق - بل إجماعهم - على التّديد بأعمالهم، ثم تمادوا في المخالفة؟! فتأمل هذا - رحمك الله - متجرّداً عن الهوى، ومتدنّراً بلباس التّقوى.

واعلم أن هذا التصرف من رسول الله ﷺ هو سيرته في الدّماء، فلم يكن يتساهل فيها أبداً.

٥ - إن الأخطاء التي وقع فيها بعض الصحابة رضي الله عنهم رجعوا عنها، أمّا أنتم، فلا يمرّ عليكم يومٌ إلاّ ازددتم وحشيةً إلى وحشية، فأين وجه الشّبه بينكم وبينهم، وأنتم لا تعترفون أصلاً بأنكم أخطأتم؟!!

بل كلما بلغكم أن العلماء نددوا بصنيعكم ازددتم حقدا وعمى، ولذلك فإن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان قد تلقن درسا عظيما مما حصل له مع ذلك المشرك الوحيد، حتى إنه اعتزل جميع الدماء التي كانت بين المسلمين، قال وكيع رحمه الله: «سلم من الفتنة من المعروفين: سعد، وابن عمر، وأسامة ابن زيد، ومحمد بن مسلمة».

قال الذهبي - رحمه الله - معلقاً على هذا في «السير» (٥٠٠/٢) - (٥٠١): «قلت: انتفع أسامة من يوم النبي ﷺ؛ إذ يقول له: (كيف بلا إله إلا الله يا أسامة؟!)، فكف يده ولزم بيته، فأحسن».

ولذلك لما دعاه علي ﷺ ليشاركه في القتال المعروف بينه وبين مخالفه في الجمل وصفين اعتذر إليه، ولم يجبه إلى طلبه، فقد روى البخاري (٧١١٠) وابن سعد (٧١/٤) عن حرملة مولى أسامة قال: «أرسلني أسامة إلى علي، وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدة الأسد لأحببت أن أكون معك، ولكن هذا أمر لم أره».

قال ابن حجر - رحمه الله - في «الفتح» (٦٧/١٣): «هذا هيأه أسامة اعتذاراً عن تخلفه عن علي؛ لعلمه أن علياً كان ينكر علي من تخلف عنه، ولا سيما مثل أسامة الذي هو من أهل البيت، فاعتذر بأنه لم يتخلف ضناً منه بنفسه عن علي ولا كراهة له، وأنه لو كان في أشد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه ويؤاسيه بنفسه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته في قتال المسلمين، وهذا معنى قوله: (ولكن هذا أمر لم أره)»، وفي رواية ذكرها الذهبي في «السير» (٥٠٤/٢-٥٠٥) عنه قال: «فوالله لا أدخل فيه أبداً!».

قال ابن بطال - رحمه الله - كما في « الفتح » (٦٨/١٣): « أرسل أسامة إلى عليّ يعتذر عن تخلفه عنه في حروبه، ويُعلمه أنه من أحب الناس إليه، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء، إلا أنه لا يرى قتال المسلم، قال: والسبب في ذلك أنه لما قتل ذلك الرجل ... ولأمة النبي ﷺ بسبب ذلك، آلى على نفسه أن لا يُقاتل مسلماً، فذلك سبب تخلفه عن عليّ في الجمل وصفين ».

وقال أيضاً كما في « الفتح » (١٩٦/١٢): « كانت هذه القصة - أي قتل أسامة للمُشرك - سبب حلف أسامة ألا يُقاتل مسلماً بعد ذلك، ومن ثم تخلف عن عليّ في الجمل وصفين ».

وقد روى مسلم (١٥٨) قصة أسامة ﷺ، وفيها: أن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: « وأنا - والله! - لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين، يعني أسامة، قال: قال رجل: ألم يقل الله: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ آلِدِينَ كُلَّهُمِ اللَّهُ ﴾ [الأنفال ٣٩]؟! فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تُقاتلوا حتى تكون فتنة! ».

وأما قصة خالد بن الوليد حين بُعث إلى بني جذيمة، فقد رواها البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر قال: « بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صباناً، صباناً، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله! لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين ».

قلت: من ذا الذي أحيا الله قلبه بخوفه ثم لا يهتز لهذه الدعوة النبوية؟

وخالد رضي الله عنه - وما أدراك ما خالد! - سيف الله المسلول، ولكن أمر الدماء عظيم، فلذلك تبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم من عمله هذا.

هذا، مع أن خالداً رضي الله عنه لم يقتل أولئك عن عمد ومُعاندة لفتاوى أهل العلم، ولم يقتل من شهد بين يديه بالإسلام، كما يفعل وحوش الجزائر، يشهد الرجل بين أيديهم بشهادة الإسلام وبالأيمان المغلظة، وقد يكون صائماً، فلا يمنعهم ذلك من ضرب عنقه، ويراقبون العسكري في كل حركاته ويقتلونه ولو كان خارجاً من المسجد، بل كم من مُصلٍّ أخرجوه من المسجد ليذبجوه، في حكايات يطول ذكرها!!

ثم إن خالداً رضي الله عنه قتلهم؛ لأنه لم يفهم قولهم: (صَبَّأنا) الذي أرادوا به الإسلام؛ لأن هذه الكلمة تحتمل معنى: أسلمنا، كما تحتمل معنى خرَجنا من دين إلى دين، وهذا المعنى الثاني هو الذي كثر استعماله عندهم بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي فهمه خالد رضي الله عنه، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥٧/٨): «ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم: صَبَّأ، حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم، ومن ثمَّ كما أسلم ثمامة بن أثال وقدام مكة مُعتمراً، قالوا له: صَبَّأت؟ قال: لا، بل أسلمتُ.»

وعلى كل حال فقصة خالد رضي الله عنه أخرجها البخاري (٤٣٣٩) و(٧١٨٩) كما مرَّ، وعبد الرزاق (٩٤٣٤) و(١٨٧٢١) وابن معين في «جُزئه» (١٧) وأحمد (١٥١/٢) وعبد بن حميد في «المنتخب» (٧٢٩) والنسائي في «المجتبى» (٢٣٧/٨) وكذا في «الكبرى» (٥٩٦١) و(٨٥٩٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٢٣٠) و(٣٢٣١) وابن حبان (٤٧٤٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٥/٩) وفي «دلائل النبوة» (١١٣/٥ - ١١٤).

ولم أجد في هذه الطرق كلها أن عدد الذين قتلهم خالد بلغ ثلاثة آلاف كما زعم المشبوه، ولا أدري فلعله أراد أن يُكثّر لخالد قَتلاه؛ ليخفف الحمل على ظُهور مجرميه في الجزائر؛ لأن المصيبة إذا عمّت خفت، كما كثر للصَّحابة أخطاءٌ خياليةٌ في القتل حتى وصلت عنده إلى مجلدات، فانظر كيف يعمل الضَّلالُ بصاحبه!!

وهكذا لا يصطنعون لساحاتهم صفواً حتى يكذبوا ساحات خيرة البشر، والله المستعان!

وعلى كل حال، فإن التقيِّ الورع لا يُزَيِّن للناس انتهاك حرّمات المسلمين متذرّعاً بأخطاء المخطئين، ولو كان المخطئون الممثل بهم من أهل الصَّلاح والخير، كهذا الذي يستدلُّ بأخطاء من أخطأ من الصَّحابة؛ لأن الصَّواب لا يُستدلُّ له بالخطأ، والخطأ خطأ مهما كان مصدره، ووقوع الشريف فيه لا يزكّيه، وأين وجل من يقرأ: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٩٣]؟!

سُبْحَانَ اللَّهِ! أَيْقَتَلُ الرَّجُلُ أُمَّهُ وَأَبَاهُ الْمُسْلِمِينَ بِاسْمِ الدِّينِ، عمداً وبإصرار، ثم يجيء المشبوه يستدلُّ له بخطأ من أخطأ من الصَّحابة في الدماء لِيُهَوَّنَ من شأن جريمته؟!

والحقيقة أن الصَّحابة رضي الله عنهم كانوا أورع الناس عن الدماء، وما وقع لهم فيها من خطأ فهو قليلٌ جداً في سنوات طويلةٍ وجهادٍ مُستمرٍّ، وكان لهم فيها تأويلٌ، وأيُّ تأويل!

وقد كانوا كافين عن الفتن؛ إذ لم يبلغ عدد من دخل في صفين ثلاثين منهم من بين عشرة آلاف صحابيٍّ تقريباً، قال ابن تيمية - رحمه الله - في « منهاج السنة » (٢٣٦/٦ - ٢٣٧): « وأما الصَّحابة، فجمهورهم وجمهور

أفاضلهم ما دخلوا في فتنة، قال عبدُ الله بن الإمام أحمد: حدَّثنا أبي، حدَّثنا إسماعيل - يعني ابنَ عُلَيَّة - حدَّثنا أيُّوب - يعني السَّخْتِيَّانِي - عن محمد بن سيرين قال: (هاجت الفتنةُ وأصحابُ رسولِ الله ﷺ عَشْرَةَ آلافٍ، فما حَضَرها منهم مائة، بل لم يَبْلُغوا ثلاثين)، وهذا الإسناد من أصحِّ الأسانيد على وَجْهِ الأرض، ومحمد بن سيرين من أَوْرَعِ الناسِ في مَنْطِقِهِ، ومراسيلُهُ من أصحِّ المراسيل.

وقال عبد الله: حدَّثنا إسماعيل حدَّثنا منصور بن عبد الرَّحْمَنِ، قال: قال الشَّعْبِيُّ: (لم يَشْهَدْ الجَمَلَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ غيرَ عليٍّ وعمَّارٍ وطلحةٍ والزُّبَيْرِ، فإن جاؤوا بِخَامِسٍ فأنا كذَّابٌ!).

وقال عبد الله: حدَّثنا أبي، حدَّثنا أمية بن خالد، قال: قيل لشُعْبَةَ: إنَّ أبا شيبَةَ روى عن الحكم، عن عبد الرَّحْمَنِ بن أبي ليلَى، قال: شهد صفينَ من أهلِ بَدْرٍ سَبْعُونَ رجلاً، فقال: كذَّبَ - والله! - لقد ذَاكَرْتُ الحَكَمَ بِذلك، وذاكَرْتَهُ في بيته، فما وجدناه شَهِدَ صفينَ من أهلِ بَدْرٍ غيرِ خُزَيْمَةَ بنِ ثابتٍ.

قلت: هذا النَّفْيُ يدلُّ على قَلَّةِ مَنْ حَضَرَها، وقد قيل: إنَّه حضرها سهلُ ابنُ حنيفٍ وأبو أيُّوب، وكلامُ ابنِ سيرين مُقَارِبٌ؛ فما يَكادُ يَذْكَرُ مائةً واحداً، وقد روى ابنُ بَطَّة، عن بُكَيْرِ بنِ الأشْجِ، قال: أما إنَّ رجلاً من أهلِ بَدْرٍ لَزَمُوا بيوتَهُم بعد قتلِ عُثْمَانَ، فلم يَخْرُجُوا إلَّا إلى قُبُورِهِمْ.»

وعن أبي موسى الأشعريِّ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: « إنَّ بينَ يَدَيِ السَّاعَةِ الهَرَجُ، قال: قلنا: وما الهَرَجُ؟ قال: القتلُ والكذبُ، قال: قلنا: أكثرُ ممَّا يقتلُ المسلمون في فِروجِ الأرض؟ قال: إنَّه ليس بِقتلكم الكفارَ، قال: يَقْتُلُ الرَّجُلُ أباهُ، يَقْتُلُ أخاهُ، يَقْتُلُ عمَّهُ، يَقْتُلُ ابنَ عمِّه، يَقْتُلُ جارَه، قال: قلنا: ومعنا يومئذِ عقولُنا؟ قال: يَنْتَزِعُ عقولُ أكثرِ ذلكِ الزَّمانِ، ويخلفُ له هَبَاءٌ من

النَّاسِ، يَحْسَبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسَ هُمْ عَلَى شَيْءٍ، قَالَ (أَبُو مُوسَى): وَابْنُ اللَّهِ! إِنْ تَدْرِكُنِي وَإِيَّاكُمْ تِلْكَ الْأُمُورُ، وَابْنُ اللَّهِ! مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ فِيمَا عَاهَدَ إِلَيْنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَا، لَا نُحَدِّثُ فِيهَا شَيْئًا» رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤٠٦/٤) وَالْبَزَّازُ (٣٠٤٧/٨) وَابْنُ مَاجَهَ (٣٩٥٩) وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

مَعَ هَذِهِ الزَّوْجَرِ الَّتِي تَنْخَلَعُ لَهَا الْقُلُوبُ الْحَيَّةُ، فَإِنَّ الْمَشْبُوهَ قَدْ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ عَنِ ثَوْرَةِ هَوْلَاءِ الثَّائِرِينَ: «هُوَ الْجِهَادُ الْوَاضِحُ: أَنَّ الْجَزَائِرِيَّ يَقْتُلُ الْجَزَائِرِيَّ! لِمَاذَا يَقْتُلُهُ؟ لِأَنَّ هَذَا جَنْدُ اللَّهِ، وَهَوْلَاءُ جَنْدُ الطَّاعُوتِ!! أَرَأَيْتُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ جِهَادًا يَمَثَلُ هَذَا الْوُضُوحُ؟!!!».

٦_ لَقَدْ تَكَلَّمَ الْمَشْبُوهُ هُنَا عَنِ الْأَخْطَاءِ لِيُوهِمَنَا أَنَّهُ مُقْتَنِعٌ بِأَخْطَاءِ جَمَاعَتِهِ، لَكِنَّ كَلَامَهُ الْأَخِيرَ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَا يَرَى تَخَطُّتَهُمْ، فَعَلَامٌ إِذَا الْاسْتِدْلَالُ بِأَخْطَاءِ الصَّحَابَةِ وَهُوَ فِي مَعْرَضِ تَصْوِيبِ جَمَاعَتِهِ؟ تَأَمَّلْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ مَخَادَعَةٌ!

وَلَقَدْ جُرِّبَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ يُؤَفِّقْ لِلرُّجُوعِ عَنِ أَخْطَائِهِ أَنَّهُ إِذَا حُوصِرَ بِهَا اجْتَهَدَ فِي التَّنْقِيبِ عَنِ أَخْطَاءِ مُنْتَقِدِيهِ؛ نَقْلًا لِلْمَعْرَكَةِ مِنْ مَيْدَانِهَا إِلَى مَيْدَانٍ آخَرَ، وَاسْتِعْمَالًا لِلطَّرِيقَةِ الْهَجُومِيَّةِ فِي الدَّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْحَثُ فِي سِيرَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ لَعَلَّهُ يَجِدُ عِنْدَهُمْ شَيْئًا مِنْ جِنْسِ أَخْطَائِهِ، فَيَسَارِعُ لِإِبْرَازِهَا؛ سِتْرًا عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَكْتَرِثُ فِي ذَلِكَ لَعَلَّهُ يَطْعَنُ فِي الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ، إِنَّمَا هُمُ الْأَكْبَرُ هُوَ أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ، حَتَّى إِنِّي قَرَأْتُ لِرَجُلٍ كِتَابَةً فَتَحَ فِيهَا مَلَفًا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَذَكَرَ أَنَّ فُلَانًا النَّبِيَّ أَخْطَأَ فِي كَذَا، وَآخَرَ أَخْطَأَ فِي كَذَا، كُلُّ ذَلِكَ لِيُسَلِّكَ نَفْسَهُ مِمَّا كَسَبَتْ يَدَاهُ!!

وَهَذِهِ الشَّنَاعَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا لَمْ يَتَّبِعْ مَهْمَا سَمِيَ خَطَاةً أَوْ ذَنْبًا؛ فَلَيْسَ أَكْثَرَ مِنَ الْمَشَاكِلَةِ اللَّفْظِيَّةِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ

مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ ؛ لَآئِهٖ لَوْ تَابَ لَشَغَلَهُ ذَنْبُهُ عَنْ تَتَبُعِ ذُنُوبِ مُتَّقِدِيهِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ يَتَّبِعُ أخطاءَ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ!؟

٧_ المُخادعةُ الأخرى هي أن المشبوه ذكر أن أخطاء الصحابة لم تمنع من جهادهم، وكان العلماء منعوا جماعته من الجهاد بسبب أخطائهم في القتال فقط، وهذا من حيدته عن أصل البحث؛ لأن علماءنا نفوا عنهم وصف الجهاد لعدم توفر أسبابه أو شروطه، فافهم هذا - أخي القاريء! - حتى لا تُجرَّ إلى بحث جانبي، ولذلك كنتُ إذا رحلتُ إلى الشيخ الألباني - رحمه الله - لاحظتُ أنه كان يُعطينا الجواب، ويأتينا منه بالصواب، غير مُكثرتٍ كثيراً بما يجري عندنا.

وليس المقصودُ من هذا الكلام الإعراض عن التعرف على واقع ما يُفتي فيه، وإنما المقصودُ منه أن الشيخ ينطلقُ من مقدّمة وأصل:
فأما المقدّمة: فتمثّلُ في معرفة الشيخ بتشابه واقع البلاد الإسلاميّة اليوم، فيكونُ من التّعرّف في الكلام تطويلٌ ذليلٌ الواقع المراد وصفه، وقد قال الله تعالى:
﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [فصلت ٤٣].

وأما الأصل: فهو الذي يُركّزُ عليه دائماً رحمةُ الله عليه، ويتمثّلُ في النّظر في عمَل هؤلاء، فإن وافقوا السنّة في إصلاحهم كانوا على الجادة، وإن خالفوها خولّفوا، ولا أكادُ أنسى حواراً جرى بينه - رحمه الله - وبين امرأة من بلدتنا، وذلك حين أخذت الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ مقاعد البرلمان سنة (١٤١١هـ) تقريباً، والمرأة سلفيّة لا توافقُ الجبهة في مسالكها، لكن يبدو أن الوضع السياسيّ الجديد يومها استفزّها، حتّى قالت للشيخ: لقد انتصرت الجبهة في الانتخابات البرلمانيّة!

فأجابها الشيخُ على الفور: لا! لم تنتصِر!

فقلت: بلى!

فعارضها الشيخ بقوة، فصمدت في وجهه؛ لأنها لم تكن تشك فيما ترى، حتى كان من قولها أن قالت متعجبة: أنا أعيش في الجزائر، وأحبرك - يا شيخ! - بأن جبهة الإنقاذ أخذت أكثر المقاعد في البرلمان!!

ثم بين لها الشيخ وجه كلامه؛ وهو أن العبرة لا تكمن في النتيجة، وإنما تكمن في النظر في الطريق، وذكر لها أن الجبهة المذكورة لم تسلك طريق الرسول ﷺ في الإصلاح؛ لأن الإصلاح النبوي لم ينطلق من الإصلاح السياسي، وإن كانت السياسة من الدين بلا ريب، فيكون انتصارها حينئذ هزيمة، ووصولها انقطاعاً؛ لأن النصر يعقب الاتباع لا الابتداع، فإن الله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد ٧]، ولا ريب أن عمل المرء بسنة النبي ﷺ من أعظم ما ينصر به ربه، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، فسماهم الله أنصاراً له؛ لأنه اجتمع فيهم توحيد الله والمتابعة لرسوله ﷺ، إذا فنصر الله ﷻ ليس مجرد تعاطف مع الإسلام، وإنما هو عمل بالإسلام، والله المستعان على ذلك.

ذكرت القصة بالمعنى، وذكرتها لبيان قوة يقين الشيخ رحمه الله، وأن هذا اليقين هو الذي يعيش به السلفيون، وهو الذي يجب أن يُراجع فيه الحركيون أنفسهم، وفيها عبرة لمن يُعنون بالدعوة والجهاد والسياسة وقلوبهم ضعيفة اليقين بطريق رسول الله ﷺ، لا سيما وقد صدقت فراسة الشيخ فيهم،

﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

[النمل ٥٢].

ولذلك كنتُ أتعجبُ كثيراً حينَ أسألُ عن تفاصيلِ الوَضْعِ في الجزائرِ، وأقولُ: لسنا بحاجةَ كبيرةٍ إلى ذلك؛ لأنَّه يمكننا أن نَعْرِفَ هَذِهِ الجَمَاعَاتِ بحسَبِ أخذها بهذا الأَصْلِ، فإذا وجدناهم يسلكون المسالكَ السِّياسِيَّةَ أو الدِّمويَّةَ أو غيرها ممَّا يُخالفُ المسلكَ النَّبويَّ حَكَمْنَا عليهم بلاَ كبيرِ مُعَانَاةٍ، واللهُ وليُّ التَّوفيقِ.

تنبيه: هذه الحجَّةُ التي وارى بها أبو قتادة عورةَ وُحوشه هي نَفْسُهَا الَّتِي احتجَّ بها الخوارجُ الإباضيَّةُ، كما نصَّ عليه صاحبُهم ناصر بن سَلِيمَانَ السَّابِعي في كتابه « الخوارج والحقيقة الغائبة » (ص ١٢٣-١٢٤)، واستدلَّ عندها بثلاثِ قصص، وافقه أبو قتادة على اثنتين منها، إحداهما قصةُ أسامة بن زيد رضي الله عنه المذكورة آنفاً، والأخرى قصةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مع أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، إلا أن مؤلِّفَ هذا الكتابِ لم يعثر على أكثر من تلك الثلاث، بينما يرى المشبوه أنه قادرٌ على جمعها في مجلِّدات!

كما أن المشبوه يراها أمراً طبيعياً في حَرَكَةِ الجِهَادِ، بينما كان الإباضيُّ أقربَ إلى الصَّوابِ منه حينَ رآها حالاتٍ شاذةً، فقال: « ولو استعرضنا العهودَ الرَّاشدةَ لوجدناها لا تخلو من مثل هذه الحالاتِ الشاذةِ ».

وهكذا، حنائيك بعضُ الشرِّ أهونُ من بعض!

المؤيدون

لست أعني بالمؤيدين عامة المسلمين؛ فإن هؤلاء قد يؤيدون الثائرين على دولهم. تحض العاطفة الدينية، لا سيما إذا صحب ذلك ظلم من الراعي للرعية، فإن عادة هؤلاء أنهم يثورون طلباً لحقوقهم، وغضباً لحظوظهم، فإذا وجدوا من يبرز لهم هذا في صورة دينية تشبثوا به وازدادت حمسهم له، لست أعني هؤلاء بهذا الفصل، ولكنني أعني أولئك الذين نصبوا أنفسهم للدعوة، الذين يوظفون كل شيء للوصول إلى السلطة، فيبدؤون بتحصيل السلطة الدينية التي تجعل الناس ينقادون إليهم بلا سوط، حتى إذا كثر سوادهم، وجرت أذيالهم، طمحووا في الوثوب على السلطان، ويسلكون غالباً لذلك الجس اللطيف، أو المس العنيف، فيتمثل الأول في المطلب السياسي، والثاني في حز التواصي، وقد قضت العادة أن من دخل في الأول لم يخرج منه إلا إلى الثاني، والأمر لله.

إن الذين ألقموا بوق التأيد لم تطرف أعينهم منذ أن دخل من دخل في أحد المسلكين السابقين، فهم إن وجدوا أصحاب الحلول السياسية أيدوا، وإن وجدوا أصحاب الحلول الدموية أيدوا، فإن رأوا من السلطان فتوراً ألقوا، وإن رأوا منه بطشاً اتقوا!

ولعل القاريء الذكي قد أدرك أنني أقصد أهل التقية، لا من كان فيه من الشجاعة بقية؛ فإن هؤلاء يعرفون بما أوتوا من وضوح، ولكن أولئك...
إن بعض البلاد الإسلامية التي شبت فيها نار الفتنة حتى شابت، ما منع صحو سمائها إلا العيوم المستخفية.

ومن أمثلة المؤيدين:

عائض القرني لم يرَ خطيئةً على هؤلاء!!

بعدَ هذه الفَظائِعِ الَّتِي يَحْجُلُ المُسْلِمُ مِنْ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى دِينِهِ، وَبَعْدَ وَقُوعِهَا بِسَنَوَاتٍ، يَجِيءُ الشَّيْخُ عَائِضُ الْقُرْنِيِّ مُؤَيِّدًا، وَنَافِحًا فِي أَصْحَابِهَا نَفْسًا جَدِيدًا، فَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ « كُونُوا رَبَّانِيَيْنِ » (ص ٤٥): « وَأَصْبَحَتْ مَسْأَلَةُ الْجَزَائِرِ كَأَنَّهَا خَطِيئَةٌ فَعَلَتْهَا الْأُمَّةُ، وَالْحَرَكَةُ فِي الْجَزَائِرِ وَالْأُصُولِيُّونَ فِي الْجَزَائِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَسَوْفَ تَلْحَقُ بِهَا الْبُوسَنَةُ وَالْمَهْرَسُكُ وَالصُّومَالُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْوَسَائِلَ لَا تَتْرُكُ قَبِيحًا إِلَّا وَسَّعَتْهُ وَضَحَّمَتْهُ، وَأَعْطَتْهُ مِنَ الْهَالَةِ وَالْحَجْمِ حَتَّى يَقْتَنَعَ الْأَغْبِيَاءُ وَالْبُسَطَاءُ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَقُولُ!!

فَيَنْبَغِي أَنْ يُذَبَّ عَنْ أَعْرَاضِ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ، وَهَذِهِ الدَّعَوَاتِ الصَّالِحَةِ النَّاصِحَةِ، وَهَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ الَّذِينَ يُهَدِّدُونَ عَالَمَ الْكُفْرِ، وَيَزْحَفُونَ فِي زَحْفٍ مُقَدَّسٍ عَلَى دَوْلِ الْوَثْنِيَّةِ، وَهُمْ جَدِيرُونَ بِقَدْرِ جَهْدِهِمْ!!!».

قلتُ: لَقَدْ قِيلَ لِعَرَضٍ مَا: إِنَّ عَائِضًا قَدْ تَرَاجَعَ!!

قُلْنَا: عَنْ مَاذَا، وَكِتَابُهُ هَذَا يُطْبَعُ فِي طَبْعَتِهِ الْأُولَى سَنَةَ (١٤٢١ هـ)؟!

أَيَّ بَعْدَ مِيلَادِهِ الْجَدِيدِ!

فَلَا هُوَ اسْتَفَادَ مِنْ أَيَّامِهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي مُعَامَلَةِ الْفِرَاقِ، وَلَا هُوَ انْتَصَحَ بِمَا كَتَبْتُهُ لَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ الْجَزَائِرِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، أَوْ قَدْ سَمِعَ بِهِ عَلَى الْأَقْلَى، مَعَ هَذَا فَإِنَّهُ لَمْ يَرَ إِلَى الْآنَ - وَهُوَ فَقِيهُ الْوَاقِعِ!! - خَطِيئَةً فَعَلَتْهَا تِلْكَ الْجَمَاعَاتُ!!

وَمَا أَذْرِي مَتَى زَحَفَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَاتُ عَلَى دَوْلِ الْوَثْنِيَّةِ، وَلَا مَتَى كَفَّتْ يَدَهَا عَنْ عَالَمِ الْإِسْلَامِ وَتَوَجَّهَتْ إِلَى عَالَمِ الْكُفْرِ؟!

إن هذا لشيء عجيب!!

وأقول أيضاً: اسألوه واسألوا الشيخ سلمان العودة ومُرَيْدِيهِمَا عن تلك البشاعة التي نقلتها عن أولئك الوحوش، وهم كانوا ولا يزالون يؤيدون أصحابها وينافحون عنهم، ويهتتون أهل الصدق بالكذب، ويرمؤهم بضعف الولاء والبراء، فهل يجرؤون على تكذيب هذه الأخبار بعد أن صورنا لهم وثائقها التي فيها شهادة القوم على أنفسهم؟!!

هم الذين مدّوهم في الغي وأطالوا عمر الفتنة بإسرافهم في ممالأهم وتكثير سوادهم، بل ما بسقت أغصانها، وغلظت جذوعها إلا بتشجيعهم لهم وتصوير جرائمهم في صورة جهاد شرعي، والله المستعان!!

ولو هداهم الله ﷻ للاعتراف بجرائم (مجاهديهم!) - وهذا الذي نرجوه من قلوبنا - فإن التبعة لا تزال لأحقه بهم حتى يبينوا للناس حلية الأمر؛ وإلا فإن جيوشاً جرّارة ممن تربى في محاضنهم تستعد لتفعل كما فعل أولئك، أو لتستدرج إليه إن لم تقتنع بهذه الوحشية بادي الرأي، ولو تصورنا الشيخ سلمان العودة قام وتبرأ من أن ينسب إليه أو إلى منجه هذا الذي قتل أمه وأباه، فهل تسهل تبرئته من تشجيعه بل توريطة لهذا الشاب في مثل هذا الغلو، وقد نقلت في كتابي «مدارك النظر في السياسة» (ص ٣٧٠) وما بعدها من الطبعة الرابعة) تحريض سلمان لهذه الجماعات الهمجية نحو الدماء، وذلك في الوقت الذي بدأت فيه الدماء المسلمة تراق في الجزائر، ومنها قوله للجزائريين في (ص ٣٧٦): «... وتصبر وتحمّل، وتبذل المزيد من القتلى الذين نحسبهم عند الله تعالى شهداء»!!؟

تلك هي صنائعهم ولما يتمكنوا بعد، فكيف لو تمكنوا؟!
لقد كان من فضل الله على هذه الأمة أنه لا يمكن لهم في الأرض؛ روى

ابن ماجه (١٧٤) بإسناد حسن، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « يَنْشَأُ نَشْرٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، كَلِمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ »، قال ابن عمر: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « كَلِمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ - أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً - حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَالُ ».

قال وهب بن منبه المتوفى - رحمه الله - في أوائل القرن الثاني من الهجرة: « إني قد أدركتُ صدرَ الإسلام، فوالله! ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرَّقها الله على شرِّ حالاتهم! وما أظهرَ أحدٌ منهم قوله إلا ضربَ الله عنقه! وما اجتمعت الأمة على رجلٍ قطُّ من الخوارج! ولو أمكنَ الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج عن بيت الله الحرام! وإذا لعاد أمر الإسلام جاهليَّةً، حتى يعودَ النَّاسُ يَسْتَعِينُونَ بِرُؤُوسِ الْجِبَالِ كما كانوا في الجاهليَّة، وإذا لقام أكثرُ من عشرة أو عشرين رجلاً ليس منهم رجلٌ إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كلِّ رجلٍ منهم أكثرُ من عشرة آلاف يُقاتل بعضهم بعضاً، ويشهد بعضهم على بعضٍ بالكفر، حتى يُصبح الرجلُ المؤمنُ خائفاً على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلكُ أو مع مَنْ يكونُ!! » رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٧٨-٤٨٣)، وأورده المزي في « تهذيب الكمال » (٣١/١٥٠-١٥٦) والذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤/٥٥٣-٥٥٥).

وقد بين حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن سبب ضرب الذلة عليهم هو أن الجزاء من جنس العمل، فروى ابن أبي شيبة (٤٨٧/٧) بإسناد صحيح عنه أنه قال: « لَا يَمْشِيَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيُذَلَّهُ، فَلَا - وَاللَّهِ! - لَا يَزَالُ قَوْمٌ أَذَلُّوا السُّلْطَانَ أَذْلَاءً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »، وروى البخاري في « التاريخ الكبير » (٦/٢٠٦) وابن سعد في « الطبقات » (٧/١٦٤) وابن أبي حاتم في

« تفسيره » (٣/ق/١٧٨/أ - المحمودية) والآجري في « الشريعة » (٦٢) عن الحسن البصري - رحمة الله عليه - أنه قال في الخوارج: « والله! ما جاؤوا بيوم خير قط... ».

وأى خير في قوم وصل بهم غلوهم إلى غزو قري المسلمين، وقتل الآباء!!
قوم ضربت عليهم الذلة، ولو مكثوا لنسخوا الملة.

فليَنظر هؤلاء المدافعون عنهم بعد اليوم في العواقب قبل الولوج، لا سيما إذا أكرموا بأهل النصح والشفقة، وقد قيل:

وأحزمُ الناسِ مَنْ لو ماتَ مِنْ ظمًا لا يَقْرَبُ الوِرْدَ حتى يَعْرِفَ الصِّدْرَا
وليَصْدُقوا في التَّوْبَةِ، وإنَّ عَلامَةَ صِدْقِهِمْ أن يُعَالِجُوا خَطَأَ السِّرِّ بِتَوْبَةٍ في
السِّرِّ، وخطأ العلانية بتوبة في العلانية؛ فقد روى أحمد في « الزهد » (ص ٢٦)
والطبراني في « الكبير » (١٥٩/٢٠) عن عطاء بن يسار أن النبي ﷺ بعث
مُعَاذًا إلى اليَمَن، فقال: يا رسولَ الله! أوْصِنِي، قال: « عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ما
اسْتَطَعْتَ، واذكُرِ اللَّهَ ﷻ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ، وَإِذَا عَمَلْتَ سِيئَةً فَأُحْدِثْ
عِنْدَهَا تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ »، انظر لإسناده « السلسلة
الصحيحة » للألباني برقم (٣٣٢٠).

فما يضير الصادقين - وأرجو أن يكون منهم الشيوخ عاض وسلمان
وسفر - أن يعلنوها توبة ظاهرة، فيبينوا للناس فساد ما ربوهم عليه في خطبهم
التحريضية، وفساد ما عليه المذهب الذي أملى عليهم هذه الانحرافات، ألا وهو
المذهب الحركي الإخواني بشقيبه: القطبي التكفيري والبنائي المتميع، وإلا فما
أبعدهم عن الصدق، وأقربهم من التلبيس، والله الموفق.

ومن هؤلاء المؤيدين:

عدنان عرعور لا ينصم بوضع السلام

زار الشيخُ عدنانُ عرعورُ الجزائرَ والأحزابُ السياسيَّةَ في نشوتها، لا سيما ما كان منها ذا توجهٍ إسلاميٍّ، فكانَ له بعضُ الكلامِ الجيِّدِ في الموضوعِ، الأمرُ الَّذي جعلني وبعضَ طلبةِ العِلْمِ نسرُّ بذلك، لكن سرعانَ ما تكدَّرَ سرورنا ببعضِ التصرُّفاتِ، منها أنَّه لفتَ انتباهي عدمُ رضَى الشيخِ عدنانِ عَنَّا في ردودنا على جبهةِ الإنقاذِ يومها، فكنا إذا فتحنا موضوعَ انتقادهم نرى على وجهه علاماتِ الاستياءِ، ولكنَّه لم يكن يُصرِّح لنا بذلك، وإنما يُعرضُ بنا، فاثَّهَمنا أنفسنا، وحملنا الأمرَ على حُسنِ الظنِّ به.

والأمرُ الثاني: هو أننا شرحنا له قصَّةَ حملِ السِّلَاحِ في الجزائرِ من قبلِ المُسمَّى مُصطفى بويعلِي وجماعته، فكانَ يحكي لنا أنَّه وقعَ في سوريا مثلَ ذلك، وأنَّه استفتاه في تلكِ البلادِ بعضُ مَنْ يُسمِّيهم (مجاهدين!) في أنَّه هم بوضعِ السِّلَاحِ، فأخبره بعدمِ جوازِ ذلك؛ لأنَّ من فقهه الشيخُ عدنانُ أنَّه لا يحلُّ لمن حملَ السِّلَاحِ - ولو مخطئاً! - أن يتراجعَ؛ فقد قالَ في مُحاضرةٍ «أهميَّة معرفةِ المنهاجِ وخطورةِ الخروجِ عنه»: «إذا تمكَّنَ النَّاسُ مِنَ الجهادِ في بلدٍ ما فلا يحلُّ لهم أن يتركوه أبداً، ولو أخطأوا في البدءِ به!!».

قالَ هذا في الجزائرِ في الوقتِ الَّذي كانت تَضطربُ ربوعها بالفتنِ، وهو يَعلمُ أنَّ جماعاتٍ فيها قد حملتِ السِّلَاحَ باسمِ الجهادِ!

الثالث: في الوقتِ الَّذي كانَ يشرِّح لنا - ظاهراً - أنَّ جهادَ أولئكِ السُّوريِّينَ خطأ، فقد كانَ يحكي لنا من بطولاتهم قصصاً عجيبَةً في مدحِ واغتباط!!

الرابع: أنه كان يتكلم بلسان سلفي في مساجد السلفيين، فإذا خلا بغيرها لوى لسانه!!

وهذا كله تجاوزناه يومها، إلى أن مرت السنوات، فإذا بي أفاجا بشريط له بعنوان « معالم في المنهج » رقم (٣)، فسمعت الشيخ عدنان يقول: « حزب من الأحزاب: الجبهة الإسلامية في الجزائر، فيه عاقل يقف في وجهها؟! لكن فيه ناس ينصحونها، هذا الطريق، انتبهوا! احذروا! لكن هل يوجد مسلم يجيء يقف في وجهها؟! فإذا كانت على خطأ في هذا السبيل، ونحن ما نراه، لكن هل يجوز أن يأتي مسلم فيقف أمام حزب إسلامي، ويكون هو مشغلة بينه وبين هذا الحزب؟! فكل على شاكلته يعمل؛ فهذه الجبهة ترى الوصول الآن السريع بدل ما يستلم الشيوعيون أو العلمانيون أو الجزائريون، أو إلى غير ذلك...!!! ».

قلت: (الجزائريون) هم أحد جناحي الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فكيف جمعها الشيخ عدنان مع الشيوعيين والعلمانيين الذين ينبغي أن يحاربوا، وفي الوقت نفسه يستغرب صنيع من يواجه الجبهة؟! وعند سماعي لهذا الهديان أيقنت أن الرجل لا يستحق منا هذا النفس كله في تحسين الظن به، والتغافل عن زلاته.

ثم تمر السنوات أيضا ويخبرنا بعض إخواننا الذين كانوا يناظرون بعض الجماعات المسلحة في الجزائر، أن منهم من كانت تحذره نفسه بالتوبة والإقلاع عن إراقة الدماء، ولكن أصحابه يثبطونه عن ذلك بفتوى من الشيخ عدنان عرعور!!

ثم استمعت إلى حوار بينه وبين أحد إخواننا، ألا وهو الشيخ العيد بن سعد شريفي، والشريط معروف عند أهل الجزائر متداول باسم « مكالمة

هاتفيةً بينَ عدنان والعيد»، سأله هذا الأخيرُ بصراحةٍ محرّجةً: هل أفتيتَ الجماعةَ المسلّحةَ بالجزائرَ بالبقاء على ما هي عليه؟

فتلّغتم.. ثمّ جحدت حين تكلمم..!

ثمّ ألزّمه السائلُ بكلامه المحفوظ عند الجماعة المسلّحة، فإذا بالشيخ عدنان يتذكّرُ أمراً مهماً عنده: فيقول: هذه المكالمة الآن مسجّلةٌ؟

فقال له: نعم!

فجعل يلوذ بالفرار من الموضوع بإحياء موضوعاتٍ أُخرى، كموضوع التّحزّب والدّعوة، بل حتى موضوع تعدّد الزوجات!

وجعل يمينُ على الدّعوة الإسلاميّة بأنّه كان في الجزائر ينهى عن التّحزّب والفتن^(١)، مع أنّ كلامه الذي نقلته عنه قريباً يناقضه؛ لأنّه لم يعتبر في العقلاء من يردُّ على جبهة الإنقاذ: ذلك الحزب السياسيّ المعروف، فكيف يكون الشيخُ عدنان من العقلاء وقد كان يردُّ على جبهة الإنقاذ فيما زعم؟!

فهو بين إحدى اثنتين:

— إما أن له مذهباً قديماً، كان يرى فيه الرّدّ على جبهة الإنقاذ، وذلك يوم أن احتلس عقله، ومن كان كذلك فقد رفع عنه القلم حتى يُفنيق!

(١) كيف ذلك وقد سمعته في مُحاضرة «صفات الطائفة المنصورة» ألّقاها في الجزائر، يقول: «تتجمّع على السياسة!!!»؟! وقيل له: هل تُعتبر الأحزاب السياسيّة الموجودة حالياً من الفرق التي ذكرها النبيّ في حديثه الذي يذكّر الفرق؟ فقال: «أقول هذه أولُ زيارةٍ للجزائر، فأحبُّ أن آتي زيارةً ثانية!!».

قلت: فأين شجاعة عدنان، وأين الرّدّ على الحزبيين؟!

ثم انتحل مذهبا جديداً، ألا وهو مذهبُ (العُقلاء!)، فمنعه (عقله!) من الردِّ عليهم، لكن يُشكَلُ عليه أنه في هذا الوقت يتمدحُ بكونه كان يردُّ عليهم، فبأيِّ (العَدَنائين) نعتدُّ!!

- وإما أنه كاذبٌ فيما ادَّعى؛ لأنَّك تجده في مراكزِ السلفيين يردُّ على الحزبيين، كما تجده في مراكزِ الحزبيين يردُّ على السلفيين، وستراه إن شاء الله، وحقيقة أمره أنه يؤيدُ المناهجَ الثوريةَ، لكن على تقيَّة!!

إلا أن هذا (الذكاء!) لم يُقلته من القبضة؛ لأنَّ الذنبَ لا يُنسى والدَّيانَ لا يموت، ففي الوقت الذي كان يُطالبُه فيه السائلُ بأن ينصحَ لهذه الجماعاتِ بوضعِ السِّلَاحِ والدُّخُولِ في السِّلْمِ، كانَ عدنانُ يرفضُ أن يُقدِّمَ لهم النصيحَ في ذلك، يعني: مادمتَ تزعمُ أنَّك لم تتكلَّمِ بما تُسبِّبُ إليك، فيسَعُك الآن أن تنصحَ لهم بخلافِ ما تُسبِّبُ إليك!

بل كرَّرَ السائلُ عليه خبرَ أن الحكومةَ قد أمنتَ المقاتلينَ إن هم سَلَمُوا أنفسهم، ويبيِّنُ له صدقَ ذلك في الواقعِ، فاستماتَ الشيخُ عدنانُ في إِبائِهِ، على الرِّغمِ من معرفتهِ بالسَّائلِ وثقتهِ به!!

وأصرَّ على التَّعميةِ، إلى أن سَلَّ اللهُ لسانَه من جوفه، فقال: «أنا قلتُ لهم: لا تَبْدؤوهم بقتالٍ!!!».

وقد ظنَّ أنه بهذا الجوابِ لم يقلُ شيئاً، فإذا بها الفضيحةُ التي كانَ الشَّيخُ عدنانُ يريدُ كتمانها، ولكنَّ اللهَ أرادَ لها الظُّهورَ عن طريقه هو نفسه.

وقد قلتُ: هي فضيحةٌ؛ لأنها تتضمنُ ثلاثةَ أمورٍ:

الأوَّل: البقاءُ في جبالِ الإرهابِ: إرهابِ المسلمين!

الثَّاني: المحافظةُ على السِّلَاحِ!

الثالث: الإذن بالقتال، إن هم قوتلوا!!

إذاً، فما نُسب إلى الشيخ عدنان صدقٌ لا كذب.

وكيف يجوز له أن يسوِّغ لهم مُقابلة القتال بقتال، وأصل حملهم للسلاح

حرام؟!!

وهل يُداوى خطأ حمل السلاح بأفطع منه، ألا وهو استعمال السلاح

واستحلال الأرواح المعصومة؟!!

وقد سبق أن نقلتُ أن القول بقتال السلطان دفاعاً عن النفس هو

مذهب بعض الخوارج، والله المستعان.

يُضافُ إلى هذا أنه سُئل في الجزائر بعد محاضرة «قواعد معرفة الحق» عن

المظاهرات والمسيرات، بعد أن ظهر من هذه المظاهرات والمسيرات شرٌّ كبيرٌ

من دماءٍ وتخريبٍ وفرقة، فقال: «في الأصل أن هذه المظاهرات والمسيرات

ليست من دين الله في شيء...».

ثم نسخ هذا مباشرةً بقوله: «لكن لاحظُ المسألة، أولاً: أن هذا إذا كان

علماً فاضلاً راشداً، ثم نظرَ مع الشورى، فنظرَ في (المصلحة والمفسدة!!)، ثم

أخذ أمره بهذا، بالأمر، فإن رأيتَ جواز ذلك فاخرج!! وإن رأيتَ عدمَ

جواز هذا فلا تخرج؛ لأنه ليس بملزم!! لكن المسيرة إذا صحَّت - وأنا لا

أدري - إذا صحَّت، أن المسيرة إذا صحَّت^(١)، فكانت مسيرةً دعويةً لا مسيرةً

سياسيةً!!!».

(١) يُريدُ القصة التي جاء السؤالُ عنها في المحاضرة، ألا وهي خروج الصحابة في شعاب

مكة، وهي ضعيفة؛ فإن فيها إسحاق بن أبي فروة، وهو لا يُحتجُّ به، كما بينه العلامة

ابن باز - رحمه الله - في ردّه على الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق لما استدللَّ بهذه

فانظروا إلى هذا الجواب؛ هل تخرج منه بنتيجة؟!
وهل هذا الجواب يحفف من شر المسيرات أو يزيدوها؟!
وهل هذا الجواب يحسم مادة الحزبية أو يزيدوها؟!
والشيخ عدنان يعلم أن الحزبية الإسلامية اليوم تتحرق على هذه الوسائل
المستوردة من الكفار ولا تُفرط فيها!!

لم يهمننا كثيراً قوله: « لا أدري »؛ لأنه لا عيب على من لا يدري ما
طالباً للعلم، لكن العيب الأكبر أن يُفتي في دين الله من لا يدري، وشر من
ذلك أن يُفتي بفتوى ذات لسائين كما ترى!

وإن كان يرى أنه بهذا الجواب المعلق بجبال المكر والخديعة قد نال به
حظوة عند حزب (جبهة الإنقاذ) ومن يسايرها من أصحاب الثورات، وأنه -
في المقابل - قد أبقى على الشعرة التي بينه وبين السلفيين، فليعلم أن الله يغار
على دينه من أن يتلاعب به المتشبهون بأهل الفتوى؛ فيوشك أن يجعل
حامداهم لهم دائماً، فاتق الله يا عدنان! وليكن جوابك تديناً، لا تزنيماً، قال الله
ﷻ: ﴿مُخَلَّفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ
كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٦٢].

ومن ذلك أنه سُئل في الجزائر عن جماعات التكفير، فأجاب ببرودة،
وسمّاهم إخواناً له، وأمرهم فقط بأن يكونوا حكماً، كما في آخر شريط
« تفسير سورة محمد رقم (١) »!

القصة، راجع الفتوى في « مجموع فتاوى ومقالات متنوعة » للشيخ رحمه الله
(٢٤٦-٢٤٥/٨)، وهي بتاريخ: (١٤/٤/١٤١٥هـ).

ومن ذلك إيجابه على مسلمي الجزائر التعاون مع الحزبيين، وهذا لا يحتاج إلى أن أُحيل فيه على شريط؛ لأنه في أكثر المحاضرات التي ألقاها في تلك البلاد.

ومن ذلك أيضاً قوله: « وأن كل من يظلم المسلمين، وكل من يُعادي دين الإسلام، وكل من لا يُقيم حكم الله ﷻ وجب عليه أن يتنحى بأي وسيلة هو يتنحى بها، وإلا نُحِّي إن وجد الرجال!! »

ثمة سؤال: إذا قام مسلمون بانقلاب، في بلد ما، وأنت تقول: هذا لا يجوز، فما عليهم؟ أقول: وقد وقع الأمر وتم، فوجب علينا دعمهم ونصرتهم؛ فهم إخواننا وأحبائنا، فإذا أخطؤوا في الطريق وقد وصلوا، فالحمد لله الذي نجوا، فيجب أن نتسارع ونتعاون سريعاً لخلق هذا المجتمع المؤمن المسلم الذي لا يصلح بينه وبين حكومته اختلاف!»، من شريط « براءة السلفيين من مطاعن المدخليين » (١/١).

لقد جعل الشيخ عدنان مستحقي الخروج من الحكم ثلاثة أصناف:
الأول: الظالمون.

الثاني: المعادون لدين الإسلام.

الثالث: الذين لا يُقيمون حكم الله.

وأنت ترى - أخي القاريء! - أن في هذا الإطلاق خطورة ظاهرة؛ لأن مجرد ظلم ولي الأمر لا يُحوّل لأحد الخروج عليه؛ فقد روى البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية ». »

وأنا أعلم أن الشيخ عدنان يستعمل هذا الأسلوب غير الدقيق ليضمن لنفسه المخارج عند المضايق، فيقول هذا ليحمده الحركيون على أنه دعا بإطلاق للخروج، وتكلم عن الحكم بغير ما أنزل الله على طريقتهم؛ فلا ينفضوا عنه، وإذا عارضه السلفيون بالاعتراض السابق سارع للقول: إنهم مترصدون، ولا يفهمون كلامي؛ فإني أقصد من الحكام من اجتمع فيه تلك الأوصاف كلها: ظلم، ومعاداة للإسلام، وحكم بغير ما أنزل الله!

وهذه الطريقة في التلبس يعرفها كل من يعرف الشيخ عدنان، ولي عليه من أمثاله ما يقارب كتاباً كاملاً، بل لقد كتبت فيه هو نفسه - هداة الله - كتابة، فما شعرت إلا وهو مجلد ضخم، وقد نظرت في فصوله، فوجدت بين يدي فصلين هما أطول فصول الكتاب، ألا وهما: فصل تليسات عدنان، وفصل كذبات عدنان، وذلك من كثرة ما عند الرجل من هذا النوع، ثم لما رأيت طول الكتاب، أعرضت عن ذلك كله، واعتصرت منه هذا المختصر الذي بين يديك.

ومن ذلك أيضاً قوله في شريط « معالم في المنهج » (٣): « إذا جماعة من الجماعات رفضت الانضمام للدولة الإسلامية، فما على المسلمين إلا أن يذبجوهم، حتى ولو يتموا بأطفالهم، هم وأطفالهم يبحر قوهم ويبيدوهم!! ». قلت: كيف تكون فرحة خوارج هذا الزمان وهم يسمعون هذا الكلام؟! هذه هي حجة الغلاة من الخوارج عندنا بالضبط، وهي حجة ابن الأزرق قديماً!

ثم بين أنه ينبغي تعطيل الجهاد من أجل هذا، فقال: « وهذا من أوجب الواجبات على الدولة الإسلامية، قبل مقارعة الأعداء، ولا يجوز للدولة

الإسلامية أن تفتح الحصون، وهناك حزب رافض البيعة؛ اقتداءً بقوله (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)!!».

ومن ذلك أن:

عدنان يبرر التكفير والتفجير:

بدأت فتنة الشيخ عدنان لما أخذ يَجوبُ أمريكا وأوروبا وغيرها بإثارة ردود على العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي، وفرغ من عمره وعمر الدعوة سنتين صريحتين خالصتين لمثالب الشيخ، لا سيما في شريط «جلسة في الأندلس» الذي أتى فيها بشريط للشيخ، كان الشيخ ربيع يذكر فيه كلام زينب العزالي في مدح سيد قطب، ورد عليه فيه، فقال عدنان: لماذا ينقم عليّ مدحي سيداً وقد فعل أكثر منه؟! فقطع عدنان كلام الشيخ عن أوله، وأسمعه الحضور على أساس أنه من كلام الشيخ، فخرج الناس ناقمين على الشيخ ربيع، وورط الشيخ محمداً المغراوي في غمز الشيخ، مع أن صاحبه الحقيقي هو تلك المرأة!

وزعم الشيخ عدنان بفرنسا سنة (١٤٢٠هـ) في شريط «براءة السلفيين في الرد على المدخلين (٢/٢)» أن هذا كان في مسجد الرضا بمنطقة الخرج، مع أنه لا وجود لهذا المسجد بتلك المنطقة، وإنما هو في جدة!

كما زعم فيه أن الشيخ ربيعاً قال هذا الكلام في سيد قطب منذ سنتين ونصف تقريباً، أي بعد أن عرف سيداً وحذر منه عاد ليثني عليه، مع أن تاريخ الشريط الذي هو «جلسة في مسجد الرضا» كان قبل ذلك بتسع سنوات!!! والحقيقة أنني استبنت وجهه هذا الرجل - بعد مبالغة في تحسين الظن به - عند استماعي لهذا الشريط، وبأن لي أنه آية في التلبيس!!

وَمَا قَالَهُ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى أَوْرَبَا، كَمَا فِي شَرِيْطٍ « بَرَاءَةُ السَّلْفِيِّينَ مِنْ مَطَاعِنِ الْمَدْحَلِيِّينَ » (٤/٤): « أَسْبَابُ التَّطَرُّفِ: (بَعْضُ الشُّيُوخِ!!) وَبَعْضُ قُوَى الْأَمْنِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِخَاصَّةٍ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ لَمْ يَحْسِنُوا التَّرْبِيَةَ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ قُوَى الْأَمْنِ لَمْ يَحْسِنُوا الْمُعَالَجَةَ، نَحْنُ لَا نَرَى التَّكْفِيرَ، وَلَا نَرَى التَّطَرُّفَ، لَكِنْ مَاذَا تَرَوْنَ مِنْ شَابِّ سُجْنٍ فِي سُجُونِ عَبْدِ النَّاصِرِ، وَقِيَّدَتْ يَدَيْهِ (هَكَذَا)، شَابٌّ عُمُرُهُ عِشْرِينَ، ثَلَاثِينَ (هَكَذَا)، مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (هَكَذَا)، سُجْنٌ وَرَبِيْطٌ، وَرَبِيْطٌ يَدَاهُ، وَكُبْلٌ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهِ كَلْبٌ جَائِعٌ، يَنْهَشُ مِنْ بَدَنِهِ، بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ: مَاذَا يَقُولُ هَذَا الشَّابُّ؟ ».

ثُمَّ أَجَابَ: « يَكْفُرُ! وَيَكْفُرُ! وَيَكْفُرُ! وَيُفَجِّرُ! وَيُفَجِّرُ! وَيُفَجِّرُ! »
هَذِهِ مَا كَانَتْ مُعَالَجَةُ، هَذِهِ مُعَالَجَةُ يَهُودِيَّةً!

شَابٌّ أَخْطَأَ، حَتَّى وَلَوْ دَخَلَ فِي تَنْظِيمِ سِرِّي، كَانَ يَنْبَغِي عَلَى قُوَى الْأَمْنِ أَنْ تُعَالَجَ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ، لَا أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الشُّبَابِ، فَضْلًا عَنِ الظُّلْمِ الصَّرِيحِ الْوَاضِحِ فِي رَدِّ الشَّرِيعَةِ، فِي الْكُفْرِ بِالشَّرِيعَةِ، فِي كَذَا وَكَذَا وَكَذَا...

عَنِ الصِّدِّقِ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ!!!

شَابٌّ دَخَلَ السُّجْنَ، عُمُرُهُ عِشْرُونَ سَنَةً، مَاذَا تَرَاهُ يَفْعَلُ؟!

فَهَذَا هُوَ مِنْ أَسْبَابِ التَّطَرُّفِ، هَذَانِ السَّبَبَانِ «.

قُلْتُ: كَأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمْ أَوَّلُ مَنْ يُؤَذَى، حَتَّى يُجَابُوا بِهَذَا الْجَوَابِ الْعَاطِفِيِّ!

إِنَّ هَذَا التَّحْلِيلَ لَا يَزِيدُ صَاحِبَ الْفِتَنِ إِلَّا رُسُوحًا فِي الْفِتَنِ، وَطُمَأْنِينَةً إِلَى

الْحُلُولِ الدَّمَوِيِّ؛ مَا دَامَ يُسْنَدُ قَضِيَّتَهُ إِلَى هَذَا الْمَحَامِيِّ.

لَقَدْ شَكَى الصَّحَابَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مَا كَانُوا يَلْقَوْنَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَمَا كَانَ

جَوَابُهُ؟

روى البخاري (٦٩٤٣) عن حباب بن الأرت قال: « شكوتنا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله! ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون ». «

فانظر كم بين العلاجين: علاج عدنان، وعلاج سيد ولد عدنان!

ومن ذلك أن:

عدنان يرفض تسمية البلدان المسلمة بمجتمعات إسلامية:

الشيخ عدنان عرغور معروف بدفاعه عن سيد قطب، وكثرة استدلاله بكتبه، ونظرة خاطفة في مؤلفاته تُعنيك عن قيل وقال؛ فلا يكاد الرجل يكتب بضع صفحات إلا استشهد بكلام سيد!

ولسيد قطب حكم خاص على المجتمعات الإسلامية، وسوف أجلي هذا في القسم الثاني من الكتاب إن شاء الله، إلا أنني أكتفي هنا بنقل واحد عنه، جعل سيد يعدد فيه المجتمعات الجاهلية ويحددها، فكان مما قال في « معالم في الطريق » (ص ١٠١ - ط. دار الشروق ١٤٠٧ هـ): « وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة!!! ». «

فهل يقصد سيد أنها في منزلة بين المنزلتين: لا هي مسلمة، ولا هي كافرة؟ الجواب عند سيد نفسه؛ حيث قال في (ص ٩٨): « إن المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم ». «

لقد تأثر الشيخ عدنان بهذا التكفير الصارخ حتى رفض تسمية البلدان المسلمة: مجتمعات إسلامية، وهذا مما تشمئز له النفوس، ومعلوم أن آل قطب هم الذين اشتهروا بذلك، واستعاضوا منه اسم « مجتمعات جاهلية » كما مر، وأما الشيخ عدنان فتسمع هذا بصوته في شريط « رد الدكتور عبد الله الفارسي على رسالة عدنان عرعور » (٢)، حيث قال: « ما كان ينبغي لك أن تقول أن (هكذا) المسلمين الآن - والله! - وصلوا، ما قلت أنا، أقول: المسلمون هؤلاء ما تكفروهم أعيانا، لكن مجتمعاتهم هذه ليست مجتمعات إسلامية؛ بدليل رفضهم للشريعة الإسلامية، الآن ضربنا أمثلة كثيرة!!! »

وأنا أعرف أنه قامت بعض الحكومات، وتريد تطبيق الإسلام، وعجزت عن ذلك، لأن الشعب نفسه لا يرضى بهذا!!! ».

لا تغتر بقوله: « لا تكفر الشعوب! » ولا بقوله: « ما تكفروهم أعيانا! »؛ لأنه لا يعني عنه شيئا، وهو يرفض أن يسمي مجتمعاتهم: مجتمعات إسلامية، وقال: « نحن لا تكفر الشعوب! لكن جاء هذا الاستعمار فظهر الكفر في الحكم، ثم بعد ذلك تسلل الكفر إلى الشعوب » المصدر السابق.

فتأمل إطلاقه الكفر على الحكام؛ لتعلم سبب تعلق الجماعات التكفيرية التي ذكرتها في أول الرد عليه به، ولا يخفى عليه أنه يلقي محاضراته هذه في أوساط تعج بالشباب المشبع بالتكفير!

وتأمل رميه الشعوب بالكفر، ورميه لها برفض الشريعة؛ تفهم رفضه لتسمية مجتمعاتهم بـ « الإسلامية »، والأمر لله!

وأطلق الكفر على عموم الناس، فقال: « بل - والله! - إن بلادا كافرة، عبرت فيها أسهل مما عبرت بعض البلاد الإسلامية، من الذي صنع هذا؟ نحن الذين سكنا عن الطواغيت أول ما سكنا، ثم جر هذا الكفر إلى عموم

الناس!!»، وهذا من شريط مسجل في الجزائر في « تفسير بعض آيات الحجرات » وجه (ب).

وفي هذا الكلام تهيج واضح على الحكام، وتكفير فاضح لعموم الأنام، فلتقر أعين الحزبيين من السياسيين وكذا التكفيريين، ولتثبت أقدامهم في ما هم فيه!

ويزيد في التهيج السابق المبني على التكفير الماحق، فيقول: « كثير من الحكام أولئك الذين كفروا بدين الله، وكفروا بالله العظيم، كثير أولئك! لكن هل شعبنا، هل مجتمعنا هذا مجتمع مسلم؟ فقط كفر حكامه فنقلب عليهم؟!

فإن كانت المسألة كذلك فلا يجوز لك أن تنام الليلة إلا وتخرج على الحكام، لكن شعبنا أو بعض شعبنا - حتى لا نتحسس! - صاروا أفسد من حكاهم، فما أنتم صانعون؟

نعم! لقد كان الواجب منذ دخول الاستعمار - على كافة أشكاله وألوانه - كان الواجب رده فوراً، أن يقوم المسلمون قومة رجل واحد، فيدفعوا هذا العدو اللدود عن ديارهم، ولكن الله لم ينصرهم؛ لأنهم خذلوه وأضاعوا دينهم، فخذلهم الله وضيعهم! ».

وتفككت تقيته من تحت لسانه أحياناً، فيأتي بمنكر القول في تكفير الشعب الباكستاني؛ بسبب الانتخابات التي اغتر فيها بأصحاب الأموال كما يذكر هو، ويقول كما في شريط له بعنوان « ميزات الدعوة »: « إن المسلمين في باكستان باعوا دينهم بخمس مائة ربية، ونجحت بالأغلبية المطلقة كما تعلمون، فأبي زعم لكم أن هذا مسلم!!! ».

أَمْزَلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ يَا عَدْنَانُ؟

قال الشيخ عدنان صراحة في شريط « ميزات الدعوة »: « يقول قائل: أنت حيرتنا! لا نقول: نكفر هذا المجتمع؟! ولا نقول: مسلم؟! ».

ثم أجاب بقوله: « إي نحن نقول: إنه مجتمع مسلم أفراد! أما كمجتمع: ليس بمسلم، كمجتمع، كهيئة!!

أما كأفراد: نعم! مسلمون؛ لأننا لا نكفر الأفراد؛ والدليل على ذلك أن هذا المجتمع كمجتمع ليس بمسلم!! ».

ثم ذكر دليله الغريب الذي جعله يوقف المسلمين في برزخ بين الكفر والإسلام كالمعتزلة، فقال: « احسب نسبة المصلين فيه! واحسب نسبة الكاسيات العاريات بين التقيات الورعات!!

واحسب نسبة الذين يتعاطون الخمر والربا والقمار!!! ».

قلت: إذا فحساباته في رفض تسمية المجتمعات الإسلامية بـ (الإسلامية) تنطلق من كبائر الذنوب، فهذا مذهب من؟! ومن غرائب التكفير أن:

عدنان يكفر الأشاعرة:

قال في « معالم في المنهج » شريط (٤): « والله! لو مت على عقيدة أبي لكنت كافراً، وكان أبي يشهد الجماعة، بل أهل البلد كلهم شهوداً بصلاحه رحمه الله، ولو مت على عقيدته لكنت من الكافرين!!

قلت له مرة: أين الله، وأنا صغير؟

فقال: إن الله في الكون كالسمن في اللبن مخلوطاً!

هكذا سمع من مشايخه، وهكذا تربى عليه، وأما من قال - في اعتقادهم -
 أن الله فوق عرشه فهو زنديق مجسم حاصر الله **عَلَيْكَ** في مكان». **«**
 إن الشيخ عدنان يصرح بلا تحفظ بهذا الحكم الواضح في التكفير، وقد
 قلت: إنه في الوقت الذي يزعم أنه يردُّ على جماعة التكفير، يخوض لُجَّةً من
 التكفير وقف بساحلها جماعات التكفير، وإني لأعرفُ عنه من التكفير الغالي
 ما لم أسمعُه عن أحدٍ من غلاة هؤلاء!
 ومن ذلك:

تعريف العبادة عند الشيخ عدنان:

استمعتُ إلى شريط للشيخ عدنان عرُور يُفسِّر فيه «أول سورة
 الصافات» ألقاه في الجزائر، فلما جاء إلى قول الله تعالى: **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ
 لَوَاحِدٌ﴾** [الصافات ٤]، أتى فيه بتفسير غريب للعبادة التي تُخرج صاحبها من
 ملة الإسلام، فقد قال: «من يدري ما معنى العبادة؟...»
 ثم أجاب بنفسه، فقال: «فإذا أحببت شيئاً أشدَّ من حبك لله، أو أحببته
 في معصية الله فقد عبدته!
 الذلُّ، الخضوع، الخوف، الطاعة، هذه العبادة: فإذا أطعت وخفت من
 غير الله في معصية الله!!».

النقد:

١- ينبغي تذكُّر أن الشيخ عدنان يتكلَّم هنا عن توحيد العبادة وما
 ينقضُّها.

٢- ينبغي التنبُّه إلى أنه طرح سؤالاً في تعريف العبادة، ثم لم يُعرِّفها، وإنما
 هجم على تعريف ما ينقضُّها، أي أنه ذكر ما يرتدُّ به المرء عن دين الإسلام،

و(نسي!) أن يذكر ما يدخل به في دين الله، مما يبين لك العقلية المستعجلة في تكفير الناس التي يؤصل لها المذهب الحروري!

٣- جعل الشيخ عدنان من أحب شيئا في معصية الله عابداً له! فنسأله: هل يوجد في العصاة من لا يحب المعصية التي يرتكبها؟!

٤- وجعل أيضاً من أطاع غير الله في معصية الله عابداً له!!

و كنت كتبت في المسودة أن الشيخ عدنان لم يسبق إلى هذا التعريف، ثم حذفته؛ لأنني تذكرت أنه مسبوق إليه من قبل شيخه، ألا وهو سيد قطب الذي ستميت عدنان في الدفاع عنه، حتى قيل: إنه مجنون سيّد!

قال هذا الأخير في « ظلال القرآن » (٣ / ١١٩٨): « إن من أطاع بشراً في شريعة من عند نفسه - ولو في جزئية صغيرة - فإنما هو مشرك، وإن كان في الأصل مسلماً ثم فعلها، فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضاً!!! ».

هذا الشيخ! وذاك التلميذ!!

وإذا كان الشيخ يقول ما يشاء؛ لأنه لم يشهد له إلا بعقيدة الخلف، فأين سلفية التلميذ الذي ملأ الدنيا صحباً؛ إثباتاً لسلفيته بالقوة، وإن كان السلف يرفضون هذه التعريفات الحرورية؟!

وهاك التفصيل السلفي لمسألة الطاعة ودالاتها على الشرك أو ما دونه:

قال ابن تيمية - رحمه الله - في « فتاواه » عند تفسير قوله تعالى: « آتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » [التوبة ٣١]، بعد أن ساق بعض الآيات، منها قوله (٧/٦٩ - ٧١): « وقوله في

سِيَاقِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصفّات ٣٥]، وَلَا رَيْبَ أَنَّهَا تَتَنَاوَلُ الشَّرَكِينَ: الْأَصْغَرَ وَالْأَكْبَرَ، وَتَتَنَاوَلُ أَيْضًا مَنْ اسْتَكْبَرَ عَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَحْقِيقِ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَكَلَّمَا يُعْبَدُ بِهِ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ تَأْلِهِ الْعِبَادَ لَهُ، فَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ بَعْضِ عِبَادَتِهِ سَامِعًا مُطِيعًا فِي ذَلِكَ لِغَيْرِهِ لَمْ يَحَقِّقْ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وهؤلاء الذين اتخذوا أحوارهم ورهبانهم أرباباً؛ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، يَكُونُونَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعوهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله؛ أتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرُّسُلِ، فهذا كُفْرٌ، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلُّونَ لهم ويسجدون لهم، فكان من أتبع غيره في خلاف الدين - مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله - مُشْرِكاً مِثْلَ هؤُلاءِ.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)^(١)، وقال: (عَلَى الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ)^(٢)، وقال: (لَا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (٦٧٢٥) ومسلم (١٨٣٩) وغيرهما.

طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ^(١)، وَقَالَ: (مَنْ أَمَرَكَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلَا تُطِيعُوهُ)^(٢)».

٥_ وجعل أيضاً من خاف غير الله في معصية الله عبداً له!!
فهل يبقى - مع هذه التعريفات - مسلم على وجه الأرض؟!
واعلم أن الخوف أربعة أقسام:

الأول: خوف السرّ، وهو أن يخاف من غير الله أن يُصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، ويتصور أن الميّت أو الغائب المخوف يتبعه في سرّه وعلنه، وهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً؛ لأنّ هذا من لوازم الإلهية، وهو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر ٣٦].

وهذا الخوف لا يكون العبد مسلماً إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس، فهذا محرّم، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَاهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ» رواه أحمد (٣ / ٥)، وهو صحيح.

(١) رواه أحمد (١٣١/١) وهو صحيح.

(٢) رواه أحمد (٦٧/٣) وابن ماجه (٢٨٦٣) وهو صحيح.

الثالث: خَوْفُ وَعِيدِ اللَّهِ الَّذِي تَوَعَّدُ بِهِ الْعُصَاةَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم ١٤]، وَهَذَا الْخَوْفُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ.

الرابع: الْخَوْفُ الطَّبِيعِيُّ، كَالْخَوْفِ مِنْ عَدُوٍّ وَسَبْعٍ وَهَدْمٍ وَغَرَقٍ، فَهَذَا لَا يُدْمُ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْ مُوسَى ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص ٢١].

انتهى مُلَخَّصًا مِنْ «تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» لِلشَّيْخِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ آلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٤٨٤ - ٤٨٦).

فَأَنْتَ تَرَى - أَخِي الْقَارِيءُ! - أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ خَوْفٍ يُخْرَجُ مِنَ الْمَلَّةِ أَوْ يَدْخُلُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

وَسؤالٌ وَاحِدٌ نَطَّرَحُهُ عَلَى الشَّيْخِ عَدْنَانَ لِيُقَاسَ عَلَيْهِ، أَلَا وَهُوَ: مَا حُكْمُ مَنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً وَخَافَ فِي ذَلِكَ مَنْ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا أَبُوهُ؟ مَا حُكْمُ امْرَأَةٍ تَزْنِي وَهِيَ خَائِفَةٌ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، أَيِ مِنْ زَوْجِهَا مَثَلًا؟

وَمَا حُكْمُ مَنْ ارْتَكَبَ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ وَهُوَ خَائِفٌ مِنَ السُّلْطَانِ؟ وَبِهَذَا تُدْرِكُ خُطُورَةَ تَعْرِيفِ عَدْنَانَ السَّابِقِ لِلْعِبَادَةِ: «فَإِذَا أَطَعْتَ وَخِفْتَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ!!»، وَبِهِ تَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ فِي خُرُوجِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَثَلِ تِلْكَ الشُّذُودَاتِ.

عَدْنَانُ يُؤَاخِي الْخَوَارِجَ:

مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلْتَنِي أَزْدَادَ رِيَّةٍ فِي دَعْوَةِ الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ أُطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ دَعْوَتِهِ، أَنَّنِي سَمِعْتُهُ مَرَّةً يَقُولُ: «الْخَوَارِجُ إِخْوَانُنَا!!»، مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَاضِحٍ، وَلَا مُنَاسِبَةٍ ظَاهِرَةٍ وَلَا خَفِيَّةٍ، فَقُلْتُ: إِمَّا أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ رَدًّا عَلَى

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَإِنَّمَا أَنَّهُ يَفْعَلُهُ؛ رَدًّا عَلَى الَّذِينَ يُكْفِرُونَهُمْ، فَأَمَّا هَذِهِ فَلَا تُقْبَلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ تَكْفِيرَ الْخَوَارِجِ هُوَ مَذْهَبُ لِبَعْضِ السَّلَفِ، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ فَتَاوَاهِ» (٥١٨/٢٨): «فَإِنَّ الْأُمَّةَ مَتَّفِقُونَ عَلَى ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ، عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ، وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا نِزَاعٌ فِي كُفْرِهِمْ».

ثُمَّ الْقَائِلُ بِهِ الْيَوْمَ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَوْ الْعُلَمَاءِ قَلِيلٌ جَدًّا، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا السَّبَبُ الْأَوَّلُ، لَا سِيمَا وَلِلرَّجُلِ قَوَاعِدُ غَرِيبَةٌ فِي حِمَايَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ، لَمْ أَجِدْهَا - وَلَا هُوَ وَجَدَهَا - فِي كِتَابِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ طِيلَةَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَرْنًا، كَمِثْلِ قَوْلِهِ: «إِذَا حَكَمْتَ حُوكِمْتَ، وَإِذَا دَعَوْتَ أُجِرْتَ!!»، وَقَوْلِهِ: «نَصَحْ وَلَا نَجْرْ!!»، ثُمَّ يَا تُرَى: هَلْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى مُوَاخَاةِ الْخَوَارِجِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي طَفَحَ فِيهِ كَيْلُهُمْ، وَوَصَلَ إِلَى السَّهْلِ وَالْجَبَلِ شَرُّهُمْ؟!

وَمِنَ الْغَرَائِبِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يُعْرِفْ لَهُ شَيْخٌ، مَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُوَلَّعٌ بِالْإِبْدَاعِ، فَيَتَدَعَّى الْقَوَاعِدَ وَيَخْتَرِعُ الْأُصُولَ، وَيُرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْفَظُوهَا عَنْهُ، وَيَمْتَعِضُ إِذَا لَمْ تُكْتَبْ عَنْهُ!!!

هَذَا، وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخَ عِدْنَانُ عَرَعُورُ كَمَا فِي شَرِيطِ «بِرَاءَةِ السَّلَفِيِّينَ مِنْ مَطَاعِنِ الْمُدْحَلِيِّينَ» (٢/٢) عَنْ قَوْلِهِ: (الْخَوَارِجُ إِخْوَانُنَا)؟

فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «إِيه! قُلْتُهَا، وَأَقُولُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!!»

الَّتِي يُعَرِّرُنِي - الْمَشْكَلَةَ - أُنْمَةً! مِثْلَ مَا غَرَّرَنِي بِكُتُبِ الشَّيْخِ نَاصِرٍ، مَا سَمِعُوا - هَذَا الْأَحْمَقُ! - قَوْلَ عَلِيِّ فِي الْخَوَارِجِ: إِخْوَانُنَا بَعَا عَلَيْنَا؟! هَذِهِ وَاحِدَةٌ، اصْبِرْ! فِيهِ وَاحِدَةٌ ثَانِيَةٌ: الْمُسْلِمُ أَحْوَكُ؟

يا حبيبي! ما دُمتَ تقولُ: (مُسلم)، فهو أخوك - رَغْمَ أنفك - ولو
 ضالٌّ؟! ولو مُبتدعٌ؟! بأسألك: وينِ الدليلُ؟
 يُقالُ: (المُسلمُ أخو المُسلم)، ولو مُبتدعٌ؟
 ولو مُبتدع! بسُ الخارجِ مِنَ الإسلامِ!
 ماذا جرى: خرجَ مِنَ الأخوةِ؟!
 يعني: الأخوةُ والإسلامُ مُتلازِمَتانِ (هكذا)، لكن فيه أخوةٌ عامَّةٌ، وفيه
 أخوةٌ خاصَّةٌ.

ف قيلَ له: ألاَ يدخلُ هذا في بابِ الولاءِ والبراءِ؛ إذا قلنا مُتلاً: نتبرأُ من أهلِ
 البدعِ ونُبغضُهُم...؟
 فقاطعَ عدنانُ السَّائلَ قائلاً: إذا عليٌّ - أنا (ماني) أعلمُ من عليٍّ، أقولُ
 على اللُغةِ الشَّاميَّةِ: أُقبلُ راسَ عليٍّ - هو الذي ورَّطني، ماذا أفعلُ؟
 يا أخي! ما لها علاقةٌ بالولاءِ والبراءِ هذه، هذا حُكْمٌ شرعيٌّ: الخارجيُّ
 مُسلمٌ وإلاَ لا؟

فإذا قلتَ: أنا لا أراه مُسلمَ (هكذا)، نقولُ: لا تُقلُّ عنه أخوك... انتبه!
 وإذا قلتَ: مُسلمٌ، لزمك أن تقولَ إيش؟ أخوك؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿ إِنَّمَا
 الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات ١٠]، (المُسلمُ أخو المُسلم)، لكن له حقوقُ الأخوةِ
 الإسلاميَّةِ، وله حقوقُ البعضِ؛ واجِبنا أن نُبغضَ لبدعته وضلالته!! «.

النقد:

١- لقد أوهمَ الشَّيخُ عدنانُ أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ عليه السلام قالَ في الخوارجِ:
 « إخواننا بَعُوا عَلَيْنَا », واستدلَّ به عليٌّ قوله هو: « الخوارجُ إخواننا!! »,
 مع أنَّ عليًّا عليه السلام قاله في أصحابِ الجَمَلِ لا الخوارجِ؛ كما روى ابنُ أبي شَيْبَةَ في

« مُصَنَّفُهُ » (٢٥٦/ ١٥) والبيهقي في « سُنَنُهُ » (١٧٣/٨، ١٨٢) وأبو العَرَبِ في « المَحْنِ » (١٠٥ - ١٠٦) عن أبي البخترى قال: « سئل عليٌّ عن أَهْلِ الجَمَلِ، قال: قيل: أُمُشْرِكُونَ هُمْ؟ قال: مَنْ الشَّرْكَ فَرُّوا، قيل: أُمُنَافِقُونَ هُمْ؟ قال: إِنَّ المُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، قيل: فَمَا هُمْ؟ قال: إِخْوَانُنَا بَعُوا عَلَيْنَا ».

وأما ما جاء في حقِّ الخوارج، فقد روى عبدُ الرزاق (١٥٠/١٠) وابنُ أبي شَيْبَةَ (٣٣٢/١٥) وابنُ نصر في « تعظيم قَدْرِ الصَّلَاةِ » (٥٩٤_٥٩١) والبيهقي (١٧٤/٨) عن طارق بن شهاب قال: « كنتُ عندَ عليٍّ، فسُئِلَ عن أَهْلِ التَّهْرِ، أَمْهُمْ مُشْرِكُونَ؟ قال: مَنْ الشَّرْكَ فَرُّوا، قيل: فَمُنَافِقُونَ هُمْ؟ قال: إِنَّ المُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، قيلَ له: فَمَا هُمْ؟ قال: قَوْمٌ بَعُوا عَلَيْنَا ».

وفي سَنَدِ عبدِ الرزاق انقطاعٌ، إلاَّ أنَّ الَّذِي عندَ ابنِ أبي شَيْبَةَ وابنِ نَصْرٍ صَحِيحٌ مَوْصُولٌ، وهذا لفظُهُ كما تَرَى، ليسَ فيه كلمةٌ (إخواننا).

وقد أوردَ ابنُ كثيرٍ في « البداية والنَّهْيَةُ » (٥٩١/١٠) روايةً بلفظ (إخواننا) في حقِّ الخوارج، لكنَّهُ أَحْسَنَ صُنْعاً؛ حيثُ ساقَهَا بسَنَدِهَا من « كتاب الخوارج » للهيثم بن عدي عن إسماعيل بن أبي خالد، والهيثم هذا مُنْكَرُ الحَدِيثِ، كما في ترجمته في « تاريخ بغداد » (٥٠/١٤)، ويدلُّ على نكارة ما روى أن ابنَ نَصْرٍ روى في كتابه السَّابِقِ (٥٩٣) الأثرَ نفسَه، لكن من طريقٍ وكيعٍ عن إسماعيل بن أبي خالد بإسنادِهِ، إلاَّ أَنَّهُ بلفظ: « قَوْمٌ حَارِبُونَ »، وهو إسنادٌ صحيحٌ، فدلَّ على أنَّ لفظَ « إخواننا بَعُوا عَلَيْنَا » من منكراتِ الهيثم.

ولذلك قال ابنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - في « رسالة فَضْلِ أَهْلِ البَيْتِ وَحُقُوقِهِمْ » (ص ٢٩): « وقد ثبتَ عن أميرِ المُؤْمِنِينَ عليٍّ عليه السلام من وُجُوه أَنَّهُ

لَمَّا قَاتَلَ أَهْلَ الْجَمَلِ لَمْ يَسْبِ لَهُمْ ذَرِيَّةٌ، وَلَمْ يَغْنَمْ لَهُمْ مَالًا، وَلَا أَجْهَزَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا أَتْبَعَ مُدْبِرًا، وَلَا قَتَلَ أُسِيرًا، وَأَنَّهُ صَلَّى عَلَى قَتْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْجَمَلِ وَصَفِيْنِ، وَقَالَ: (إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا)، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِكُفَّارٍ وَلَا مُنَافِقِينَ، وَأَتْبَعَ فِيمَا قَالَهُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُمْ إِخْوَةَ، وَجَعَلَهُمْ مُؤْمِنِينَ فِي الْاِقْتِتَالِ وَالْبَغْيِ، كَمَا ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات ٩] .«

وقال أيضاً في (ص ٣١): « وَلَا يَسْتَوِي الْقَتْلَى الَّذِينَ صَلَّى عَلَيْهِمْ وَسَمَّاهُمْ: (إِخْوَانُنَا)، وَالْقَتْلَى الَّذِينَ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ، بَلْ قِيلَ لَهُ: مَنْ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا؟ فَقَالَ: هُمْ أَهْلُ حَرُورَاءَ.

فهذا الفرق بين أهل حروراء وبين غيرهم، الذي سمّاه أمير المؤمنين في خلافته بقوله وفعله؛ موافقاً لكتاب الله وسنة نبيه، وهو الصواب الذي لا معدل عنه لمن هدي رُشده»، وكذلك قال في «مجموع الفتاوى» (٥١٨/٢٨) وفي «منهاج السنة» (٤٩٧/٤) و(٤٠٦/٧)، وهذا من دقته رحمه الله.

وما استصوبه ابن تيمية هنا هو الرواية التي اعتمدها القرطبي في «تفسيره» (٣٢٣/١٦-٣٢٤).

٢_ لو فرضنا أن هذا الأثر قاله عليٌّ ﷺ في حق الخوارج، فنسأل الشيخ عدنان: هل قاله عليٌّ ليكسر حاجز الولاء والبراء، أم أنه قاله لغرض آخر؟ هل قاله ليثبت لهم الولاء والأخوة التي تتبعها المحبة والغض من فضائحهم، كما يفعل عدنان نكايَةً في السلفيين؟!!

لقد قاله عليٌّ ﷺ ليرفع عنهم وصف الكفر فقط؛ لأن قوماً كانوا يُغضونهم في الله - وهو المطلوب - فجعلوا يسألون عن إسلامهم وكفرهم، فكان الجوابُ على وفقه، فأبيُّ محلِّ لمقولةِ عدنان هنا؟! وانظرُ لذلك - إن شئتَ - « التمهيد » لابن عبد البر رحمه الله (٣٣٦/٢٣).

هذا جوابٌ جدليٌّ، أي على فرض أن عليًّا قاله في الخوارج، وإلا فقد علمت أنه قاله في أصحاب الجمل؛ ولذلك روى ابنُ أبي شَيْبَةَ (٢٧٧/١٥ و ٢٩٢) بسند صحيح عن محمد بن عليِّ الباقِر « أن رجلاً ذكَرَ عند عليٍّ أصحابَ الجملِ حتى ذكَرَ الكُفْرَ، فنَهاه عليٌّ ». ويوضِّحه ما يأتي:

٣ - وهو أن النصوص قد تواترت في الأمر بقتال الخوارج والتشريد بهم وفضحهم والتبرؤ منهم، فما هي نسبة هذا الأثر - لو صحَّ أنه في الخوارج - أمام حشد من الأحاديث والآثار التي يعسر حصرها؟! منها قول النبي ﷺ: « طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ». وقوله ﷺ: « هم شرُّ الخلق والخليقة ». وقوله ﷺ: « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ». وقوله ﷺ: « من لقيهم فليقتلهم؛ فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة » رواها كلها البخاريُّ ومسلم. وقوله ﷺ: « الخوارج كلاب النار » رواه الترمذيُّ (٣٠٠٠) وابن ماجه (١٧٦) وغيرهما، وهو صحيح.

والتَّصَوُّصُ فِيهِمْ كَثِيرَةٌ، بَلْ لَا يُوْجَدُ مِثْلُهَا وَلَا مِعْشَارُهَا فِي حَقِّ غَيْرِ الْخَوَارِجِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَحَدُ الْإِخْوَةِ أَنَّهُ قَالَ لِلشَّيْخِ عَدْنَانَ عَقَبَ مَحَاضِرَتِهِ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ)، وَأَنْتَ تَقُولُ: (الْخَوَارِجُ إِخْوَانُنَا)!؟ قَالَ: فَمَا أَحَارَ جَوَابًا!!».

٤_ إِنَّ عَدْنَانَ يَقَعْدُ - لِنَسْفِ قَاعِدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ - قَاعِدَتَهُ هَذِهِ فِي الْأَخْوَةِ، وَهَذَا مِنْ أَفْسَدِ مَا أَتَى بِهِ هِدَاةَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَرْفَعُ حُكْمَ الْبِرَاءَةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ؛ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ مَا تَسْمَعُ، وَإِلَّا فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَنْ فَرَّقَ دِينَهُ إِلَى فِرْقٍ وَأَحْزَابٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام ١٥٩].

وَتَبَرَّأَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ الْمَعَاصِي، كَمَا تَبَرَّأَ مِنْ أَهْلِهَا، مَعَ أَنَّهَا دُونَ بَدْعِ الْخَوَارِجِ، كَمِثْلِ قَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَهُوَ حَسَنٌ.

وَلَا يَزَالُ السَّلَفُ يَتَبَرَّؤُونَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَقَدْ ظَهَرَتْ الْقَدْرِيَّةُ فِي عَهْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمْ يَقُلْ: هَؤُلَاءِ إِخْوَانُنَا! وَأَنْتُمْ - يَا مَنْ شَغَلَكُمْ الشَّاغِلُ الرَّدُّ عَلَى إِخْوَانِكُمْ! - مَنْفَرُونَ، وَيَنْقُصُكُمْ الْأَدَبُ وَالْحِكْمَةُ، بَلْ رَوَى مُسْلِمٌ (٨) عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِيِّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيُّ حَاجِّينَ أَوْ مُعْتَمِرِينَ، فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدْرِ، فَوَفَّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ

الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهِمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لِقَادِرًا، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي...».

بل روى ابنُ أبي شَيْبَةَ (٥٥٧/٧) أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَبْرَأَ مِنَ الْخَوَارِجِ أَنْفُسِهِمْ، فَهَلْ يَكُونُ قَدْ تَبْرَأَ مِنْ إِخْوَانِهِ؟!

وَإِذَا كَانَ عِدْنَانُ يُحْرَصُ عَلَى تَسْمِيَةِ الْخَوَارِجِ بِـ (إِخْوَانِهِ)، فَإِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا يُسَمُّوهُمْ (أَعْدَاءَ اللَّهِ)، وَيَأْمُرُونَ بِقِتَالِهِمْ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ أَمَرَ بِقِتَالِ غُلَامِهِ حِينَ لَحِقَ بِهِمْ، كَمَا رَوَى ابْنُ سَعْدٍ (٣٠١/٤) وَأَحْمَدُ (٣٥٧/٤)، (٣٨٢) وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السَّنَةِ» (٩٠٦) وَاللَّالِكَاثِيُّ فِي «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣١٢) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ الْأَلْبَانِيُّ فِي «ظَلَالِ الْجَنَّةِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَهْمَانَ قَالَ: «كُنَّا نُقَاتِلُ الْخَوَارِجَ وَفِينَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، وَقَدْ لَحِقَ لَهُ غُلَامٌ بِالْخَوَارِجِ، وَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الشُّطِّ وَنَحْنُ مِنْ ذَا الشُّطِّ، فَنَادَيْنَاهُ أَبَا فَيْرُوزًا! أَبَا فَيْرُوزًا! وَيَحْكُ هَذَا مَوْلَاكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى؟! قَالَ: نَعَمْ الرَّجُلُ هُوَ لَوْ هَاجَرَ، قَالَ: مَا يَقُولُ عَدُوُّ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: يَقُولُ: نَعَمْ الرَّجُلُ لَوْ هَاجَرَ، قَالَ: فَقَالَ: أَهْجَرَةٌ بَعْدَ هَجْرَتِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٤٧٢٨) عَنْ مِصْعَبٍ قَالَ: «وَكَانَ سَعْدٌ - أَي ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ - يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ»، هَكَذَا وَالشَّيْخُ عِدْنَانُ يُؤَاحِيهِمْ!

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٨٢/١٢ - الْفَتْحُ): «وَكَانَ ابْنُ عَمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللَّهِ»، هَكَذَا وَالشَّيْخُ عِدْنَانُ يُؤَاحِيهِمْ!

وكان من الصحابة من يتعوذ منهم، والشيخ عدنان يؤاخيهم، فقد روى ابن المنذر في « تفسيره » (٢٤٢) بسند حسن في قصة قتل جماعة من الخوارج بالشام، وجز رؤوسهم عن أجسادهم، وقد ألقيت بدرج المسجد، قال أبو غالب: « كنت في المسجد جالسا، فجاء أبو أمانة فدخل المسجد، فصلي ركعتين خفيفتين، قال: ثم توجه نحو الرؤوس، فظننت أنه سيكون له فيها كلام، قال: فاتبعته وهو لا يشعر، فلما رآها قال: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار! شر قتلى تحت ظل السماء، شر قتلى تحت ظل السماء! خير قتلى من قتلوه، خير قتلى من قتلوه، خير قتلى من قتلوه! قال: وكان يتكلم بهذا الكلام وهو يبكي، قال: فدنوت منه، فقال: أبو غالب؟ قلت: نعم! قال: أما إنهم قبلك كثير، قلت: أجل! قال: عافاك الله منهم، أعاذك الله منهم، أعاذني الله منهم... ».

٥- إن استدلال الشيخ عدنان بقول علي عليه السلام: (إخواننا بغوا علينا) يذكر بأصحاب الشذوذ الذين يتركون المحكم من النصوص ويتعلقون بالمشابهة، الذين قال الله فيهم: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [آل عمران ٧]، وإلا فلماذا يُعرض عن تلك النصوص المتواترة والمتظاهرة في ذم الخوارج وفي التبرؤ منهم إلى هذا الأثر اليتيم، مع أنه لم يُرد به صاحبه الخوارج كما سبق؟!

٦- أذكر القاريء بشيء سبق أن أشرت إليه، وهو أنه لما ذكر له الشيخ العيد شريفي أن جماعات التكفير أعداؤنا، تلقفها الشيخ عدنان في الهواء ولم يترك له وقتا لاسترجاع نفسه، وقال بقوة: ليسوا أعداءنا!! بل سمعته في محاضرة في « التكفير » يذكر جماعات التكفير، فكرر وصفهم بـ (إخواننا) ما لا أحصي، وذكر أنه يتعمد ذلك!!!

هَذَا يُوَضِّحُ لَكَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ لَيْسَتْ فِي أَنْ عَلِيًّا ﷺ قَالَ أَوْ لَمْ يَقُلْ، وَإِنَّمَا الْقَضِيَّةُ أَنَّ الشَّيْخَ عَدْنَانَ مَسْتَمِيَةٌ فِي الذَّبِّ عَنِ الْقَوْمِ.

وَتَأْمَلْ أَيْضًا كَيْفَ يُثْبِتُ عَلَى الْخَوَارِجِ بِأَحْسَنِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِيعَةِ، الْأَ وَهُوَ الْإِخْلَاصُ، قَالَ كَمَا فِي شَرِيطِ «مَعَالِمِ فِي الْمَنْهَجِ» (٥): «إِنَّمَا جَمِيعًا لَنْ نَصِلَ إِلَى دَرَجَةِ إِخْلَاصِ الْخَوَارِجِ وَصَفَاءِ نِيَّاتِهِمْ، وَحَتَّى كَثْرَةِ عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ تَقَرَّرَتْ جِبَاهُهُمْ وَتَشَقَّقَتْ جِبَاهُهُمْ!!».

هَكَذَا يَجْعَلُ الْخَوَارِجَ أَعْلَى دَرَجَةً فِي الْإِخْلَاصِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَّةِ: بِصُلْحَائِهَا وَأَوْلِيَائِهَا وَعُلَمَائِهَا!!

وَلَمْ يَكْتَفِ الشَّيْخُ عَدْنَانُ بَتَرْكِيَةِ قُلُوبِ الْخَوَارِجِ حَتَّى زَكَّى عِلْمَهُمْ، فَقَالَ فِي مَحَاضِرَةٍ لَهُ فِي مَدِينَةِ دَهَاخِ بُولَنْدَا فِي رَمَضَانَ ١٤١٩ هـ: «بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ سِرٌّ: ظَوَاهِرُ النَّصُوصِ مَعَ الْخَوَارِجِ! مِثْلُ حَدِيثِ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ!!».

وَيَزِيدُ هَذَا الضَّلَالَ قُوَّةً، فَيَقُولُ كَمَا فِي شَرِيطِ «التَّكْفِيرُ بَيْنَ التَّأْصِيلِ وَالتَّحْهِيلِ»: «وَلَا أُخْفِيكُمْ سِرًّا أَنْ ظَوَاهِرَ الْأَدْلَةِ مَعَهُمْ، وَهِيَ قُوَّةٌ!!!».

وَقَالَ أَيْضًا كَمَا فِي شَرِيطِ «الْوَحْدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ»: «الْخَوَارِجُ إِنَّمَا أَخَذُوا الْأَدْلَةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُمْ أَنْقَى فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يَدْرُونَ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ!!!».

قُلْتُ: وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ مَتَأَثَّرٌ بِمَذْهَبِهِمْ؛ لِأَنَّ شُبُهَاتِهِمْ عَلَقَتْ بِقَلْبِهِ حَتَّى سَمَّاهَا (أَدْلَةً)، وَوَصَفَهَا بِـ (الْقُوَّةِ).

ويزيدُ الشَّيْخُ عَدْنَانُ فِي ضَلَالِهِ قَائِلًا فِي مُحَاضِرَةِ « الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ » وَجِهَ (أ)، عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الحن، ٢٣]، قَالَ: « الْآيَةُ وَاضِحَةٌ فِي ظَاهِرِهَا أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَعْصِيَةً، مَنْ عَصَى اللَّهَ ﷻ أَوْ عَصَى رَسُولَهُ ﷺ كَانَ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، فَمَا حُجَّتْكُمْ - يَا إِخْوَةَ! - عَلَى الْخَوَارِجِ؟

هَذِهِ حُجَّةُ الْخَوَارِجِ، فَمَا حُجَّتْكُمْ؟!!

أَوْ تَظُنُّونَ أَنَّ الْخَوَارِجَ دَرَسُوا فِي فَرَنْسَا، وَأَخَذُوا شَهَادَةً بِالْفَلْسَفَةِ وَعِلْمِ الْاجْتِمَاعِ، وَجَاؤُوا لِلدِّينِ؟!!

الْخَوَارِجُ إِنَّمَا أَخَذُوا الْأَدْلَةَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ! وَهُمْ أَنْقَى فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ نصوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ!! «. قُلْتُ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!)، فَلْتَقَرَّ عَيْنُ الْخَوَارِجِ بِهَذَا (الْحَامِي الْمُحْتَسِبِ!)، ف-:

- قَوْلُهُ: « الْخَوَارِجُ لَيْسُوا هُمُ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ عَلَى الْحُكَّامِ، وَيُكْفِرُونَ بِالْكَبِيرَةِ! »، هَذَا قَالَهُ فِي تَخْفِيفِ اللَّوْمِ عَنْهُمْ، أَوْ فِي التَّخْفِيفِ مِنْ جَرِيْمَةِ الْخُرُوجِ وَالتَّكْفِيرِ، وَكُلُّ هَذَا أَعْرَفُهُ عَنْهُ، وَلَوْلَا ضَيْقُ الْمَقَامِ لَنَقَلْتُ عَنْهُ أَشْيَاءَ حَقُّهَا أَنْ تُفْرَدَ بِكِتَابٍ خَاصٍّ بِهَا لِطُولِهَا وَكَثْرَتِهَا.

- وَقَوْلُهُ: « ظَوَاهِرُ النُّصُوصِ مَعَ الْخَوَارِجِ! »، هَذَا قَالَهُ فِي تَرْكِيَةِ عِلْمِهِمْ.

- وَقَوْلُهُ: « هُمْ أَصْنَفِي سَرِيرَةٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ!! »، هَذَا قَالَهُ فِي تَرْكِيَةِ بَوَاطِنِهِمْ، وَغَيْرِهِ كَثِيرٌ...

فِيَا تُرَى مَا السَّرُّ فِي اجْتِهَادِ الشَّيْخِ عَدْنَانَ لِتَبْيِضِ التَّارِيخِ الْأَسْوَدِ لِلْخَوَارِجِ؟ وَارْبِطْ هَذَا بِمَا سَبَقَ أَنْ بَيَّنْتُ لَكَ مِنْ رَأْيِ عَدْنَانَ فِي الْخُرُوجِ

وتشجيعه على قراءة الكتب التي تؤيد التفجيرات والاعتيالات، كمثله قوله عن سيد قطب: « كتب في هذا العصر في قضايا المنهاج، ومُعظم ما كتبه كان مُصيباً فيه رحمه الله! وأحلى كتاب له في المنهاج كتابه (لماذا أعدموني؟!) ». تجدُ كلامه هذا بصوته في شريط « ردُّ الدكتور عبد الله الفارسي على عدنان عرعور ».

مع أن هذا الكتاب الذي أشاد به الشيخ عدنان قد بين فيه مؤلفه طريقته في إرشاد (الإخوان المسلمين) إلى اغتيال الشخصيات وهدم المنشآت، انظر منه (ص ٥٠) إلى ما بعدها، وسوف أنقله في القسم الثاني من الكتاب إن شاء الله. ثم قال عدنان: « أضربُ مثلاً في رجلٍ مَظلومٍ، جعله اللهُ شهيداً من شهداء الإسلام، ألا وهو سيد قطب رحمه الله... »

استشهدتُ بكلام سيد قطب عند بعض الناس، لم؟ الرجلُ له ما له وعليه ما عليه، فإنه تكلم في قضايا المنهاج، لا أعلمُ أحداً على وجه الأرض تكلم في قضايا المنهاج بمثل ما تكلم به سيد قطب رحمه الله تعالى...!!! ومن أعظم كتبه (معالم في الطريق) و(لماذا أعدموني؟)، وتصوره عن المجتمعات الإسلامية، وما تكلم فيها!!! ».

قلتُ: تأملُ هذا العلو، ثم إن تصور سيد عن المجتمعات هو أنها كافرة برمتها، وقد مرَّ نقله من كلامه، مع أن في كل من الكتابين قرَّر سيد قطب كُفر المجتمعات الإسلامية، وهو في كتاب « معالم في الطريق » أوضح، كما سيأتي بيانه في القسم الثاني من كتابي هذا إن شاء الله.

وكلمة واحدة أتعجلُ نقلها هنا ليتأكد القارئ من تكفير سيد لجميع المجتمعات الإسلامية، فقد قال في « معالم في الطريق » (ص ١٠٣ - ط. دار

الشُّرُوقِ سَنَةَ ٤٠٧ هـ): « وَإِذَا تَعَيَّنَ هَذَا فَإِنَّ مَوْقِفَ الْإِسْلَامِ مِنْ هَذِهِ
الْمَجْتَمَعَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ كُلِّهَا يَتَحَدَّدُ فِي عِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ: أَنَّهُ يَرْفُضُ الْاعْتِرَافَ
بِإِسْلَامِيَّةِ هَذِهِ الْمَجْتَمَعَاتِ كُلِّهَا وَشَرَعِيَّتِهَا فِي اعْتِبَارِهِ!!! ».

وَحَتَّى لَا يُلَبَّسَ عَدْنَانُ - كِعَادَتِهِ - بِأَنَّ سَيِّدًا لَا يَقْصِدُ كُلَّ الْمَجْتَمَعَاتِ،
فَإِنِّي أَزِيدُهُ نَقْلًا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي (ص ٨) مِنْهُ: « وَجُودِ الْأُمَّةِ
الْمُسْلِمَةِ يُعْتَبَرُ قَدْ انْقَطَعَ مِنْذُ قُرُونٍ كَثِيرَةٍ!!! ».

مَعَ هَذَا الْوَضُوحِ، فَقَدْ دَافَعَ الشَّيْخُ عَدْنَانُ عَلَى سَيِّدِ قُطْبٍ فِي « التَّيِّبِ
وَالْمَخْرُجِ » (ص ٦٨-٦٩) دِفَاعًا مُسْتَمِيتًا، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ تَكْفِيرَ الْمُسْلِمِينَ!
وَهَذَا الَّذِي يُصَوِّبُهُ الشَّيْخُ عَدْنَانُ مَعَ الْأَسْفِ، بَلْ يَرَى أَنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ فِي
هَذَا الْعَصْرِ بِأَحْسَنَ مِنْهُ فِيمَا ذَكَرَ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكَى!

ثُمَّ أَعُودُ إِلَى كَلَامِ عَدْنَانَ الْأَوَّلِ لِأَقُولَ: تَأَمَّلْ كَيْفَ يَخْفَفُ مِنْ خَطَأِ هَذَا
الْمَسْلُوكِ: مَسْئَلُكَ الْخَوَارِجِ، بَلْ يَحْرُصُ دَائِمًا عَلَى تَرْكِيَةِ نِيَّاتِ أَصْحَابِهِ، فَقَدْ قَالَ
فِي شَرِيْطِ أَلْقَاهِ فِي الْجَزَائِرِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مَعْنُونٍ، وَهُوَ عِنْدِي، قَالَ: « تَسْمَعُونَ
كَثِيرًا مِنَ الدُّعَاةِ:

- هَذَا سَبِيلُهُ الرِّصَاصُ!

- وَهَذَا سَبِيلُهُ الدَّعْوَةُ!

- وَهَذَا سَبِيلُهُ الْجِهَادُ!

- وَهَذَا سَبِيلُهُ الْإِنْقِلَابُ الْعَسْكَرِيُّ!

- وَهَذَا سَبِيلُهُ الْمَظَاهِرَاتُ!

- وَهَذَا سَبِيلُهُ...!!!

فَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَنَا عَلَى أَنَّ نِيَّاتَهُمْ جَمِيعُهُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - حَسَنَةٌ!!! ».

وقال في شريط « معالم في المنهج » (١٣): « بعض الإخوة - نحسبهم على خير عظيم وإخلاص كبير - هَجُّوا بعض المناهج الاغتيالية! ».

قلت: إذا فليهنأ أبو قتادة وجماعته من سفاكي الدماء بهذه البُشْرى!

إنه يُصحح نيات هؤلاء في كل مناسبة، ويدعي لذلك الاتفاق، لكنه إذا تحدّث عن خيرة الناس يطعن في نياتهم بطريقته المعروفة، فقد قال عن الصحابة الذين كانوا في غزوة أحد، ونزل فيهم قول الله ﷻ: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾، قال عدنان:

« مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الكُرْسِي!

ومِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الزَّعَامَةَ!

ومِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدِّيَار!

ومِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ المنصب!

ومِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ.»

فتأمل - أيها القاريء! - كيف يصحح نيات أولئك المنحرفين عن دعوة الرُّسُل، فلما جاء لذكر خيرة أتباع الرُّسُل - وهم الصحابة رضوان الله عليهم كما ذكر هو نفسه - ضرب لهم الأمثلة السيئة، بل وصفهم بها، فأبي ولاء وبراء عند الرجل؟!!

روى البخاري (٧٠٩٤) عن سعيد بن جبير قال: « خرج علينا عبد الله ابن عمر، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن! حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ﴾ [الأنفال ٣٩]، فقال: هل تدري ما الفتنة تكلمك أمك؟ إنما كان

مُحَمَّدٌ ﷺ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ الدُّخُولُ فِي دِينِهِمْ فِتْنَةً، وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ.»

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ خَاطَبَهُ أَحَدُ الْخَوَارِجِ بِمَا يَتَخَاطَبُ بِهِ الثَّوْرِيُّونَ الْيَوْمَ، فَلَمْ يَمْنَعَهُ خَطَابُهُ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِ فِي نِيَّتِهِ، بِقَوْلِهِ: «لَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ!».

وَلَمَّا اسْتَدَلَّ الْخَوَارِجُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يُوسُفُ ٤٠]، طَعَنَ فِي نِيَّتِهِمْ - مَعَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَحَّحَ نِيَّتَهُمْ عَدْنَانٌ - وَقَالَ فِيهِمْ قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَقَوْلُهُ: «أُرِيدُ بِهَا بَاطِلٌ» طَعْنٌ فِي الْإِرَادَةِ، الَّتِي هِيَ أَدْلُ شَيْءٍ عَلَى نِيَّةِ الْمَرْءِ، كَمَا قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ كَمَا فِي «مَجْمُوعِ فَتَاوَاهُ» (١٧٦/٢٨): «فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ قَصْدُهُ وَمُرَادُهُ وَتَوَجُّهُهُ إِلَى اللَّهِ، فَهَذَا صِلَاحُ إِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ».

وَمِنْ دَقِيقِ فِقْهِ الْبُخَارِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ ذَكَرَ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ مِنْ «صَحِيحِهِ» حَدِيثَيْنِ فِي الْخَوَارِجِ، وَبَوَّبَ لَهُ بِقَوْلِهِ: «بَابُ إِثْمِ مَنْ رَأَى بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ تَأْكُلَ بِهِ، أَوْ فَجَرَ بِهِ»، كَمَا فِي «الْفَتْحِ» (٩٩/٩)، فَأَيْنَ الْإِخْلَاصُ؟!

قَالَ ابْنُ حَجَرَ فِي (٢٩٣/١٢) وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْخَوَارِجِ: «أَيُّ يَنْطِقُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَلَا يَعْرِفُونَهَا بِقُلُوبِهِمْ».

وَقَالَ أَيْضاً (٢٨٨/١٢): «وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالنُّطْقِ لَا بِالْقَلْبِ».

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا فِي شَرِيْطِ «لِقَاءِ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ» (١١) فِي (١١ جُمَادَى الْأُولَى ١٤١٣ هـ-)، تَسْجِيْلَاتِ الْإِسْتِقَامَةِ

بمدينة عُنَيْزَةَ، قَالَ: « وَهَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَتَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ - وَإِنْ تَشَدَّدُوا فِي الدِّينِ - فَهُمْ مَارْقُونَ مِنْهُ، لَوْ فَتَشْتَّ عَنْ قُلُوبِهِمْ لَوَجَدْتَهَا سَوْدَاءَ صَمَاءٍ، لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْخَيْرُ وَالنُّورُ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ».

وَلَا بِأَسَ أَنْ أُنْقَلَ نَقْلًا سَرِيعًا عَنْ ابْنِ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُبَيِّنُ فِيهِ أَنَّ قُلُوبَ الْخَوَارِجِ مَغْشُوشَةٌ، وَيُبَيِّنُ سَرَِّ مَجَانِبَتِهِمْ لِلْإِحْلَاصِ، وَهُوَ يَشْرَحُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: « ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبٌ مُسْلِمٌ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٥٨٢) وَغَيْرُهُ وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَ فِي « مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ » (ص ٧٩): « أَيُّ لَا يَحْمِلُ الْعِلَّ وَلَا يَبْقَى فِيهِ مَعَ هَذِهِ الثَّلَاثِ؛ فَإِنَّمَا تَنْفِي الْعِلَّ وَالْغَشَّ وَمُفْسِدَاتِ الْقَلْبِ وَسَخَائِمَهُ، فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ إِخْلَاصُهُ يَمْنَعُ غِلَّ قَلْبِهِ وَيُخْرِجُهُ وَيُزِيلُهُ جَمَلَةً؛ لِأَنَّهُ قَدْ انصَرَفَتْ دَوَاعِي قَلْبِهِ وَإِرَادَتُهُ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ... »

وَقَوْلُهُ: (وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ): هَذَا أَيْضًا مِمَّا يُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الْعِلِّ وَالْغَشِّ؛ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لِلزُّومِ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ يَحِبُّ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لِمَا يَكْرَهُ لَهَا، وَيَسُوؤُهُ مَا يَسُوؤُهُمْ، وَيَسْرُهُ مَا يَسْرُهُمْ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَنْ انْحَازَ عَنْهُمْ، اشْتَغَلَ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ وَالْعَيْبِ وَالذَّمِّ لَهُمْ، كَفَعَلَ الرَّافِضَةَ وَالْخَوَارِجَ وَالْمَعْتَزِلَةَ وَغَيْرَهُمْ^(١)؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مَمْتَلِئَةٌ غَلًّا وَغَشًّا، وَهَذَا تَجِدُ الرَّافِضَةَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْإِحْلَاصِ، وَأَغْشَهُمْ لِلْأُمَّةِ وَالْأُمَّةِ، وَأَشَدَّهُمْ بُعْدًا عَنِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ».

قُلْتُ: كَذَلِكَ يَقُولُ الرَّاسِخُونَ.

فَأَيْنَ صِلَاحُ قُلُوبِهِمْ يَا عَدَنَانَ؟!

وَأَيْنَ قَوْلُكَ: « وَهُمْ أَنْقَى فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ... »؟!

(١) ذَكَرَ هَذِهِ الْفِرْقَ الثَّلَاثَةَ؛ لِأَنَّهَا أَوْضَحَهَا فِي الْخُرُوجِ عَلَى الْأُمَّةِ.

وأين قولك: « بل شهد الرسول ﷺ بالإخلاص للخوارج »، والرسول ﷺ قد شهد على قلوبهم بما لا مزيد عليه، فقال فيما رواه مسلم (١٨٤٧): « يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتُنُونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ! »

هذا أحد ألفاظ حديث حذيفة ؓ، الذي فيه: « دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ... »، قال ابن حجر في « الفتح » (٣٦/١٣): « الدُّعَاةُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ: مَنْ قَامَ فِي طَلَبِ الْمَلِكِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ »، وأشار إليه النووي أيضاً في شرحه الحديث، فقال: « هؤُلاءِ مَنْ كَانَ مِنَ الْأُمَرَاءِ يَدْعُو إِلَى بِدْعَةٍ أَوْ ضَلَالٍ آخَرَ، كَالْخَوَارِجِ وَالْقَرَامِطَةِ وَأَصْحَابِ الْحِنَةِ ».

فإن قيل: لم وصفهم ﷺ بكثرة العبادة حتى يعجز الصالحون عن منافستهم

فيها؟

فالجواب: أنه أراد الإخبار عنهم بوصف قد يغر؛ فذمهم حتى لا يغتر بهم من يراهم يتعبدون أو من يطرق سمعه مثل كلام عدنان، قال الآجري - رحمه الله - في « الشريعة » (٣٢٥/١-٣٢٦): « لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم يتأولون القرآن على ما يهوون، يموهون على المسلمين، وقد حذر الله تعالى منهم، وحذر النبي ﷺ منهم، وحذرتهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرتهم الصحابة ؓ، ومن تبعهم بإحسان، والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين ».

وقال أيضاً (٣٤٥/١): « فلا ينبغي لمن رأى اجتهادَ خارجيٍّ قد خرج على إمام، عدلاً كان الإمام أو جائراً، فخرج وجمع جماعة، وسل سيفه، واستحل قتال المسلمين، فلا ينبغي له أن يعتز بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صومه، ولا بحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج ».

ومن سوء حظ الشيخ عدنان أن السلف خصوهم ببعض الآيات التي تتهم النيات، كما قال أبو غالب: « كنت بالشام وبها صدي بن عجلان أبو أمانة صاحب رسول الله ﷺ، وكان لي صديقاً، قال: فجيء برؤوس الحرورية، فألقيت بالدرج، (وفي طريق: فجاؤوا بسبعين رأساً من رؤوس الخوارج، فنصبت على درج المسجد)، فجاء أبو أمانة، فصلى ركعتين، ثم توجه نحو الرؤوس، قال: فقلت: لأتبعنه حتى أسمع ما يقول، قال: فتبعته حتى وقف عليهم، قال: فبكى، ثم قال سبحان الله! ما صنع إبليس بأهل هذه الأمة؟! قال: ثم قال: كلاب أهل النار! كلاب أهل النار! ثلاثاً، ثم قال: شر قتلى قتلوا تحت ظل السماء، وخير قتلى الذين قتلوهم، (وفي طريق: فقال: يا أبا غالب! إنك ببلد هؤلاء به كثير؟ قال: قلت: نعم! قال: أعاذك الله منهم، قال: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم!)، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران ٧].

(وفي طريق: قال: فقال له رجل: يا أبا أمانة! أمن رأيك تقوله أم شيء سمعته من النبي ﷺ؟ قال: إني إذا لجريء! سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة، ولا

مرتين، ولا ثلاث، ولا أربع، ولا خمس، ولا ست، ولا سبع» رواه مبسوطاً ومختصراً أحمد (٢٥٣/٥، ٢٥٦، ٢٦٢) والترمذي (٣٠٠٠) وابن ماجه (١٧٦) والبيهقي (١٨٨/٨) والطبراني في «الكبير» (٨٠٥٠/٨) وفي «الأوسط» (٧٦٦٠ - الحرمين) والآجري في «الشريعة» (٥٨ - ٦٠)، وغيرهم، وهو صحيح؛ فإن أبا غالب قد تابعه جمع، منهم:

- سيار الأموي الشامي، فيما رواه أحمد (٢٥٠/٥).

- وصفوان بن سليم المدني، فيما رواه أحمد (٢٦٩/٥)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٥٤٦).

- شداد بن عبد الله أبو عمارة، فيما رواه عبد الله أيضاً (١٥٤٥) والحاكم (١٤٩/٢، ١٥٠).

- وشهر بن حوشب، فيما رواه الطبراني (٧٥٥٢/٨). وهؤلاء محتج بهم إلا ما قيل في شهر، ولذلك صححه الحاكم والذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٣٤/٦): «رجالهم ثقات».

قلت: والشاهد من القصة أن أبا أمامة عليه السلام استشهد في الطعن على الخوارج بهذه الآية التي هي نص في التثديد بفساد نية المشار إليهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ... ﴾ الآية.

وتم آثار أخرى عن غير أبي أمامة في هذا المعنى وفي الاستدلال نفسه، يمكن أن تراجع التفاسير الأثرية لذلك.

وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مع الخوارج، ومع سائر أهل البدع، وهكذا فليكن التابع لهم بإحسان، إن أصحاب رسول الله ﷺ لم يعقد منهم من ينعت هؤلاء بـ (الطواغيت) حتى يسكتوا عن ضلال أهل البدع، بل جمع الله

في قلوبهم مجاهدة الفريقين، لكن كل بحسب الشرع لا الهوى، والله ولي التوفيق.

وتأمل هذا النفس في سؤال وجه إلى الشيخ عدنان، كما في شريط « الرد البدیع علی الشيخ ربيع » وجه (أ)، يقول السائل: « لماذا لا تذكر عيوبه (أي سيد قطب)؟ فأجاب بقوله: ولماذا هم لا يذكرون عيوب من قتل سيد قطب ظلماً وعدواناً؟! ». »

قلت: إذا فالقضية كلها عقدة حركية، وبهذا الجواب من عدنان لا يبقى على وجه الأرض مبتدع قام في وجه ظالم إلا وجب السكوت عن بدعته، ويترك من تلبس بشيء منها على ما هو عليه، فأبي دين هذا؟!

وفي هذا اعتراف من الشيخ عدنان بإصابته بعقدة الحاكمية والثورية الحركية التي حرص على كتمانها زماناً، ولكن الله يحكم ما يريد.

لما قتل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك غيلان القدري، وقع في نفسه شيء من الندم، فكتب إليه رجاء بن حيوة رحمه الله: « بلغني - يا أمير المؤمنين! - أنه وقع في نفسك شيء من قتل غيلان وصالح، فوالله! لقتلهم أفضل من قتل ألفين من الروم والتürk! » رواه أبو زرعة الدمشقي في « تاريخ دمشق » (٨٠١) و(٨٠٢) والفريابي في « القدر » (٢٨٤) والآجري في « الشريعة » (٥١٦) وغيرهم.

فها أنت هنا - يا عدنان! - بين كفار: الروم والتürk وبين مبتدع على وجه التقابل كما تحب أنت، ولكن النتيجة عند هذا العالم السلفي كانت على غير ما تحب، فأين هي موازناتك تلك؟!

غِيْلَانِ وَقَعَ فِي بَدْعَةِ الْقَدَرِ، وَسَيِّدُ قُطْبٍ - الَّذِي تَسْتَمِيتُ فِي الدَّفَاعِ عَنْهُ - فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْبَدْعَةِ، وَمِنْ بَدْعَةِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَدْعَةِ الْاِعْتِزَالِ، وَبَدْعَةِ الرَّفْضِ، وَبَدْعَةِ التَّصَوُّفِ الْعَالِيِ، وَبَدْعَةِ الْاِشْتِرَاكِيَّةِ، وَبَدْعَةِ الْجَبْرِ، وَبَدْعَةِ الْخَوَارِجِ، وَبَدْعَةِ تَكْفِيرِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْبَدْعِ الْعَلِيظَةِ مِمَّا سَأَبَيْتُهُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَجْرِكْ مِنْكَ شَعْرَةً غَيْرَةً عَلَى جَنَابِ هَذَا الدِّينِ، وَلَا تَرَى بَيَانَ أخطاءِ سَيِّدِ قُطْبٍ حَتَّى تُبَيِّنَ أخطاءَهُ خَصْمَهُ!!

ثُمَّ إِنَّ لِلرَّجُلِ مَعَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْأَدَبِ السَّيِّءِ مَا هُوَ شَرٌّ مِنْ هَذَا، وَمِنْهُ:

سَوْءُ أَدَبِ عَدَنَانَ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

أَرَادَ الشَّيْخُ عَدَنَانَ أَنْ يُبَيِّنَ مَسْأَلَةَ تَرْبِيَةِ الْمُجْتَمَعِ، فَأَتَى بِمَا تَحَارُّ لَهُ الْعُقُولُ؛ فَقَدْ سَمِعْتُهُ يَسْتَدِلُّ عَلَى أَنَّ تَرْبِيَةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (لَمْ تَكْتَمِلْ!!)، فَقَالَ فِي شَرِيْطِ عِنْدِي، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُعْنُونَ: « الصَّحَابَةُ رَضَوْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ رُبُّوا ثَلَاثَةَ عَشْرَ سَنَةً وَلَمْ يَكْتَمِلْ تَرْبِيَتُهُمْ (هَكَذَا)، لَمْ تَكْتَمِلْ! وَلَمَّا مَرُّوا بِذَاتِ أَنْوَاطٍ قَالُوا: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ؛ كَمَا لَمْ ذَاتِ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: (إِنَّمَا - وَاللَّهِ! - كَدْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف ١٣٨])! »

وَكَانَ يَحْصُلُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ انشِقَاقٌ وَخِلَافٌ وَمُنَازَعَاتٌ، وَكَانَتْ الْعَمَلِيَّةُ التَّرْبَوِيَّةُ تَجْرِي عَلَى قَدَمِ وَسَاقٍ...!! «.

ثُمَّ ضَرَبَ الْمَثَالَ بِوَقْعَةِ أُحُدٍ، وَقَالَ: « وَأَضْرَبُ مِثَالَ (هَكَذَا) عَنْ مَسَائِلِ التَّرْبِيَةِ، هَذَا سِرٌّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أَرْجُو أَلَّا يَصِلَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسْجَلَاتِ الْخَفِيَّةِ...! «.

النقد:

١- إن استدلالَ عدنان ههنا بقصة ذات أنواطٍ على أن تربية الصحابة لم تكتمل في غاية السقوط؛ وذلك لسببين:

أ- لأن الذين سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط ليسوا الذين « ربوا ثلاثة عشر سنة! » كما زعم عدنان، وإنما هم حدثاء عهد بكفر؛ لأن خروجهم هنا كان لغزوة حنين، وغزوة حنين كانت بعد عام الفتح، كما في بعض روايات الحديث.

ب- ولأن أبا واقد قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر »، وهذه الرواية زيادة صحيحة أخرجه أبو داود الطيالسي (١٣٤٦) وابن أبي عاصم في « السنة » (٧٦) وابن نصر في « السنة » (ص ١١-١٢).

إذا فإسلامهم متأخر، وعهدهم بالكفر قريب، فأين كلام عدنان عن تربية المهاجرين الذين كانوا معه ﷺ في مكة من أول الإسلام إلى زمن هذه الغزوة؟! إن في هذا إساءة ظاهرة لخيرة الصحابة، الذين هم المهاجرون ﷺ.

ولذلك قال العلامة محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عند شرحه هذا الحديث: « قوله: (ونحن حدثاء عهد بكفر)، أي قريبو عهد بكفر، ففيه دليل أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة »، نقله عنه حفيده عبد الرحمن بن حسن في « فتح المجيد » (ص ١١٨)، ومن قبله حفيد الشيخ أيضاً الشيخ سليمان بن عبد الله في « تيسير العزيز الحميد » (ص ١٨١)، وانظره في كلام الشيخ على فوائد الحديث.

٢- إنَّ في إطلاقِ الشَّيخِ عَدْنَانَ الكَلَامِ هُنَا عَلَيَّ عَوَاهِنَهُ إِيهَامًا بِأَنَّ الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ مَا سَأَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى ﷺ، وَهَذَا غَيْرُ صَاحِحٍ؛ وَإِنَّمَا هِيَ الْمُشَاكَلَةُ اللَّفْظِيَّةُ فَقَطْ، قَالَ العَلَامَةُ الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - في « جَلْبَابِ المِرْأَةِ المِسلِمَةِ في الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ » (ص ٢٠٢): « فَقَدْ أَنْكَرَ ﷺ ذَلِكَ القَوْلَ لِمشَابَهَتِهِ لِقَوْلِ اليَهُودِ، مَعَ ظُهُورِ الفَرْقِ بَيْنَهُمَا لفظًا وَقِصْدًا ».

قَطَعَ عَدْنَانَ طَلْتَهُ بِالفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنْ أَجْلِ الخَوَارِجِ:

هَذَا كُلُّهُ يُقَابَلُهُ ذِمُّ الشَّيخِ عَدْنَانَ لِلسَّلَفِيَّةِ بِاسْمِهَا الصَّرِيحِ، فَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « السَّلَفِيَّةُ بَدْعَةٌ!! »، فَلَمَّا اعْتَرَضَ عَلَيْهِ زَعَمَ أَنَّهُ قَالَه حِكَايَةً لِقَوْلِ الخِصْمِ، وَهَذَا تَمَّا حَيَّرَنِي حَقِيقَةً؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ بَدَعَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ، وَأَمَرَ بِالاستِرَاحَةِ مِنْ السَّلَفِيَّةِ صِرَاحَةً، فَقَالَ كَمَا فِي شَرِيطِ « كَلِمَاتُ فِي المَنْهَجِ » رِقْم (١): « يَا إِخْوَانُ! الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى السَّلَفِيَّةِ لَا تَقْبَلُوا مِنْهُ، أَنَا أُصْرِحُ لَكُمْ أَبَدًا!!! ». ثُمَّ اسْتَدَلَّ لِحُكْمِهِ هَذَا بِقَوْلِهِ: « فَاللهُ ﷻ مَا سَمَّانَا بِالسَّلَفِيِّينَ، سَمَّانَا (مِسلِمِينَ) عَلْنَا صَرِيحًا!!! »

فَأَنْتَ لَوْ قَرَأْتَ الكِتَابَ كُلَّهُ وَالسُّنَّةَ فَلَا تَجِدُ لفظَ (السَّلَفِيَّةِ)، فَأَنْتُمْ اسْتَرِيحُوا مِنَ السَّلَفِيَّةِ وَمِنْ غَيْرِهَا، مَا تَسْتَرِيحُوا مِنَ السَّلَفِيَّةِ وَتَبْقُونَ فِي غَيْرِهَا!!! «.

فَهَا أَنْتَ - أَخِي القَارِيءُ! - رَأَيْتَ أَنَّهُ لَا يَحْكِي كَلَامَ الخِصْمِ لِيَكْرَهُ عَلَيْهِ بِالرَّدِّ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ هُوَ نَفْسُهُ عَلَيَّ السَّلَفِيَّةِ بِالبِدْعَةِ مَا دَامَ لَا وَجُودَ لَهَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ يَسْتَدَلُّ لِذَلِكَ بِأَنَّ اللهُ سَمَّانَا (مِسلِمِينَ) وَلَمْ يُسَمِّنَا (سَلَفِيِّينَ)، وَعَلَى هَذَا نَقُولُ لَهُ: وَكَذَلِكَ هُوَ مَا سَمَّانَا بِ- (أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)، فَهَلْ تُبَدِّعُ سَلَفَكَ الَّذِينَ انْتَسَبُوا إِلَى (السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) بِالإِجْمَاعِ!!!

ثم زاد الموضوع استدلالاً؛ حتى يقطع دابر الدعوة السلفية، فقال: « أنتم تستريحون من الكل؛ لأنه (لا حلف في الإسلام) ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون ٥٣] ». »

وهذا واضح في أنه لا يردُّ على السلفيين فقط، بل يردُّ على (السلفية) نفسها، ويُعاملها معاملة الأحزاب للحديث الذي ذكر والآية، فهل عدنان هنا يردُّ على خصم الدعوة السلفية أو يقرُّ عينه؟!

هذا الكلام واضح جداً في أن تبديع لفظ (السلفية) هو اختيار الشيخ عدنان، فكيف يقول بفرنسا في محرم سنة (١٤٢٠هـ) في شريط « براءة السلفيين من مطاعن المدخلين » (١/١) لمن سأله تفسير ذلك: « والله! أجبنا مراراً وتكراراً والله! لكن - يا أخي الكريم! - أنا في بعض أساليبي أسردُ قولَ الخصم، هذا أسلوبٌ عربيٌّ واضحٌ...!!! »؟!

قلت: أين هو قول الخصم فيما سبق، وليس ثم خصم للسلفية سوى عدنان؟! وإني لأتعجب من إيمان رجل يُقسم أيماناً مغلظةً على صريح الكذب، قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [التوبة ٧٨]؟!

وقد سُئل بالجزائر بعد محاضرة « كيف تُفسر آية من القرآن؟ » عن الآتي: ما هو ردُّكم على من قال: (السلفية بدعة)؟ فقال: « هذه يمكن موجهة لي؛ لأنِّي أنا أقول: بدعة، وأصرُّ على أن كلمة (السلفية) بدعة!! ». »

فلما لم يستسلم السائل، اضطرَّ عدنان إلى استعمال تقيته، فتحوَّل من متكلمٍ حركيٍّ إلى متكلمٍ بالإشارات؛ فزعم أنه يقصد البدعة اللغوية!!

فلما زاد اعتراض السائل عليه تحوّل الشيخ عدنان إلى سلفي، فقرر المسألة قريباً مما يقرّها أهل العلم؛ وأعطى السائل ما يريد!!

وقد مرّ بهذه الأطوار كلّها في ثوان، رزقنا الله وإياه الصّدق.

ثمّ عوداً على بدء، فأقول: لم يقف الشيخ عدنان عند حدّ شهادته للخوارج بصفاء السريرة، حتى نسب هذه الشهادة إلى رسول الله ﷺ، فقال في شريط «كلمات في المنهج»: «بل شهد الرسول ﷺ بالإخلاص للخوارج!

ووالله! - بعد أن رأيت هذا الأمر، ورأيت الخوارج شهد لهم رسول الله ﷺ بهذا الأمر - أنا ما عاد بفكر لا بوهابي ولا بسلفية، عاد أفكر في الكتاب والسنة، وبفهم ينجيني أمام الله!!».

قلت: الله أكبر! لقد قطع عدنان صلته بالطائفة المنصورة - الوهابية والسلفية - من أجل الخوارج، فماذا تنتظرون من الرجل بعد هذا؟!

عدنان يطعن على دعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب:

قال في شريط «منهاج الطائفة المنصورة» (٢/ الوجه الثاني): «إيش منزلة عمر بن الخطاب عندكم؟ مجدّد!

ما منزلة محمد بن عبد الوهاب؟ مؤسس!

لا! خذها أنت ودعوتك ودعوة كلّ أهل نجد ارميها (بوا)، ما تريدها إذا كان مؤسس (هكذا)، لا! هو عالم جليل».

لقد افتعل الشيخ هنا هذه الدّعوى ليردّ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ بزعم أن أناساً غلّوا فيه، فهل يردّ الإسلام لأنّ كثيراً من المسلمين غلّوا فيه ولم يحسنوا تمثيله؟!

عدنانُ يصرمُ بأنَّ الوهابيةَ ليست هي الفرقة الناجية:

لا يزالُ الشيخُ عدنانُ قاعداً بطريقِ دعوةِ العلامةِ محمد بن عبد الوهاب، ففي شريط « كلمات في المنهج » قال: « الخلاصة في هذه القضية أن الطائفة المنصورة هي الفصل بين المسلمين، وهي التي أكد عليها رسول الله ﷺ، وهي التي يجب أن نفكر ليلاً ونهاراً في صفاها.

يا جماعة الخير! دعونا من درس! ودعونا من محاضرة!!
إيه! إذا متنا وحضرنا بين يدي الله ﷻ، مين قال: إن الوهابية هي الفرقة الناجية؟! عندهم دليل من الكتاب والسنة؟! هل عندكم دليل من الكتاب والسنة أن الوهابية هي الفرقة الناجية؟! ».

عدنان يرى أن أهل الحديث لا علم لهم ولا تربية:

قال في شريط « الطائفة المنصورة » (٢): « التربية ليس معناها العلم! لك لا تتصور بعض الجماعات المسلمة (اللي) يتعاملون بس سند الحديث، أو بصراحة فقط: تحريك الإصبع، أن هذا علماً؟! ليس هذا علماً! العلم الحقيقي هو التربية، والعلم فرع من التربية!! ».

أتباع السلف الصالح لا يستحقون النصر عند عدنان:

وقال في محاضرة « تفسير سورة محمد » ألقاها في الجزائر: « لكن الله ﷻ لم يجد تلك الجماعة التي تستحق النصر، ولا أصحاب السلف الصالح!! نعم! هم على الحق، لكن عندهم تقصير يمنع نصره، وهذا التقصير.. هم تقصير في ثلاث نواحي (هكذا): تقصير تربوي، وتقصير في التعاون، وتقصير في الدعوة، هذا عام شامل، معظم أصحاب هذه الدعوة إلا من رحم الله!!! ».

قلت: إذا كان الله لم يجد الجماعة التي تستحق النصر، فأين هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق »؟ هذا تكذيب صريح!

السلفيون ليسوا أهل النجاة عند عدنان:

جاء في شريط « كلمات في المنهج » أن عدنان قال: « ... فإذا هو بين يدي الله ﷻ، يقول - أي الله -: (أنت لست على شيء!)، والله! أخوف آية في كتاب الله » .

ثم تكلم عدنان بتهكم على لسان السلفي أنه يقول يوم القيامة: « والله! أنا كنت سلفي (هكذا)! ».

ثم أجابه عدنان بقوله: « من قال لك إن السلفي ناجي (هكذا)؟! »

أنا كنت من حزب كذا! من قال لك هذا؟! »

أنا وهابي! المسألة ليست كذلك!! ».

قلت: تأمل؛ فأما السلفي والوهابي - على حد تعبيره - فإنه يُسميهما عند الذم، وأما الحزبي فلا ينبغي إلا إهامه!!

إن عدنان زعم لنا مرّات ومرّات أنه فرّ من بطش نظام بلده، فأوته بلاد (الوهابية!) وسترته ونصرته، فكان من جزائه لها ما تقرؤون!!

ثم تأمل منهج عدنان في الموازنات: إنّه - كعادته - يضرب للمثل العليا الأمثلة السفلى، كالإخلاص الذي لم يجد من يمثله أحسن من الخوارج: كلاب

النار!

وَيَضْرِبُ لِلْمَثَلِ السُّفْلَى الْأَمْثَلَةَ الْعُلْيَا، كَالْتَّحَرُّبِ الْمَقِيَّتِ الَّذِي لَمْ يَجِدْ مَنْ يَمَثَلُهُ أَصْدَقَ مِنَ الْوَهَابِيَّةِ وَالسَّلَفِيَّةِ، أَمَا وَجَدَ عَدْنَانُ فِي الدُّنْيَا شَرًّا مِنَ السَّلَفِيِّينَ؟!!

وأنا قلتُ هنا: إنَّه ضربَ المثلَ للحزبيَّةِ المقيَّتةِ بالدَّعوةِ السَّلَفِيَّةِ؛ لأنَّه قالَ في محاضرةٍ «كلماتٌ في المنهج»: «فإذاً حتى نتخلَّصَ من هذه الأمور، دَعُونَا مِنْ وَهَابِيَّةٍ، وَمِنْ سَلَفِيَّةٍ، وَمِنْ حَزْبِيَّةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ!!!».

قلتُ: تأمَّلْ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجِدِ الْحَزْبِيَّةَ إِلَّا فِي الدَّعْوَةِ الْوَهَابِيَّةِ وَالدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ، مَعَ هَذَا الْحِرْصِ الشَّدِيدِ عَلَى التَّسْمِيَةِ وَكَذَا تَلْقِيبِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِمَا يَحِبُّ أَهْلُ الْبِدْعِ مِنَ الْقُبُورِيِّينَ وَالْحُرُكِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ، كَلَفَظَ (الْوَهَابِيَّةَ)، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ!!

عَدْنَانُ يُعْرَضُ عَنِ الْإِنْتِسَابِ إِلَى السَّلَفِيِّينَ:

مِنَ الْحُجَجِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَتَذَرَعُ بِهَا الشَّيْخُ عَدْنَانُ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ لَفْظِ (السَّلَفِيَّةِ)، أَنَّ فِي الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهَا الْكَاذِبَ وَالْمُنَافِقَ، فَقَدْ قَالَ بَعْدَ كَلَامِهِ السَّابِقِ: «طَيِّبٌ! مَا رَأَيْكُمْ أَنْ تَتَكَلَّمُوا عَنِ الْفَهْمِ، لَا تَتَكَلَّمُوا عَنِ السَّلَفِيِّينَ؟ لِمَ؟ لِأَنَّ فِي السَّلَفِيِّينَ مَا فِي الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمُ الْكَاذِبُ، وَفِيهِمُ الْمُنَافِقُ، وَفِيهِمْ... وَفِيهِمْ...!! إِذَا دَعُونَا نَتَكَلَّمُ عَنِ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَنِ التَّأْصِيلِ!».

هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَتَكَلَّمُوا عَنِ أَهْلِ السُّنَّةِ، بَلْ وَلَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ فِيهِمُ الْكَاذِبَ وَالْمُنَافِقَ، إِذَا فَالسَّلَفِيَّةُ تُتْرَكُ؛ لِأَنَّ فِيهَا الْمُنَافِقَ وَالْكَاذِبَ، وَالْإِسْلَامُ أَيْضًا يُتْرَكُ؛ لِأَنَّ فِي أَهْلِ الْمُنَافِقِ وَالْكَاذِبِ بَلَاءَ شَكٍّ!!

فَسُبْحَانَ مَنْ نَوَّعَ خَلْقَهُ وَفَاوَتْ بَيْنَ عَقُولِهِمْ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ!

ثم هل يعني باستباحته الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا يوجد فيهم الأوصاف السابقة؟! فيهم الأوصاف السابقة؟!!

وإذا كان الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة سائغاً، فلماذا لا يجوز الكلام على مذهب السلفيين، وهو هو؟!!

الخلاصة أن عدنان يريد تشويه السلفيين بأي سبيل، ويستنصر عليهم بكل قبيل، ويتستر خلف « التأسيس »!

ولو أن الشيخ عدنان وفر هذه المجاهدة التي يجاهد بها الدعوة السلفية فوجهها إلى أهل البدع لصانه الله عن هذه التناقضات، ولكن الله يفعل ما يريد.

ومن تشويه السلفيين أيضاً:

قال الشيخ عدنان كما في شريط « الدعوة السلفية أمام التحديات »: « لكن بصراحة في بعض السلفيين - نسأل الله لهم الهداية، أقول: لا بد أن نسأل الله لهم الهداية - فهم يفهمون السلفية أنها يفهمونها حزباً، وإما يفهمونها سنن (هكذا) وواجبات فقط! »

فيرون أن السلفية: هذا الذي قصر ثوبه، وأطال لحيته، فهو لا يعرف في الاقتصاد!! فإما أن يكون اتهام (هكذا)، وإما أن يكون قصور (هكذا) من السلفي نفسه! «.

النقد:

١ - هذه فاقرة الفواقير؛ لأنه ينقم على السلفيين فهمهم الدين أنه واجبات وسنن! وهل الدين إلا ذلك؟!!

فقد روى البخاريُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ... ».

٢- أَيُّ عَيْبٍ فَيَمَنُ أَطَالَ لِحِيَّتَهُ وَقَصَرَ تَوْبَهُ اتِّبَاعاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى عِلْمٍ بِالِاِقْتِصَادِ؟! وهل يطالب جميع الناس بأن يعرفوا الاقتصاد؟! ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

عدنان لم يجد في الجماعات أشدَّ تقصيراً من السلفيين:

جاء في شريط « الدَّعوة السِّلْفِيَّةُ أَمَامَ التَّحَدِّيَّاتِ » (٢) أن الشيخ عدنان سئل عن واجب السلفيين تجاه الجماعات المعاصرة؟ فقال: « وَاجِبُ السِّلْفِيِّينَ الْمُقَصِّرِينَ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا رَبَّ سِوَاهُ! أَكْثَرُ الْجَمَاعَاتِ تَقْصِيرًا: السِّلْفِيُّونَ (هَكَذَا)! شَتُّمٌ أَمْ أُبَيْتُمْ! لَكِنِ أَنَا خَائِفٌ؛ أُخْرِجُ مِنْهَا الْمَوْلِدَ بِلَا حَمَّصٍ، يَعْنِي: لَا مَعَ السِّلْفِيِّينَ، وَلَا مَعَ غَيْرِهِمْ! ».

وقال أيضاً كما في شريط « الْحَزْبِيَّةُ وَالْوَحْدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ »: « وَإِنِّي أَعْلَمُ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ تَقْصِيرًا فِي الدَّعوة إِلَى اللَّهِ هِيَ جَمَاعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةُ!! ».

كَانَ السُّؤَالُ عَنِ الْجَمَاعَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنِ الْجَمَاعَةِ السِّلْفِيَّةِ، فَجَاءَ الْجَوَابُ عَلَى ذِمِّ الْجَمَاعَةِ السِّلْفِيَّةِ، بَلْ حَوَّلَهَا عَدْنَانُ إِلَى أَشَدِّ هَذِهِ الْجَمَاعَاتِ تَقْصِيرًا، فَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ قُلُوبُ الْعِبَادِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ!

عدنان ينبراً من السلفيين:

جاء في شريط « الطريقة الإسلامية في إقامة الخلافة » رقم (١) أن سائلاً سأل عدنان قائلًا: هل يؤمن السلفيون بأن هناك فصل السياسة عن الدين، أو فصل الدين عن السياسة، نرجو أن تلقي الضوء على هذه الشبهة التي كثيراً ما نسمعها؟ فأجاب قائلًا: « أما السلفيون فلا شأن لنا بهم، وأما منهج السلف الصالح فمن أنكره كان أضل من حمار أهله!!! »

النقد:

- ١ - لاحظ أنه لم يجب على السؤال!
 - ٢ - لاحظ أنه لم يدافع عن السلفيين!
 - ٣ - لاحظ أنه أخرج نفسه من السلفيين! فهل يقال بعد حكمه على نفسه: إن عدنان سلفي؟!
 - ٤ - لاحظ أنه يفرق بين السلفيين وبين منهج السلف! إذا فهو يعتقد أن منهج السلف لا يمثله السلفيون، فهو حينئذٍ أحد رجلين:
 - إما أنه يرى أن المسلمين قد ضيعوا منهج السلف؛ بحيث لا يوجد فيهم جماعة ملتزمة به، مستقيمة عليه، وفي هذا إعدام للطائفة المنصورة وتكذيب لخبر رسول الله ﷺ حين قال: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » الحديث متفق عليه.
 - وإما أنه يرى أنها موجودة، لكنها عند غير السلفيين، وكفى بهذا شهادة باطلة على أهل الحق!
- والخلاصة: أن الله حفظ دينه المتمثل في منهج السلف، كما حفظ الجماعة التي تعمل به.

٥_ لَا يَذْهَبَنَّ بَكَ الظَّنُّ السَّاذِجُ إِلَى أَنْ الشَّيْخَ عَدْنَانَ يَقْصِدُ أَنْسَاءَ مُعَيَّنِينَ؛
لأنَّ قَوْلَهُ: «أَمَّا السَّلَفِيُّونَ فَلَا شَأْنَ لَنَا بِهِمْ» عامٌّ، وَلَوْ كَانَ يَقْصِدُ أَنْسَاءً
بِأَعْيَانِهِمْ أَوْ بِأَوْصَافِهِمْ لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يُشَوِّهَهُمْ إِلَّا بِمَا يُحْصُونَ بِهِ مِنْ أَسْمَاءٍ أَوْ
أَوْصَافٍ؛ أَمَّا لِمَزُّهُمُ بِاللَّقَبِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَيَتَمَدَّحُونَ بِهِ
فَهُوَ ظُلْمٌ بَيْنٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ
الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾
وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾﴾ [النجم ٣٦ - ٤١].

تنبيه: إنَّ جُرْأَةَ عَدْنَانَ عَلَى الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ قَدْ بَأَتْ لِلْقَارِيءِ، فَهَلْ
يَفْعَلُ مِثْلَهَا مَعَ الْأَحْزَابِ الْأُخْرَى؟

الجواب: جَاءَ فِي شَرِيْطِ «مَحَاضِرَةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ» أَنْ سَائِلًا قَالَ
لِلشَّيْخِ عَدْنَانَ: «وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَنَا فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا، وَالْجَمَاعَاتُ كَثِيرَةٌ، وَالْعِلْمُ
قَلِيلٌ، فَمَا الطَّرِيقُ السَّلِيمُ؟»، فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُعَدِّدْ
لَنَا الْجَمَاعَاتِ! فَمَا تَرَوْنَ: أَدَى الْأَمَانَةَ أَمْ لَمْ يُؤَدِّ الْأَمَانَةَ؟!

يَكْفِي - يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ! - أَنْ تَعْرِفَ الصَّوَابَ!!

الْخَطَأُ لَا يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهُ، وَالصَّوَابُ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، وَانْتَهَتْ الْمَسْأَلَةُ!!
فَأَنْتَ فِي أَيِّ جَمَاعَةٍ كُنْتَ، وَلَنْ تَحْلَمَ مِنِّي أَنْ أَذْكَرَ اسْمًا، وَلَا اسْمَ شَخْصٍ،
وَلَا اسْمَ جَمَاعَةٍ!!!».

قلتُ: لَا أَذْرِي هَلْ انْتَبَهَ قُرَّاءُ كُتُبِ الشَّيْخِ عَدْنَانَ أَنَّهُ لَمْ يُعْرِفِ الطَّائِفَةَ
الْمَنْصُورَةَ فِي كُتُبِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي كَتَبَهَا عَنْ «الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ!»؛ فَإِنِّي أَخَذْتُ
أَقْلَبُ صَفْحَاتِهَا لِعَلِّي أَعْتَرُّ لَهُ عَلَى تَعْرِيفِهَا، فَلَمْ أُوَفِّقْ، فَلَا هُوَ عَرَفَهَا بِأَهْلِ
الْحَدِيثِ، وَلَا بِالسَّلَفِيِّينَ، وَلَا بِأَهْلِ الْأَثَرِ، وَلَا...!

فهل يُعقلُ أن يكتبَ كاتبٌ في شيءٍ ثمَّ لا يُعرِّفُ به، لا سيما وهو يعلمُ أنَّ كلَّ طائفةٍ تدَّعي أنَّها الطائفةُ المنصُورةُ؟!!

سَلْبِيَّاتُ السَّلَفِيِّينَ لَا تُعَدُّ وَدُعَائِهِمْ لَا يَفْهَمُونَ الدَّعْوَةَ:

جاءَ في شَريطِ « الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ » رقم (١) أنَّ الشَّيْخَ عَدْنَانَ قَالَ:
« أَمَّا سَلْبِيَّاتُ السَّلَفِيِّينَ، فَلَا يَعُدُّهَا إِلَّا اللَّهُ!

أَوَّلُ سَلْبِيَّةٍ تَقْصِرُهُمْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ! نَعَمْ هُنَاكَ سَلْبِيَّاتٌ أَخْتَصَرُهَا
بثَلَاثَةَ:

أَوَّلًا: عَدَمُ فَهْمِ الدُّعَاةِ هَذِهِ الدَّعْوَةَ، حَتَّى السَّلَفِيُّونَ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهَذَا لَا
يَفْهَمُونَ حَقِيقَةَ الدَّعْوَةِ!

اثنين: تَقْصِيرٌ شَدِيدٌ فِي الدَّعْوَةِ!

ثَلَاثَةً: هَذِهِ تُعْجَبُ شَيْخَنَا، وَدَائِمًا يُدِنْدُنُ عَلَيْهَا بِالْحِكْمَةِ، شَيْخَنَا أَبُو بَكْرٍ،
سُوءَ عَرَضٍ، سُوءَ مُنْكَرٍ، لَا تُعْرَضُ الدَّعْوَةُ حَقًّا عَرَضَهَا، لَا يَبْدَأُ بِالتَّرْبِيَةِ
بِالْقُلُوبِ... فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَبْدَأَ بِالسُّنَنِ قَبْلَ الْإِيمَانِ، لَا يَجُوزُ لَكَ هَذَا بِجَالٍ
مِنَ الْأَحْوَالِ: قَصْرٌ ثَوْبِكَ! أَطْلُ لِحَيْتِكَ! لَا!

إِذَا عَرَفَ حَلِيقُ اللَّحِيَةِ مَلَأَ (حُشَاشَتَهُ!) بِالْإِيمَانِ، هُوَ يُسَارِعُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ،
بِدُونِ أَوْامِرٍ! وَبِدُونِ إِكْرَاهَاتٍ «!!

هَكَذَا يُشْمَتُ عَدْنَانُ بِالسَّلَفِيِّينَ أَعْدَاءَهُمُ الْخَلْفِيِّينَ، فَالسَّلَفِيُّونَ - بَلِ
الدُّعَاةُ السَّلَفِيُّونَ عِنْدَهُ - لَا يَفْهَمُونَ الدَّعْوَةَ! وَإِذَا فَهَمُوا فَهُمْ لَا يَدْعُونَ!! وَإِذَا
دَعَوْا فَلَا حِكْمَةَ لَهُمْ!!!

فَهَلْ بَقِيَ لَدَيْهِمْ - بَعْدَ هَذِهِ الطُّعُونِ - مِنْ خَيْرٍ؟! وَهَلْ هَذَا هُوَ صَنِيعُ
صَاحِبِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ?!!

دفع إيهام: قد يتبادرُ إلى ذهن المطلع على كلامِ عدنان السابق، أنه حين قال: « فلا يجوزُ لك أن تبدأ بالسُّنن قبل الإيمان... » يُريدُ الحَضُّ على البدء بالتَّوحيد، وهذا في حقيقته كلمةٌ حقٌّ أريدَ بها باطل؛ لأنَّه سيأتي ذكرُ النُّقولاتِ الكثيرةِ عنه في ضيقِ صدره بمباحثِ التَّوحيد، بل في حرفةِ النَّاسِ عن كُتبِ العقيدة التي لا يكادُ يعرفُ أهلُ السنَّةِ أفضلَ منها، ككلامه في العقيدة الواسطيَّة والطحاويَّة والتدمريَّة والحَمويَّة وغيرها، بل في جعله العقيدة لا تزيدُ على كلمةٍ أو كلمتين أو ثلاثة!!

وهذا التناقض بين هذه وتلك هو دعوة عدنان التي يعيشُ بها؛ ليضمنَ لنفسه الحياة في كلِّ الأجواء!

وهَاكَ الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا:

التَّهْوِينُ مِنْ شَأْنِ الْعَقِيدَةِ:

قال الشيخُ عدنان: « قضايا العقيدة تنتهي بكلمة وكلمتين وثلاثة!! »، من شريط « ردِّ د/ عبد الله الفارسي على رسالة عدنان »، بصوته. هذه هي سنَّةُ الحركيين جميعاً، جعلوا همَّهم الأكبر في الوصول إلى السُّلطة، فعجباً لهم؛ وجدوا الله في طريقهم فعمدوا إلى التخلُّص منه؛ ضناً بوقتهم من أن يضيعَ في المباحثِ العقديَّة!!

أمَّا الشيخُ عدنان فمتضايقٌ من المساحةِ الكبيرة التي تشغلها العقيدة في حياة المسلمين؛ لأنَّه قال هذا مُقابلاً لكلامه عما يُسمِّيهِ: (المنهج)، وتأملُ تضايقه من المباحثِ العقديَّة، واجتهاده في اختزال ألفاظها بعد اختصار مسائلها، فقد قال في شريط « تفسير سورة آل عمران »: « بدل ما تقول: نُثبتُ لله ما أثبتَ

لنفسه من غير تكييف ولا تشؤ.. (١)، بلاش كل هذا التفصيل، مذهب
السلف في نقطتين: اثبات مع تنزيهه، بس!!

والتنزيه تتضمن (هكذا) ما في الأمور المنفية، وتستريح!!! «.

قلت: تأمل راحة الرجل، وإنا لله!

تهنئة عدنان أهل السنة بالتخلص من مراجعهم العقديّة:

الشيخ عدنان من العقليات الغربية؛ بحيث لا يرضى إلا أن ينسب إلى السنة
والجماعة، ثم يأتي من الذم لهم بما لم يفه به أعداؤهم، وهو من الذين يرون أن
الطريقة التي عليها السلفيون - بعلمائهم - طريقة فاشلة منفرة، وأن الناس لو
دانوا له في ذلك لأوصلهم إلى بر الأمان، ولذلك فهو ساخط على كل شيء
لديهم، حتى كتب التوحيد التي يركز عليها علماءهم، فاستمع إليه في شريط
« براءة السلفيين من مطاعن المدخلين » (٢ / ٢ - سنة ١٤٢٠ هـ) يقول:
« إن الصحوة بعد عقد أو عقدين أو ثلاث لا تحتاج إلى العقيدة الطحاوية،
ولا الواسطية، ولا الحموية، ولا جوهرية التوحيد!! ».

هذه ضلالة عمياء وجهالة جهلاء، بلغت بصاحبها الذروة في الإفساد
العقدي التي ليس بعدها مرتقى.

بل إنه لم يعلم عن الخلفيين - على شدة حنقهم وتبرمهم من العقيدة
السلفية - أن ضاقت صدورهم بالعقيدة بالجملة، كما وقع لهذا الرجل.

وتالله! ما سمعتُ بمثل هذه المحاربة لكتب أهل السنة، ولو لم يكن لدى
الرجل إلا هذه لكفاه!

(١) هكذا في الشريط، ولعله أراد أن يقول: (ولا تشبيه).

إنه لا يجد للتمثيل لغرضه ذاك إلا الكتب التي حوت المعتقد السلفي
الصرف، بأحسن بيان وأقوى احتجاج على ما يخالفه:

العقيدة الطحاوية، العقيدة الواسطية، الفتوى الحموية...

ثم يقرؤها بجوهرة التوحيد التي هي على مذهب المتكلمين!!!

وكم كنت أتمنى أن يكون هذا سبق لسان، لكن الرجل لا يهبط وادياً،
ولا يرقى سهلاً إلا بشر أهل السنة بقرب أجل هذه الكتب!!

كأنه يريد أن ترتحل المباحث العقديّة من أقطار الأرض، وقد استكثر عليها
أن تعيش بين المسلمين طيلة هذه القرون، ثم استقل بعلم الغيب ليأتي بذلك
العيب، استقل به دون أهل العلم، وزاد في عمر هذه الكتب المنيفة عقداً أو
عقدتين أو ثلاثة!!

وأغرب منه أنه يرى ذلك على سبيل الإطلاق، فقد قال: « إذا، سيأتي
فترة، ولا يمر - إن شاء الله - على المسلمين عقداً أو عقدتين (هكذا) من الزمن
إلا وتبني الصحوّة الإسلاميّة العقيدة الصحيحة، لأن العقيدة الصحيحة تنتهي
بالكتاب والسنة، ولا حاجة بنا وقتئذ إلى العقيدة الطحاوية، ولا الفتوى
الحموية، ولا إلى غير ذلك من الكتب، ولا جوهرة التوحيد، ولا غير ذلك من
الكتب التي ذكرت العقيدة وبحثتها إطلاقاً!! ».

تجد هذا بصوته في شريط « الرد على رسالة عدنان عرعور » للدكتور
عبد الله الفارسي رقم (٢)، وانظر كتابه « التيه والمخرج » (ص ٣١)؛ فقد
دونها هناك مختصرة.

لو زعم أحد أنه يعني كتب الردود، لقلنا: لا يصح هذا من وجهين:

الأول: أنه ذكر العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية، وكلاهما قد اعتنى مؤلفها بالعرض أكثر من الرد، فقرأ متن العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية تُدرك صحة ما ذكرتُ.

الثاني: هل يُتصور دينٌ بلا عدوٍ حتى يُقال: لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى الرُّدُودِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الفرقان ٣١]، ويقولُ في الكفار: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ [البقرة ٢١٧]، ويقولُ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِعُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف ٨]، ويقولُ في المنافقين: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء ٨٩]، فلا بدَّ حينئذٍ من ردِّ الباطلِ لِتَشْيِيتِ الْحَقِّ عِنْدَ أَهْلِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء ١٨]، وقد كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْتَفِي لِتَحْقِيقِ الْإِخْلَاصِ بِالشَّهَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، حَتَّى يَضُمَّ إِلَيْهَا الْبِرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ، فَيَقُولُ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ: «... وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَمَعَ أَنَّ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ الرَّدُّ عَلَى كُلِّ الْإِلَهَةِ الْمُدَّعَاةِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ تَأْكِيدَ الرَّدِّ، فَيَقُولُ: « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، وَكَذَلِكَ فِي الْإِقْرَارِ بِالْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ: « فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ»، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تَحْمِلُ فِي مَفْهُومِهَا التَّنْكَرَ لِكُلِّ هَدْيٍ سِوَى هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَكْتَفِي بِهَا، بَلْ يَضُمَّ إِلَيْهَا قَوْلَهُ: « وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

مع أنه لم يكن وقتذاك جماعةً مُبتدعةً بين صفوف المسلمين!

عدنانُ يُوجبُ الكُتُبَ الخَلْفِيَّةَ وَيَسْتَحِبُّ الكُتُبَ السَّلْفِيَّةَ:

كتبَ الشَّيْخُ عدنانُ كتابَ « السَّيْلِ إلى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعة! »، وذكرَ في (ص ٥٠-٥٢) كتاباً يُجِبُّ على طالِبِ التَّوْحِيدِ مُطالِعَتُها، وسمَّى منها كتابَ سَيِّدِ قُطْبِ « معالم في الطَّرِيق!! »، وضمَّه إلى بعضِ المراجِعِ السَّلْفِيَّةِ، ولَمَّا جاءَ إلى ذِكْرِ المراجِعِ الَّتِي تُسْتَحَبُّ مُطالِعَتُها لمعرفةِ عقائدِ الفِرَقِ الضَّالَّةِ، سمَّى « العَقِيدَةُ الطَّحاوِيَّةُ » و« اجتماعُ الجيوشِ الإسلاميَّةِ لِعَزْوِ الجَهْمِيَّةِ والمعطلَّةِ » و« الصَّواعقُ المُرسلةُ على الجَهْمِيَّةِ والمعطلَّةِ » لابنِ القِيَمِ، و« منهاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ » لابنِ تَيْمِيَّة!!

سَبَّحَانَ اللهُ! كتابُ « معالم في الطَّرِيق » الَّذِي يُكْفِّرُ فيه مؤلِّفه المَجتمعاتِ الإسلاميَّةَ - كما مرَّ - يجعلُه عدنانُ من كُتُبِ التَّوْحِيدِ الأَساسِيَّةِ لأهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وأَمَّا الطَّحاوِيَّةُ وكتبُ ابنِ القِيَمِ وابنِ تَيْمِيَّةِ فَهِيَ مِمَّا يُسْتَحَبُّ فَقَطُّ!! فعَلامٌ إِذا كانَ ابنُ القِيَمِ يتعَنَّى في ذلكَ، فيُجهِّزُ جيوشاً لِعَزْوِ أَهْلِ البِدَعِ، وَيَنْصَبُ صَواعقَ ليرسلها عليهم، ثمَّ يأتِيه الشَّيْخُ عدنانُ ليقولَ له: هوَنَّ عَلَيْكَ! ما هَذِهِ الجيوشُ، وما لَكَ وللصَّواعقِ والجِهادِ مُسْتَحَبُّ!!

ويزيدُ من وفائه لسَيِّدِ قُطْبِ، فيجعلُ كتابَه « في ظلالِ القرآنِ » قرينَ تفسيرِ الحافظِ ابنِ كَثِيرِ، بل يحشرُه في المراجِعِ الأَساسِيَّةِ لمادَّةِ التَّفْسِيرِ!!!

لَا وِلاءَ لِلعَقِيدَةِ وَلَا بَراءَ مِنَ البِدْعَةِ عِنْدَ عَدنانَ:

قالَ في شَريطِ « أَهْمِيَّةُ مَعْرِفَةِ المَنْهَاجِ وخُطُورَةُ الخُرُوجِ عَنهُ » ألقاهُ في الجَزائِرِ: « خُلاصَةٌ هَذِهِ المَقْدِمَةُ: أَنَّ العَقِيدَةَ انْتَهَى أَمْرُها، وَسَيَزُولُ - بِإِذْنِ اللهِ - أَعْداءُ عَقِيدَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَعَقِيدَةُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِي وَمالِكَ وَأَحْمَدَ وَالشَّافِعِي (هَكَذا)!!! ».

ثم تحدت عمّن ينتسب إلى الأشعري والمأثريدي، ثم قال: « أقول: هذه المسألة انتهت، والزمان كفيلاً بأن يُنهيها تماماً، لكن القضية الآن التي سيكون عليها كثير من المناقشات والمناظرات هي قضية المنهاج!! وهي غفلة من كثير من الناس على المنهاج الصحيح، فبعض يظن أنه إذا اعتقد العقيدة الصحيحة كفته، وسلك أي طريق شاء، لكن هذا الرجل إذا أدرك أن عقيدة الخوارج - أول خروجهم - كانت عقيدة صافية نقيّة، لا شائبة فيها، فالخوارج على عقيدة أبي بكر وعمر في أول خروجهم! وما خرجوا لعقيدة! وما خرجوا لاختلاف فيها مع أصحاب النبي ﷺ، ولكن خرجوا خوارجاً منهجياً، فهم لا يرضون بما قرره عليّ ﷺ في المنهج، من وجوب قبول الحكم أو وجوب طاعة أمير المؤمنين ». »

النقد:

١- لقد أبدى الشيخ عدنان هنا الارتياح إلى كون العقيدة انتهت منها، وأن الناس لم يعودوا يتناقشون فيها، لكنه لم يُسمّ كتب العقيدة التي كان يود أن يتخلص المسلمون منها، هذا في الجزائر، أمّا في غير الجزائر فقد سماها، وهي العقيدة الواسطية والتدمرية والحموية والطحاوية وكذا جوهرة التوحيد، وقد نقلته عنه قريباً.

والحقيقة أنني أردت بهذا إيقاف القاريء النبيه على نموذج من نماذج تقيّة الرجل التي يستعملها مع المخالف؛ وذلك أنه ألقى محاضراته المنتقدة هنا في الجزائر في مسجد سلفي، فكان لا بد من أن ينشر فكرته مع أتقاء السلفيين، وأتى بكلام عام مجمل وأهم كتب العقيدة، وأمّا إذا خلا بالمراكز الحركية فإنه يُعطيهم الوجه الذي يرضيهم كما رأيت، والله المستعان!

٢_ لقد شهد الشيخ عدنان للخوارج الأولين بصفاء العقيدة ونقاوتها، فإن كان يقصد بالخوارج الأولين ذا الخويصرة الذي قال للنبي ﷺ: «يا محمد! اعدل؛ فإنك لم تعدل!!»، فيا خيبة من يشهد لهذا بصحة عقيدته؛ وهو يطعن على النبوة!!

وإن كان يقصد الذين خرجوا على عثمان وعلي رضي الله عنهما، فيا محنة الإسلام بهذا الفكر، وعدنان يعلم أنهم كفروا جمعاً من الصحابة، واستباحوا دماء جمهورهم، وقتلوا عثمان وعلياً وكفروهما، وقتلوا عبد الله بن حباب رضي الله عنه، وكفروا جميع من رضي بقضية التحكيم؛ انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَلْحَمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، تلك المحنة القطبية التي يدافع عنها عدنان بلا هوادة!!

ونسأل الشيخ عدنان: ما حكم من يعادي أصحاب رسول الله ﷺ؟ وهل هذه المسألة من مسائل الاعتقاد أم لا؟

الجواب: إن تنقص صحابي واحد كاف لتصنيف صاحبه في أهل البدع، قال الإمام أحمد - رحمه الله - في عقيدته المشهورة - «أصول السنة»، التي رواها عنه عبدوس بن مالك العطار، كما في «شرح أصول الاعتقاد» للألكائي (١٨٢/١) قال: «ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساوئه كان مُبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً».

ثم هاك الدليل على أن الخوارج الأولين كانت فتنتهم عقديّة، فهأهم يكفرون بالكبيرة، وينكرون الشفاعة والصحابة متوافرون، فقد روى مسلم (١٩١) عن يزيد الفقير قال: «كنت قد شعفني رأيي من رأي الخوارج، فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررتا على المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلى سارية عن

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ! مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾، وَ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾؟! فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟! قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ، قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودِ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضَعَ الصِّرَاطَ وَمَرَّ النَّاسَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَلِكَ، قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَّاسِمِ^(١)، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَعْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَّاطِيسُ^(٢)، فَرَجَعْنَا، قُلْنَا: وَيَحْكُمُ! أَتُرُونَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا، فَلَا - وَاللَّهِ! - مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ «.

وفي رواية لابن أبي حاتم ذكرها ابن كثير في « تفسيره » (٧٦/٢) بالإسناد إلى يزيد الفقير أنه قال: « جلستُ إلى جابر بن عبد الله وهو يحدثُ، فحدثتُ أن ناساً يخرجون من النار، قال: وأنا يومئذٍ أنكرُ ذلك، فغضبتُ،

(١) جمع سمس، وعيدانه تراها - إذا قلعت وتركت في الشمس ليؤخذ حبها - دقافاً سوداً كأها محترقة، فشبه بها هؤلاء، كذا في شرح النووي على صحيح مسلم، فيما نقله عن ابن الأثير.

(٢) قال النووي في شرحه: « جمع قرطاس، بكسر القاف وضمها لغتان، وهو الصحيفة التي يكتب فيها، شبههم بالقرطاس لشدة بياضهم بعد اغتسالهم وزوال ما كان عليهم من السواد ». «

وقلت: مَا أَعْجَبَ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْكُمْ - يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ! -
 تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ
 النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا﴾ الآية [المائدة ٣٧]، فانتهرني أصحابه، وكان
 أحلمهم، فقال: دَعُوا الرَّجُلَ! إِنَّمَا ذَلِكَ لِلْكَفَّارِ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
 أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة ٣٦-٣٧]، أما تقرأ
 القرآن؟ قلت: بلى! قد جمعته، قال: أليس الله يقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
 نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء ٧٩]؟ فهو ذلك المقام؛
 فإن الله تعالى يحبس أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء لا يكلمهم، فإذا أراد أن
 يخرجهم أخرجهم، قال: فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به.

وإسنادها صحيح؛ فإن مبارك بن فضالة قد صرح بالتحديث في كل
 طبقات السند، ووقع في تسمية شيخ ابن أبي حاتم خطآن، حيث جاء فيه:
 حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شيبة الواسطي، وإنما هو الحسين بن محمد بن
 شبة الواسطي، وقد ذكر أصحاب المشتبه ذلك، وهو صدوق كما في
 «الجرح والتعديل» (٦٤/٣).

ثم ذكر ابن كثير رواية أخرى في معناها بإسناد ابن مردويه، لكنها عن
 طلق بن حبيب، قال: «كنت من أشد الناس تكديماً بالشفاعة، حتى لقيت
 جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل
 النار، فقال: يا طلق! أترأى لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني؟ (وفي
 رواية أحمد: فقلت: لا والله! بل أنت أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنته مني،
 قال: إن الذين قرأت هم أهلها: هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً
 فعذبوا ثم أخرجوا منها، ثم أهوى بيده إلى اليسرى، فقال: صممتا إن لم أكن

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: يخرُجونَ مِنَ النَّارِ بعدَ ما دَخَلُوا، ونحنُ نقرأُ كما قرأتَ، (وفي روايةِ ابنِ حبانَ: فقالَ جابرُ: إنَّكم تجعَلونَ الخاصَّ عامًّا! هذه للكُفَّارِ؛ اقرؤوا ما قبلها...)»، ورواهُ أيضاً معمرُ في «جامعه» (٤١٢/١١) وأحمدُ (٣٣٠/٣) والطَّحاوي في «مشكل الآثار» (٥٦٦٨-٥٦٧١) وأبو القاسمِ البَغوي في «الجعديات» (٣٣٨٤- مؤسَّسة نادر) وأبو نُعيم في «الحلية» (٦٦/٣)، وفيه سعيد بن المهلب، وبه ضعَّفه منَ حَقَّقَ الجزءَ (٢٢) في طبعةِ الشَّيخِ شُعيب الأرنؤوط لمسندِ الإمامِ أحمدَ (٤٠٥/٢٢)، ولكنه تُوبِعَ؛ فقد رَواهُ من طُرُقٍ كلِّ من البُخاري في «الأدب المفرد» (٨١٨) وابنِ حبانَ في «صحيحه» (٧٤٧٣) والآجِري في «الشريعة» (٧٧٣- مطوَّلاً) والبيهقي في «الشَّعب» (٣٢٣)، وقالَ العلامَةُ الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٦٢٩): «صحيحٌ لغيره».

فهذه نصوصٌ تدلُّ على أن الخوارجَ الأولَ فارَقوا سبيلَ المؤمنينَ بأربعِ بدعٍ عقديَّة، هي: إنكارُ الشَّفاعةِ، وتخليدُ صاحبِ الكَبيرةِ في النَّارِ، والطَّعنُ على الصَّحابةِ، والخُرُوجُ على الوِلاةِ، فبأيِّ فقهٍ في الشَّرْعِ أو في الواقعِ قالَ عدنانُ: «عقيدةُ الخوارجِ - أوَّلُ خُرُوجِهِم - كانتُ عقيدةَ صافيةً نقيَّةً، لا شائبةَ فيها، فالخوارجُ على عقيدةِ أبي بكرٍ وعُمَرَ في أوَّلِ خُرُوجِهِم! وما خرَجوا لعقيدة! وما خرَجوا لاختلافٍ فيها مع أصحابِ النَّبيِّ ﷺ...!!».

ومَّا ذكره أهلُ التاريخِ والسِّيرِ أنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ ملجمٍ قتلَ عليًّا من أجلِ التَّزَوُّجِ بامرأةٍ جميلةٍ من الخوارجِ، أرادها لِنَفْسِهِ فاشترطتْ عليه في مَهْرِها قتلَ عليٍّ ﷺ، كما في ترجمةِ عليٍّ من «الاستيعاب» لابنِ عبدِ البرِّ و«تاريخ الخلفاء» للسُّيوطي (ص ١٧٦) وغيرهما، فأينَ كانَ الإخلاصُ في خُرُوجِهِ؟!.

وأغربُ منه أن الشيخَ عدنانَ يدري هذا؛ فإنه ذكرَ هذه القصةَ في محاضرةٍ «أهميّة المنهج وخُطورة الخُروج عنه»، ألقاها في الجزائر، ولم ينفعه ذلك؛ لأنّه قرّرَ أن الخوارجَ أعظمَ هذه الأمة إخلاصاً!!

وكيف نُصدّقُ الشيخَ عدنانَ في ادّعائه أنّه يُحذّرُ من التّكفير والخُروج، وهو يُكرّرُ كلامه السّابقَ في كلِّ بلادٍ تطوّها قدماها، فقد قالَ في شريط «المجتمعات التي يتعرّض لها المسلم وموقفه تجاهها»: «كان يجبُ على المسلمين أن يقوموا قومة رجلٍ واحدٍ لدفعِ هذا العدوِّ الصّائل، ثمّ لما خرّج الاستعمارُ عينَ بعضِ الحكومات الكافرة، كان الواجبُ على المسلمين أن يقوموا قومة رجلٍ واحدٍ، ولا يصبروا ولا يؤمّ واحد؛ علماء وأمرء وشعب، يقوموا ويطيحوا بهذا النّظام، لكنّ لما يفعلوا ذلكَ عاقبهم الله بحكامهم، فاعقَبَ المسلمين بما كسبتْ أيديهم؛ لأنهم سكتوا عن هذا الاستعمار، وعن هؤلاء الحكام الكفرة، بعضهم أقول، فعاقبهم الله بجنسِ عملهم، خافوا من أن يقوموا عليهم، قالوا: دفعا للفتنة، مصلح ومفاسد، فعاقبهم الله ^{عجل} على أيدي هؤلاء الذين تركوهم!!».

قلتُ: إنّ الذين ينظرون في المصلح والمفاسد هم أهلُ العلم، والشيخُ عدنانُ غيرُ راضٍ بدعوتهم إلى تطبيقِ هذه القاعدةِ في المجتمعات المسلمة، ويرى أن العلماء كانوا سببَ التّعطيلِ الذي ذكره، أي تماماً كما يقولُ العوامُّ المتهورون، المتخرّجون من محاضنِ الحركيين، وكذا هو قولُ التّكفيريين، والأمرُ لله.

٣- من أين للشيخِ عدنانِ الانتهاء من أمرِ العقيدة، ومن أين له أن الناسَ قد أصبحوا على عقيدة أبي بكرٍ وعمر؟!

فنسأله: كم عدد الجامعاتِ في العالمِ التي تُدرّسُ عقيدة السّلف؟

وكم عدد المساجد السنّية - ولا أقول: السلفيّة؛ لأنّ هذه الكلمة تُرَعِّجُه - في بلادهِ السُّورِيَّة؟

لقد دخلنا هذه البلاد مراراً، وكنا نتعبُ لنحصلَ على مَسْجِدٍ ليس فيه قبرٌ!

ولقد طُفنا بمجموعة من معاهد بلادك - يا عدنان! - فلم نعثُرْ على واحدٍ منها تُدرِّسُ فيه عقيدةُ السُّلفِ، وسمعنا بأنّه يُوجدُ فلانٌ ذو المعتقدِ السليمِ، لكنّه لا يستطيعُ إلا أن يكونَ في صومعته!

ونسأله أيضاً: كم عدد البلدان الإسلاميّة التي تدرِّسُ جامعاتها ومعاهدها عقيدةَ التَّوْحِيدِ؟ فإن وجدتَ منها (عدداً!!) فكم هي نسبتها إلى سائرِ البلادِ الإسلاميّة؟

وهو نفسه يجِبُ عن التَّلَفُّظِ بـ «العقيدة السلفيّة» أمامَ المراكزِ الإسلاميّةِ التي يحاضرُ فيها؛ خوفاً من الحساسيّةِ الحركيّةِ، فكيفَ يستغفلنا بقوله: «العقيدة انتهت أمرها...»؟!

بل هو نفسه محتاجٌ إلى أن يتعلّمَ التَّوْحِيدَ؛ ولولا أنّي في عَجالةٍ لبينتُ للقاريءِ ما اجتمعَ لديّ من أخطائه في مُوافقةِ المعتزلةِ والمُرَجئةِ والقَدَرِيَّةِ والخَوارجِ، بل إنني أُبينُ للقاريءِ هنا مخالفةَ الشَّيخِ لعقيدةِ المسلمينِ في بدهياتها، وذلك أن:

عدنان يحذرُ من تخويفِ الصِّبيانِ من نارِ جهنم:

إنّ الذي يتتبعُ أقوالَ عدنان لا يكادُ يُصدِّقُ أنّه يسمعُ كلامَ رجلٍ عرفَ شيئاً من شرعِ الله ﷻ؛ ذلكَ لأنّه يأتي إلى نقضِ البدهياتِ العقديّةِ التي أجمعَ

عليها المسلمون، بل ومعهم إجماع اليهود والنصارى وسائر الملل المثبتة لعقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار.

ولا يزال المسلمون يُربون أبناءهم على الفضائل، ويحرضونهم عليها بالتذكير بما لأهلها عند الله في جنات النعيم، ويحذرونهم من الرذائل، ويخوفونهم منها بالنار والعذاب المقيم، حتى جاء (الفيلسوف) عدنان، ونزل من سفينة أهل السنة، وامتطى سفينة علم النفس، وما أدراك ما (علم النفس!)، وادعى دعوى لا نعرفها إلا من الشواذ من علماء النفس الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر أنه لا يصلح تخويف الصبيان بالنار: نار الآخرة!!!

لقد تحدث الشيخ عدنان عن تربيته لأولاده، وكعادته في ضربه المثل الحسن بنفسه لما يستحسنه هو، قال في شريط «جلسة على البحر»: «ولا قلت - أي للأولاد - : النار! وتلظي!! هذا ما يصلح للولد!! يقول: الله ليس خلق النار؟! وليس أنا أحترق؟! والموسيقى أو غيرها أنا أتلدذ بها؟! لا حاجة؛ الولد ما يفهم هذه الأمور!! يفهم العكس!!

نعم! إذا تركت هذه المسألة تدخل الجنة، يفهمها!

أما إذا فعلت تُعذب! لماذا؟ ما يفهمها الطفل!!!».

قلت: إذا كان الشيخ عدنان قد قرّر مراراً في محاضرة «قواعد معرفة الحق» أن البيّنة مقدّمة على التزيين، فما له لم ينفعه علمه هنا؛ فقدّم تزيين علماء النفس على بيّنة القرآن والسنة وإجماع أهل الملل!؟

مع ذلك يتبحر بقوله في «محاضرة في مسجد مكة بالجليل»: «وأخوكم عنده شيء من الاختصاص في الأمور التربوية!!».

ومن سقطاته العقديّة:

عدوانه على مقام النبوة:

لما كثرت ردود أهل العلم على عدنان، ورأى أنه سقط في يديه، وانجفل الأتباع عنه، رمى عدنان العلامة المجاهد ربيع المدخلي في عدة مناسبات بالكبر والعنصرية؛ بغية استرجاع بعض شعبيته غير السعودية، إلا أنه لم يوفق؛ لأن هذه التهمة لا يوافقها عليها أحد، حتى أعداء الشيخ أنفسهم؛ إذ التواضع أبرز مناقب الشيخ حفظه الله، فقال عدنان كلمة لا أعرف أشنع منها، ألا وهي قوله في فرنسا في شريط « استفسارات »: « ولكن أنتم ما تعرفون: بعض الناس يتكبرون، هو - يعني الشيخ ربيعاً - يتحاكم مع شامي، مع مغربي، هم من شعب الله المختار، الذين ولدوا من دبر آدم!!!»، نقلاً من مذكرة الشيخ ربيع « دفع بغي عدنان على علماء السنة والإيمان ».

لقد ترددت طويلاً في كتابة هذه الكلمة لشناعتها، وعند كتابتها وجدت عضّة في صدري لم أجدها لغيرها، ولعل سائلاً يعرضها على عدنان ليحكم على نفسه فيها، بعد أن يزول عنه سكر بغيه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عدنان يدعي أن هارون ﷺ داهن على حساب التوحيد:

قال الشيخ عدنان في كتابه « صفات الطائفة المنصورة » (ص ٢١) تحت عنوان (علة موهومة): « لما عبد بنو إسرائيل العجل، وجاءهم موسى ﷺ وأخذ بلحية أخيه، اعتذر لهم هارون قائلاً: ﴿ يَبْنُومٌ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه ٩٤]، وكان رأي هارون عليه الصلاة والسلام أن يترك بني إسرائيل على ما هم عليه من عبادة العجل؛ انتظاراً رأي موسى عليه الصلاة والسلام، وخشية أن يفرق بين بني إسرائيل، فعاتبه موسى أشد العتب؛ فإن تفریق الناس بالتوحيد خيرٌ من بقائهم على الشرك مجتمعين!!!

وهذه هي العلة نفسها التي يتعلل بها كثير من الناس اليوم.»

لقد أراد عدنان أن يعالج هذه القاعدة فوقع في الطعن في نبي من أنبياء الله ﷺ، فكان كما قيل: عالج زكاماً وأحدث جذاماً!

وقد فسرت الآية على تفسيرين عند السلف، كما ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله، حيث قال في «تفسيره» (١٥٠/١٦-١٥١): «فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم، الذي خشيته هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد قالوا له: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِيفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه ٩١]، ﴿فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه ٩٤]، بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك.»

وفيه أيضاً: «قال ابن زيد في قول الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٦﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٧﴾﴾ [طه ٩٢-٩٣]، قال: ﴿خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٧﴾﴾ قال: خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم.»

إذاً فموسى ﷺ لم يسأله أن ينهى بني إسرائيل عن الشرك فاعتذر إليه هارون ﷺ بأن في ذلك تفريقاً للكلمة كما يزعم الشيخ عدنان، كيف وقد ذكر الله تعالى أن هارون ﷺ هاهم عن شركهم حتى كادوا يقتلونه، فقال: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه ٩٠]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف ١٥٠]، فلو أن الشيخ عدنان رجع إلى تفسير السلف بل والخلف، ثم رجع إلى الآيات في سياقها وسباقها، وإلى القصة نفسها في مواضعها الأخرى من القرآن لسهل عليه فهم تفسير السلف.

إِذَا فَعَتَابُ مُوسَى لِأَخِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ سَبِيَهُ تَأَخَّرَ هَارُونُ عَنِ
الالتحاق بأخيه موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الأَمْرُ الَّذِي فَهَمَ مِنْهُ هَارُونُ ﷺ
أَنَّهُ لَوْ فَعَلَهُ لَوَقَعَتْ فُرْقَةٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: « هَذَا
اعْتِدَارٌ مِنْ هَارُونٍ عِنْدَ مُوسَى فِي سَبَبِ تَأَخَّرِهِ عَنْهُ؛ حَيْثُ لَمْ يَلْحَقْهُ فَيُخْبِرْهُ بِمَا
كَانَ فِي هَذَا الْخَطْبِ الْجَسِيمِ، قَالَ: لِمَ تَرَكْتَهُمْ وَحَدَّهُمْ وَفَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ، ﴿ وَلَمْ
تَرْتَقِبْ قَوْلِي ﴾ أَي: وَمَا رَاعَيْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ حَيْثُ اسْتَخْلَفْتُكَ فِيهِمْ، يُرِيدُ
قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونُ أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ وَلَا
تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف ١٤٢]، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضاً أَنَّ مُوسَى ﷺ
عَاتَبَهُ عَلَى عَدَمِ اللُّحُوقِ بِهِ، لِأَعْدَمِ نَهْيِ هَارُونِ ﷺ لَهُمْ عَنِ عِبَادَةِ الشِّرْكَ،
كَمَا تَوَهَّمَهُ عَدْنَانُ، وَذَلِكَ صَرِيحٌ فِي آيَةِ الْبَابِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ قَالَ يَنْهَرُونَ
مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٧﴾ أَلَّا تَتَّبِعَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٨﴾ ﴾ [طه

. [٩٣-٩٢]

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي: فَهُوَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَرَادَ خَشِيتُ أَنْ نَقْتُلَ فَيَقْتُلَ بَعْضُنَا
بَعْضاً، فَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي « تَفْسِيرِهِ » (١٦ / ١٥١)، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَنَّهُ
قَالَ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: « كُنَّا نَكُونُ فَرِقتَيْنِ يَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً حَتَّى نَتَفَانَى »، وَقَدْ
حَكَى الْبَغَوِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٣ / ٢٢٩) هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ.

وَلَيْسَ ثَمَّ الْقَوْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي اخْتَرَعَهُ الشَّيْخُ عَدْنَانُ، وَخَرَجَ بِهِ عَنِ الْمَنْقُولِ
عَنِ السَّلَفِ وَاخْتِلَافِهِمْ جَمِيعاً.

وَقَالَ الشُّوكَانِيُّ فِي « فَتْحِ الْقَدِيرِ » (٣ / ٣٧٣): « لِأَنَّ هَارُونَ لَوْ خَرَجَ
لَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، وَتَخَلَّفَ مَعَ السَّامِرِيِّ عِنْدَ الْعَجَلِ آخَرُونَ، وَرُبَّمَا أَفْضَى ذَلِكَ
إِلَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمْ »، وَانظُرْ إِنْ شِئْتَ « أَضْوَاءَ الْبَيَانِ » لِمُحَمَّدِ الْأَمِينِ الشَّنْقِيطِيِّ

(٥٣٦/٤)، و« تفسير القرطبي » (١٨٤-١٨٥ / ٧) وكلام ابن القسيم في « بدائع التفسير » (١٦٨/٣).

تنبيهان مهمان:

الأول: قال الأخ الفاضل عبد القادر الجنيد في مذكرته « عدنان عرعور وبعض الخرافاته » ص (٥) : « ولعل الذي أورد الأستاذ عدنان عرعور هذا المورد وأوقعه في هذا الخطأ الجسيم في حق هذا النبي ﷺ هو كلام لسيد قطب في كتابه « في ظلال القرآن » (٢٣٤٨/٤)، وعند قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٦﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٧﴾ ﴾ [طه ٩٢-٩٣]، يؤنبه على تركهم يعبدون العجل دون أن يُنطل عبادته؛ أتباعاً لأمر موسى عليه السلام بالألا يحدث أمراً بعده، ولا يسمح بإحداث أمر!! ».

وانظر كيف تواصلت هذه الأرحام؛ لتعلم - على الحقيقة - من يعزى إلى خيار السلف ممن يعزى إلى شرار الخلف، والأمر لله.

الثاني: قال الشيخ عدنان في محاضرة له ألقاها في الجزائر بعنوان « كيف تُفسر القرآن؟ »: « أول الأمر: أن تعلم أن هذا القرآن لا يُفسر بالرأي، فمن فسره برأيه فقد كفر! ».

وقد بينت آنفاً أن عدنان لم ينطلق في تفسيره لآية طه من مأثور السلف، وإنما فسرها برأيه، وعلى هذا يلزمه تكفير نفسه، لا سيما وهذا الرأي أداه إلى الخط من قدر نبي من الأنبياء، والأمر كما ترى!

وما رد به الشيخ عدنان هنا على (الإخوان المسلمين) لا تأمنه؛ فإنه وقع فيه هو نفسه، فكم وجدنا له من كلمات في مدهانة المخالفين لتوحيد المرسلين، والغض من قدره، وقد مرّ نقل كلامه في محاولة قبر التوحيد وتقديم

مَا يُسَمِّيهِ — (المنهج) على التَّوْحِيدِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي مُحَاضِرَةِ « الطَّائِفَةُ الْمَنصُورَةُ » رَقْم (٢) حَاكِيًا كَلَامَ غَيْرِهِ فِيمَا يَدُورُ: « التَّوْحِيدُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! أَيُّ كَلَامٍ هَذَا بِتَقُولُ؟! »

نَقَفُ مَكْتُوفِي الْأَيْدِي وَيَأْتِينَا الشُّيُوعِيَّينَ (هَكَذَا)، وَيَذْبُحُونَنَا فِي دَارِنَا، وَنَحْنُ نَقُولُ: التَّوْحِيدُ؟! التَّوْحِيدُ؟! وَاللَّهِ! لَا نَقُولُ هَذَا!! « .
قَلْتُ: فَتَقُولُونَ مَاذَا؟ »

قَارِنُ — أَحِي الْقَارِيءَ! — هَذَا بِذَلِكَ تَسْتَبِينُ تَذْبُذِبِ الرَّجُلِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ.

عَدْنَانُ يَرَى أَنَّ الْعَقِيدَةَ وَالْإِتِّبَاعَ وَرَوَايَاتِ السَّلْفِ لَا تَنْثُرُ التَّقْوَى وَالْخُلُقَ الْحَسَنَ:

قَالَ فِي كِتَابِهِ « صِفَاتُ الطَّائِفَةِ الْمَنصُورَةِ » فِي خُضْمِ مُحَارَبَتِهِ لِلطَّائِفَةِ الْمَنصُورَةِ (ص ٩٣): « وَإِلَّا فَإِنَّ مِنْ سُوءِ التَّرْبِيَةِ أَنْ يُلْقَنَ الْعَقِيدَةَ، وَيَحْفَظَ مُتَوْنَهَا أَوْ يُرَكِّزَ عَلَى الْإِتِّبَاعِ، وَحَفَظَ رَوَايَاتِ السَّلْفِ، وَتُهْمَلُ تَقْوَى اللَّهِ وَمُرَاقَبَتُهُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ! كَمَا يَحْصُلُ فِي بَعْضِ الْجَامِعَاتِ!! فَيَخْرُجُ جَيْلٌ يَحْفَظُ وَلَا يَفْقَهُ! يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ! وَفِي بَعْضِهِمْ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَقَلَّةِ التَّقْوَى وَسُوءِ الْخُلُقِ مَا يَكْمُدُ النُّفُوسَ حَسْرَةً، وَيُفْطِرُ الْأَكْبَادَ أَسْفَاءً!! « .

قَلْتُ: إِنَّهُ لَا يَقْصِدُ غَيْرَ السَّلْفِيِّينَ؛ فَهَمُّ الَّذِينَ يَحْرِصُونَ عَلَى سَلَامَةِ الْمُعْتَقَدِ وَيُرَكِّزُونَ عَلَى الْإِتِّبَاعِ، وَهَمُّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آثَارَ السَّلْفِ، وَكَأَنَّ بِالشَّيْخِ عَدْنَانَ قَدْ طَافَ بِجَامِعَاتِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَجِدْ مَا يُفْطِرُ الْأَكْبَادَ غَيْرَ الْجَامِعَاتِ السَّلْفِيَّةِ، مَعَ أَنَّ وُجُودَ جَامِعَةٍ سَلْفِيَّةٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ يُعَدُّ مِنْ أَعْجَابِ الدَّهْرِ، فَبَدَلًا مِنْ أَنْ

تَحْطَى مِنْهُ بِالتَّشْجِيعِ، فَإِنَّهُ قَعَدَ لَهَا بِالطَّرِيقِ يَصُدُّ عَنْهَا بِمَا يُشْهَرُ مِنْ مَثَالِبِهَا، وَإِنَّا
لِلَّهِ!

عدنان يَفْضَلُ الْأَخْلَاقَ عَلَى التَّوْحِيدِ:

في إطار مقارنة الشيخ عدنان بين التَّوْحِيدِ وَالْحُلُقِ الْحَسَنِ، فَإِنَّهُ بَدَلًا مِنْ أَنْ
يَتَّسَعَ صَدْرُهُ لِمَا جَمِيعًا وَيَدْعُو إِلَيْهِمَا جَمِيعًا، إِذَا بِهِ يَحْرِشُ بَيْنَهُمَا، فَتَارَةً تَكُونُ
النَّتِيجَةُ عِنْدَهُ عَلَى (التَّعَادُلِ!!)، وَتَارَةً يَفُوقُ الْحُلُقُ التَّوْحِيدَ!!!

فَمِنَ التَّعَادُلِ قَوْلُهُ فِي « صِفَاتِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ » (ص ٩٩): « وَإِنَّ
لِلْأَخْلَاقِ مَنْزِلَةً فِي تَمَاسُكِ الْمُسْلِمِينَ لَا تَقَلُّ مَنْزِلَةً عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْمَنْهَاجِ!!! ». «
وَمِنْ تَفْضِيلِهِ لِلْحُلُقِ عَلَى التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ فِي « السَّبِيلِ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ » (ص ٢٣): « وَإِذَا كَانَ التَّوْحِيدُ يَسْبِقُ الشَّرِيعَةَ وَالْمَنْهَاجَ فِي الْإِلْتِمَامِ
وَالِاعْتِقَادِ وَالِدَّعْوَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْبِقُ الْأَخْلَاقَ، بَلْ هُمَا مُتَلَازِمَانِ كِتَالِزَمِ الْمَاءِ
لِلشَّجَرِ، وَالرُّوحِ لِلْجَسَدِ!!! ». «

النقد:

١_ هَذَا وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي يَحْرُصُ فِيهَا الشَّيْخُ عَدْنَانُ عَلَى إِسْقَاطِ قِيَمَةِ
التَّوْحِيدِ!

٢_ لِمَاذَا كَلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ الْمَثَلَ الْحَسَنَ لِشَيْءٍ عَدَا عَلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ
مِنْهُ بِالتَّمْثِيلِ السَّيِّئِ؟!!

فَقَدْ أَرَادَ هُنَا أَنْ يُبْرِزَ قِيَمَةَ الْأَخْلَاقِ، فَغَضَّ مِنْ قَدْرِ التَّوْحِيدِ لِتَحْقِيقِ
ذَلِكَ!!

٣_ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ سِوَى بَيْنِ التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ، لَا الْأَخْلَاقَ وَلَا غَيْرَهَا، فَلْيُرْشِدْنَا الشَّيْخُ عَدْنَانُ إِلَى أُسُوتِهِ فِي هَذَا، وَلَوْ أَنْ يُفْتَشَّ الْآنَ!!

٤_ لَقَدْ جَعَلَ الْأَخْلَاقَ بَمَثَابَةِ الرُّوحِ لِلجَسَدِ، وَالْمَاءِ لِلشَّجَرِ، فَهَلْ تَمَّ مَنزَلَةُ أَكْبَرُ مِنْ مَنزَلَةِ الرُّوحِ لِلجَسَدِ، وَالْمَاءِ لِلشَّجَرِ؟

إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ رُوحُ هَذَا الدِّينِ، كَمَا قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ أَمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلِكْتَبُ وَلَا الْإِيْمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى ٥٢].

وقد كان من حُسنِ حظِّ الشَّيْخِ عَدْنَانُ أَنْ أَنَسَا كَثِيرِينَ انْتَقَدُوا عَلَيْهِ مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ، وَلَوْ أَرَادَ بِنَفْسِهِ خَيْرًا لِرَجَعٍ مِنْ قَرِيبٍ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ الْعَنَادَ، فَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنِ الْمَخَارِجِ لِكَلَامِهِ، فَأَتَى بِأَغْرَبَ مِمَّا انْتَقَدَ عَلَيْهِ، فَقَالَ فِي « التَّيِّهِ وَالْمَخْرَجِ » (ص ٨٠_ ط. مَوْسَسَةُ قُرْطَبَةَ): « وَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي إِدْرَاكَهُ أَنْ لِلأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَأْتِيرًا بَالِغًا فِي الدَّعْوَةِ، لَا يَقِلُّ أَهْمِيَّةً بِكَثِيرٍ عَنِ تَأْتِيرِ التَّوْحِيدِ؛ فَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا فِي مَكَّةَ، فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ يَدِيهِ سِوَى النَّزْرِ الْيَسِيرِ، وَلَمَّا عَفَا عَنْهُمْ فِي فَتْحِ مَكَّةَ، وَظَهَرَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ ﷺ مَا لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَهُ، مَعَ أَنَّ الْقُوَّةَ يَوْمئِذٍ بِيَدِهِ، أَسْلَمَ لِذَلِكَ خُلُقًا كَثِيرًا!! ».

وهذا أَدَهَى مِمَّا مَرَّ؛ لِأَنَّ مَفْهُومَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ غَافِلًا عَنِ الْأَخْلَاقِ، أَوْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَا خُلُقٍ، فَلِذَلِكَ قَلَاهُ النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ انْتَبَهَ إِلَى تَحْسِينِ خُلُقِهِ أَوْ دَعْوَةِ النَّاسِ بِالخُلُقِ الْحَسَنِ، فَثَابَ الْكُفَّارُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَكَانَتْ النَّتِيجَةُ أَنَّ أَثَرَ الْأَخْلَاقِ فِي النَّاسِ أَدْرُ مِنْ أَثَرِ التَّوْحِيدِ، وَإِلَى الْمَشْتَكَى!!!

وهذا التَّحْبُطُ جاء نتيجة الاستِقلالية في الاستنباط، ثم غمطِ النَّاصِحِينَ المُشْفِقِينَ.

يبدو أن الشيخ عدنان اعتذر بأنه لا يقصدُ تقدّم الأخلاقِ على التَّوْحِيدِ، وإنما يقصدُ أثر الأخلاقِ في الهداية!!

ومع أن هذا التعليل ينقضه أن الرسول ﷺ كان معروفاً في الجاهلية والإسلام بالصادق الأمين، فإن الشيخ عدنان أتى بتعليل آخر، أذكره فيما يأتي:

تناقض: أراد الشيخ عدنان أن ينفي عن نفسه قهمة الطعن في أخلاق النبي ﷺ، فجاء بما نقض به تعليله الأول؛ إذ ادعى أنه يقصدُ بقوله بسبق الأخلاق غيرها: السبق التاريخي، فقال: « لم يسبق شيءٌ هداية النبي ﷺ إلا الأخلاق، هل تعلمون ذلك؟ لقد وصف الله نبيه أنه غير مهتد: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ [الضحى ٧]، لا يعرفُ شريعةً، ولا يعرفُ توحيداً تفصيلاً، ما يعرفُ شيء (هكذا) النبي ﷺ، فهده الله، ولكن كان النبي ﷺ مخلوقاً، قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم ٤]، ثم ذكر قول خديجة رضي الله عنها المشهور في أخلاق النبي ﷺ، والشريطُ عندي بصوته، لكنه غيرُ مسمّى.

إذا كانت أخلاق النبي ﷺ سبقت توحيدَه، أي أنه كان ذا خلقٍ رفيعٍ قبل أن يُصبح موحداً، وإذا كان للأخلاق أثرٌ بالغٌ في هداية الناس، فما لك ذكرت قريباً أنه لم يُسلم بعد البعثة إلا النَّزْرُ القليل حين دعا ﷺ إلى التَّوْحِيدِ، فلمَّا كان في آخر عهده ﷺ ثاب الناسُ إلى الإسلام؛ لما رأوا أخلاقَه في فتح مكة؟! فهلاً أسلموا قبل هذا، يوم أن كان معروفاً بـ (الصادق الأمين)؟! ما هذا التناقض يا عدنان؟! مرةً تعتذرُ بأنك كنتَ تقصدُ أخلاقَه ﷺ عند فتح مكة، ومرةً تعتذرُ بأنك كنتَ تقصدُ أخلاقَه ﷺ قبل البعثة، وبينهما ما يزيدُ على

عشرين سنة!! ونسأل الشيخ عدنان: هل أفعال الرسول ﷺ أسوة لنا قبل بعثته؟

ونسأله أيضاً: ألا يستقيم أن يُبين فضل الأخلاق من غير غض من حق التوحيد؟! ثم ألا يسعك - حين طلب منك أن تُفسر خطأك - أن تقول: أستعفر الله؟! فانظر إلى حالك؛ فإنك لما جئت تُفسر خطأك - وأنت مُصر عليه في نفسك، ومُتظاهر بالرجوع - أوقعك (فرط ذكائك!) في فاقرتين، هما:

الأولى: التناقض الواضح؛ بحيث تذكر عُذرتين، بينهما عشرون سنة على الأقل، فتارة تذكر أنك تقصد ما قبل البعثة، وأخرى تذكر أنك تقصد يوم الفتح!!

والثانية: هي أشد؛ أنك غضضت من حق التوحيد في كل ما نقلته عنك في هذا الفصل، كما أنك غضضت من حق النبوة؛ لأنك خلصت إلى أن النبي ﷺ دعا إلى التوحيد بمكة ثلاثة عشر سنة، فأخفقت دعوته، ولما دعا في فتح مكة بالأخلاق الحسنة دخل الناس في دين الله أفواجا!! وفي مثل هذا قيل: كحلها فأعمأها!

ولو أنك سكت ولم تعتذر بهذا العذر لهان الخطب، وقل العتب، ولكنك ذهبت تعتذر لتخليص نفسك فورطت نبي الله ﷺ فيما ينتقصه، وفي مثل هذا قيل: عُذر أقبح من ذنب!!

فانظر في أمرك - يا عدنان! - وارحم نفسك، واعلم أن الذي تخلى عنك يوم كنت تغلو في الأخلاق ذلك الغلو، هو الذي حرملك التوفيق اليوم حين اعتذرت هذا الاعتذار، وأنت شامخ الأنف، لا تكاد تعرف على نفسك خطأ،

وَهَاجِمٌ مَنْ أَهْدَى إِلَيْكَ عُيُوبَكَ، لَا تُبَالِي فِي ذَلِكَ شَيْخًا شَابَ مَعَ الْعِلْمِ، وَلَا شَابًا سَبَقَكَ إِلَى نِبَاهَةِ وَنَصَحِكَ بِحِلْمٍ.

وَمِمَّا لَا يَتَنَاهَى مِنْهُ الْعَجَبُ أَنَّهُ يُؤَكِّدُ ضَلَالَةَ السَّابِقِ بِمُوَافَقَةِ الشَّرْعِ فِي الْمَقْدِمَاتِ ثُمَّ يُخَالِفُهُ فِي النَّتَائِجِ، فَقَدْ قَالَ فِي الْجَزَائِرِ فِي مُحَاضَرَةٍ « تَفْسِيرُ سُورَةِ مُحَمَّدٍ (١) »: « فِكُلَّمَا ازْدَدَتْ عَمَلًا صَالِحًا ازْدَدَتْ هِدَايَةً، وَكُلَّمَا قَلَّ عَمَلُكَ الصَّالِحِ قَلَّتْ هِدَايَتُكَ، بَدَأَ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَى إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، فَالْمَسْوُوكُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ رَغْمٌ أَنْوَفَهُمْ، وَتَقْصِيرُ الثَّوْبِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ رَغْمٌ أَنْوَفَهُمْ، وَإِعْفَاءُ اللَّحِيَةِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ رَغْمٌ أَنْوَفَهُمْ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَالِابْتِسَامَةُ الْحُلُوةُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَعْظَمُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ! ».

فِي هَذَا رَدُّ صَرِيحٍ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصَرًا، وَمُسْلِمٌ بِتَمَامِهِ.

لَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ التَّوْحِيدَ وَذَكَرَ الْخُلُقَ بِقِسْمِيهِ:

- الْفِعْلِيُّ: وَمِثْلُ لَهُ بِإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ.

- وَالتَّرَكِيُّ: وَمِثْلُ لَهُ بِالْحَيَاءِ.

ثُمَّ فَضَّلَ النَّبِيُّ ﷺ التَّوْحِيدَ عَلَيْهَا كُلِّهَا، وَأَمَّا عَدْنَانُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، ثُمَّ خَالَفَ النَّصَّ صِرَاحَةً؛ بِحَيْثُ إِنَّهُ قَابِلٌ بَيْنَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسَّوَاكِ وَإِعْفَاءِ اللَّحِيَةِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ فَضَّلَ الْأَخْلَاقَ عَلَيْهَا كُلِّهَا، وَهَذِهِ - وَاللَّهِ! - لَمْ أَجِدْ فِي تَفْسِيرِهَا تَأْوِيلًا، وَلَا لِمَخَارِجِهَا تَسْهِيلًا!!!

ومن العجائب أيضاً أنه سُئِلَ في الجزائر بعد محاضرتِهِ في « تفسير سورة محمد (٢) » عن دَعْوَةِ الْقُبُورِيِّينَ، فلم يَبْسُ بِبِنْتِ شَفَةِ عن موضوع الشُّرْكَ، وحوَّلَ الكلامَ كُلَّهُ أخلاقياً، وسُئِلَ عن طَرِيقَةِ دَرَأَةِ الْعَقِيدَةِ وعن مراجعها، فقدمَ بينَ يَدَيَّ كلامه أنه يودُّ أن لا يُسألَ عن هذا، ثم لم يَذْكُرْ شيئاً من المراجعِ العَقَدِيَّةِ، واكتفى بذكر ما لا يجهله أحدٌ، ألا وهو القرآنُ فقط، فما ضره لو سُمِّيَ بعضُ تلكَ الكُتُبِ التي كان يُبشِّرُ بوأدها بعدَ بعضِ العُقُودِ مِنَ الزَّمَنِ؟! ولعلَّ السَّائِلَ كانَ يُريدُ تأييداً منه على المخالفين لعقيدة السلف، فلم يجد من عدنان إلا التهرُّبَ والصدَّ، فلماذا ضيقُ الصِّدْرِ إلى هذا الحدِّ؟!!

كشَفُ تَلْبِيسٍ:

قال الشَّيْخُ عَدْنَانُ في مذكَّرتِهِ « بَرَاءَةٌ » (ص ٥): « وما صدرَ مِنِّي من إطلاقٍ أو عمومٍ في فضلِ الأخلاقِ وأهمِّيَّتها، وفي غيرِهِ من المسائلِ، فهو من قبيلِ المُحمَلِ المُفصَّلِ في مكانٍ آخرَ، ولم أقصدُ أنَّ الأخلاقَ أو أيَّ شيءٍ آخرَ يَكُونُ قَبْلَ التَّوْحِيدِ، وهذا الإطلاقُ واردٌ لغةً وشرعاً، قال ﷺ عندما سُئِلَ عن البرِّ: (البرُّ حُسنُ الخُلُقِ)، وقال ﷺ: (أثقلُ شيءٍ في الميزانِ حُسنُ الخُلُقِ)، فأينَ ذكرُ التَّوْحِيدِ ها هنا؟! وهل غفلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن أهميَّةِ التَّوْحِيدِ؟! ولكن الجوابُ أنَّ الأمرَ إذا فُصِّلَ وعُرفَ لا يضرُّ بعدَ ذلكِ الإجمالُ، وقد فصَّلتُ ذلكَ في فصلٍ خاصٍّ في كتاب (التَّيِّهِ والمُخْرِجِ)، يراه المَبْصُرُونَ، ولا يراه المتَرَصِّدُونَ الَّذِينَ أَعْمَى الحِقْدُ والتَّرْصُدُ أَبْصارَهُمْ!! ».

النقد:

١- قد عرَفْتُ - أخي القاريء! - أنه في هذا الكتابِ قد زادَ الطَّيْنَ بَلَّةً.

٢_ يُرِيدُ الشَّيْخُ عَدْنَانَ مِنْ قِرَاءِ كُتُبِهِ أَنْ يُعَامِلُوهَا كَمَا يُعَامِلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ﷻ، فَيَنْطَلِقُونَ مِنْ عَصَمَتِهَا، وَيَتَخَيَّلُونَ فِي كُلِّ مَجْمَلٍ مِنْهَا أَنَّ لَهُ مَفْصَلًا، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ!

٣_ إِنَّ ضَرْبَهُ الْمَثَلَ بِالْحَدِيثَيْنِ لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ذَكَرَ فَضْلَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَلَمْ يُقَابَلْهُ بِالتَّوْحِيدِ لِإِخْتَارِهِ فِي النَّهَائِيَةِ الْخُلُقَ عَلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا فَعَلَ عَدْنَانُ!

٤_ كُنَّا نَوَدُّ مِنَ الشَّيْخِ عَدْنَانَ أَنْ يَمْتَثِلَ بِمَا يَنْصَحُ بِهِ غَيْرَهُ، وَأَنْ يَنْزِعَهُ عَمَّا يَنْعَاهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِذَا بِهِ يُجَازِي مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ عَيْبَهُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الَّتِي تَتَنَافَى مَعَ الْخُلُقِ الَّذِي يُدْنِدُنُ حَوْلَهُ، فَيَصِفُهُمْ بِأَهْمٍ مَتْرَصِدُونَ، وَأَصْحَابُ حَقْدٍ، وَعُمِّيُ الْأَبْصَارِ!! وَيَحْمَدُ اللَّهَ فِي مُذَكَّرَتِهِ « بَرَاءة » (ص ٢٦) عَلَى أَنْ جَعَلَ اللَّهَ أَخْلَاقَ بَعْضِ مُنْتَقِدِيهِ « سَيِّئَةٌ قَبِيحَةٌ... »، وَهَذِهِ سَيِّئَةٌ خُلُقِيَّةٌ؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَفْرَحُ بِوُقُوعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْخَطَايَا، وَلَا يَتَمَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا.

ولو استمعت إلى شريطه « استفسارات » بفرنسا، لما أطقت تكميله؛ لما فيه من سباب ولعن وكلام فاحش في حق بعض أهل العلم، منهم الشيخ ربيع، حتى إنه لا يمكن الإنصات إليه بحضرة الأهل والأولاد.

فتأدب مع ربك يا عدنان! واحفظ له حقه، ولا تُضيِّعه بزُخْرَفِ الْقَوْلِ؛ فَإِنَّكَ لَوْ حَسَنْتَ خُلُقَكَ مَعَ جَمِيعِ الْخُلُقِ، وَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ يَتَأَذَى مِنْكَ بَعْمُطِ حَقِّهِ الَّذِي أَمَرَ بِتَعْظِيمِهِ، لَكَانَ هَذَا غَايَةً فِي سُوءِ الْخُلُقِ، ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾!

عدنان يروي أن الطلاق أخطر من الشرك:

وقال في محاضرة ألقاها في الجزائر، في « تفسير آيات من سورة الأحزاب »: « أقول: نصب الشيطان عرشه على الماء؛ تشبهاً بالله، ولا تظنوا بس بعض الدول عندها - يعني - بعض الأمن؛ الشيطان عنده تدريب ومخابرات ومباحث يثها بين الناس؛ ليفسدوا بين العباد، فيأتيه أحدهم فيقول: ماذا صنعت؟

فيقول: ما تركته حتى زني، ما تركته حتى شرب الخمر، ما تركته.. الثاني.. والثالث.. حتى أشرك بالله، فلا يعأ بذلك، ما يهتم بذلك، فيأتيه آني (هكذا)، فيقول: ما تركتهما إلا فرقت بين الرجل وزوجه، فيذنيه منه؛ فيعطيه وسام (هكذا)، فيذنيه منه؛ يعطيه وسام (هكذا)؛ لأنه أفضل عمل يعمله الشيطان هو أن يفرق بين الرجل وزوجه!!... نعوذ بالله جميعاً من الطلاق؛ لأنه مفسدة ما بعدها مفسدة!!! ».

النقد:

١- لقد حرّف الشيخُ عدنانُ حديثين من أحاديث الرسول ﷺ، فجعلهُما حديثاً واحداً، وخرَجَ على الأمة بحُكمٍ غريب، ألا وهو أن الشيطان يفرح بتطليق الرجل زوجته، ولا يعأ بتوريطه في الشرك، مع أن الله قد أخبرنا أن الشيطان لا يبرد أنينه حتى يوقع الإنسان في الشرك، فإذا أوقعه فيه لم يلتفت إليه بعده، بل يتبرأ منه، فقال: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر ١٦]!!

وهاك نصّ الحديثين :

الأول: عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « إذا أصبح إبليسُ بثَّ جنوده، فيقول: مَنْ أضلَّ اليومَ مسلماً ألبسته التَّاج، قال: فيخرجُ هذا، فيقول: لم أزلُ به حتى طلقَ امرأته، فيقول: أوْشكُ أن يتزوَّج، ويحييُ هذا، فيقول: لم أزلُ به حتى عَقَّ والدَيْه، فيقول: يُوشكُ أن يبرَّهما، ويحييُ هذا، فيقول: لم أزلُ به حتى أشرك، فيقول: أنت، أنت، ويحييُ هذا، فيقول: لم أزلُ به حتى قتل، فيقول: أنت، أنت، ويُلبسه التَّاج » رواه ابن حبان (٦١٨٩) والحاكم (٣٥٠/٤) وأبو نعيم في « الحلية » (١٢٨ / ٨).

فهذا الحديثُ بينَ يديك قد نصَّ على عكسِ ما نسبَه الشيخُ عدنانُ للرَّسول ﷺ تماماً؛ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ قرَنَ بينَ الشُّركِ والطلاقِ، وجعلَ الشُّركَ أكثرَ فتنَةً من الطلاقِ، فأينَ وجدَ عدنانُ أنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُبالي بالشُّركِ ويُبالي بالطلاقِ؟!

هذا من الوُضوحِ بمكان، ولكنَّ الشيخَ عدنانَ يضطرُّنا إلى إعادةِ النَّظرِ في المسلَّماتِ حينَ قلبَ الحديثَ رأساً على عقب، أليسَ من الحُمقِ أن يُقالَ: إنَّ إبليسَ أعلمُ من الشيخِ عدنان؟!

بل إنَّ مقولته هذه هي من جُنْدِ إبليس؛ لأنَّ تهوينه أمرَ الشُّركِ يُفضي بأتباعه إلى التَّساهلِ فيه، ممَّا يمهدُ لجنودِ إبليسِ طريقَ إغوائهم بالشُّركِ، وأخشى أن يكونَ لعدنانِ دينٌ على إبليسِ بتاجِ الفتنَةِ وهو لا يدري، وأنا والقراءُ شهوداً!

الثاني: فيه أنَّ الشَّيْطَانَ إذا لم يُحصَلْ على شيءٍ من هذه الكبائرِ، فإنَّه يقنعُ بما دُوهاها، حتى ولو كانتْ فتنةً تطلقُ المرءَ زوجه، فعن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: « إنَّ إبليسَ يَضَعُ عرشَهُ على الماءِ، ثمَّ يبعثُ سراياهُ، فأدناهم منه منزلةً أعظمهمُ فتنةً، يحييُ أحدهمُ، فيقولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فيقولُ: مَا

صَنَعَتْ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكَتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيَذْنِبُهُ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ! قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ:
فَيَلْتَزِمُهُ « رواه مُسْلِم (٢٨١٣) وأحمد (٣/ ٣١٤ - ٣١٥) وعبد بن حميد في
« المنتخب » (١٠٣٣) وأبو يعلى (١٩٠٩)، ورواه ابن حبان (٦١٨٧)
والطبراني في « الأوسط » (٤١٣٩) مختصراً.

فها أنت - أيها القاريء! - لا تجد في هذا الحديث إلا ذكر الطلاق، فمن
أين للشيخ عدنان أن الشيطان يفرح بالمطلق أكثر من فرحه بالمشرك؟!
ومن أين له المقارنة بين الشرك والطلاق، والحديث لم يتعرض لذكر الشرك
إطلاقاً؟!!

وإنما كل ما في الأمر أن الشيطان يفرح بكل فتان، حتى لو لم يجد إلا فتنة
الطلاق، وإلا فأبي عاقل يتصور أن الطلاق - الذي أقصى ما قيل فيه إنه
مكروه - شر من الشرك الذي لم يختلف عالمان في أنه شر فتنة وقعت في
العالمين؟!!

بل كثيراً ما تُطلق كلمة (فتنة) على الشرك، كما فسّر بذلك السلف قول
الله ﷻ: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً لِلَّهِ ﴾
[الأنفال ٣٩]، ومعلوم أن الشيطان يحرض على إيقاع ابن آدم فيها، فإن لم يجد
منه استجابة تحوّل إلى البدعة، فإن لم يجد منه استجابة تحوّل إلى كبائر الذنوب،
فإن لم يجد منه استجابة تحوّل إلى صغائرهما، فإن لم يجد منه استجابة تحوّل إلى
شغله بالمباحات، فإن استجابة تحوّل إلى فضول الأعمال، كما بينه ابن
القيم، انظر « الضوء المنير في التفسير » (٥٥١/٦) جمع الشيخ علي الصالحى.

ثم أعود إلى الحديث الأول فأقول: إن إبليس يقدم من جنده من بلغ في
الفتنة غايتها، ألا وهو من فتن ابن آدم حتى أشرك أو قتل؛ لأن القتل هو أكبر

الكبائر بعد الشرك بالله، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان ٦٨]، وعن عبد الله بن مسعود قال: « قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: أن تدعوا لله ندا وهو خلقك، قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله ﷻ تصديقها: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان ٦٨] « رواه البخاري (٤٧٦١) ومسلم (٨٦).

قال ابن القيم - رحمه الله - في « الفوائد » (ص ١٠٦ - ١٠٧ ط. النفائس): « أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها، ثلاثة:

- تعلق القلب بغير الله.

- وطاعة القوة الغضبية.

- والقوة الشهوانية.

وهي الشرك والظلم والفواحش.

فغاية التعلق بغير الله شرك، وأن يدعى معه إله.

وغاية القوة الغضبية القتل.

وغاية القوة الشهوانية الزنا.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان

وَنظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشورى].
فَأخْبِرَ أَنَّ مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الْمُنَافِي لِلشَّرْكَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾، فَهَذَا اجْتِنَابُ دَاعِي الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ، وَعَلَى رَأْسِهَا الزُّنَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿١٦٧﴾﴾، فَهَذَا مَخَالَفَةُ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ، وَعَلَى رَأْسِهَا الْقَتْلُ، وَتَأْمَلْ كَيْفَ انْتَضَمَتِ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةُ فِي سُورَتِي الْفُرْقَانِ وَالشُّورَى بِالتَّقَابُلِ، فَجَمَعَ بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِفَّةِ وَالْعَدْلِ الَّتِي هِيَ جَمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ «.

وَقَرَنَ الْقَتْلَ بِالشَّرْكَ فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى السَّابِقِ عِنْدَ بَيَانِ قُوَّةِ فِتْنَةِ الشَّيَاطِينِ؛ لِأَنَّ الْقَتْلَ هُوَ الْإِثْمُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ التَّخْلِيدَ فِي النَّارِ كَالشَّرْكَ، أَيُّ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَضَى أَنَّهُ يَغْفِرُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ إِلَّا الشَّرْكَ، لَكَانَ جَزَاءُ الْقَتْلِ الْخُلُودَ فِي النَّارِ؛ لِعَظَمِ هَذِهِ الْجِنَايَةِ، وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٦٧﴾﴾ [النساء ٩٣]، فَتَأْمَلْ كَلِمَةَ ﴿فَجَزَاؤُهُ﴾، وَلِذَلِكَ رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٢٧٠)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥١١).

ثُمَّ أَنْتَ تَرَى أَنَّ الشَّيْخَ عَدْنَانَ زَعَمَ أَنَّ إبْلِسَ لَا يَعْبَأُ بِفِتْنَةِ الشَّرْكَ، وَيَعْبَأُ بِفِتْنَةِ الطَّلَاقِ، هَكَذَا زَعَمَ، وَتَجَاوَزَ كُلَّ الْكِبَائِرِ إِلَى أَنْ جَاءَ إِلَى الطَّلَاقِ - الَّذِي

غَايَةً مَا قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ مَكْرُوهٌ - فَاسْتَعْظَمَ فَتَنَّتْهُ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، بَلْ عَلَى أَكْبَرِ الكِبَائِرِ! فَأَيُّ شَرِيعَةٍ هَذِهِ الَّتِي يُرِيدُ عَدْنَانُ؟! وَشَرِيعَةٌ مِّنْ هَذِهِ الَّتِي تَجْعَلُ المَكْرُوهَ أَشَدَّ خَطَرًا مِنْ أَكْبَرِ الكِبَائِرِ؟! وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ أَخْبَرَ - كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى - أَنَّ إبليسَ لَا يُبَالِي بِفِتْنَةِ الطَّلَاقِ، وَيَسْتَعْظِمُ فِتْنَةَ الشِّرْكِ وَالْقَتْلِ، وَيَجَازِي جُنْدَهُ عَلَيْهِمَا، وَأَمَّا عَدْنَانُ فَقَدْ حَرَّفَ الحَدِيثَ؛ إِذْ زَعَمَ أَنَّ إبليسَ لَا يَعْبَأُ بِالشِّرْكِ، وَلَكِنَّهُ يَعْبَأُ بِالطَّلَاقِ، وَيَتَوَجَّحُ جُنْدَهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ سَاغَ أَنْ يُعْتَدَرَ لَهُ بِأَنَّهُ نَسِيَ لَفْظَ الحَدِيثِ، فَكَيْفَ انطَلَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الشِّرْكَ أَحْفَ خَطَرًا مِنَ الطَّلَاقِ؟! وَكَيْفَ سَاغَ فِي شَرِيعَتِهِ أَنْ يَقُولَ وَهُوَ يَقَارِنُ بَيْنَ الشِّرْكِ وَالزَّيْنِ وَشُرْبِ الخَمْرِ مِنْ جِهَةٍ وَبَيْنَ الطَّلَاقِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى: « نَعُوذُ بِاللَّهِ جَمِيعًا مِنَ الطَّلَاقِ؛ لِأَنَّهُ مَفْسُدَةٌ مَا بَعْدَهَا مَفْسُدَةٌ!! ».

أَيَا عَدْنَانُ! مَا الَّذِي دَهَكَ؛ لَا تَجِدُ فُرْصَةً لِلتَّهْوِينِ مِنْ شَأْنِ التَّوْحِيدِ إِلَّا اهْتَبَلْتَهَا، وَتَخَالَفُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَضَحِ النَّهَارِ؟! أَلَا تَنْتَقِضُ فِي دِيَارِ التَّوْحِيدِ، فَمَلَّتْ أُذُنُكَ سَمَاعَ الكَلَامِ عَنِ الشِّرْكِ وَأَخْطَرِهِ مِنْ عِلْمَائِهَا صَبَاحَ مَسَاءٍ، مَعَ أَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ مَتَّبِعُونَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ!؟

ضِقَّتْ ذُرْعًا بِتِلْكَ البَيْئَةِ، كَمَا كُنْتَ تُكْرِّرُ عَلَى مَسَامِعِنَا فِي مَجَالِسِكَ الخَاصَّةِ، فَمَا وَجَدْتَ سَبِيلًا لِلتَّنْفِيسِ عَمَّا فِي صَدْرِكَ إِلَّا هَذَا!!

إِنَّ عَدْنَانَ يَسْلُكُ مَسَالِكَ الحَرَكَاتِ الَّذِينَ يَسْتَعْظِمُونَ المَعَاصِي - لَا سِيَّمَا مَا كَانَ مِنْهَا مُتَعَلِّقًا بِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ أَوْ عَرَضٍ - وَيَسْتَخْفُونَ بِالشِّرْكِ وَالبِدْعِ، وَدَلِيلُنَا عَلَى هَذَا: هُوَ تَرْكِيزُهُمْ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنْهَا، وَأَمَّا الشِّرْكَ - فَإِنْ سَلِمُوا مِنْ أَوْحَالِهِ - فَإِنَّهُمْ لَا يَحْذَرُونَ مِنْهُ إِلَّا تَطَوُّعًا، وَبصَوْتٍ خَفِيٍّ وَبُرُودَةٍ مَعْهُودَةٍ فِي خُطْبَتِهِمْ وَمَحَاضِرَاتِهِمْ!

وهذا من أكبر أصول الحركيين التي لا أشكُّ أبداً أن قلبَ عدنان قد
أشربَه، والدليلُ على ذلك أن مشاركتَه في التَّوْحِيدِ لا تُكادُ تُذكَرُ، والأمرُ لله!

طُعُونُ آخَرَى فِي السَّلَفِيِّينَ، وَتَهْوِينُ مِنْ شَأْنِ السَّنَةِ:

جاءَ في شَريطِ « الدَّعْوَةُ السَّلَفِيَّةُ أَمَامَ التَّحَدِّيَاتِ » أن الشَّيخَ عَدْنَانَ قَالَ:
« أَنْتَ الَّذِي تَسَمَّيْتَ بِحِزْبِ آخَرَ، يَا ثُرَى! لَمْ خَرَجْتَ عَنِ مَذْهَبِ أَهْلِ السَّنَةِ
وَالْجَمَاعَةِ؟ لِيَه؟ نَكَايَةٌ بِبَعْضِ السَّلَفِيِّينَ اللَّيِّ قَصَرُوا ثِيَابَهُمْ! إِذَا هُوَ مَخْطِيءٌ!
أَنْتَ أَوْلَى بِالسَّلَفِيَّةِ مِنْهُ، أَنْتَ فَهَمْتَهَا، وَهُوَ لَمْ يَفْهَمَهَا!
فَأَنْتَ عَلَيْكَ أَكْثَرُ مِنْ وَاجِبٍ.

الوَاجِبُ الْأَوَّلُ: أَنْ تَدْعُوا لِهَذِهِ السَّلَفِيَّةِ.

الوَاجِبُ الثَّانِي: أَنْ تَنْصَحَ أَخَاكَ، تَقُولُ لَهُ: يَا حَبِيبَنَا! لَيْسَتْ السَّلَفِيَّةُ رَفَعُ
الْأَيْدِي قَبْلَ الرُّكُوعِ وَبَعْدَ الرُّكُوعِ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْجَهْرُ بِالتَّأْمِينِ، وَلَا تَحْرِيكُ
الإصْبَعِ، مَنْ فَهَمَ هَذَا بِالسَّلَفِيَّةِ فَهُوَ يَحْتَاجُ فِعْلاً إِلَى دُعَاءِ!! «.

تَأْمَلْ تَفْرِيقَهُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَبَيْنَ السَّلَفِيِّينَ، فَإِذَا أُورِدَ عَلَيْنَا
أَنَّهُ يُرِيدُ أَفْرَادَ السَّلَفِيِّينَ، قُلْنَا: كَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي أَفْرَادِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَهَلْ
يَتَبَرَّأُ أَيْضاً مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ لِحُطَا بَعْضِ أَفْرَادِهِمْ!؟

هَذِهِ الرَّطَانَةُ الْعَدْنَانِيَّةُ هِيَ رَطَانَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ مَعَ أَهْلِ السَّنَةِ، وَهَذَا لَا يَخْفَى
عَلَى عَدْنَانَ مَعَ الْأَسْفِ!

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَقْدُمُ عَلَى اسْتِعَارَةِ هَذِهِ الْأَلْفَازِ التَّهْكُمِيَّةِ مِنْ قَامُوسِ
(الإخوان المسلمين) إِلَّا مَنْ خَفَّ الشَّرْعُ فِي عَيْنَيْهِ، وَأَقْفَرَ قَلْبُهُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ؛
لأنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ وُضُوءٍ وَصَلَاةٍ وَغَيْرِهَا هِيَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الَّتِي
أَمَرْنَا بِتَعْظِيمِهَا، وَقَلْبُ التَّقِيِّ لَا يَجْرُؤُ عَلَى إِنْعَاشِ الْجَمَاهِيرِ بِالِاسْتِخْفَافِ بِهَا؛

فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج]، ولعلَّ كلمةً من سخط الله تُراوِدُكَ نَفْسُكَ لِتَحْرِيكَ الْمَجْلِسِ بِهَا؛ طَلَبًا لِلحِظْوَةِ عِنْدَ الحُضُورِ، أَوْ رَغْبَةً فِي دَغْدَغَةِ عَوَاطِفِهِمْ، يَكُونُ فِيهَا حَتْفُكَ، وَسَقُوطُكَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلمَةِ مَا يَتَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ» مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ.

نَهَكُمْ بِمَسَائِلِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْفِقْهِ:

لَمْ يَقِفْ ضَيْقُ صَدْرِ الرَّجُلِ عِنْدَ حَدِّ الْمَسَائِلِ الْعَقِيدِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْهَا، بَلْ تَعَدَّاهُ إِلَى التَّضَائِقِ مِنْ مُدَارَسَةِ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ، وَكَمَا رَأَيْنَا أَيْضًا أَنَّ التَّخْلُصَ مِنْ مَرَاجِعِ الْعَقِيدَةِ السَّلْفِيَّةِ يُعَدُّ مِنْ مُبَشِّرَاتِ الْكُهَانَةِ الْعَدْنَانِيَّةِ، فَإِنَّهُ يَرَى أَيْضًا أَنَّ الْمُنَاقَشَاتِ الْفَقْهِيَّةَ تَدُلُّ عَلَى تَدَنِّي الْمَسْتَوَى، فَقَدْ قَالَ فِي شَرِيحِ «مَعَالِمِ فِي الْمَنَهَجِ» (٣): «لَكِنْ، تَصَوَّرُوا مَعِيَ التَّصَوُّورَ التَّالِيَّ: إِذَا نَزَلَتْ هَذِهِ الصُّحُونُ الطَّائِرَةُ، وَإِذَا بِالصُّحُونِ الطَّائِرَةِ تَمَرُّ فَوْقَ عَوَاصِمِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ، السَّاعَةَ عَشْرَةَ بِاللَّيْلِ، يُنَاطِرُوا إِيشَ فِي هَذَا الْبَلَدِ؟ وَإِذَا بِالْمَوَاحِرِ تَشْتَغَلُ، وَالخِمَارَاتِ وَالْحَانَاتِ وَالْقِمَارِ!

وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ، فَهُمْ فِي جِدَالِ عَالِي التَّنَزُّلِ عَلَى الرُّكْبِ وَلَا التَّنَزُّلِ عَلَى الْأَيْدِي، وَأَنَّ الرَّسُولَ رَأَى رَبَّهُ أَمْ لَمْ يَرَهُ، وَأَنَّ الدَّجَاجَةَ قَبْلَ وَلَا الْبَيْضَةَ!!!

وَيَيْنَمَا أَوْلَيْتُكَ الْفَجْرَةَ، دُعَاةَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ يَسْبُحُونَ فِي الْأَرْضِ، لَا مُعَارَضَ لَهُمْ! إِيشَ يَقُولُوا عَنْ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ؟

لَسْنَا مِنَ الْمَكْفُرِينَ! لَا - وَاللَّهِ! - مَا كُنَّا كَذَلِكَ، وَمَا كَانَ لَنَا ذَلِكَ مِنْ خُلُقٍ!! وَإِنَّمَا نَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ ابْتَعَدَتْ عَنْ رَبِّهَا ابْتِعَادًا كَبِيرًا، فَلَا بَدَّ مِنْ الخُرُوجِ عَلَيْهَا أَوْلًا قَبْلَ الخُرُوجِ عَلَى الْحُكَّامِ، مَتَى تَكُونُ لَكَ الْقَاعِدَةُ!!

وهَذَا الكَلَامُ لَيْسَ بِدَعَاٍ مِنِّي؛ فَإِذَا كُنْتُمْ لَمْ تَرْضُوا بِسِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنَّ
أَبْدَعَ مَنْ كَتَبَ فِي هَذَا فِي عَصْرِنَا هُوَ سَيِّدُ قُطْبِ رَحْمَةِ اللَّهِ!!».

النقد:

١- انظُرْ إِلَى هَذِهِ الصَّيْغَةِ التَّهْكُمِيَّةِ بِمَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ، وَانظُرْ كَيْفَ اسْتَحْكَمَ
فِيهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى قَرَنَ بَيْنَ الْعَقِيدَةِ وَالْفِقْهِ وَبَيْنَ السُّفْسُطَائِيَّةِ: الدَّجَاجَةُ قَبْلَ وَلَا
الْبَيْضَةَ!!!

٢- لَا يَجِدُ الشَّيْخُ عَدْنَانَ لِلتَّمثِيلِ السَّيِّءِ إِلَّا الْمَسَائِلَ السَّلْفِيَّةَ، فَهَلْ يَفْعَلُ
هَذَا صَاحِبُ سَنَةِ؟!

وَانظُرْ إِلَى الشُّعُورِ بِالنَّقْصِ بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى مَرَأَى مِنَ الصُّحُونِ
الطَّائِرَةِ!

لَقَدْ أَقْرَرْتَ - يَا عَدْنَانُ! - عِيُونَ الْكُفَّارِ أَصْحَابِ هَذِهِ الصُّحُونِ، وَعُيُونَ
الْمُبْتَدِعَةِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ (الإِخْوَانُ الْمُسْلِمِينَ) الَّذِينَ يَطْرَبُونَ هَذِهِ النَّعْمَةَ، فَاللَّهُ
حَسْبُكَ.

٣- هَذِهِ دَعْوَةٌ إِخْوَانِيَّةٌ لَتَعْطِيلِ الشَّرِيعَةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْفِقْهِ؛ لَوْهَمِ الْاِسْتِعَالِ
بِالْمُرَابَطَةِ عَلَى تُغُورِ الصُّحُونِ الطَّائِرَةِ! وَلِذَلِكَ تَعَطَّلَ الْعَمَلُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ
الشَّرْعِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ؛ بِسَبَبِ أَنَّ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ تَوْجِيهَهُمْ
هُمُ مِنْ هَذَا الْمَتَاعِ السَّاقِطِ، الَّذِينَ يَرَوْنَ قُوَّتَهُمْ لَا تُسْتَمَدُّ مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ أَوْ
الْمُبَاحِثِ الْعَقْدِيَّةِ! بَلْ يَرَوْنَ أَنَّ اسْتِعَالَهُمْ بِالْعَقِيدَةِ وَالْفِقْهِ مُعْطَلًا لِلْجِهَادِ!!

٤- نَقُولُ: هَنِيئًا لَكَ - يَا عَدْنَانُ! - اِكْتِشَافَ مَخْطَطَاتِ الصُّحُونِ الطَّائِرَةِ
بِغَيْرِ عَقِيدَةٍ وَلَا فِقْهِ، بَلْ يَأْبَدَاعِ سَيِّدِ قُطْبِ فَقَطُ الَّذِي كَانَ يُنَكِّتُ بِالْفُقَهَاءِ،

وَيَصِفُهُمْ بِأَصْحَابِ الْكُتُبِ الصَّفْرَاءِ، كَمَا قَرَأْتَهُ لَهُ فِي تَفْسِيرِهِ لِسُورَةِ يُوسُفَ مِنْ «ظَلَالَهُ»!

وَأَمَّا سَيِّدٌ وَكَدَّ عَدْنَانٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَإِنَّهُ لَمْ يُعْطَلِ الشَّرِيعَةَ لِيُجَاهِدَ الْمُنْكَرِينَ لِلشَّرِيعَةِ، بَلْ كَانَ حَالُهُ - وَالْكَفَّارُ يَحِيطُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ - كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يَكُونَ حِينَ قَالَ لَهُ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الرَّحْفُ ٤٣].

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ يَقُومُ عَلَى الْمَنْبَرِ وَيُصَلِّي وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

هَذَا وَالْأَمَمُ الْكَافِرَةَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مُتْكَالِبَةً عَلَيْهِ، وَكُلُّهَا عَيْنٌ وَأُذُنٌ، وَالْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ﷺ يَنْسُجُونَ الْمَكَائِدَ، وَيُثِيرُونَ الْفِتْنَ.

إِخْوَانِيَّةٌ مَكْشُوفَةٌ:

جَاءَ فِي شَرِيحَةِ «نَدْوَةِ حَوْلِ الْمُفْتِيِّ وَالْمُسْتَفْتِيِّ» أَنَّ الشَّيْخَ عَدْنَانَ سُئِلَ عَنِ التُّزُولِ عَلَى الرُّكْبِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَرَى التُّزُولَ عَلَى الرُّكْبِ، وَالشَّيْخُ نَاصِرٌ يَرَى التُّزُولَ عَلَى الْأَيْدِي».

هَذَا جَوَابُ الْعُلَمَاءِ، وَلَيْتَ الشَّيْخَ عَدْنَانَ رَضِيَ بِمَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَكِنَّهُ اسْتَفْزَهُ الشَّيْطَانُ حَتَّى صَغَرَ فِي عَيْنَيْهِ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ، فَمَا أَجَابَ لِأَقْوَالِ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ وَلَا بِقَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ، بَلْ قَالَ: «طَيِّبٌ - يَا أَخِي! - انزِلْ عَلَيَّ رَأْسِكَ؛ وَلَا تُفَرِّقِ الْمُسْلِمِينَ!!!».

النقد:

١_ هذه عُقْدَةٌ إِخْوَانِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ بِجَاهِ الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ؛ يَتَصَوَّرُهَا أَصْحَابُهَا مَفْرَقَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَيَسْتَصْغِرُونَ شَأْنَهَا، وَيَطْلُبُونَ التَّخَلُّصَ مِنْهَا، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَجْرُدُوا أَتْبَاعَهُمْ عَنِ التَّعَصُّبِ الدَّمِيمِ الَّذِي يُفَرِّقُ الْمُسْلِمِينَ، فَهُمْ يَلْحَظُونَ إِلَى الدَّعْوَةِ فَيُجَرِّدُونَهَا مِنَ الْفَقْهِ؛ جَمْعًا لِكَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي ظَنِّهِمْ! وَإِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا لَمْ تَرِدْهُمْ الْآيَامُ إِلَّا تَفَرِّقَةً، فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ؟!

٢_ أَقُولُ لِلشَّيْخِ عَدْنَانَ: لَقَدْ تَرَكْتَ الْمُسْتَمْعِينَ لِتِلْكَ النَّدْوَةِ ضَاحِكِينَ مُفَهِّقِينَ لِحَوَابِكَ: (انزِلْ عَلَيَّ رَأْسَكَ)، فَهَلْ تُرَاكُ ضَاحِكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا قِيلَ لَكَ: النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَ رَبُّهُ أَنْ يُبَلِّغَ أُمَّتَهُ كَيْفِيَّةَ الْهَوِيِّ إِلَى السُّجُودِ فَبَلَّغَهُمْ، فَلَمْ تَقْتَدِ بِهِ، وَعَلِمْتَ - يَا عَدْنَانَ! - مَقُولَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَمْ تَقْتَدِ بِهِمْ، وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ الْاِقْتِدَاءَ بِ- (بِهَلَوَانِيَّةٍ إِخْوَانِيَّةٍ) فَهَلْ تُرْضَى أَنْ تُحْشَرَ مَعَ الْمُسْتَهْتَرِينَ بِالشَّرْعِ؟!

٣_ هَلْ عَهَدْتَ مِنْ عُلَمَائِكَ - الَّذِينَ تَنْتَمِي إِلَيْهِمْ عِنْدَ (الْحَاجَةِ!) كَهَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ - تَبْرُمَهُمْ مِنَ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ؟!

عدنان يستعلي على المسائل الفقهية:

وسئل - كما في شريط: « تفسير آيات من سورة الأحزاب » بالجزائر - عن الآتي: ماذا تقول عن الجلباب؟ فأجاب بقوله: « أنا أرى أن هذه الأسئلة تسألونها المشايخ؛ لأن بعض التعبيرات لا أفهم المقصود منها، فهذه الأسئلة البسيطة - أقول: البسيطة في إجابتها - يمكن أن يجيب عليها المشايخ عندكم، وفيهم - إن شاء الله - البركة!! ».

وقال في شريط « أساليب الدعوة » ألقاه في الجزائر: « والأسئلة الفقهية والخلاقية دعونا منها الآن! ».

وقال فيه وجه (ب): « الأسئلة الفقهية، قلت - مائة مرة!! -: لمشايخكم، الأسئلة الواقعية لمشايخكم؛ أنا لا أدري حتى بعض ألفاظكم! ».

قلت: إذا كان عدنان لا يفهم لهجة الجزائريين في المسائل الفقهية، فما له يفهمها في المسائل السياسية أو المنهجية، كما يسميها هو؟!

عدنان يواجه مشكلة كبيرة مع المسائل الفقهية:

وقال في شريط ألقاه في الجزائر، وهو بعنوان « الأخلاق »، قال وهو يلقي محاضراته من غير أن يسأله أحد: « التورك واجب وإلا سنة؟! »، ثم أجاب نفسه قائلاً: « الحقيقة مشكلة كبيرة جداً عند المسلمين، لا بد أن ننهي هذا الوضع!! ما لكم كيف تحكمون؟! أهذه هي السلفية؟! لا تسأل عن مسائل الفقهيات أكثر من مرة، وأكثر من عالم! ممنوع تجيء لشيخك تسأله؟! قال لك: لا أدري... ».

فأنت إذا لم تدر، فمن باب أولى - وهو خير لك - ألا تدرى!!
أما تخلق عليها مشكلة، وعلى الستارة مشكلة^(١)، فهذا ليس من خلق المسلمين: لا من قريب، ولا من بعيد!! «.

(١) مقصوده من مسألة الستارة تدريس أحد الإخوة الجزائريين النساء في المسجد أو غيره من غير ستار بينه وبينهن، وكان الشيخ عدنان إذا سئل عن هذا تهرّب؛ لأن المدرس من أصحابه الجدد، وهو خائف من تضييع هذه الصُحبة بسبب تلك المسألة، فتقل شعبيته في الجزائر!

وقال في شريط « أساليب الدعوة » وجه (ب): « لا تقف عندها ولا رُبَّ دَقِيقَةٍ! خلاص! تفعل هذا ولا هذا!!! »

هكذا تعلموا أدب الصحابة في مسائل الخلاف!!! «.

كنت أودُّ أن أنقل للقاريء نصَّ الحوار الذي جرى بينه وبين الشيخ الألباني رحمه الله في سنة (١٤١٠هـ)، وهي آخر سفرة سافر بها الشيخ إلى بلاد الحرمين، وهي التي يُقال لها رحلة النور، فقد مكث عدنان مدةً طويلةً يجادل فيها الشيخ عن مسألة إحرام الآفاقي من جدة، حتى انتهره الشيخ وشدَّد عليه ليسكت، مع ذلك فقد جادل في الفقه أكثر من (رُبَّ دَقِيقَةٍ!)، وطبع كتابه « أدلة إثبات أن جدة ميقات »، وقد ردَّ عليه بعضهم، منهم اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، حيث ردُّوا على كتاب عدنان بلهجة قويَّة، وذلك في تاريخ: (١١/٢/١٤١٧هـ) تحت رقم: (١٩٢١٠).

وقال في شريط « براءة السلفيين من مطاعن المدخلين » (١/١) ألقاه في فرنسا في (محرم سنة ١٤٢٠هـ)، وهو كعادته يغمز السلفيين: « ومستعدِّين يبقون ساعات طويلةً في مناقشة أمر فقهي، وليس هذا من أدب الصحابة! ». قلت: الصحابة لم يتركوا النقاش في المسائل الفقهية، وإنما تركوا الجدال المنهي عنه، كما أنهم تركوا التفرُّق في ذلك، ولولا ضيق المقام لنقلت للقاريء من ذلك شذرات.

روى ابنُ أبي الدنيا في « الإشراف في منازل الأشراف » (٤٠٢) وأبو خيثمة في « العلم » (١٠٨) والخطيبُ البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (٩٥٧-٩٥٦) بسند صحيح عن عبد الله بن شرملة قال: « كان المغيرة والحارث والفضيل والقعقاع بن يزيد يتكلمون في الفقه، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا النداء بالفجر »، وروى ابنُ أبي الدنيا أيضاً (٤٠١) عن ابن شرملة أنه قال:

« كنتُ أجلسُ أنا والحارث العكلي حينَ نصلي العشاءَ حتى نُصبحَ في البابِ من الفقهِ ».

عدنان لا يحب المسائل الفقهية لأن الناس يحبون السياسة:

قال في شريط ألقاه في الجزائر في « تفسير سورة محمد (٢) » وجه (ب):
« بمنتهى الأدب تسألون ما شئتم، بمنتهى الأدب... »

لكن ما أحبُّ الأسئلة الفقهية، لا لأنني ما أهتمُّ بها، ولكن لأنَّ - الآنَ تعرفُ - الناسُ تحبُّ السياسةَ، فهذا يُجيبُ عليك إن شاء الله!!! ».

كنتُ أودُّ أن أتغافلَ، وأزعمَ أنه أرادَ التَّهكُّمَ بمن فيه هذا الداءَ، ولكن كيفَ يستقيمُ لي هذا التَّغافلُ مع الآتي:

فقد سئلَ الشيخُ عدنانُ عن بعضِ المسائلِ العقديَّةِ والفقهيةِ وهو صابرٌ، إلى أن جاءه سؤالٌ فقهيٌّ استنفدَ صبره، واستفزَّ غضبه، قال السائلُ: « سنَّةُ الظُّهرِ القبليَّةِ..؟ فاعترضَ عليه عدنانُ قائلاً: يا أخي! تسألوا (هكذا) مشايخكم الآنَ على كلِّ حالٍ!! ».

ثمَّ تابعَ قراءةَ السؤالِ على مضضٍ: « سنَّةُ الظُّهرِ القبليَّةِ أربعُ ركعاتٍ بتسليمَةٍ واحدةٍ، هل يُوجدُ تشهُدٌ واحدٌ أو اثنان؟ ».

قلتُ: كانَ يمكنُ أن يُقالَ: إنَّه حينَ قالَ: «... لأنَّ النَّاسَ تحبُّ السياسةَ»، أرادَ التَّهكُّمَ بهم، لولا أنَّه في إجابته هُنا زفرَ زفرةً شديدةَ اللَّهجةِ في وجوه أصحابِ الأسئلةِ، فقالَ - وقد نفدَ صبره -: هذا شغلُكم الشَّاغلُ!!؟ ».

ولدى الرَّجلِ من مثلِ هذه أمثلةٌ كثيرةٌ، مجموعةٌ عندي من محاضراته، لكنَّ حسبي أنَّي ذكرتُ هذا المثالَ ليعلمَ ما وراءَ الأكمةِ، واللهُ المستعان.

لقد استبشرنا خيراً أولاً ما سمعنا بأن الشيخ عدنان من دعاة السنة، فلماً بلوناه وجدناه قوي المداهنة والتقية، ضعيف الولاء للدعوة السلفية، بل وجدناه حرباً عليها، جريئاً في الاستنباط العشوائي، جريئاً في ابتداع القواعد التي لم يفه بها أحد من قبله، سياسي في صورة داعية، تكفيري في صورة ناهية، جريء في الطعن على أهل العلم، فقد سمعته يدعو إلى التحاكم إلى العلماء، فلماً تكلم فيه العلماء رماهم بالظلم، وهذا من آخر ما سمعت له، كما في الأشرطة التي سجلت له في أمريكا وكندا في بيت أبي رافع وأبي صلاح وغيرهما، وقد هالني أن يتجرأ على مجموعة من أهل العلم، منهم الشيخ عبد المحسن العباد البدر، والشيخ صالح الفوزان وغيرهما!

بل قال في مخالفيه كما في شريط « مع عدنان في بيت أبي صلاح » الوجه (أ) سنة (١٤٢١هـ): « أمّا أنا: سأواجه، والله! سأطوهم بقدمي وأسم أنوفهم!!! ».

سبكانه ونحسبه لجيناً فبان الكير من حبت الحديد

هذا، وقد بان لي من سني دعوته أن له ثلاثة أو أربعة محاور يُكررها منذ أن صار (داعية)، لا يكاد يُعرف له غيرها، وهي:

- أنواع المجتمعات التي يتعرض لها المسلم، وقد بان للقاريء أنه يُريد بذلك منع تسمية البلدان المسلمة بـ (المجتمعات المسلمة)، وهو الصق بالتكفير، وإن زعم...!!

- أساليب الدعوة، ويُريد بها رمي السلفيين بعدم الحكمة في ذلك، وهذا الصق بموالاته الجماعات الحزبية؛ لأنه لا يكاد يُسمي الدعوة السلفية إلا في موطن الذم، وأمّا الجماعات الأخرى فلا يكاد يُسميهم، بل خرق لهم قواعد تحميمهم!!

– الأخلاق، ويُريدُ بها المقارَنةَ بينَ دَعْوَتِهَا ودَعْوَةِ التَّوْحِيدِ؛ بُغْيَةَ التَّكْثِيلِ منَ شَأْنِ التَّوْحِيدِ، كما مرَّ، ومثلهُ قَوْلُهُ في « التَّيِّهِ والمَخْرَجِ » (ص ٧٧): « وَمَنْ تَتَّبَعَ أَسْبَابَ الانشِقَاقَاتِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي الْجَمَاعَاتِ يَجِدُ مُعْظَمَهَا أَسْبَاباً أَخْلَاقِيَّةً، لَا عَقْدِيَّةً، وَلَا مِنْهَجِيَّةً!! ».

– المنهج، ويُريدُ به أن ينصرفَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وكَلِّمًا تَكَلَّمَ فِيهِ قَرْنَهُ بالتَّوْحِيدِ، وَيَبِينُ أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى (المنهج) أَمْسُّ، وَأَنَّ خُرُوجَ الْجَمَاعَاتِ – كَالخَوَارِجِ مَثَلًا – لَمْ يَخْرُجُوا خُرُوجاً عَقْدِيًّا، إِنَّمَا خَرَجُوا خُرُوجاً مِنْهَجِيًّا، وَأَنَّ مَوْضُوعَ التَّوْحِيدِ انْتَهَى أَوْ أَوْشَكَ عَلَى الْانْتِهَاءِ؛ كُلُّ هَذَا لِيُهَوِّنَ مِنْ شَأْنِ التَّوْحِيدِ!!

واعلَمُ أَنَّ مَوْضُوعَ (المنهج) من اختراعاته، وتقسيم الإسلام إلى أربعة أقسام، منها: (المنهج!!) من ثمراته، كما في شريط « أهمية معرفة المنهج وخطورة الخروج عنه » محاضرة ألقاها في الجزائر – وجّه (أ)، وشريط « الوسائل والغايات »، بل إن تعريف (المنهج) غير منضبط، وهو في تعريفه مضطربٌ جدًّا، ولولا أنني في معتصر المختصر لبينت ذلك.

إِذَا فَمُحَاضِرَاتُهُ طِيلَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ دَعْوَتِهِ – حَسَبَ عَدِّهِ هُوَ – كَانَتْ حَرْبًا إِمَّا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَإِمَّا عَلَى أَهْلِ الدِّينِ هُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ السَّلْفِيُّونَ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

تنبيه: محاضرات الشيخ عدنان واحدة في كلِّ العالم من حيث العناوين، لكن المحتوى قد يختلف أحياناً بزيادة أو نقص، لذا فالتقيّد بالتاريخ أو البلد الذي أُلقيت فيه مهمٌّ عند التأكّد، وقد فعلتُ وسعياً.

وقد أطلتُ بعضَ الشَّيْءِ فِي تَجْلِيَةِ دَعْوَةِ هَذَا الرَّجُلِ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ:

الأول: أنني وعدتُ بذلك في كتابي « فتاوى العلماء الأَكابر »، فكان هذا أوان الوفاء به، ولا سيما أنه يُعني من إفراده بكتاب، ولذلك يُلاحظ القاريءُ أنني اقتصدتُ في الردِّ عليه اقتصاداً.

الثاني: أن هذا الصنفَ من الدُّعاة هم من أكبر الأسبابِ في استقرارِ الفوضى السياسيَّةِ واستتبابِ الدَّعواتِ الدَّمويَّةِ في ديارِ المسلمين، وأنَّ خطورتهم تزدادُ كلما جاؤوا لإيقادِ النَّارِ في صفةِ رجالِ مطافيء!

الثالث: أن يعلم أولئك الثَّوارُ أنَّهم تركوا علماء صدقٍ بحقٍّ إلى هذا الصنفِ ممن يُدربونهم على التَّدليسِ والتَّنصُّلِ من تحكيمِ نُصوصِ الشَّرْعِ إلى تحكيمِ العواطفِ، والتَّظاهرِ بالولاءِ، فإذا حقتِ الحقائقُ قالوا: ما قلنا، وما أيَّدنا، إنَّما كنَّا ندعو إلى التَّعقلِ واستعمالِ الحكمة!!

وأخيراً أقول: لقد كتبتُ هذا الفصلَ لبيانِ خطورةِ السُّكوتِ عن البدعِ والمخالفاتِ الشَّرعيَّةِ، التي تبدو في الأوَّلِ صغاراً، ثمَّ تكبرُ وتترعرعُ، وتثبتُ في القلوبِ وتنفرعُ، فيعسرُ حينئذٍ معالجتها، ورُبَّ كلمةٍ ينطقُ بها من ليسَ أهلاً لأن يتصدَّرَ، يتخطَّفها ذو هوًى، فتعيشُ بها فتنٌ، وتزدادُ بها إحنٌ، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: « إنَّها ستكونُ أمورٌ مشتهاتٌ، فعليكم بالتَّؤدَّة؛ فإنَّك أن تكونَ تابِعاً في الخيرِ خيرٌ من أن تكونَ رأساً في الشرِّ » رواه ابنُ أبي شَيْبَةَ (٤٥٦/٧) وابنُ بَطَّة في « الإبانة/ الإيمان » (١٧٦-١٧٧) والبيهقي في « الشعب » (٢٩٧/٧).

شرق الحركيين ببلاد التوحيد

أنا جزائري، والجزائر من بلاد المغرب، ومنذ أن قويت التّعراتُ الجاهليّةُ في المسلمين، وهم يفتكُ بعضهم ببعض؛ بحيثُ لا يجوزُ للمغربيّ أن يذكرَ المشرقيّ إلاّ بسوء، ولاّ للمشرقيّ أن يذكرَ المغربيّ إلاّ بسوء، وقد ضحَّ المصلحونَ بهذا الوضعِ المزري، بعد أن حفلَ تاريخنا بهذه السيئة منذ أمد، وتفاقم الأمرُ بعد أن غدتْ مملكةُ المسلمين أقاليمَ ممزقة، فرمى كلُّ ذي إقليمٍ أهلَ الإقليمِ الآخرِ بما يراه مناسباً لإشفاء غيظه منه، وتناهى الأمرُ في التمزُّقِ عندَ الاختلافِ العقديّ، ولا سيّما بعدَ اعتمادِ حكومةِ بلادِ الحرمينِ عقيدةَ السلفِ اعتماداً رسمياً منذُ دعوةِ المجددِ الشّيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ رحمه الله، مُخالفينَ في ذلكِ العقائدَ التقليديّةَ التي توارثها كثيرٌ من المسلمين من بعد القرنِ الرَّابِعِ، ممّا حوّلَ لهؤلاءِ الطّعنَ على أولئك، ويكفي لأن يُقالَ: (فلانٌ وهّابيٌّ!) حتى يكونَ جرحاً لا بُرءَ فيه، بل كأنه يدخلُ عندهم تحتَ قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾

[النساء ١١٦]!!!

على الرّغم من أنني من أهلِ المغرب، وعلى الرّغم من ذلكِ الإرهابِ التاريخيِّ السياسيِّ العقديّ، فإنني أقولُ غيرَ مُبالٍ بغيرِ الحقِّ: لقد شهدَ القريبُ والبعيدُ والصديقُ والعدوُّ ما حقّقه التّوحيدُ والحكُّمُ بالشرّيعَةِ من أمنٍ في البلادِ السُّعُوديّةِ، إلاّ أن الحاقدينَ على هذه الدّولة، وعلى دعوةِ الشّيخِ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ - رحمه الله - يابونَ ذلك، وبدلاً من أن تحظى منهم هذه الدّولةُ بالتشجيعِ؛ لأنّها تُعلنُ بأنَّ شرّيعتها هيَ شرّيعَةُ الإسلامِ، فإنّهم دأبوا على تشجيعِ كلِّ من يعملُ على إسقاطها، وأيما خبرٍ يُسمعُ ضدها صدّقوه ولو لم

تُقَم عَلَيْهِ أَدْنَى الْبَيِّنَاتِ! لَا سِيَّما وَهَم لَا يَفْتَرُونَ عَنِ التَّبَاكِي عَلَى ضِيَاعِ الْخِلَافَةِ
الإِسْلَامِيَّةِ، فَإِذَا هُمْ لَا يَرُونَ الْحَسَنَاتِ إِلَّا سَيِّئَاتِ!!

فَتَحَتْ مَجَلَّةُ الْأَنْصَارِ الَّتِي يَكْتُبُ فِيهَا الْمَشْبُوهُ، وَأَنَا أَقْلَبُ صَفْحَاتِهَا إِذْ وَقَعْتُ
عَيْنِي عَلَى تَكْفِيرِهِ لِلدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ، بَلْ وَاسْتِبَاحَةَ دِمَاءِ وُلَائِهَا، بَلْ مَا وَجَدْتُهُ
شَرْقَ بَدْوَلَةٍ شَرَفَهُ بِهَا، مِنْ كَثْرَةِ مَا يَذْكُرُ مِنْ مَثَالِبِهَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ
الَّذِي يَكْفُرُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكْفُرَ سَائِرَ الدُّوَلِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ أَنَّ
بِلَادَ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ - الَّتِي هِيَ بِلَادُ الْحَرَمَيْنِ - إِذَا لَمْ يَشْفَعْ لَهَا تَوْحِيدُهَا
الصَّافِي الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ رَسْمِيًّا وَتَبْتُهُ فِي الْعَالَمِ بِاعْتِرَازِ، فَلَنْ يَشْفَعَ لغيرِهَا مِنْ
الحُكُومَاتِ دِينُهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دَائِرَةِ الْكُفْرِ الَّتِي حَصَرَهَا فِيهَا هَذَا الْمَشْبُوهُ!

وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الَّتِي سَطَّرَهَا فِي هَذِهِ الْمَجَلَّةِ فِيمَا تَقَدَّمَ تَصْوِيرُهُ، الْعَدَدَ (١١٩)،
فِي (ص ١٠)، بِتَارِيخِ: (الْخَمِيسَ ٢٤ جُمَادَى الْأُولَى ١٤١٦ هـ)، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ
عَنْ جَمَاعَتِهِ، فَذَكَرَ أَنَّهَا « لَا تَرَى فَرْقًا بَيْنَ حُكُومَةِ السُّعُودِيِّينَ (آلِ سُعُودِ)
الْمُرْتَدِّينَ، وَبَيْنَ حُكُومَةِ نَجِيبِ الْأَفْغَانِي، فَكِلَاهُمَا فِي حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى سَوَاءً،
وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا أَوْلَى بِالْقِتَالِ مِنَ الْآخَرِ!! »^(١).

(١) فِي هَذَا تَحْرِيزٌ صَرِيحٌ لِلْقِيَامِ بِثَوْرَةٍ ضِدَّ الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ؛ قِيَاسًا عَلَى الدَّوْلَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ
الْأُولَى، فَلَا يَفُوتُكَ أَنْ تَلْحَظَ هُنَا هَذَا النَّفْسَ الْأَفْغَانِيَّ الدَّاعِي إِلَى إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ فِي كُلِّ
الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْآخَرَى؛ بَزَعَمَ أَنَّ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْأَفْغَانِيَّةِ الْأُولَى،
وَبَيْنَ الْقِيَامِ عَلَى الدُّوَلِ الْمَوْجُودَةِ الْيَوْمَ فِي الْأَرْضِ الْمُسْلِمَةِ، وَلِذَلِكَ كُنْتُ سَمِعْتُ
الشَّيْخَ الْأَلْبَانِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَوْمًا يَذْكُرُ أَنَّهُ كَانَ لِلْأَفْغَانِ عِمَارَةٌ خُصِّصَتْ لِلْعَرَبِ
الَّذِينَ يَأْتُونَ لِلْقِتَالِ ضِدَّ الرُّوسِ، فَيُشْطَبُونَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَيَحْتَوِنَهُمْ عَلَى أَخْذِ دَوْرَةٍ
تَدْرِيبِيَّةٍ فِي (التَّكْفِيرِ) عَلَى أَيْدِ مَصْرِيَّةٍ مُتَخَصِّصَةٍ، حَتَّى إِذَا أُيْنَعَتْ ثَمَارُهُمْ، وَاسْتَدَّتْ
أَعْوَادَهُمْ، غَيَّرُوا وَجْهَتَهُمْ، وَتَحَرَّكُوا (أُوتُومَاتِيكِيًّا) نَحْوَ بِلَادِهِمُ الْمُسْلِمَةَ - الَّتِي جَاؤُوا
مِنْهَا - لِيُذَبِّقُوهَا الْمِحْنَ؛ مُسْتَدْلِينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْقِتَالَ يَبْدَأُ مَعَ أَقْرَبِ عَدُوٍّ، وَقَالُوا

وقريبٌ منه في العدد (١٣٤)، في (ص ٥)، بتاريخ: (الخميس ١٢ رمضان ١٤١٦هـ)، وقد مرَّ.

إنَّ الذي يسترعي الانتباه ويستدعي العَجَب، هو زعمُه أنَّ الله تعالى قد حَكَمَ بتكفير آل سُعود، وذلك في قوله: «فكلاهما في حُكْمِ الله تعالى سواء!!»

قلتُ: أَوْحِيْ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ!؟

انظُرْ كَيْفَ يَجْرَوْنَ عَلَى اللهِ ﷻ، مَعَ أَنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ كَانَ يَنْهَى بِمَجْتَهَدِي الصَّحَابَةِ أَنْ يَدَّعُوا أَنَّ حُكْمَهُمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ هُوَ حُكْمُ اللهِ، مَعَ أَنَّهُمْ أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى النَّظَرِ فِي دِينِ اللهِ ﷻ، فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٧٣١) عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ...»، إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حَصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا.»

لهم: إنَّ بِلَادَكُمْ الَّتِي أُتَيْتُمْ مِنْهَا أَوْلَى (بِجِهَادِكُمْ!) لَهَا، وَلِذَلِكَ قَرَأْتُ بَعْضَ مَا كُتِبَ فِي مَوْقِعِ عَلَى الْإِنْتَرْنِتِ «لِقَاءٍ مِنْ خَلْفِ الْقُضْبَانِ»، وَهُوَ لِقَاءٌ بَيْنَ (نِدَاءِ الْإِسْلَامِ) وَالتَّكْفِيرِيِّ الْمَدْعُوِّ: أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيِّ، قَالَ فِيهِ: «أَعْتَقِدُ بَأَنَّ جِهَادَ الْمُرْتَدِّينَ الْمُبْدِلِينَ لِأَحْكَامِ اللهِ الْمُحَارِبِينَ لِدينِ اللهِ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَى أَرْمَةِ الْأُمُورِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ أَوْلَى مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة ١٢٣]، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَلُونَنَا مُبَاشَرَةً...!!».

وَمَنْ تَتَّبَعَ مَا جَرَى فِي دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلَاءٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ عَرَفَ أَثَرَ هَذَا التَّفَسُّسِ الْأَفْغَانِيِّ، وَتِلْكَ هِيَ نَتِيجَةُ الْجِهَادِ الْمُنْحَرَفِ!

هؤلاء جندُ الله يقيناً، على الرَّغْمِ من ذلك فإنه لا يصلحُ لهم أن يدَّعوا أن حكمهم الذي اجتهدوا فيه هو حكمُ الله؛ مخافةً أن يُخطئوا فينسبَ خطوهم لله، فكيف هؤلاء الذين لا يُعرفون بعلمٍ ولا باجتهدٍ، بل فكيف بما خالفوا فيه جميعَ علماءِ عصرهم!!؟

كَبْهِيمَةٌ عَمِيَاءٌ قَادَ زَمَانَهَا أَعْمَى عَلَى عَوَجِ الطَّرِيقِ الْحَائِرِ

وله كلماتٌ أخرى في تكفيرِ الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ، وهو كغيره من المرضى بورم (حبُّ السُّلْطَةِ) وعُقْدَةٌ (الحَاكِمِيَّة) لا يتمالكُ إذا ذَكَرَ هذه الدَّوْلَةَ، مع أنه لو كان يعقلُ لَعَلِمَ أن هذه الدَّوْلَةَ خَيْرُ دَوْلَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْيَوْمِ، وإن رَغِمَتْ أنوفُ الحَرَكَيينَ، وهي تصرِّحُ بلا خفاءٍ أن شريعَتها هي شريعةُ الإسلامِ، والحدودُ المقرَّرةُ في كُتُبِ الفُقهَاءِ والمُسْتَمَدَّةُ من الكتابِ والسُّنَّةِ هي حدودُها، وتجلُّ العلماءَ إجلالاً لم نره عند غيرها، بل لقد علمتُ عن كُتُبٍ أنها تحبُّ ألا تُصدرَ إلا عن رأيٍ منهم ومَشُورَةٍ.

ثم لو عَقَلَ المشبوهُ موضعَ قَدَمَيْهِ لَعَلِمَ أن وجودَ آلِ سُعودٍ في الحُكْمِ خَيْرٌ لَهُ وللناسِ من غيرهم؛ لأنَّ البلادَ تحيطُ بها أَطْمَاعُ الذُّنَابِ الجائِعَةِ من المبتدعةِ المتربِّصينَ، ولو كانت في أيدي الخرافيين أو في أيدي الحاقدين على الصَّحَابَةِ أو في أيدي الفلاسفةِ أو غيرهم من المنحرفين عن السُّنَّةِ والجماعةِ لرأيتم عودةَ الأوثانِ إلى الحَرَمينَ، والرَّقْصِ والزَّنا عند الكعبةِ تحت ستارِ الذِّكْرِ الجماعي الذي لا يفرِّقُ فيه بين ذَكَرٍ وأُنْثَى، وغيرها من المنكراتِ المحقَّقةِ والمعروفَةِ لدى القومِ!

إنَّ المدرسةَ السُّعُودِيَّةَ لا تدرِّسُ عقائدَ ابنِ الرَّاوندي أو الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ أو الجَعْدِ بنِ دَرِّهَمٍ أو عقائدَ ماركس أو الأخلاقيَّاتِ العفنةِ لفرويد، وإنما تدرِّسُ

كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيرهما من الأثبات من أهل العلم رحمهم الله جميعاً.

والطالب السعودي وغير السعودي يُفرض عليه فيها حفظ « الأصول الثلاثة » و « القواعد الأربع » و « العقيدة الواسطية »، فضلاً عن نصيب غير قليل من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ...

ومما لا ينبغي أن يخفى على بصير المنصفين أن البلاد السعودية ترفل في عهد آل سعود في ثوب من الأمن والاستقرار ورغد العيش ما لم يُعرف في العهود التي سبقتهم إلا أن نرجع إلى العصور الأولى؛ ولم يكن هذا إلا ثمرة من ثمار تحكيم الشريعة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة ٦٦].

أفاعمتك السياسة وعقدة الحاكمية عن أن ترى هذه المحاسن التي هي مما خصهم الله به في هذا الزمان دون غيرهم بإطلاق؟! فلا دولة الروافض تقوم بمعشار هذا، ولا دولة (الإخوان المسلمين) في أفغانستان والسودان؛ لأن هؤلاء جميعاً لا يهتمون بحق الله الذي هو التوحيد، بل لا يعرفونه!

إن أمثالك من كافري النعمة الذين يتظاهرون بالاستدلال بكلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، لعل أدنى حسناتها عليهم أنهم لم يقرؤوا كتب هذين الإمامين إلا من طبقات آل سعود! ثم من يستطيع أن يحصي عدد الملايين من كتب التوحيد والسنة التي وزعتها المملكة داخل البلاد وخارجها من يوم مجئ هذه الدولة؟

بل لعلَّ أبا قتادةَ كانَ منَ المستفيدينَ منَ معوناتهم للأفغان يومَ الروس، وإن كانَ هو فيه منَ المخلفين كما مرَّ، لكن وجبَ عليه أن يَعْرِفَ لذي النعمة نعمته، وألاَّ يكونَ أحدًا أَكَلَتْهَا وكَافِرِي نِعْمَتِهَا، وإلاَّ صدقَ فيه وفي بعضِ أبناءِ الجزيرةِ المشاغبين قولُ القائل:

فَوَا عَجَبًا مِمَّنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا أَلْقَمَهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

ولَا ريبَ أَنَّهُ منَ الخطأِ بِمَكَانٍ أَن يُدْعَى لها الكمالُ، بل النَّقْصُ حاصلٌ، بل كم كانَ يُعْجِبُنِي أَن أَسْمَعَ بعضَ المُسؤولينَ يَعْتَرِفُ بالتَّقْصِيرِ؛ لأنَّ أَقْلَ ما في ذلك أَنَّهُ دَلِيلٌ على التَّواضُعِ، ومهما لَبَسَ الشَّيْطَانُ وَخَوْفَ منَ مِثْلِ هَذَا التَّواضُعِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْتِجُ عنه إِلَّا الرِّفْعَةَ؛ فقد قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: « ما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ » رواه مُسْلِمٌ.

أنا لَا أُلْزِمُهُ بِمَدْحِ آلِ سَعُودٍ، وَلَا هُمْ أُلْزِمُوا أَحَدًا بِذَلِكَ، وَلَكِنْ بِأَيِّ دِينٍ أَوْ عَقْلٍ قَالَ فِي مَجَلَّةِ الْأَنْصَارِ، الْعَدَدِ (١٣٣)، فِي (ص ٦)، بِتَارِيخِ: (٥ رَمَضَانَ ١٤١٦ هـ): « هل قاتلَ أهلُ التَّوْحِيدِ منَ أَجْلِ أَن يَكُونَ أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ سَعُودٍ هُمْ حُكَّامُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ؟! ».

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف ١٩].

صورة المقال السابق

مخالفهم ولا يحتملون وجود الرأي الآخر . فلو لم يتكلموا
ومختلفون ومختلفون . فلو لم يتكلموا

مخالفهم ولا يحتملون وجود الرأي الآخر . فلو لم يتكلموا
ومختلفون ومختلفون . فلو لم يتكلموا

وأن أكثره بلغة قسالة الصميد بن درهم هو العزق الذي
مرة مما يقره معتقداته هذا الأخير . الألبسة المصنعة هذا
الزمان كشجاعة الخط بن درهم ، ولتتهم فالتقيد الذي أمام
الطراحيث كالجهنم منقولاً .
إن معانيير السلف قد ضاقت في عقولنا إلى درجة
ولو أننا فهدمتنا مع هؤلاء الذين في الرجال والآخر فكانت تكلمنا
فالمسئلة . المصنعة في هذا الزمان عند الأوتل .
فلم أن رجلاً جمال أمام الإناج من قبل رحمة الله
تعالى . إن حديث الأئمة لا تقتنيه لأن محمد صلى الله
عليه وسلم ليس من هؤلاء . فكيفما ، فمما لا يحتمل
عليه الإمام أحمد وحميد .
الذي في مسألي الله . بل لم
عرض هذا القول على غير
بن الخطاب رضي الله عنه .
فصافاً مستكراً فالتقيد بن
سيرة علي بن ابي طالب . هذا قولك ، وأنا أوافقك .
الرأي لا يقف على التوجه . أهل هو دين الله الذي اتصروا
به السلف أم هو دين المشركين على اتصروا .
ولو أن رجلاً قال أمام القاطع البخاري رحمه الله تعالى :
إننا لن نؤمن بالإسلام حتى يعجل الناس هذه الأبيات .
لنظار الناس الإلحاد ليجاز لهم أن يمشوا به . فهذا الرجل
أبصرت الإلحاد يستعاني مع التوجه بن درهم أم مع ابن
الروثلي ؟
يا قوم قليلات من تقدير الله تعالى ، ولا تبالوا من احترام
فهم الضعابة لكن الله تعالى .
هذه التوجه النفسية الرائدة بعشيرة من التوجه النفسية
احتاجت إلى جهد عظيم من التوجه النفسية ككتب السلف .
ثم احتاجت إلى تفرغ واسع للواقع الذي يعيشه الناس وإلى

وأن أكثره بلغة قسالة الصميد بن درهم هو العزق الذي
مرة مما يقره معتقداته هذا الأخير . الألبسة المصنعة هذا
الزمان كشجاعة الخط بن درهم ، ولتتهم فالتقيد الذي أمام
الطراحيث كالجهنم منقولاً .
إن معانيير السلف قد ضاقت في عقولنا إلى درجة
ولو أننا فهدمتنا مع هؤلاء الذين في الرجال والآخر فكانت تكلمنا
فالمسئلة . المصنعة في هذا الزمان عند الأوتل .
فلم أن رجلاً جمال أمام الإناج من قبل رحمة الله
تعالى . إن حديث الأئمة لا تقتنيه لأن محمد صلى الله
عليه وسلم ليس من هؤلاء . فكيفما ، فمما لا يحتمل
عليه الإمام أحمد وحميد .
الذي في مسألي الله . بل لم
عرض هذا القول على غير
بن الخطاب رضي الله عنه .
فصافاً مستكراً فالتقيد بن
سيرة علي بن ابي طالب . هذا قولك ، وأنا أوافقك .
الرأي لا يقف على التوجه . أهل هو دين الله الذي اتصروا
به السلف أم هو دين المشركين على اتصروا .
ولو أن رجلاً قال أمام القاطع البخاري رحمه الله تعالى :
إننا لن نؤمن بالإسلام حتى يعجل الناس هذه الأبيات .
لنظار الناس الإلحاد ليجاز لهم أن يمشوا به . فهذا الرجل
أبصرت الإلحاد يستعاني مع التوجه بن درهم أم مع ابن
الروثلي ؟
يا قوم قليلات من تقدير الله تعالى ، ولا تبالوا من احترام
فهم الضعابة لكن الله تعالى .
هذه التوجه النفسية الرائدة بعشيرة من التوجه النفسية
احتاجت إلى جهد عظيم من التوجه النفسية ككتب السلف .
ثم احتاجت إلى تفرغ واسع للواقع الذي يعيشه الناس وإلى

التكلم بلسان من لا ينبغي

وواجباً نظماً لهذا

على العامة أن يتروها . .

هل مات خيار أهل الأرض
من أجل دينهم
العاهل الحسن البصري
المؤمنين في المغرب ١٤٤

هل مات خيار أهل الأرض
من أجل دينهم
العاهل الحسن البصري
المؤمنين في المغرب ١٤٤

والدمعة ١١٤
منه فمساك عن هؤلاء . فمما لا يحتمل
المسلمين محبتهم ١١٤
أوليس القائل أن هؤلاء هم علماء الإسلام هو مفتخر على
الإسلام . وكأقرب على الله وعقله ودينه ؟
حسبي الله لدينتي
حسبي الله فمساك عن هؤلاء . فمما لا يحتمل
ألا توت هؤلاء . العاهل هم كالمعتاد بن درهم وكسبهم بن
هؤلاء . ولكنهم يفتنون أن هؤلاء أئمتهم وأئمتهم . وعند
الله نخلصهم أنفسهم
والمحمد لله رب العالمين

والدمعة ١١٤
منه فمساك عن هؤلاء . فمما لا يحتمل
المسلمين محبتهم ١١٤
أوليس القائل أن هؤلاء هم علماء الإسلام هو مفتخر على
الإسلام . وكأقرب على الله وعقله ودينه ؟
حسبي الله لدينتي
حسبي الله فمساك عن هؤلاء . فمما لا يحتمل
ألا توت هؤلاء . العاهل هم كالمعتاد بن درهم وكسبهم بن
هؤلاء . ولكنهم يفتنون أن هؤلاء أئمتهم وأئمتهم . وعند
الله نخلصهم أنفسهم
والمحمد لله رب العالمين

وَمِنْ هَؤُلَاءِ رَجُلٌ عَاشَ بَعِيرَ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، جَعَلَ جُلَّ هَمِّهِ انْتِقَادَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَانْتِقَاصَهُمْ، أَلَا وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْعَزَالِي، فَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ «الإسلامُ والأوضاعُ الاقتصادية» (ص ١٠٤-١٠٦): «الأمنُ المزعومُ: يَتَحَدَّثُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ عَنِ الْأَمْنِ الشَّامِلِ الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ، الَّذِي تَتَمَتَّعُ بِهِ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وَخَاصَّةً الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةَ، وَيَعُدُّونَهُ مَزِيَّةً عَظِيمَةً، انْفَرَدَتْ بِهَا هَذِهِ الْبِلَادُ، دُونَ بَقِيَّةِ بُلْدَانِ الْعَالَمِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ حَدِيثَ الْأَمْنِ صَاحِحٌ لَا مَرِيَةَ فِيهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ لَهُ الْمَرْءُ مِثْلًا فِي أَيِّ مَمْلَكَةٍ مِنْ مَمَالِكِ الدُّنْيَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْأَمْنَ الَّذِي لَمْ تُوَفَّقْ أَمْرِيكَا وَانْجَلْتِرَا إِلَى تَحْقِيقِهِ فِي بِلَادِهِمَا، وَحَقَّقَتْهُ حُكُومَةٌ بَدَوِيَّةٌ فِي أَرْضِ قَبَلِيَّةٍ يَزِيدُ مِنْ اسْتِغْرَابِ الْإِنْسَانِ لَهُ، وَيَحْمِلُ الْعَاقِلُ عَلَى دِرَاسَةِ أَسْبَابِهِ، وَتَفْهَمِ كُنْهَهُ. وَلَكِنَّ الَّذِينَ أَطْرَوْهُ وَعَدُّوهُ مِنْ فَضَائِلِ الْحُكْمِ الْحَاضِرِ، لَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلْحَدِيثِ عَنْهُ، إِلَّا مِنْ نَاحِيَةِ مَظْهَرِهِ فَقَطْ.

أَمَّا كَيْفَ يَجْرَى تَحْقِيقُ هَذَا الْأَمْنِ، وَمَا الْوَسَائِلُ الَّتِي تُتَّبَعُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ؟ فَقَدْ طَوَى النَّاسُ كَشْحًا عَنْ ذِكْرِهَا: إِمَّا لِعَدَمِ الْإِمَامِ بِحَقِيقَتِهَا، أَوْ خَوْفًا مِنَ الْحُكُومَةِ، أَوْ مُجَامَلَةٍ، أَوْ إِشْفَاقًا عَلَى سُمْعَتِهَا مِنَ السُّقُوطِ. يَكَادُ يَكُونُ التَّعْزِيرُ وَالتَّعْذِيبُ وَالإِرْهَابُ الْوَسِيلَةَ الْوَحِيدَةَ الْمُتَّبَعَةَ لِلتَّحْقِيقِ فِي الْجَرَائِمِ فِي الْمَمْلَكَةِ السُّعُودِيَّةِ^(١)!!

فَالْقَلَمُ وَالْمِدَادُ وَالْقَرِطَاسُ وَالِاسْتِنطَاقُ الْعَادِلُ قَدْ اخْتَفَى مِنْ إِدَارَاتِ الْأَمْنِ، وَحَلَّ مَحَلَّهَا السَّوْطُ، وَجَرِيدُ النَّخْلِ الْأَخْضَرِ، وَالْأَثْقَالُ بِالْأَغْلَالِ وَالْقَيْودِ^(١)!!...

(١) قلتُ: هذا هو كلامُ الشُّيُوعِيِّينَ تَمَامًا عَنِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ؛ بُغْيَةَ التَّنْفِيرِ مِنَ الْإِسْلَامِ!

وهو سلاحٌ يَسْتطِيعُ أن يَسْتَعْمَلَهُ كلُّ قَوِيٍّ مُتَسَلِّطٍ، وَيَجْعَلُهُ أَدَاةً صَارِمَةً لَتَحْقِيقِ الْأَمْنِ، بَيْنَ آيَةِ طَائِفَةٍ يَسُودُهَا، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ ضَوَارِي الْوَحْشِ، لَا مِنْ بَنِي آدَمَ، فَتَقَطَّعُ أَكْفَ النَّاسِ وَرُؤُوسَهُمْ، وَيَجْلِدُونَ عَلَى الزَّئِي وَشُرْبِ الْخَمْرِ؛ اسْتِنَادًا إِلَى اعْتِرَافِهِمْ بِالْجَرَائِمِ، تَحْتَ تَأْثِيرِ عَوَامِلَ غَيْرِ عَادِيَّةٍ، تُخْرِجُهُمْ مِنْ أَطْوَارِهِمِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَتُفْقِدُهُمْ وَعَيْهِمْ وَتَعْقِلُهُمْ^(٢)!!

هذه طريقة التحقيق مع الأفراد!!

أَمَّا إِذَا ارْتُكِبَتْ جَرِيْمَةٌ لَا تَدُلُّ الْقَرَائِنُ وَالظُّنُونُ عَلَى اتِّهَامِ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ بِهَا، فَإِنَّ الْحُكُومَةَ تَلْجَأُ إِلَى اتِّهَامِ الْمَحَلَّةِ أَوْ الْقَرْيَةِ أَوْ الْقَبِيلَةِ، الَّتِي وَقَعَتْ فِي حُدُودِهَا تِلْكَ الْجَرِيْمَةُ!!!».

ثُمَّ حَكَى أَسَاطِيرَ مِنْ أَلْوَانِ التَّعْذِيبِ اكْتَسَبَهَا وَمَا تَحَقَّقَ مِنْهَا، أَوْ كَانَتْ تُمَلَّى عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْمُبْغِضِينَ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ قَالَ أَيْضًا (ص ١٠٧): «إِنَّهُ يُذَكِّرُنَا بِفَتَكَاتِ عَادِ الْأُولَى، وَعُنْفِ جَبَابِرَتِهَا فِي اجْتِيَاكِ الْخُصُومِ، ذَاكَ الْعَنْفُ الَّذِي سَجَّلَهُ الْوَحْيُ عَلَيْهِمْ مُنْذَرًا بِهِ، ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بِطِشْتِمْ جَبَارِينَ﴾ [الشُّعْرَاءُ

!!![١٣٠

= (١) كَيْفَ يُصَدِّقُ مَنْصَفٌ هَذَا، وَالْغَزَالِي نَفْسُهُ — وَهُوَ الْحَاقِدُ عَلَى دَوْلَةِ التَّوْحِيدِ كَمَا تَرَى — قَدْ عَاشَ فِي كَنْفِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ كِتَابَتِهِ هَذِهِ مَا عَاشَ، وَمَا سَمِعْنَا أَنَّهُ نِيلَ مِنْهُ أَوْ نُكِّلَ بِهِ، بَلْ لَقَدْ أُعْطِيَ جَائِزَةَ الْمَلِكِ فَيَصِلُ، وَكَانَتْ الدَّوْلَةُ أَحْلَمَ مِنْهُ بِمَا لَا يُقَارَنُ!!

(٢) قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَا يَفْعَلُهُ الْغَرْبُ مِنْ تَعْذِيبٍ وَتَنْكِيلٍ، بَلْ وَاسْتَعْمَارٍ صَرِيحٍ وَاسِعٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَبِّ لَهُمُ الْأَمْنُ بِشَهَادَةِ الْغَزَالِيِّ كَمَا مَرَّ، فَلَوْ كَانَتْ سِيَاسَةُ الْحَدِيدِ وَالنَّارِ تَنْبِتُ الْأَمْنَ فِي الْبِلَادِ، فَلِمَاذَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ السُّعُودِيَّةُ، وَحُرِمَتْهُ الْبِلَادُ الْغَرْبِيَّةُ وَالْوَسِيلَةُ وَاحِدَةٌ كَمَا زَعَمَ؟!

وأكذبُ شيءٍ أن ينتمي هذا السلوكُ إلى دينٍ...!!». ثم جاء بتكفير غريب، فقال: «بل أعجبُ شيءٍ أن يُحسبَ هؤلاء في عداد المسلمين، وأن يقعَ هذا التصرفُ في بيئاتٍ تنقلُ الريحُ إليها أصداءَ القرآن، وتحدثُها - من بعيدٍ - عن معالم الإيمان.

أما هذا الطرازُ من الحاكمين الذين يصمّون آذانهم عن تعاليم السماء، فلا بدّ أن تحبط أعمالهم، وتساء عقابهم؛ كما قال الله ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ [الأعراف]!!».

وأغربُ من هذا التّحامل الواضح على المسلمين أن ينهر الغزالي بالعدل عند العرب الكفار، في الوقت الذي لا يجدُ في إيمانه ما يمنعه من الولاء للكافرين، والبراء من المسلمين، بل يعقدُ مقارنةً بين مسلمين وكافرين، ثم يُفضّلُ تزكية هدي الكافرين، فيقولُ في كتابه «من هنا نعلم» (ص ٣٠): «إن كثيراً من بلاد الكفر أعدلُ حكماً، وأرقى ضميراً، وأرفعُ مستوى من هذه البلاد، فكيف يُظنُّ أن ما بها من فوضى وجور واعتسافٍ صورةً لحكم إسلامي؟!»

وما هو إلاّ مجتمعٌ تعس من السّادة والعبيد!!!». والغريبُ أن الشيخ الغزالي كان كثيراً التكرار لتفسير سورة النساء، فكيف لم ينتفع بحفظه لقول الله ﷻ فيها: ﴿الْمَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ

الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ وَالطُّنُوجِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿ [النساء ٥١]!؟

ثم هو من الذين يُطْرَبُهُمْ كثيراً أن يصفوا علماء المملكة بالبدويين الذين لا
يفقهون الواقع، فكيف خفي عليه واقع المملكة مع العبيد؟! أليس الملك فيصل
- رحمه الله - هو الذي حرر عبيد المملكة بدون استثناء؟!!

والحقيقة أن الأمر كما قال بعض السلف: « ما كثرت النعم على قوم قط
إلا كثرت أعداؤها »، كما في « العلل » لأحمد (١١٦ - وصي الله)، فنسأل
الله الحفظ.

قد كنت قلت لبعض المتباكين على فقد دولة الإسلام وهم من أبناء
المملكة العربية السعودية: إن كنتم لا ترون أن هذه الدولة دولة إسلامية، فإما
هي عندكم كافرة، وهذا ما لا يصح النقاش فيه إطلاقاً، وإما هي عندكم
مسلمة، فعلام تبخسون الناس أشياءهم؟!!

فإن رأيتم نعمة فاشكروا، وإن رأيتم خلافاً فاستثروا، وإن كنتم ذوي
نصح فالخلل سدوا، وبإمامة القوم فاعتدوا.

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: « من لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله
شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب » رواه عبد الله بن أحمد
في زياداته، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » (٩٦٢).

وعن جابر عن النبي ﷺ قال: « من أعطي عطاءً فوجد فليجز به، فإن لم
يجد فليئن؛ فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم

يُعْطَ كَانَ كلابِسِ ثَوْبِي زُورٍ « رواه الترمذي وأبو داود، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (٩٥٤).

ومن غريب أمركم أنكم وجدتم دولةً إسلاميةً، فرأيتم فيها خللاً، فبدلاً من تكميلها، عملتم على تشييلها، وتضخيم السيئات إسرافاً، ودفن الحسنات إجحافاً، وهل من الحكمة في شيء أن يرد العطشان ماءً فيه كدر، فبدلاً من أن يُصْفِيَهُ رَدَمَهُ ثُمَّ فارقَهُ، وجعل يلهث عطشاناً بحثاً عن ماءٍ لا كدر فيه: (... وأيُّ النَّاسِ تُصَفُّوْا مَشَارِبُهُ)؟!)

وقد كتبتُ هذا وأنا على علمٍ من أنه سيكسبني سقوطَ جاهي عند أكثر الحركات الإسلامية اليوم، التي تُسَمَّى ظَنُّهَا بِكُلِّ مَنْ يُحَسِّنُ الْقَوْلَ فِي الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ؛ لأنَّ مَدْحَهَا عِنْدَهُمْ هُوَ الْجَرْحُ الْقَادِحُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ مَعَهُ تَرْكِيَةُ الثَّقَلَيْنِ!

وهذه الجماعات مُجمَعَةٌ - مع الأسف - على تحريم الاعتدَادِ بِهَا، بل لا تخنقُ على دولة حنقها على هذه الدولة، وتعمى هنا عن تطويق قاعدتها في الموازنة بين الحسنات والسيئات!

وكلُّ معترف لها بشيءٍ مما تقومُ به من أعمال البرِّ الجبَّارة - ولا أقول: كلُّ مادح لها - ليسَ له من (إنصافهم!) سوى الدَّمِ والرَّمِي بِالْعَمَالَةِ، وأنه صاحب مصلحة ...!!

وأنا أعلم أنهم يترقبون هنا العثرة ليعلنوا الشَّماتة، لكن العبرة بما عليه أهلُ الحقِّ، كما قيل:

وَإِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضْبَانًا عَلَيَّ لِئَامُهَا

بل الحق هو الحق، وإن لم يترك لك صديقاً، والله قد تسمى بالحق وهو كافيك، ولك أسوة في إبراهيم الخليل ﷺ، سماه الله أمةً مع أنه لم يكن معه أحدٌ على الإسلام، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل ١٢٠]، وقال ابن مسعود ﷺ: «الجماعة ما وافق طاعة الله، وإن كنت وحدك» أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٢٠) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٦٠).

ورحم الله من قال:

وإن سلقوا بألسنة حدادٍ	به ألقى الإله ولا أبالي
لمانع الاقتداء بخير هادي	وألغي ما سواه ولست أضغي
لإرضاء الصديق ولا المعادي	فذا فعل النبي فلا تدغى

ومما يستغرب هنا هو بذل الشيخ سلمان العودة وأشكاله جهدهم لتشويه صورة هذه الدولة، والتخريض عليها، بل لقد نقلت في كتابي «مدارك النظر في السياسة» (ص ١٥٤ - ١٥٦) من الطبعة الرابعة كلاماً شديداً للشيخ سلمان في دولته!!

فلماذا لم يعمل الشيخ سلمان وجماعته بقاعدتهم في الموازنة بين الحسنات والسيئات هنا، وهم يعلمون أن دولتهم قد انفردت بحسنات لا توجد عند غيرها؟! مع أنهم فعلوا تلك الموازنة مع بعض الدول التي تردُّ كلمة (تحكيم الشريعة) كأفغانستان والسودان، وإن كانوا لم يقوموا بمعشأ ما ادَّعوا، بل إن أعظم باب يتحاكم فيه إلى الشريعة هو التوحيد، وهذان البلدان لا يزال الشرك ضارباً أطنابه في ربوعهما، فالقبور عندهم تُشاد ويُعبد أهلها، ومؤتمرات وحدة الأديان تُقام عند بعضهم كما ستراه إن شاء الله في آخر الكتاب من القسم

الثاني الذي أُسْمِيَتْهُ « تنبيه النبيه على لصٍ سَمَتْ فِقِيهه »، وغير ذلك مما أعجز عن إحصائه، ولا أريدُ أن أقفَ هنا رادًّا على ادِّعاء بعضهم هَدْمَ بعضِ الأصنامِ عندَ بعضهم؛ فإنها دعوى عريضة، مع أنهم لَيَتَهَمَ حَطُّموا الأوثانَ التي تُقصد وتُزار؛ وإلا فليُفسِّروا لنا اجتهادهم في هَدْمِ ما اندرسَ ذِكرُه عند عبَاد القبور، أمَّا ما لا ينسأه هؤلاء فلم يُمسَّ بسوء، والله المستعان.

إنَّ صاحبَ القلبِ الموحِّدِ المعظمِ لحقَّ اللهُ تعالى إذا ذَكَرَ عنده الشُّركَ يكادُ يذهلُ عن المصائبِ الأخرى؛ إذ الشُّركُ هو أصلُ كلِّ شرٍّ، قال اللهُ تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتْ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر ٦٥].

إنَّ القبوريينَ في بلادِ الشَّيخِ سَلْمَانَ مَدْحُورُونَ مَقْهُورُونَ، لا يُرفعُ لهم فيها عَلمٌ، ولَبِدَعَتَهُم فيها الصَّمَمُ، وأمَّا القبوريونَ في السُّودانِ وأفغانسْتانِ فهم رُؤوسٌ في دَوْلَتِهِم، ودَعْوَتُهُم ظاهِرةٌ لا تَتَوَارَى أبداً، فأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بـوَلَاءِ سَلْمَانَ بعدَ النَّظَرِ المنصفِ الطَّلِيقِ مِنَ العُقْدِ السِّيَاسِيَّةِ؟

إنَّ إقامةَ الحُدُودِ في بلادِ الشَّيخِ سَلْمَانَ حَقِيقَةٌ، وأمَّا عندَ أولئك فدَعْوَى، وأَيُّ حُدُودِ في أفغانسْتانِ وقد قامَتْ على حِجَاكِ المِسلمينَ منذ استقلالها عن العدوِّ الشُّيُوعِيِّ؟!!

بل أعظمُ الحُدُودِ على الإطلاقِ هو حَدُّ الشُّركِ، أي أولئك المِصرِّينَ عندهم على عِبادَةِ القبورِ؛ لأنَّ الرَّسُولَ ﷺ قال: « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُواهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ » متَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

والغريبُ أنَّ الذينَ يُدندنونَ حولَ الحُدُودِ لا يَحْطَرُّ بِبَالِهِمْ هَذَا الحَدُّ العَظيمَ، فتراهم يتكلمونَ عن حَدِّ السَّرْقَةِ والزَّنا والخمرِ وما إليها، ويغفلونَ عن حَدِّ

الشرك؛ وذلك لأن استعظام المعاصي على البدع بل على الشرك من أصول الحركيين، ولذلك ضجَّ الخرافيون بإقامة القضاء السعودي الحدَّ على المشعوذين والسحرة، كذلك الرفاعي الذي كتبَ فيهم ما كتبَ خذلاناً للحقِّ وانتصاراً للباطل باسم النصيحة!!

وأى حدودٍ في السودان والثراي يُنكر حدَّ الرجم وغيره من الأحكام الشرعيَّة، ويدعو إلى اختلاط الذكور بالإناث...؟!!!

إنَّ أهل السنة في السُّعوديَّة مُؤيِّدون تأييداً رسمياً، وأمَّا في السودان وأفغانستان فمقهورون رسمياً، فأى الفريقين أحقُّ بولاء سلمان^(١)؟!!

إنَّ الشَّيخَ سلمان العودة - مع الأسف - لا يرى لبلاده حسنةً، لذلك فهو يدعو إلى إعادة (الخلافة!) وإقصاء الموجود، كما في شريطه « تحرير الأرض أم تحرير الإنسان! »، وأمَّا أفغانستان والسودان فهو يُطالبُ بنصرتهما وتكميل ما ينقصهما، ولو لم يبدؤوا بعدُ بالتطبيق! استمع إلى شريطه « لماذا يخافون من الإسلام؟ ».

إنَّه مع هؤلاء يعملُ بقاعدة الموازنة بين الحسنات والسيئات، وأمَّا مع السُّعوديَّة فيريدُ أن يكفأَ الإناءَ بما فيه من خير؛ ليبدأ من نقطة (الصفر)! هذه البلادُ قد سبقتَ تينك البلدتين بمراحل، مع ذلك فهو يطلب تنويمها، ويرفض تنويمها، فأتى له جني الثمرة، وهو دائبٌ على قطع الشجرة؟!!

سبحان الله! دولةٌ تدعو إلى التوحيد، وتبثُّ السنة، وتنصرُ أهلها، ولها يدٌ بيضاء على جميع المستضعفين في العالم، وكم بذلت في أفغانستان والبوسنة

(١) أعرِفُ اثنين من علماء السنة في السُّعوديَّة وُجِّهت إليهم أفواهُ البنادق في دولة أفغانستان؛ كي يسكتوا عن الكلام في التوحيد!!!

والهرسك وفلسطين والشيشان والجمهوريات المسلمة في روسيا وغيرها، فهذه عنده ينبغي الاجتهاد لإزالتها!

ودولة لم تعرف التوحيد ولا دعت إليه، بل تدعو إلى ما يضاذه بعد أن عرّفته، ويعيش في ربوعها جميع الفرق المنحرفة عن السنة إلا أهل السنة السلفيين، فإن نصيهم منها الحرب والتضييق!

فهذه ينبغي الاجتهاد لتثيتها، وقالوا: ليس من العدل كتمان حسناتها..!!

فبأي عقل يفكرون، وأي دين يريدون؟!

قالوا: تجب إعاتتهم؛ لأنهم قاموا في وجوه العلمانية والشيوعية، وما كان لديهم من نقص - ولو في التوحيد!! - سيقادى في المستقبل...!

قلنا: وهذا الذي ترجون تحقيقه عندهم في المستقبل، هو موجود في بلادكم وزيادة، فلماذا لا تحظى منكم بنصر الموجود، والإعانة على تحصيل المفقود، وقد قيل: إصلاح الموجود، خير من انتظار المفقود؟!

لا سيما وكلكم قد كان أذن له أن يحاضر في كل بادية وحاضرة، فعلام استغلتم هذا التسامح لبث الفتن، ومقابلة طيب الولاية بنشر المحن؟!

أهكذا تكون المروءة، ومعالجة الحسنة بالسوأى؟!

إذا كنتم كمن يمنع الماعون، ويداوي الحمى بالطاعون!

تنبيه: نسمع اليوم أن بعض هؤلاء قد تاب، فمن زعم ذلك لهم

فليبين لنا توبتهم بتفصيل وبيانهم الواضح لرُجوعهم الصادق عما انتقده عليهم أهل العلم؛ لأنني أظن أن الذي يستشعر عظم ما أتى من حرف جماعات غفيرة عن صراط الفرقة الناجية، لا يدعه صدقه مع الله ولا شفقتة على إخوانه

المسلمين يكتفي بذر الرماد في العيون، وإلا كان كمن قيل فيه: أسمع جمعجة
ولأ أرى طحناً، وأنا لمنتظرون!

إنَّ البُرُوقَ كَوادِبُ والغَيْثُ يُظْهِرُ صَدْفَهَا
والسُّحْبُ لَا تُحْيِي الثَّرَى ما لَمْ تُتَابِعْ وَرَقَهَا

وجاء في العدد (٩٠)، من مجلة الأنصار (ص ١٣)، بتاريخ: (٢٩ شوال
١٤١٥ هـ)، تحت عنوان: « أخبار وتعاليق »: « السُّعُويهِودِيَّة: بعد انتهائه
من زيارة القزم المسوخ، قام آل غور اليهودي بالتوجه لزيارة الحاخام
فهد...!! ».

صورة المقال السابق

من أخبار أممية المسلمين

وبعد حوالي 200 من الحرب وأسروا 30 . كما تم الاستيلاء على نحو الصرب التي كانت في حماية العزل وفي منطقة توتو التي تقع بين سفن السفن من الاستيلاء على جميع أنحاء في المنطقة واستقروا على قدر كبير من كمال الصبر . السيد في الكادر ستمضي فيها وأند في صرع سكان تلك القرى . وأخبار جارية الحروب الكار وبزوا بين لهم وأولادهم بذلك يكون المسلمون قد توطأوا خلال الأسموع الماضي حوالي 50 كم داخل أرض الصرب .



أخبار وتعاليق

وقد شهدت منطقة ترافيلج معركته حاسمة ضد الصرب الكثر . وقد شويروا وهم بالهوان من العتارات التي رجمت بعد كبير تقزير أو أنهم المنهكة ضد البوسنيون الذين كثر ويصعب بقوة وينسوز . بعد ذلك الصرب ولم تعرف بعد الآن نتائج هذه الحركة .

المسلمون قامت الشكيلة المجرية يتعاون مع زبانية دوقا ، بالقيام بالعمليات العسكرية مشتركة وذلك لتأخر عن غلوت مشتركة وموحدة في ضم أراضي البوسنيون التي في محاربة ضد من حصانة البلديات المجرية التي تسيطر القوة والقناصير ، وأشاروا إلى أن هذه الأوسر بدأت عند نعتت عابجا معاهدة الإحسان الواقعة في القاهرة .

الصرب يفتخرون بعد التصديقات من زيارة القديس المسروح . كما أن مرور القديس ، بالترجمة لزيارة القديس فيد وذلك ما لبث في إطار محاربة التطرف ، الأوقات (المصاعين) الذين بدأ صيغتهم وقد . عليهم يتوق كل الحدود المأهولة . فقد أعلن الكفر فهو يتألم مناهة الناس به أو حين عن الإندكهم بتعاضبه . يصلون المسلمين بأنه قد حصد هذه العبادة (الإسلام) يقومون بأعمال نصير إلى الإسلام بالمسلمين . ويسعون إلى التوصل إلى التماسك بين هائل أعمال العنف والإرهاب ويؤمنون ذلك باسم الإسلام . وأكد على أن هذا وحل إسماعيلية المسلمين . يظهر الشاهد على سواد ، قطع أنه فيسلك ويسلك حاشيتك (فهد)

وقد التقى القديس بمجموعة من اليهودي حوز ناباختة ويصنع للمصاعين ، والقدرة التقدير العقل الذي هو في حد ذاته الصلابة . وأعرب عن العلاقات القوية والصاعدة التي تربطه بالمصاعين فقد وهي الشاهد هذا الأخير قد أيدهم بالتعاون معه محاربة الأفكار المعادية لهم .

المسلمون - بدأت سبائك ساحة في مسجد مصر من الجياويين وبشرية الألبان . وقد في أحدى منازعة وقد قتل خلالها 4 من المصاعين وبماتت 4 عويدين . ويرجع خبرين قد وقع الإصدام الأخير أن مصاعينها المقتنات عيناها جازم 4 من المصاعين بقر صعدة القسرية وأخالفوا بها ضد الأثار فاهم بعد حوا كثر مسجون وأصابتها الذين آخرين يجرع سقلا على الأرمي في أستانبلي . ويكفر المصاعين بعد هذه التسمية من الإصصاب

بسلام إلى من التسميم مع عمو بعقوبتين الذين من العروفة التسمية لتأخير الإصلاح في مقر القصة .

وقوع الإصدام الثاني في مسجون ، عملية مستأنفة في قلب حيد كان اليهوديون لا جيل في أحد المصاعين بعد صرب الطير إلى وقد المصاعين حارسا قوة كبيرة من الشرطة لتسكنهم فرفض الإغواء الإصصابم وثبات لرا منهم الكثر حتى غدت يظهرهم بعد انتهاء أنشطة المصاعين . وهم لم قد قتل . فظهر الأ من الشهادة .

- من لعدا عمليات المصاعين إلى الترفل ضد الصرب المسلمين (البصير) حتى يتأثروا أرض الإصصاب مصر . فقد قام الإخرة المصاعين بصبر مصر عملية جوية استهدفت جلالها قمارا سب سبب حيرة أطلقوا على رابلا من الرصاص وكان القتل حشوها عن اسوان إلى حد المقتل أنها ولم تسجل بعد أي حصيلة خلال هذه العملية . وقد قدمت الشرطة ابرادة الترافقة للمصاعين بتبادل الأثار مع المصاعين الذين شككوا من الإصصاب داخل النرويج التلاصقة لتسمية المصاعين الصربية .

- طاعت أسس المحاربة الطغوية بمصر . حكم الإهداء لحقد ضد المصاعين الأذان حاولوا التهرب من المقتل بحيل مختلفة . المادرف بصوتله تم وسيله . ويكفر ضد المصاعين عند الموت مسروح خشيته في التهمة نتيجة كبره لعدة طمات بالسكن في الركبة من طرف أحد المصاعين . لا يزال حيا أنه على قيد الحياة وما زال مصاعنا على المواصلة في وقت سلك من كتابه الضيق .

التيوسية تمكن المسلمين من الإستيلاء على جزء منة كيشين ومع الكثير جدي ولهم جدل في التوسية ويكفر على مدينة بالتوجه عاصمة صرب اليوسية . كما عابوا في يابان .

قلت: كيف تُنسبُ الدَّولةُ السُّعوديَّةُ إلى اليهود، وهي - كغيرها - من كثير من الدُّولِ المسلمة - تقومُ بمُساعدةِ الفلسطينيين؟! ثم إنَّ الإغاثةَ السُّعوديَّةَ لهم لا يَعلمُها إلا اللهُ الَّذي قال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٧٣]. وأنا أتكلِّمُ هنا بعلمٍ وبصيرة، وإن كان اعتداري هذا لا يسوَى شيئاً عند مَنْ لا يفكِّرونَ في يومِ السُّؤالِ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ﴿طارق﴾.

إنَّ اليهودَ لَيَتَمَنَّونَ زوالَ هذه الدَّولة؛ لأنَّ مُساعداتها للمُسلمين تُقلِّقُهم، وقد رأيتُ بنفسِي في بعض المناسبات اجتهادَ المسؤولين بها لحماية البلاد من التنصير، كما اطَّلعتُ على عددٍ كبيرٍ من النصارى الأمريكِيِّينَ الَّذينَ أسلموا أيامَ أزمنةِ الخَليجِ، فهلْ يَفعلُ هذا «سُعوِيهودي أو سُعوِنَصْراني»، على حدِّ تعبيرِ هؤلاء؟! ولا بأسَ أنْ أنقلَ للقاريءِ شيئاً من الخَيرِ الَّذي رأيتهُ في تلكَ البلادِ لِيَعْلَمَ مَدَى إنصافِ هؤلاءِ المُنتقدينَ لها ومبلغَ صدقهم، فقد جاءَ في جريدةِ «الاقتصاديَّةِ» السُّعوديَّةِ، في العددِ (٣٠٤٨)، في الصَّفحةِ الأخيرة، بتاريخ: (غرَّةُ ذي الحِجَّةِ ١٤٢٣هـ) ما يَأْتِي: «حذرتُ هيئةَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر - أي في السُّعوديَّةِ - أصحابَ محلاتِ بَيْعِ الوُرُودِ وتغليفِ الهدايا من عَرْضِ أو بَيْعِ كلِّ ما يَخْصُ ما يُطلَقُ عليه عيدُ الحبِّ (الفالنتاين داي) ^(١)، والَّذي يُصادفُ غداً، وهي

(١) قصَّةُ فالنتاين: تُلخَّصُ في أنَّ الرُّومانَ كانوا يَحْتَفِلونَ في (١٤) فبراير بملِكَةِ آلهةِ الرُّومانِ (جونو)، وكانت تَفْسِّخُ وتَنحَلُّ في أثناء احتفالهم بهذا العيدِ، فتقومُ الفتياتُ =

الهدايا والورود ذات اللون الأحمر، وأعلنت أنها ستصدر كل محتويات المحلات التي تباع تلك الأغراض، ووجهت فروع الهيئات في معظم مناطق البلاد إشعارات لتلك المحلات تمنعها من بيع دمي الدببة، الورود

= بكتابة أسمائهن في أوراق، ثم تضعهن في زجاجات فارغة، ثم يأتي كل شاب فيختار بالقرعة اسم عشيقته ليحتفل بها في هذا العيد، واستمر الحال على ذلك حتى القرن الثالث الميلادي الذي كان يحكم الرومان فيه الامبراطور كلاوديس الثاني، والذي قام بعدة حملات حربية باءت بالهزيمة والفشل، فأدرك أن سبب ذلك هو صعوبة جمع رجال الجيش بسبب ارتباطهم بزوجاتهم وعشيقاتهم، مما حدا به إلى إصدار أمر بمنع القساوسة فيه أن يتموا للجنود عقود الزواج، فاضطر القساوسة جميعهم للاستجابة لأمره، إلا قسيساً كان يدعى: (فالتاين)، فقد أبى الانصياع لأمره، وكان يتم عقود الزواج سرّاً، لكن سرعان ما افضح سرّه، وبان أمره، فتم اعتقاله وإدانته بمخالفة الامبراطور، وحكم عليه بالإعدام، وفي أثناء إقامته في السجن تعرّف على ابنة السجنان، والتي كانت تزوره متخفية، مصطحبة معها وردة حمراء لإهدائها له، فوقع في حبائل حبها وغرامها، وخرج عن تعاليم شريعته النصرانية التي تحرم على القساوسة الزواج أو عقد العلاقات العاطفية، ثم إن الامبراطور قد دعاه إلى عبادة آلهة الرومان مقابل العفو عنه، ولكنه رفض ذلك وثبت على نصرانيته، فنُفذ فيه حكم الإعدام في يوم (١٤) فبراير عام (٢٠٧م)، ومن حينها أطلق عليه النصراني لقب قديس؛ لأنه فدى النصرانية بروحه، وشفعوا له خطيئته وقوعه في الحب بسبب ثباته على دينه، وقاموا بإحياء ذكراه في هذا اليوم من كل عام، وأصبح عشاقهم يتبادلون في هذا اليوم الهدايا والورود الحمراء وبطاقات تحمل صورة (كيوبد) — الطفل المجنح الذي يحمل قوساً ونشاباً — والذي يمثل إله الحب لدى الرومان، ومن ذلك التاريخ وإلى هذا اليوم والنصارى يحيون هذه الذكرى ويسمونها بـ (عيد الحب) « نقلاً عن مطوية «أختاه! اقرني كي لا تُخذعي».

الحمراء، عُلب تغليف الهدايا الحمراء، وأعطت الهيئات مهلة ثلاثة أيام، تنتهي اليوم لإخلاء المحلات من هذه المنتجات، مؤكدة أنها ستصادر كل ما يتم العثور عليه خلال المدّة المحددة للمنع. وتأتي خطوة هيئة الأمر بالمعروف بناءً على فتوى تحرم مثل هذه الاحتفالات، حيث أكدت الفتوى أن الأعياد في الإسلام اثنان: الأضحى والفطر، وما عداهما سواء كان متعلقاً بشخص أو جماعة أو حدث فهي أعياد مبتدعة لا يجوز لأهل الإسلام فعلها ولا إظهار روح الفرح بها.

وذكرت أن عيد الحب المزعوم من الأعياد الوثنية النصرانية، ويجب على كل مسلم تركه وتجنبه، وأوضح ل (الاقتصادية) عثمان بن ناصر العثمان رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض، أن الهيئة بدأت في وقت مبكر في توعية أصحاب المحلات التجارية، الفنادق، المطاعم، والمنترهات العامة تجاه ظاهرة (الفالتاين)، كما تمت إحاطة تلك الجهات خطابياً بمنع الاحتفال، مشيراً إلى أن الهيئة تُنفذ كذلك جولات على تلك الجهات لمنع العبارات المرتبطة بهذه المناسبة، مبيناً أن هناك لجنة شُكلت من إمارة منطقة الرياض وشرطة منطقة الرياض وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهيئة التحقيق والادعاء العام، لتنفيذ جولات على مدى الـ ٢٤ ساعة للحد من هذه الظاهرة والقضاء عليها، وحذر العثمان الأفراد المتجولين الذين يحملون في سياراتهم بعضاً من الهدايا، الزهور، ودُمى الدببة، بأنهم سيتعرضون للتأديب الفوري من قبل رجال الهيئة، ثم يُسلم الشخص لولي أمره بعد أخذ التعهد خطياً بعدم تكرارها.

وفي جولة لـ (الاقتصادية) أمس على عدد من محلات بيع الورود وتغليف الهدايا في الرياض، لوحظ خلو معظم المحلات من وجود اللون الأحمر، خاصة دمي الدببة، علب الهدايا، البطاقات، وأكد عدد من أصحاب المحلات تخوفهم من حملات الهيئة بسبب أن لديهم أعمالاً أخرى، مثل تجهيز كوشة العرس التي تُطعم دائماً باللون الأحمر...».

صورة المقال السابق

AL-JOHNADAH
 THE INTERNATIONAL ARAB BI-SINESS GAZ.
جنادة
 صحيفة الأعمال العربية الاقضية الدولية

No. 498 - Volume 14 - February 11, 2007

هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أهمال المحلات 3 أيام للتخلص من الورود الحمراء

تحت إشراف هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي هي من الهيئات الشرعية التي تأسست في المملكة العربية السعودية عام 1411هـ، وبالتعاون مع وزارة الزراعة، تم تنظيم حملة للتخلص من الورود الحمراء في المحلات التجارية والمناطق السكنية.

وقد تم توزيع الكمامات على المواطنين في المناطق التي تم اختيارها للحملة، وذلك بهدف حماية المواطنين من الإصابة بالمرض الذي تنتقله هذه الديدان.

وكانت الحملة تستهدف المناطق التي يوجد فيها عدد كبير من المحلات التجارية، وذلك بهدف التخلص من الديدان التي تنتقلها هذه المحلات.

وقد تم توزيع الكمامات على المواطنين في المناطق التي تم اختيارها للحملة، وذلك بهدف حماية المواطنين من الإصابة بالمرض الذي تنتقله هذه الديدان.

وكانت الحملة تستهدف المناطق التي يوجد فيها عدد كبير من المحلات التجارية، وذلك بهدف التخلص من الديدان التي تنتقلها هذه المحلات.



هل يظنُّ القاريءُ الحبُّ للمعروف والمبغضُ للمُنكر أن يكونَ المحاربُ لمنكر اليهود والنصارى بهذه الصرامة معدوداً في الموالين لهم^(١)؟!!

هذه الحسنات وحسناتُ أخرى عظامٌ يحرص قومٌ على دَفْنِها، مع أنه ليس لديهم ما يُقابلها غالباً إلا حكايات التقطوها من قُمَامات الإعلام العَرَبِي أو الإعلام (الإسلامي الحزبي!) الذي لا يَعْرِفُ الوَرَعَ فيما يَقولُ!

أمَّا الذين يَعيشُونَ على أوْهامِ الإعلامِ، وامتَلأتْ قلوبُهُم بحبِّ السُّلطة، فإنَّهُم لا يَحفلُونَ بشيءٍ من هذا، ولا يَمَلأ عيونَهُم لا التَّوحيدُ ولا السُّنَّة، وأمَّا الذين امتَلأتْ قلوبُهُم بحبِّ التَّوحيدِ والسُّنَّة، فلا ريبَ من انشراحِ صُدُورهم لإنصافِ هذه الدَّولة وإعانتها على الخير؛ لأنَّ الله يَقولُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾ [المائدة ٢].

وها أنا ذا أنقلُ إلى القاريءِ الكَرِيمِ نصَّ كلمتين لإمامين جليلين في هذا العصر أنصفاً فيهما هذه الدَّولة، وليسا من عُلماءِ المملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّة؛ حتى لا يُقال ما لا بدُّ أن يقال عند ذوي الحساسِيَّةِ الحركيَّةِ، وهما علامة الشَّامِ

(١) لقد اتَّصلَ بي أحدُ الإخوةِ من أوروبا عندَ بدءِ أحداثِ « طالبان »، وكانَّه ساخِطٌ

على الدَّولةِ السُّعوديَّة؛ إذ لم تُعلنِ الجِهَادَ مع « طالبان »...

فبيَّنتُ له أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُقاتلْ وهو ضَعيفٌ، وأنَّ إيغالَ المُسلمينَ الضُّعفاءِ اليَومَ في معركةٍ غيرِ مُتكافئةٍ لا يَسعدُ به إلا العَدُوُّ في قوتِهِ وشِراسَتِهِ، وذكرتُ له أشياءَ أخرى لسنا الآنَ بصددِها، ثمَّ قلتُ له: هل تَعلمُ كم طائِرةٌ تُرسلُ إلى مخيِّماتِ الأفغانِ محمَّلةٌ بالطَّعامِ والشَّرابِ والكِساءِ والدَّواءِ مِن قِبَلِ مَسؤولي هذه البِلادِ وأمرائها الذين تُسمِّيهم جماعاتكم (طواغيت)!!؟!

فأجابَ بالتَّفِي، فقلتُ: كيفَ يَحْفَى عليكم هذا ووسائلِ الإعلامِ لم تبخَلْ بإعلانه؟

فقال منصفاً: « إنَّهُم يَحِرِّصُونَ على إخفاءِ هذه الأشياءِ »!!

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وعلامة اليمن الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
رحمهما الله رحمة واسعة، وجزأهما عن الإسلام والمسلمين خيراً.
وكل واحد منهما قال ما قال وهو في غنى عن مجاملة الدولة السعودية؛
لأنه كان في مرض موته، عند إقبال على الآخرة وإدبار من الدنيا، وقد عرفنا
بالصدق بالحق طيلة حياتهما، لا يُحَابُونَ في الحق قريباً ولا بعيداً، فكيف بهما
عند مماتهما؟!

كَلِمَةُ الْعَلَمَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ الألباني رحمه الله
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية
(عام ١٤١٩ هـ)

قال رَحِمَهُ اللهُ:

« صَاحِبَ السُّمُوِّ المَلِكِي الأَمِيرِ سُلْطَانَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ النَّائِبِ الثَّانِي لِرَئِيسِ
مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ!

وَزَيْرِ الدِّفَاعِ والطَّيْرَانِ والمِفْتَاحِ العَامِّ!
أَصْحَابِ السُّمُوِّ الأَمْرَاءِ!

أَصْحَابِ الفَضِيلَةِ والمَعَالِي والسَّعَادَةِ!
السَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَبَعْدُ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بالقَلَمِ، وَأَقَامَنَا بالدِّينِ الحَقِّ عَلَى قَصْدِ الأَمَمِ،
وَجَعَلَنَا بِاتِّبَاعِ الرَّسُولِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ خَيْرَ الأَمَمِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَمُنْذُ نَيْفِ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَأَنَا أَطُوفُ فِي آفَاقِ السَّنَةِ، وَأُصْعِدُ النَّظَرَ
فِي شَعَابِهَا، وَأُجْهِدُ بَصْرِي فِي البَحْثِ وَالتَّنْقِيهِ عَنِ نَوَادِيهَا وَشَوَارِدِهَا، وَأُرَكِّبُ
الصَّعَابَ وَالدُّلُولَ مِنْ رَوَاحِلِهَا، وَأُرْسِلُ العِنَانَ لِقَلَمِي لِوَصْلِ مَا انْقَطَعَ مِنْ
نُصُوصِهَا، وَالتَّوْلِيفِ وَالتَّقْرِيبِ بَيْنَ مَا تَنَاطَرَ وَتَفَرَّقَ مِنْ أَجْزَاءِ مُتَوَنِّهَا، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِمَّا حُمِّلْتُ مِنْ أَمَانَتِهَا، فِي مُؤَلَّفَاتِ نَاهَزَتِ المِائَةَ: تَخْرِيجًا وَتَصْنِيفًا وَهَذَا
وَاحْتِصَارًا وَتَبْوِيًّا، وَتَصْوِيًّا بِتَصْحِيحٍ أَوْ بِتَضْعِيفٍ، وَاسْتِخْرَاجًا وَاسْتِنْبَاطًا
لِأَحْكَامٍ وَمَسَائِلٍ.

ومن أعلاها شأنًا، وأحبها لي السلسلتان الذهبيتان: (الصَّحِيحَةُ) و(الضَّعِيفَةُ)، اللتان تُصدران تباعاً على تباعد، وكلُّ واحدةٍ منهما تُعدُّ مكتبةً قائمةً برأسها في علومِ السُّنَّةِ، تُتمُّ كلُّ منهما الأخرى، وأحسبُ أنه لا غنى لطلابِ العلمِ والباحثينَ عنهما؛ فقد أوعبتُ فيهما ما تفرَّقَ في دواوينِ الإسلامِ، من علمِ الرِّجالِ، والجرحِ والتَّعديلِ، والأسانيدِ والعللِ؛ وبخاصَّةِ الحفِيَّةِ منها، هذا إلى جانبِ الكثيرِ مِنَ المسائلِ العِلْمِيَّةِ والفوائدِ النَّادرَةِ، والقواعدِ الفقهِيَّةِ الدَّقِيقَةِ.

وما خطوتُ خطوةً واحدةً في طريقِ هذا العِلْمِ الشَّرِيفِ إلاَّ وأراني لا زلتُ في أوَّلِهِ؛ إذ هو علمٌ متجدِّدٌ في الأحكامِ الَّتِي يُمضيها المتخصِّصُ على نُصوصه في التَّصحيحِ والتَّحسينِ والتَّضْعِيفِ، بما أوفَرَ اللهُ لنا من فَضْلٍ، تُرحي ذِوَلَهُ عَلَيْنَا في كلِّ يومٍ دُورُ النَّشْرِ والطَّبَاعَةِ، من صِحَّاحِ وَسُنَنِ وَمَسَانِيدِ وَأجزاءِ كَانَتْ مَخْطُوطَاتٍ مَكْنُونَةٍ في غِيَابَاتِ أَجْنَابِ المَكْتَبَاتِ العَتِيقَةِ.

وكان من ثمارِ هذا ما وفَّقني إليه رَبِّي سُبْحَانَهُ، من صُنْعِي في كِتَابِي: الأوَّلُ: (صحيح التَّرجيبِ والتَّرهيبِ وضعيفه)، والثَّاني: (تَهْدِيبِ صَحِيحِ الجَامِعِ وضعيفه)؛ إذ جعلتُ لكلِّ من نَوْعِي الحديثِ الصَّحِيحِ والضَّعِيفِ خَمْسَ مراتبٍ، وهي حديثٌ من حيثِ التَّطْبِيقِ، وقَدِيمَةٌ من حيثِ الوُجُودِ: صَحِيحٌ لذاته، صحيحٌ لغيره، حَسَنٌ لذاته، حَسَنٌ لغيره، حَسَنٌ صَحِيحٌ، وضَّعِيفٌ، وضَّعِيفٌ جدًّا، موضُوعٌ، شاذٌّ، منكرٌ، سَنَدًا أو مَتْنًا. وليسَ بِخَافٍ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ المَكَانَةُ الَّتِي رَضِيهَا اللهُ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَيْهَا، فَهِيَ صِنُوعُ القُرْآنِ، وَشَطْرُ الوَحْيِ، وَلِسَانُ التَّأْوِيلِ الصَّادِقِ لِكِتَابِ اللهِ الَّذِي لَا يَضِلُّ عَلَى الدَّهْرِ، وَقَدْ عَلمَ أعداءُ الإسلامِ هَذَا الأَمْرَ مِن قَلَمِ وَحَدِيثِ، فَأَوْضَعُوا خِلالَهَا بسُوءِ مَكْرِهِم؛ يَبْغُونَهَا الفِتْنَةَ بالتَّحْرِيفِ وَالوَضْعِ

والعلو والطعن على الأسانيد العلية والتشكيك فيما دونهما، والنيل من حفاظها وأمرائها وسدنتها، والانتقاص من الصحابة والتابعين ورؤوس القرون الثلاثة المفضلة الأولى، في غير حق ولا ورع ولا كتاب منير.

ومما يحاكي هذا الباب ويدخل فيه، أن يقتحم هذا العلم من لم تتهيأ له أسبابه، ونأت عنه دواعيه، ولهذا العلم قواعده وأصوله، وأبوابه وفصوله، التي يُعرف بها الناسخ من المنسوخ، والعام عن الخاص، والمطلق من المقيد، وأسباب الورود، والعلل الخفية الدقيقة والظاهرة الجلية، إلى غير ذلك مما لا بد منه لهذا العلم الشريف.

لذا، فإني أجدني أعيد النظر بين الفينة والأخرى في نصوص كنت خرجتها قبل وقوفي على طرقتها الجديدة من بعد ظهور تلك المخطوطات لأحكم عليها بنقيضها، مما يحسبه بعض ممن يجهل هذا الأمر تناقضاً وقعت فيه، أو وهماً دهمي، وما علموا أن السكوت عن الحكم الجديد وإخفاءه ضرب من الكذب على رسول الله ﷺ القائل: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)، ونمط مفضع من الخيانة لله وللرسول، والله ينهى عن ذلك في مثل قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال ٢٧].

واستسهال هذا العلم على نحو ما ترى عليه بعضاً من طلاب العلم الحدباء الأسنان أمرٌ مُستهجنٌ، بل ومُستفزعٌ؛ لأنه ينتهي بهم إلى الخروج عن السنن الأولى التي اتفقت عليها الأمة، واستقر عليها عمل القرون، ومنذ أن كان لهذا العلم ذكرٌ في الناس، وأبما شيء يحدث في حياة الأمة يجري على سنن الهدى، وتجمع عليه الأمة، ويستقر بين ظهرانيها، موافقاً للأدلة التي تناسس بها القواعد العامة في شتى المعارف والعلوم، فلا ينبغي أن يخالف أو يخرج عنه أو يزهده فيه.

وبدهيُّ أن قواعد العلوم الإسلامية كلها (من علوم القرآن، والسنة، واللغة) لم تثبت وتشتد، ليصدر عنها المتخصصون الأقيال، ويُفيدوا منها، تعلمًا وتعليمًا، وأخذًا وردًا، وبحثًا واستقراءً، في شمولية واعية، حتى لا تكاد تشدُّ منها شاذة، إلا وقد طوقها من كلِّ جهاتها نصوصٌ من الكتاب والسنة، فمن أتاها بزيادة أو بنقصٍ فقد تلم الإجماع الذي رضيته طوائفُ علماء الأمة في شتى الأعصار والقرون، وإنما الأمة بعلمائها، فما رضيه العلماء واستقرَّ إجماعهم عليه، فهو الذي رضيته الأمة، والأمة (لا تجتمع على ضلالة)، وهي بهذا مرحومة، وكلُّ محدث في الإسلام مُنكرٌ ومردودٌ، فكيف إن كان هذا المحدث في واحد من أصليِّ الأصول، وهو السنة: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)؟! وهو من المشاققة لله وللرسول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥]، فلماذا إذا هذا التجرؤُ على قواعد علم السنة، وقد حفظها الله لنا هذه القرون بها، كما حفظ لنا كتابه العزيز؟!

وقد أنالنا بها من رحمته ما أنالنا نحن في هذا القرن، على ما كانت واستقرت عليه في القرون الغابرة، وجرى العمل بها، ولا أحسب إلا أن هذه القواعد إنما أخذت بدايتها ومطالعها من نهج القرن الأول، ولم يأت القرن الرابع إلا وقد استوفى علم السنة غايته منها، وغدت السنة بها مكلوءة أن تُؤخذ على غرة.

وها أنا ذا بعد أن سلخت من عمري قرابة الستين عامًا؛ ماشيًا في ركاب هذا العلم الشريف، أعود بالنظر والتهديب والتقريب فيه، وكأني لا زلتُ على أول مدرجته، لذا فإني ناصح أمين لطلاب العلم الشداة بثلاث:

١- أن يتعلموا العلم لأنفسهم.

٢- وأن يكون هو شاغلهم وهمهم.

٣- وأن لا يعجلوا في أمر لا يُنال إلا بالتريث وإدامة البحث والنظر في خوافيه وقوادمه.

ثم ليعلموا رابعاً: أن التصحيح والتضعيف في هذا العلم الشريف يدور بين الصدق وبين الكذب، وما لم يكن مُريدُ الاشتغال بهذا العلم حاذقاً فيه فإنه يلبس عليه فيه، فيقع في الكذب وهو يريد الصدق، وكفى بذلك إثماً، والكذب على رسول الله ﷺ، ليس ككذب على أحد، إنه أقرب إلى الكفر، بل هو بالتعمد كفرٌ بواح.

وأخيراً، فإني أسألُ الله سبحانه وتعالى أن يُدسم النعمة على أرض الجزيرة وعلى سائر بلاد المسلمين، وأن يحفظ دولة التوحيد برعاية خدام الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز، وأن يطيل في عمره في طاعة وسداد أمر وتوفيق موصول.

وإني لأشكرُ لمؤسسة الملك فيصل الخيرية على ما تبذله من خير وجهه وتكريم للعلم والعلماء، وهي بذلك إنما تؤدي شيئاً من حق الملك فيصل - رحمه الله - عليها، وهو شيءٌ من معنى قوله سبحانه: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء ٨٤]، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قلت: هكذا يشهد أهل العلم بالفضل لأهل الفضل، ولا تصرفهم عن الإدلاء بشهادة الحق عقداً سياسية، ولا إرهاباً حركياً؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق ٢]، وقد كانت من الشيخ - رحمه الله - وهو في مرض موته الذي أقعده عن الحضور إلى السعودية بمناسبة هذه

الجائزة، وإثما شهدَ لدولة التَّوْحِيدِ بالتَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ لَا يُنْكَرُهُ إِلَّا سِيَاسِيٌّ
حَاقِدٌ أَوْ مُبْتَدِعٌ مُنْحَرِفٌ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَلِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ آصِرَةٍ تَرْبِطُ
بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكْ ذَلِكَ الْحَرَكَتِيُّونَ بَعْدُ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ!

كَلِمَةُ الْعَلَمَةِ الشَّيْخِ مُقْبَلِ بْنِ هَادِي الْوَادِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

هذه كلمة قالها الشيخُ مُقْبَلُ الْوَادِعِيِّ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِقَلِيلٍ، وَهِيَ مُسَجَّلَةٌ فِي شَرِيْطٍ سَمْعِيٍّ بِعُنْوَانٍ: « مُشَاهِدَاتِي فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُوْدِيَّةِ »، وَهِيَ عِنْدَ بَعْضِ التَّسْجِيْلَاتِ بِعُنْوَانٍ: « بَرَاءَةُ الذَّمَّةِ »، وَقَدْ اغْتَمَّ بِهَا الْحَزِيئُونَ غَمًّا شَدِيدًا، وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُهَا ذِكْرًا فِي تَسْجِيْلَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَيْنَ فِيهَا تَرَاجُعَهُ عَمَّا كَانَ مِنْهُ مِنْ كَلَامٍ فِي الدَّوْلَةِ السُّعُوْدِيَّةِ؛ عَقِبَ فِتْنَةِ الْحَرَمِ سَنَةَ (١٤٠٠هـ-)، وَمِنْ طَبِيعَةِ الْفِتَنِ أَمَّا قَدْ تَصِيبُ مَنْ لَمْ يُبَاشِرْهَا، وَيَحْصُلُ فِيهَا أُمُورٌ يَصْعَبُ ضَبْطُهَا، وَرَبَّمَا تَعَرَّضَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَ مِنَ الشَّيْخِ رُدُودٌ فَعَلَ نَفْسِيَّةً؛ لِأَنَّهُ بَشَرٌ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِيهِمْ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْإِنْتِهَازِيِّينَ مَنْ يُعْجِبُهُ ذَلِكَ؛ لِإِشْفَاءِ أَمْرَاضِ صَدْرِهِ تَجَاهَ الدَّوْلَةِ السُّعُوْدِيَّةِ، وَحَلِّ عُقْدَةِ الْخَارِجِيَّةِ.

وَقَدْ كُنْتُ أُخْبِرْتُ الْإِخْوَةَ مَرَارًا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقْتَدَى بِالشَّيْخِ فِي ذَلِكَ، مَعَ تَوْقِيرِي لَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَا عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ، وَكُلُّهُ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَلْ هُوَ مُخَالَفٌ لِمَنْهَجِ الشَّيْخِ وَتَأْصِيْلَاتِهِ، وَإِنَّمَا قَدْ يَضْعَفُ الْإِنْسَانُ أَمَامَ نَوَازِعِ النَّفْسِ، وَقَدْ يَتَأَثَّرُ بِمَا يَنْسُجُهُ ذَوُو الْأَغْرَاضِ الْخَلْفِيَّةِ مِنْ أَخْبَارٍ بَغِيَّةِ الْوَقِيْعَةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ إِلَى الشَّيْخِ فِي مَنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ أَنْصَحُهُ بِمَا عَلِمْتُهُ مِنْ سِيْرَةِ سَلَفِنَا تَجَاهَ وِلَاةِ الْأُمُورِ، وَبَيَّنْتُ لَهُ فِيهَا أَنَّ سُقُوطَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ لَا يُفْرِحُ إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعِ الْمَتْرَبِّصِينَ بِهَا دَوَائِرَ السُّوءِ، وَالَّذِينَ يَرِغِبُونَ فِي إِخْمَادِ صَوْتِهَا؛ لِيَتَمَّ نَصَابُ الْإِجْمَاعِ عَلَى إِخْمَادِ

صوت السنّة: من طبع كتب السلف ونشر كلماتهم في شرق الأرض وغربها،
ومن يقوم به رسمياً سواها؟

وقد بلغني أن غيري - منهم الشيخ ربيع المدخلي - قد قام بمثل ما قمتُ
به من النصيحة للشيخ؛ إذ يعزُّ علينا جميعاً أن يُخطيء الشيخ ونحن ننظر، والله
يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٧١]، فلاحظتُ
بعد ذلك أن الشيخ - رحمه الله - كفَّ عنه، وهذا من توفيق الله للشيخ؛ وهو
دالٌّ على الطيبة - إن شاء الله - الرجعة إلى الحق، والمتحاكمة إلى الكتاب
والسنّة، وإني لأكبرُ فيه هذا الخلق الرفيع!

ولا أكنتم القاريء سرّاً أنّه لم يساورني شكٌّ في أن هذه النصيحة ستجد من
الشيخ محلاً طيباً، بل كنتُ أترقبُ منه - رحمه الله - أكثر من هذا، حتّى
أخبرتُ بالشريط المسمّى أعلاه، وهذا نصُّ الشريط مفرغاً:

قال محدثُ اليمن العلامة مُقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: « الحمد لله
ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل
إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

أمّا بعد، كنتُ متردداً من زمان في الكلام في هذا الموضوع الذي سأتكلم
فيه، ثم بعد ذلك قوي العزم، وإن كنتُ مريضاً، فإني أخشى أن أموت ولم
أبرئ ذمّي في هذا؛ فقد عرض عليّ غير مرّة أنه يُستأذن لي من الأمير أحمد
نائب وزير الدّاخليّة في الحجّ والعمرة، فقلتُ للإخوة: لا حاجة لي في ذلك،

وفي نفسي أنني لا أدخلُ تحتَ الذُّلِّ وأنا مُستريحٌ في بَلَدِي وبينِ طَلَابِي،
والحمدُ لله.

ثم قَدَّرَ اللهُ سبحانه وتعالى أن مرضتُ، وتعالجتُ في مستشفى الثورة
بصنعاء، وبعدها قرَّرَ الأطباءُ الرَّحِيلَ إلى الخارج، وقال قائلهم: ننصحك
بالذهابِ إلى السُّعُودِيَّة؛ فإنها متقدِّمةٌ في الطبِّ.

وبعد أن تكلمتُ في الأشرطة، في غير ما شَرِطَ فيهم، فأيضاً وافقتُ على
ذلك، فهُم - على ما بيَّني وبينهم - خيرٌ من الذهابِ إلى أعداءِ الإسلام.

بعد هذا استؤذِن لي وشفع فضيلةُ الشَّيخِ العَلَّامةِ مُحَمَّدِ بنِ صالحِ بنِ
عُثَيْمِينَ رحمه اللهُ تعالى، وقُبِلت شفاعتُهُ في دخولي للعلاج، والحمدُ لله؛ تَنجَزَتْ
أمرُنا من السَّفارةِ السُّعُودِيَّة، وبعد هذا وصلنا إلى الرياض، فاستقبلنا من
مسؤولين تابعين لوزارة الدَّاخِلِيَّة جزاهم اللهُ خيراً؛ استأجروا لنا فندقاً، ما كنَّا
نتوقَّع ذلك، وأكرمونا غايةَ الإكرام، جزاهم اللهُ خيراً، وعجَّلوا في دُخُولِي
المستشفى، وبعد أن رأيتُ من تَكرِيمِهِم لنا الشَّيْءَ الكثير، كان يجتمعُ إخوانُ
عندنا والحمدُ لله؛ نتحدث في دروسٍ عِلْمِيَّةٍ ليس لها دَخْلٌ بذا ولا ذاك، وإننا -
بِحَمْدِ اللهِ - لسنا مَن يُقَابِلُ الحِسنَةَ بالسَّيِّئَةِ، ولا أننا مَن يُقَابِلُ التَّكْرِيمَ أيضاً
بالإساءة.

فبِحَمْدِ اللهِ، إخوةٌ يأتون ويسألون عن أحاديث، وأسألهم أنا أيضاً كذلك،
ثم أُدخِلنا المستشفى، وبقينا فيه نحو عشرة أيام، وقالوا: الرَّحِيلُ إلى الخارجِ يا
أبا عبد الرحمن!

خيراً إن شاء اللهُ، وقدمنا إلى جُدَّة، واستقبلنا في فندقِ الحمراء، فجزى اللهُ
الأميرَ نايفاً وزيرَ الدَّاخِلِيَّة خيراً، وأكرمنا غايةَ الإكرام، فجزاهم اللهُ خيراً.

وبعد ذلك طلبتُ مقابلته، فحمداً لله، جلسة ممتعة، جلسة مع رجلٍ عادل! نعم: وإن ذاكرته في العلم وجدتُ عنده حصيلة لا بأس بها، فالحمد لله.

بعد هذا - حفظكم الله - يقول لي أيّ دولة تُرغبُ فيها فنحنُ - إن شاء الله - نُهيءُ لك الأمور هنالك، فأنا لا خيرة لي بهذا، قلتُ: أنت تختار!

فاختار أمريكا، نعم إنها متقدمة في علاج الكبد لم يسبقها أحدٌ في ذلك.

بعد هذا - حفظكم الله تعالى - أُعجبتُ عند أن نقلتُ إلى مكة، كنتُ باليمن عند الباب نحو أربعة حراس، ومع هذا فلسنا آمنين في بيتنا لا لسيلاً ولا نهاراً، وأنا في فندق دار الأزهر بمكة، بعض الليالي لا يأتيني نومٌ، وأخرجُ إلى الحرم نصفَ الليل وحدي، أشعرُ بنعمة وراحة ولذة ليس لها نظير! ليس لها نظير! أخرجُ وحدي والحمد لله، وأذهبُ وأطوفُ، وأصلي وأبقى ما استطعتُ، ثم أرجع إلى البيت، فهذا الأمن الذي ما شاهدته في بلد، إن سببه هو الاستقامة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من المسؤولين، ومن كثير من أهل البلد، وصدق ربنا ﷻ إذ يقول في كتابه الكريم في شأن أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة ٦٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[الأعراف ٩٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ أي في شأن قريش ﴿إِنْ نَتَّبِعِ آلَ هَٰذِهِ مَعَكُمْ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُحِيطُ إِلَيْهِ يَمُرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص ٥٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ

حَوْلَهُمْ ﴿ [العنكبوت ٦٧]، وربُّ العِزَّة يقول في كتابه الكَرِيم أيضاً: ﴿ وَالْوَأَلُو
 اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الحن ١٦]، وصدق ربُّنا ﷻ
 الذي يقولُ في كتابه الكَرِيم: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا

يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [الثور ٥٥]، ويقولُ سبحانه وتعالى في كتابه
 الكَرِيم: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفَّيْهِم مَّرِحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ
 هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّن خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة
 قريش]، فالأمنُ نعمةٌ عظيمةٌ من الله سبحانه وتعالى، نعمةٌ عظيمةٌ من الله، سببه
 الاستقامةُ على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
 وسلّم، فالأمرُ أن الاستقامة .. لما استقامت هذه البلادُ - وبحمد الله - مكَّن
 الله لهم، مع أننا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقهم البطانة الصالحة، وأن
 يُعيدهم من جلساء السوء، الذين يُزيّنون الباطل، وأن يحرصوا على مجالسة أهل
 الخير والفضل، وحتى ولو أتوا من الكلام ما يُخشنُ عليهم فإنه كما يُقال:
 صديقك من صدقك، لا من صدقك، وعدوك من صدقك.

فينبغي أن نحمد الله سبحانه وتعالى، كما أنه يجب على أهل هذا البلد أن
 يحمّدوا الله سبحانه وتعالى؛ فإن فيها أناساً ربّما يكونون شهواتيين يطالبون
 بأشياء من الإباحية وغيرها، ولكن جزى الله المسؤولين خيراً؛ فقد رأيتُ في
 جريدة أن الأمير نايفاً - حفظه الله تعالى - طلب منه ترشيح المرأة، فقال:
 (أتريدون أن يبقى الرجلُ هو في بيته وهي تخرج؟ لا! هذا أمرٌ لا تُحاولوا فيه)،

وطلب منه الانتخابات، فقال: (رأيناها ليست ناجحة في البلدان المجاورة؛ فإن الذي ينجح فيها هم أهل النفوذ وأهل الأموال).

وصدق، ثم بعد ذلك أيضاً هي واردة من قبل أعداء الإسلام. جمعية حقوق الإنسان استقبلها كثير من الناس على ما فيها من الأباطيل، لماذا؟

لأن معناه: الحدود وحشية، ومعناه يعني تعطيل الكتاب والسنة وإدخال الأنظمة من قبل أعداء الإسلام.

الحكومة السعودية - وفقها الله لكل خير - استقبلتها بشرط أن تكون خاضعة للإسلام وللكتاب والسنة، هكذا أيضاً إقامة الحدود، وإقامة الحدود كما يقول ربنا ﷺ في كتابه الكريم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة 179].

نعم! القتل قليل في هذه البلاد، وكذلك السرقة، تضع سيارتك عند المسجد أو عند باب بيتك ولا يأتيها السرقة ولا شيء، ثم بعد ذلك في بلدان أخرى تضعها وتخرج ولا تراها، بل ربما ينهبونها على الشخص وهو في سيارته؛ فهذا هو بسبب إقامة الحدود، فجزاهم الله خيراً، وكما سمعتم قبل قول الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة 179]، فهكذا السارق، إذا علم أنها ستقطع يده، يكف عن سرقة، والزاني إذا علم أنه سيجلد إذا كان بكراً، أو يرمى إذا كان مُحَصَّنًا خف ذلك، لا أقول: إنه لا يوجد، لكنه يخف ذلك.

من ذلك أيضاً تمكين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد رأينا في جريدة أن الملك فهداً - حفظه الله تعالى - أعطى للهيئة نحو (٣٠٠) سيارة،

وقال لهم: أنتم هيئة أمر بالمعروف، ونحن هيئة ضبط، وأنتم المسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى، فجزاهم الله خيراً، نعم! أحسنوا في هذا إلى بلدهم وإلى أم وإلى دولتهم، إنه يجب على كل مسلم في جميع الأقطار الإسلامية أن يتعاون مع هذه الحكومة ولو بالكلمة الطيبة؛ فإن أعداءها كثير، من الداخل، ومن الخارج.

ونعم! هناك شهوانيون إباحيون من الداخل، ولكن الله كتبهم بتمكين هذه الدولة المباركة والحمد لله، فيجب على كل مسلم أن يتعاون مع هذه الحكومة.

القصاص أو غير ذلك من الحدود نعمة من الله سبحانه وتعالى على المجتمع، يعيرون علينا إذا أقمنا حداً من حدود الله وهم يسحقون الشعوب سحقا! وهذه الحدود مصلحتها للفرد والمجتمع؛ فهي للفرد كفارة، كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وهي للمجتمع محافظة على أموالهم ودمائهم وأعراضهم.

نعم! تخرج إلى الشاطئ أو إلى غيره أو إلى أي مكان، ترى الرجل وامرأته لا يخشى على نفسه من أحد.

هذه الحدود مصلحة، لما عطلت في كثير من البلاد الإسلامية عجز أهلها عن مكافحة السرقة، وعجز أهلها عن مكافحة الجريمة، وعجز أهلها عن مكافحة المسكرات والمخدرات؛ والسبب في هذا هو عدم إقامة الحدود، والله المستعان.

وبعد هذا أيضاً: البناء، بناء المساجد في البلاد الإسلامية وفي غيرها، إلا أننا ننصحهم: أنهم إذا بنوا مسجداً أن يسلموه لأهل السنة؛ فهم إذا سلموه لصوفي

سَيَسُبُّهُمْ، وَيَخْطُبُ الْجُمُعَةَ فِي سَبِّهِمْ، وَهَمَّ إِذَا سَلَّمُوهُ لِحَزْبِيٍّ أَيْضاً سَيَسْتَعْلَهُ
لِلْحَزْبِيَّةِ، فَنَنْصَحُهُمْ أَنْ يُسَلِّمُوا هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ الْمُحِبِّينَ هَذِهِ
الْحُكُومَةَ وَلِلْقَائِمِينَ عَلَيْهَا.

وبعد هذا، مسألة الكتابة، سُئِلْتُ عَنْهَا غَيْرَ مَرَّةٍ، وَالْكَلَامُ فِي الْأَشْرُطَةِ، فَقَدْ
أَمَرْتُ الْأَخَ الَّذِي يَطْبَعُ كُتُبِي أَلَّا يُبْقِيَ شَيْئاً فِي الْكَلَامِ عَلَى السُّعُودِيَّةِ؛ فَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾
[الرحمن ٦٠]، فَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا وَأَكْرَمُونَا غَايَةَ الْإِكْرَامِ، فَحَنُّ لِسِنَا مَنْ يُقَابِلُ
الْإِحْسَانَ بِالْإِسَاءَةِ، هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَنَا أَقُولُ هَذَا، لَمْ يَدْفَعْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَمْ يُلْزِمْنِي أَحَدٌ بِأَنْ أَقُولَهُ، بَلْ مِنْ
نَفْسِي أَرَى أَنَّهُ يَلْزِمُنِي بَرَاءَةً لِدَمِّي.

نعم! إنني تكلمتُ وأنا أرى أنني أُخْرِجْتُ مِنَ الْمَمْلَكَةِ مَظْلُومًا، فَلَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ! كَمْ أَبْقَى فِي خِصَامٍ مَعَ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ الْحُكُومَةَ السُّعُودِيَّةَ، وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّمَا
لَيْسَتْ بِكَافِرَةٍ، وَكُنْتُ أُدْرِسُ دَرُوسًا لَا تَمَسُّ بِشَيْءٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَكِنِ الصَّبْرُ
وَالْعَفْوُ.

وهم - جزاهم الله خيراً - عَفَوْا عَنَّا، فَحَنُّ أَيْضاً كَذَلِكَ.

أَيْضاً اِهْتِمَامُهُمْ بِأَمْرِ الْحَجِيجِ وَتَوْسِعَةِ الْحَرَمَيْنِ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ).

اهْتِمَامُهُمْ بِأَمْرِ الْحَجِيجِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى أَمْنِهِمْ، التَّفْتِيشُ فِي أَبْوَابِ الْحَرَمِ،
وَكَذَلِكَ أَيْضاً لَمَّا كَثُرَ الْحَرِيقُ أَتَوْا بِخِيَامٍ لَا تَوَثَّرُ فِيهَا النَّارُ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا، فِي
غَايَةِ الْإِهْتِمَامِ: الطَّائِرَةُ - وَنَحْنُ فِي مِثْنِي - تَمْشِي عَلَى مِثْنِي مِنْ أَجْلِ الْمَحَافِظَةِ
عَلَى الْحَجِيجِ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى هَذَا الْإِهْتِمَامِ.

وأنا أقول: إنك إذا قرأت في كُتب المتقدمين وتواريخ مكة ترى ناب طاهر القرمطي قد قتل في الحرم نحو .. وفي مكة وضواحيها في الكل نحو ثلاثين ألفاً، وإنك تجد في بعض الأعوام، مُنع الحجيج المصري، وفي بعض الأحوال مُنع الحجيج العراقي، وفي بعض الأحوال مُنع الحجيج اليميني.

ولكن عند أن تمكنت الحكومة السعودية بحمد الله، محافظون على العدو والصديق، ويعتبرونهم ضيوف الرحمن، ثم ضيوفهم، فجزاهم الله خيراً.

وإنهم ليشكرون على ذلك، وما يستطيع أحد من الحكومات كلها أن يعني يرجع ما يستطيع أحدنا أن يقوم بهذا، ولكن هم - فجزاهم الله خيراً - قائمون، العساكر مَبْتُوثُونَ، المسؤولون أيضاً مَبْتُوثُونَ فجزاهم الله خيراً، والحمد لله، منهم من هو لابس لباساً رسمياً، ومنهم من هو لابس لباساً غير رسمي؛ من أجل ملاحظة أحوال الناس، والحمد لله، هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الحكام.

وقد نقلت شيئاً في كتابي (الإلحاد الحُميني في أرض الحرميين)، نقلت شيئاً من هذا، أعني في قلقة أمور الحجيج فيما تقدم، فقد أرسل الحاكم بأمر الله العبيدي الباطني أرسل عبداً له، وطعن الحجر بالدُّبوس، ثم بعد ذلك قام حول الحجر يقتل من عارضه ومن يريد أن يقبض عليه، وهو يقول: لا محمد ولا علي!! حتى قتله رجلان من أهل اليمن.

فكما تقدم قبل أنه يجب على كل مسلم في جميع الأقطار الإسلامية أن يتعاون مع هذه الحكومة؛ فإن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة ٢]، ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) متفق

عليه من حديث أبي موسى، ويقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ).

ومن ذلك أيضاً تَكْرِيمُهُم للعلماء، وقد أَوْصَاهُم والدُّهُم عبد العزيز - رحمه الله تعالى - بذلك، فهم يُجِلُّون العلماءَ ويُقدِّرونهم غايةَ التَّقْدِيرِ، ولكن هناك علماءُ السُّوءِ يتكلمون في الحكومةِ السُّعُودِيَّةِ، وربما يُكفِّرونها، فينبغي التَّمْيِيزُ بين أهل العلم من كان على عقيدتهم، أي على عقيدة التَّوْحِيدِ، فينبغي أن يُكْرَمَ، ومن كان على العقائد البدعية أو الحزبية، هؤلاء الحزبيون - يا إخوان! - شرُّ؛ هم يهيئون أنفسهم للوثوب على الدولة متى ما تمكَّنوا، فينبغي ألاَّ يُمَكِّنُوا من شيءٍ، وألاَّ يُسَاعِدُوا على باطلهم، اللَّهُمَّ إِلاَّ إِذَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّأْلِيفِ، إِذَا عُلِمَ أَنَّهُمْ سَيَرَجِعُونَ.

إنَّ إِكْرَامَهُمْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ يُعْتَبَرُ مَنْقِبَةً لَهُمْ وَإِحْسَانًا إِلَى دَوْلَتِهِمْ وَإِلَى وَالِدِهِمْ؛ تَنْفِيزًا لَوْصِيَّتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا؛ لَقَدْ اسْتَقْبَلُونَا غَايَةَ الْإِسْتِقْبَالِ، وَأَكْرَمُونَا غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَقَامُوا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَهْمَةٍ تَهْمُنَا فِي عِلَاجِنَا، وَفِيمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَهُمْ، وَيَحْفَظَ دَوْلَتَهُمْ، وَأَنْ يُمَكِّنَ لَهُمْ، وَأَنْ يُصَلِّحَهُمْ أَيْضًا، وَيَرْزُقَهُم الْبَطَانَةَ الصَّالِحَةَ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُم الْبَطَانَةَ الصَّالِحَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران ١١٨].

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُم الْبَطَانَةَ الصَّالِحَةَ، وَأَنْ يَقِيَهُمْ جُلَسَاءَ السُّوءِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ

السوء كحامل المسك وناfix الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، وناfix الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً مُنتنةً، ولسنا بصدد ذكر الآيات والأحاديث في ضرر جلساء السوء، وفي فضل الجلساء الصالحين، ولكن ننصحهم بالحرص على الجلساء الصالحين الذين يريدون لهم الخير وللبلاد الإسلامية، فإن هذه البلاد تُعتبر معقل المسلمين وملجأً للمسلمين.

وإني أحمدُ الله؛ فقد فتحوا صدورهم لكثير من الآتين من بلدانٍ شتى، فنحمدُ الله سبحانه وتعالى، والله المستعان.

إننا كما قلنا: الحامل لنا على هذه الكلمة هو أنه نرى أنه واجبٌ علينا أن نقول الحق، هذا هو الواجب، وإلا - فوالله! - لم تدفعني مادةً، ولم يدفعني أحدٌ إلى ذلك.

وأيضاً أنا - بحمد الله - لستُ ممن يعترُّ بالأقوال، ولكن أنا أتأثرُ من الأفعال، رأيتُ أفعالاً حميدةً مُجيدةً، جزاهم الله خيراً، هذا الذي أتأثرُ به، والله المستعان .

هذا، ونسألُ الله أن يُوفقنا وإياكم لما يُحبُّ ويرضى.

وقد كثر السؤال: هل أنت قد تراجعَ عن كلامك على الحكومات؟

تراجعَ عن كلامي عن الحكومة السعودية، فجزاهم الله خيراً، أمّا ما عداها فلا .»

قلتُ: هذا يُحملُ على التزكية للحكومات أو عدمها، أي أن الشيخ لا يرى تزكية غيرها؛ لأنه يرى أنه قد غلبَ الانحرافُ عليها، وأمّا التشهيرُ بهم فلا أظنُّ الشيخَ يعنيه؛ لمخالفة ذلك النصوص الشرعية والآثار السلفية في النصح للولاة

سراً، قال ابنُ النَّحَّاسِ في « تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السَّالِكِينَ من أفعال الهالكين » (ص ٦٤): « ويختارُ الكلامَ مع السُّلْطَانِ في الخَلْوَةِ على الكلامِ معه على رؤوسِ الأَشْهَادِ، بل يودُّ لو كلَّمَه سرّاً ونصَّحَه خَفِيَّةً، من غيرِ ثالثٍ »، وانظرُ للتَّوَسُّعِ كتابَ « مُعامَلَةُ الحُكَّامِ في ضَوْءِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ » (ص ٣٩-٥٨) للشيخِ الفاضلِ عبد السلامِ بنِ برجسٍ.

وفي الشَّرِيطِ نفسه بعضُ الأسئلة طرِحَتْ على فَضِيلَةَ الشَّيْخِ:

السُّؤالُ الأوَّلُ: يا شيخ! يوجدُ مقولةٌ أنكم قدَّمتم لكتاب في تَكْفِيرِ الدَّوْلَةِ للمقدسي، وأنكم ذكَّرتُم هذا في المقدِّمة له - يا شيخ! - ما صحَّةُ هذا؟

الجواب: « هذا كذبٌ، فأنا إذ كنتُ بالمدينة، وبعد سجنِي في المدينة وفي الرياض، خرَّجتُ وأنا لا أكفِّرُ الحكومةَ السُّعُودِيَّةَ، كيف أكفِّرُها؟! فإنَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ!)، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)، فلا يجوزُ لنا أن نُكفِّرَها، وهي دَوْلَةٌ مُسَلِّمَةٌ، واللهُ المستعان.

السُّؤالُ الثَّانِي: يا شيخ! يوجدُ سؤالٌ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، نريدُ أن نعرفَ رأيكم - يا شيخ! - في المدعوِّ أبو محمَّدٍ المقدسي، نبغي رأيكم فيه، هل هو من أهلِ العِلْمِ؟

الجواب: هذا الرَّجُلُ يَكْتُبُ كِتَابَاتٍ، وَكُتِبَ كَثِيرَةٌ مِنَ الأَخْطَاءِ، ذَاتَ مَرَّةٍ أُرْسِلَ لَنَا بِكِتَابٍ لَعَلَّهُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - : (إِعْدَادُ الفَوَارِسِ بِتَرْكِ المَدَارِسِ)، هُوَ أَوْ غَيْرُهُ، وَلَيْسَ بِالكِتَابِ (الكواشف الجليلية)، فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ لَهُ، فَأَعْطَانِي أَنْظَرَهُ وَأَنَا مَا لَدَيَّْ وَقْتُ، فَأَعْطَيْتُهُ لِلأَخِ النَّاقِدِ البَصِيرِ عَبْدِ العَزِيزِ البُرْعِيِّ، وَيَبِينُ مَا فِيهِ مِنَ الأَخْطَاءِ؛ نُصْحاً لَلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَوَصَلَتْ إِلَيْهِ إِذَا هُوَ يَرِيدُ أَنْ

يردُّ على عبد العزيز البرعي، فقلتُ له: هذا رجلٌ جاهلٌ مكابرٌ، اتركه ولا ينبغي أنَّا نشتغلُ به، لا ينبغي أنَّا نشتغلُ به، والله المستعان.

ولكن الناس من رأوا عنده حماسةً ظنُّوا أنَّه من أهل العلم، وما أكثر الذين يظنُّونهم من أهل العلم وليسوا من أهل العلم، فهذا الرجل ليس من أهل العلم.

نسينا شيئاً: وهو ما جاء في بعض الجرائد أن الأمير سلمان - حفظه الله تعالى - أعلن وقال: (إنه جلد أربع من البريطانيين)، وقال: (سنطبق شرع الله، وغضب من غضب)، لله دره! وأيضاً درهم على هذا الإقدام، في حين إن كثيراً من الحكومات تخاف من إذاعة لندن، ويقولون: إذاعة علمية، وتخاف من جريدة الحياة، ويقولون: جريدة علمية، وهؤلاء - جزاهم الله خيراً - يقيمون شرع الله، فأسأل الله أن يحفظهم، وأن يحفظ بلادهم.

شيء آخر أيضاً نسينا: وهو مسألة المستشفيات، فقد رأينا ما يسرنا في المستشفيات، وهو أن المستشفيات - بحمد الله - في كلِّ دورٍ مسجد، وربما يكون مسجد للرجال، ومسجد للنساء، فيشكرون على هذا الاهتمام وجزاهم الله خيراً، ثم بعد ذلك أيضاً: بناء المستشفيات في بلدان شتى، فقد بُني في بلادنا اليمن مستشفى كبير في صنعاء اسمه (مستشفى السلام)، وبني بعده مستشفى آخر اسمه .. ما أذكر اسمه، وهو بحجة .. العلاج مجاناً، والأشعاع أيضاً كذلك، والعمليات، فيشكرون على هذا، والله يجزيهم خيراً على هذا العمل الجليل الذي يقومون به، والله المستعان، وبهذا تنتهي، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا حصل أخطاء، فالمرضى قد يُعذروا، والله المستعان.»

كلمة العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله

رأيتُ أن أُضيفَ في هذه الطُّبْعَةِ رأيَ الشَّيْخِ عبدِ الحميدِ بنِ باديسٍ — رحمه الله — في دَعْوَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ رحمه الله، وذلكَ بعدَ أن أشارَ عليَّ بذلكَ أحدُ الفضلاءِ؛ لبيانِ أنَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ التَّوْحِيدَ وَيُقَدِّمُونَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ لَا بَدَّ أَنْ يُحِبُّوا أهْلَهُ، وَأَنْ يُشِيدُوا بِفَضْلِهِمْ؛ لِأَنَّهُ مِنْ تَشْجِيعِ الْخَيْرِ، وَمِنْ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، بَلْ هُوَ مَنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تَحَبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ**» رواه أحمدُ والبيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح التَّرجيبِ والتَّرهيبِ» (٣٠٣٠).

سُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ هُمُ الْوَهَّابِيُّونَ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «**قَامَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ بِدَعْوَةٍ دِينِيَّةٍ، فَتَبِعَهُ عَلَيْهَا قَوْمٌ فَلَقَّبُوا بِالْوَهَّابِيِّينَ، لَمْ يَدْعُ إِلَى مَذْهَبٍ مُسْتَقِلٍّ فِي الْفِقْهِ؛ فَإِنَّ أَتْبَاعَ النَّجْدِيِّينَ كَانُوا قَبْلَهُ وَلَا زَالُوا إِلَى الْآنَ بَعْدَهُ حَنْبَلِيِّينَ، يَدْرُسُونَ الْفِقْهَ فِي كُتُبِ الْحَنْبَلَةِ^(١)، وَلَمْ يَدْعُ إِلَى مَذْهَبٍ مُسْتَقِلٍّ فِي الْعَقَائِدِ؛ فَإِنَّ أَتْبَاعَهُ كَانُوا قَبْلَهُ وَلَا زَالُوا إِلَى الْآنَ سَنِيْنَ سَلْفِيْنَ، أَهْلَ إِثْبَاتٍ وَتَنْزِيهِ، يُؤْمِنُونَ بِالْقَدَرِ وَيُثْبِتُونَ الْكَسْبَ وَالِاخْتِيَارَ، وَيُصَدِّقُونَ بِالرُّؤْيَا، وَيُثْبِتُونَ الشَّفَاعَةَ، وَيَرْضَوْنَ عَنِ جَمِيعِ السَّلَفِ، وَلَا يُكْفِّرُونَ بِالْكَبِيرَةِ، وَيُثْبِتُونَ الْكِرَامَةَ.**»

(١) لَا بَدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمْ — رَحِمَهُمُ اللَّهُ — لَمْ يَكُونُوا يَتَعَصَّبُونَ لِلْمَذْهَبِ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْمَذْهَبَ، فَإِذَا رَأَوْا الدَّلِيلَ فِي غَيْرِهِ لَمْ يَجِدُوا أَيَّ عُقْدَةٍ فِي الْمَصِيرِ إِلَيْهِ، وَإِذَا وُجِدَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ دَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ إِلَى التَّمَذُّبِ الْجَامِدِ فَلَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ مِنْ ذَوِي الرُّسُوخِ فِيهِمْ، وَانظُرْ كِتَابَ أَحِينَا الْفَاضِلِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ هَادِي الْمَدْحَلِيِّ «**الإِقْنَاعُ بِمَا جَاءَ عَنْ أُمَّةِ الدَّعْوَةِ مِنَ الْأَقْوَالِ فِي الْأَتْبَاعِ**»؛ فَإِنَّهُ نَفِيسٌ جَدًّا.

إنما كانت غاية دعوة ابن عبد الوهَّاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع، في الأقوال والأعمال والعقائد، والرُّجوع بالمسلمين إلى الصِّراطِ السَّويِّ من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير وزيعهم المبين. لم تكن هاته الغاية التي رمى إليها بالقريبة المنال، ولا السهلة السبيل؛ فإنَّ البدع والخرافات باضت وفرخت في العقول، وانتشرت في سائر الطوائف وجميع الطبقات على تعاقب الأجيال في العصور الطوال، يشبُّ عليها الصَّغيرُ، ويُشيب عليها الكبيرُ، أقام لها إبليسُ من جنده من الجنِّ والإنسِ أعواناً وأنصاراً وحرَّاساً كباراً من زنادقة مُنافقين، ومُعَمِّمين جامدين محرفين، ومُتصوِّفة جاهلين، وخطباء وضَّاعين.

فما كانت — وهذا الرُّسوخُ رُسوخُها، وهذه المنعةُ منعتها — لتقوى على فعلها طائفةٌ واحدةٌ كالوهَّابيين في مدَّةٍ قليلةٍ، ولو أعدت ما شاءت من العُدَّةِ، وارتكبت ما استطاعت من الشدَّةِ...

بان بهذا أنَّ الوهَّابيين ليسوا بمبتدعين، لا في الفقه ولا في العقائد، ولا فيما دعوا إليه من الإصلاح...» من «آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» (٣٤/٥—٣٢).

هذا رأيه — رحمه الله — فيهم، وهو دالٌّ على أنَّ الدَّعوةَ واحدةً في جُمَلتها، وإنما ذكرَ في جُملة ما ذكرَ ممَّا يُنتقدُ عليهم شدَّةُ بعضِ الأتباعِ في الدَّعوةِ، وهذا أمرٌ إذا لم يُوافق عليه، فإنه ممَّا يسعُ فيه النَّظرُ، ويتَّسعُ له الصِّدرُ، وقد استحسنْتُ رأيَ مَنْ أشرتُ إليه أعلاه؛ لأنَّه إن قيلَ ظلماً: إنَّه لا يُؤيِّد دعوةَ الشَّيخِ محمد بن عبد الوهَّاب إلاَّ ذو طمَعٍ في دُنيا دَوْلته، فلن يمكنَ أن يُقالَ هذا في الشَّيخِ ابنِ باديس؛ لأنَّه مدحها في وقتٍ لم يكن أحدٌ يطمعُ فيها

لشدّة المؤنة يومئذ وشظف العيش، ولم يكن الرّخاء قد وضع رحاله في ربوعها بعد، والله يطهر قلوبنا من غشّ المسلمين.

وقد قصدتُ إلى هؤلاء الثلاثة الفضلاء: الألباني ومقبل وابن باديس؛ لأنهم من غير البلاد السُّعوديّة، فالأوّل من شمال المشرق، والثاني من جنوبه، والثالث من المغرب، ويمثّل هذه النّظرة الواسعة يحصل للمسلمين الائتلاف، ويمثّل تركيز هؤلاء الأفاضل على التّوحيد يحصل للمسلمين القوّة والعزّة؛ لأنّ الله الذي أمر بالاعتصام، شرط أن يكون ذلك بحبل الله لا بغيره؛ إذ كلُّ اجتماع لا يكون بالكتاب والسُّنة فلا خير فيه، ولا ديمومة له وإن خدع في الظاهر، قال الله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران].

وبعد هذا العرض، فليس العرض منه مدح هذه البلاد، وإنّما العرض بيان أن بثّ عقيدة السلف أمرٌ ندرٌ وجوده في هذا الزّمان، فليس من الحكمة في شيء التّعرض للأخطاء والترصد للمثالب؛ لأنّ ذلك لا يُعتبر علاجاً لها، بل يقع على مسرّة القبوريين وسائر الحاقدين على عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا هو الذي يوافق الولاء والبراء الصّحيحين، والله وليّ التّوفيق.

الخاتمة

اعلم - أيها المتحمس! - أن الأخطاء التي حصلت في بلاد الجزائر، والتي يُسلمُ بفظاعتها كلُّ آدميٍّ، ليست ببعيدٍ عنك ما دُمت حريصاً على المسالك التَّهْيِيجِيَّةِ والخطابِ السِّيَاسِيِّ الحَرِيصِ عَلَى التَّجْمِيعِ العَشَوَاتِيِّ، فإنَّ مَنْ نَقَلَتْ لَكَ جَرَائِمَهُمْ فِي هَذَا الكِتَابِ بَدَّوْا مِمَّا أَنْتَ فِيهِ الآنَ، وما كانوا يتصوِّرون أنفسهم واصلين إلى ما وصلوا إليه اليوم، فاربأ بنفسك أن ترعى هُنالك؛ فإنَّ البِداياتِ المنحرفة لا تدلُّ إلا على النَّهَياتِ الوَحِيمةِ المخوفة، والدَّعوةُ الإسلاميَّةُ بحاجة إلى علمٍ وحكمةٍ أكثرَ من حاجتها إلى الحماسة، واحذر من تحسين الظنِّ بالنفس، واتَّهامِ الغير، ولا سيما إذا كانت نفسُك تنزعُ إلى الاستقلاليَّةِ عن أهلِ العلم، ورأيهم - في بابِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر - بالتقصيرِ والفتور، وفي بابِ إدراكِ الواقعِ بالعِفلةِ والقصور، ولا تكن ممن يعملُ ثم يفكر، ولعلَّكَ تفتحمُ الصَّعابَ سريعاً، ثم تندمُ ندماً ذريعاً، فتريد الرُّجوعَ ولكنَّ الذي أقحمك - وهو الشيطان - لا يزالُ يخوفُكَ من قاله النَّاسُ، وشماتةِ الأعداءِ، والله يقول: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران ١٧٥].

ثم لعلَّ فيما نقلتُ عن واقعِ تلكِ البلاد - صانها اللهُ من السُّوءِ وسائرِ بلادِ المسلمين - عظةٌ للمتخلِّفينَ عن بيانِ عوارِ هذه المذاهبِ المشوُّومة، الَّذِينَ يتوهَّمونَ كلَّ رُدٍّ على المفسدينَ باسمِ الجهادِ جدالاً عن الطَّواغيتِ، ويتخوِّفونَ أن يكونَ ذلكَ من الاشتغالِ بالرُّدودِ المفسيةِ للقلوبِ، أولئك المعقدونَ تجاهِ الرُّدودِ، المتوهَّمونَ الرَّدَّ على أهلِ البدعِ من التَّصنيفِ المخيفِ، فوضَّعوا

السَّلاحَ، وتركُوا الكِفافَ، فما شعروا إلاَّ والفتنةُ مبيتُهُم، وضاربةٌ بجِرائها في
ساحاتِهِم، واللهُ المستعان!!

تمَّ القِسْمُ الأوَّلُ من الكِتَابِ، ويَلِيهِ — إن شاء اللهُ — القِسْمُ الثَّانِي بِاسْمِ:

« تَنْبِيهِ النَّبِيِّ عَلَيَّ لَصِّ بَسْمَتِ فِقِيهِ »

يسَّرَ اللهُ إِيْتَامَهُ، وَبَلَّغَنَا فِيهِ رِضَاهُ، وَرَزَقَنَا فِي كُلِّ ذَلِكَ الْإِخْلَاصَ.

المختار من فتاوى قنادة

- المقدمة..... ٧
- مَدْخُلُ:
- وَجُوبُ الْعَمَلِ بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ..... ٢٣
- التَّحْذِيرُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِ..... ٣٠
- حَرَمَةُ دَمِ الْمُسْلِمِ..... ٣٢
- تَعْرِيفُ بَعْضِ الْمَسْمِيَّاتِ وَأَصْحَابِهَا..... ٣٩
- مَنْ هُوَ أَبُو قَتَادَةَ؟..... ٤٣
- فِتَاوَى أَبِي قَتَادَةَ فِي إِهْدَارِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ..... ٥١
- مَبْدَأُ الضَّلَالِ وَمُنْتَهَاهُ..... ٥٣
- فِتْوَى أَبِي قَتَادَةَ بِتَكْفِيرِ جَمِيعِ الْحُكَّامِ..... ٥٦
- تَكْفِيرُ أَبِي قَتَادَةَ لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ فِي الْجَزَائِرِ..... ٥٩
- أَبُو قَتَادَةَ يُنْفِرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ..... ٦٣
- يُؤْخَذُ الْعِلْمُ مِنْ أَفْوَاهِ أَهْلِ الْعِلْمِ..... ٦٣
- هَجْرُ مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ أَبِي قَتَادَةَ..... ٨٧
- أَبُو قَتَادَةَ يَطْعَنُ عَلَى الدَّعْوَةِ السَّلْفِيَّةِ..... ٩٦
- غَمْرٌ فَاضِحٌ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ..... ١٠٥
- طَعْنُهُ عَلَى جُزْئِيَّاتِ الدِّينِ..... ١٠٩
- اسْتِهْزَاءٌ بِالدِّينِ!..... ١٢١

- ١٢٤..... تَشْوِيَهُ صَارِخٌ لِّلسَّلْفِيَّةِ.....
- ١٣٣..... الْمُنْتَسِبُ إِلَى الدَّعْوَةِ السَّلْفِيَّةِ يُقْتَلُ!.....
- ١٣٩..... التَّحْرِيضُ.....
- ١٤٥..... أَبُو قَتَادَةَ يُسْقِطُ الْعُلَمَاءَ وَيُرْكِي نَفْسَهُ.....
- ١٤٩..... أَبُو قَتَادَةَ يَطْعَنُ عَلِيَّ كِبَارَ الْعُلَمَاءِ بِالسُّعُودِيَّةِ.....
- ١٥٣..... فَتَوَى أَبِي قَتَادَةَ فِي قَتْلِ الْخُطَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ.....
- ١٧٤..... تَكْفِيرُ الرَّعِيَّةِ بِكُفْرِ رَاعِيهَا هُوَ مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ.....
- ١٧٩..... وَقَتْلُ شَيْخِ الْأَزْهَرِ أَيْضًا.....
- ١٨١..... تَبْرِيرُ أَبِي قَتَادَةَ قَتْلَ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ.....
- ١٩٤..... تَرْكِيَةُ أَبِي قَتَادَةَ لِحِمَاةِهِ.....
- ١٩٨..... رَدُّ عَلِيٍّ عَلَيَّ بْنَ حَاجٍ.....
- ٢٠٧..... فَتَوَى أَبِي قَتَادَةَ فِي قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ.....
- ٢٠٩..... وَصَفُ حَالَاتِ الْإِجْرَامِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الْجَزَائِرِ.....
- ٢٢٠..... أَبُو قَتَادَةَ يَفْتِي بِقَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ.....
- ٢٣٩..... ضَعْفُ قِصَّةِ رَمِيِّ أَهْلِ الطَّائِفِ بِالْمَنْجَنِيْقِ.....
- ٢٤٢..... قِيَاسُ مَنْكُوسٍ.....
- ٢٥٢..... أَبُو قَتَادَةَ يُعِيدُ حِجَّةَ ابْنِ الْأَزْرَقِ الْخَارِجِيِّ.....
- ٢٥٥..... يَجِيزُ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَلَوْ لَمْ يُقَاتِلُوا.....
- ٢٦٣..... وَحَشِيَّةُ الْأَكْبَادِ الْعَلِيْظَةِ: افْتَخَرَ بِقَتْلِ الْوَالِدِيَّةِ.....
- ٢٦٧..... لِمَاذَا يَعْزُونَ قُرَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَزَائِرِ.....

أقوال العلماء في حكم قتلهم:

- ٢٧٣..... اعترافه بأن العلماء لم يذكوا قتال الثوار بالجزائر.
- ٢٨٣..... تكذيب الشيخ عبد الله الغنيمان لهم.
- ٢٨٨..... رد تعلقهم بمعالى الشيخ صالح آل الشيخ.
- ٣٠١..... طعن فى الصحابة من أجل تزكية ثورة الثائرين.
- المؤيدون:

- ٣٢٤..... عدنان عرعور.
- ٤١٧..... شرق الحركيين ببلاد التوحيد.
- ٤٤٢..... كلمة الشيخ الألبانى عند استلامه جائزة مؤسسة الملك فيصل.
- ٤٤٨..... كلمة عظيمة للشيخ مفضل فى الدولة السعودية.
- ٤٦١..... كلمة الشيخ ابن باديس فى دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب.
- ٤٦٤..... الخاتمة.
- ٤٦٧..... المحتويات.